عز الدين بليق



الناشر
دار الفتح للطباعة والنشر
بيروت - لبنان


بعثة آدم ورسالته
بين الظن واليقين

الطبعة الأولى

١٤١٠هـ - ١٩٩٠م


بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى المصطفى الأول:

﴿ إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم، وآل عمران على العالمين﴾.

إلى من خلقه الله بيده، وعلَّمه أسماء كل شيء، وأسجد لـه ملائكتـه، وأدخله وزوجه الجنـة.

إلى من قال عنه سبحانـــه:

﴿وعصى آدم ربّه فغوى * ثم اجتباه ربُّه فتاب عليه وهدى﴾.

إلى من قال عنه عز وجـــل:

﴿ولقد عهدنا إلى آدم من قبل، فنسي ولم نجد له عزماً﴾.

إلى من قال لأهل الموقف في حديث الشفاعة الذي رواه البخاري في صحيحه:

ـ «ائتوا نوحاً أول نبيٍّ بعثه الله إلى أهل الأرض».

إلى أبي البشـــر: آدم عليه السلام:

الذي نحبّه ونحترمه ونصدِّقه، وندعو له ولأمِّنا حواء عليها السلام بلسان أبي الأنبياء [إبراهيم عليه السلام]:

﴿ربَّنا اغفر لي ولوالديّ، وللمؤمنين يوم يقوم الحساب﴾.

[المؤلـــف]

مقدمة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على رسل الله أجمعين من نوح عليه السلام إلى **محمد** عليه الصلاة والسلام.

وبعد، فهذه هي الرسالة الرابعة عن (القطعيات... والظنِّيات)(*) وهي بعنوان: [**نبوّة آدم ورسالته بين الظن واليقين**]، والرسالة تتحدث عن الأنبياء والرسل، وهل هناك فرق بين النبي والرسول كما يقول بذلك كثير من العلماء؟.. أم أن كل نبي رسول، وكل رسول نبيّ، كما يشير إلى ذلك القرآن الكريم والسُّنّة النبوية الصحيحة وبعض العلماء المحققين؟.

وقد راجت فكرة التفرقة بين الأنبياء والرسل قديماً وحديثاً، حتى أصبحت عند الكثيرين من البدهيات التي لا تقبل نقاشاً! وذكروا تعريفات متعددة لكل من النبي والرسول في كثير من كتب العقائد... وكتب الأنبياء وقِصص الأنبياء وكتب التفسير.. وجرّ ذلك إلى القول **بنبوة أبي البشر آدم** عليه السلام.. وإلى القول **بنبوّة النساء** عند بعض العلماء بحجة أن كل وحي نبوّة، بل أشار بعضهم إلى القول **بنبوّة الحواريين** كما ستراه مبسوطاً في هذه الرسالة **في الفصل الأول** [**بين النبوّة والرسالة**].

لقد ذهب القائلون بنبوّة آدم ورسالته مذاهب شتّى،

(*) **الرسالة الأولى**: القطعيات والظنيات، ومواطن الاجتهاد في الشريعة الإسلامية، لفضيلة الشيخ محمد محمد المدني، **والثانية**: ندوة لواء الإسلام حول رفع عيسى حياً إلى السماء، **والثالثة**: ندوة لواء الإسلام حول المهدي المنتظر.

فمنهم من قال بأولية نبوّة آدم ورسالته.

ومنهـم من يقول بالنبوّة دون الرسالة.

ومنهـم من يجعـل شيثـاً - ابن آدم - النبيّ الثـاني، ثم إدريس النبي الثالث ونوح عليه السلام النبي الرابع.

ومنهـم من قال بأولية نبوّة آدم. وأوليـة إرسـال نوح،

ومنهم من جعل إدريس سابقاً على نوح، ومنهم من جعله لاحقاً عليه.

ومنهـم من قال إنّ الياس هو إدريس!!

والذين وضعوا تعريفاً لكل من النبي والرسـول، لا يستندون في تعـريفهم إلى نصٍّ قـطعي الثبوت والـدلالة من كتـاب الله عز وجـل أو من سنّـة رسـولـه الصحيحة المتواترة، وإنما أخـذوه من حديث أبي ذر الـطويل الـذي يفرِّق بين النبي والـرسول، والـذي حكم بوضعـه الإمام ابن الجـوزي، وتحـدّث رجـال الجرح والتعديل عن راويه **إبراهيم بن هشام** ووصفوه بأنّه كذّاب!!

وإذا كان القرآن الكريم قد حـدّد خاتم النبيين لقـطع الطريق على مـدّعي النبـوّة بعد محمـد ﷺ، **فهل** أغفـل القـرآن الكـريم الإشـارة إلى **النبيِّ الأول** حتى لا يقــع المسلمـون في الحيــرة والبلبلة وتفـرّق الكلمــة وينـطبق عليهم تحذير القرآن الكريم: ﴿ولا تكونوا كالذين تفـرّقوا واختلفـوا من بعدمـا جاءهم البيِّنـات، وأولئك لهم عذاب عظيم﴾ [آل عمران: ١٠٥]. وقـولـه عـزّ وجــل: ﴿إنَّ الـذين فـرّقـوا دينهـم وكـانـوا شِيَعـاً لسـت مـنهـم فـي شيء﴾. [الأنعام: ١٥٩]، وقوله سبحانـه: ﴿ولا تكونـوا من المشركين: مِنَ الـذين فـرّقـوا دينهم وكـانـوا شِيعـا، كُـلُّ حِزْبٍ بمـا لـديهم فـرحـون﴾ [الروم: ٣٢].

وهـل أغفـل الـرسـول ﷺ الإشـارة إلى **النَّبيِّ الأول**، أم كـانت إشـارة

الـرسول ﷺ في أحـاديث الشفاعـة التي رواهـا البخـاري ومسلم مـطابقـة إلى إشارة القرآن الكريم بالنّص على أولية النبوّة والرسالة لنوح عليه السلام؟!.

لقـد ادّعى بعض المنتسبين إلى أهـل العلم الإجمـاع على نبـوّة آدم عنـد أهل الكتاب والمسلمين؟!.

وادّعى بعضهم أنّ من لم يؤمن بنبوّة آدم فهو كافر مرتدّ!

وادّعى البعض الآخـر بـأن من لم يؤمن بنبـوّة آدم فهـو فـاسق وليس بكافـر!.

وزعم آخـرون بـأنّ من لم يعتـرف بنبـوَّة آدم **فهـو يعيش مع زوجـه في سفاح وليس في نكاح!!.**

يقولون ذلك بكل بسـاطة بعـد أنّ اعترف آدم عليـه السلام لأهـل الموقف في حـديث الشفاعـة الذي رواه أبـو هريـرة عن رسـول الله (ﷺ) في صحيـح البخاري بأوليـة النبوّة لنـوح عليه السـلام حينما جـاءوا إليه يسـألونـه الشفاعـة فـأجابهم: لَسْتُ هُنـاكم.. أي لست في المكان المؤهـل للشفاعـة.. ثم قال لهم: **ولكن ائْتُوا نوحاً أوَّل نبيٍّ بَعَثَهُ الله إلى أهل الأرض...**

فهـل يمكن أن يكون نوحٌ أوّل نبيّ، ويكـون آدم عليـه السـلام أوّل نبيّ أيضاً؟.

أم أنَّ القاعدة الأصولية القرآنية تقـول: ﴿أفلا يتـدبرون القـرآن، ولو كـان من عند غير الله لـوجدوا فيـه اختلافـاً كثيراً﴾ [النساء: ٨٢]. والقاعـدة الفقهية تقول: «لا حجَّة مع التناقض». [المادة (٨٠) من مجلة الأحكام العدلية].

** .. **

لقـد **ادّعى بعض العلماء أنَّ آدم أول نبي**، وأن نـوحاً عليـه السـلام أول

رسول، ليسلموا من هذا التناقض. . . . وقالوا: إنَّ هناك فرقاً بين النبيّ والرسول. . ووضعوا تعريفات مختلفة لكل من النَّبيِّ والرسول، منهـا:

النبـي: هو من أُوحيَ إليه بشرعٍ ، ولم يُؤمَر بتبليغـه. . .

والرسول : هو من أُوحيَ إليه بشرعٍ ، وأُمِرَ بتبليغـه. . .

ونحن بدورنا نسأل هؤلاء العلماء:

هل جاء في القرآن الكريم **نصّ قاطع في التفرقة بين النبيِّ والرسول؟**

وهل جاء في القرآن الكريم **نصّ قاطع بنبـوّة آدم ورسالتـه**، كما ذُكِـرَتِ النُّبـوَّة والرسـالة بـإزاء غيره من الأنبيـاء كنوح وإبـراهيم وإسمـاعيـل وإسحـاق ويعقوب وموسى وعيسى وسواهم من رسل الله؟ .

هذا ما سنحاول الإجابة عليـه في هذه الرسالة. . .

- لقـد تحدَّثنـا في [**الفصـل الأول**] عن (النبوّة والـرسالـة)،وعن آراء العلماء قديماً وحديثاً فيهما. . ثم بيَّنا النبوّة والرسـالة في كتـاب الله الخالـد، وفي سنَّة رسـولـه الصحيحـة،وانتهينـا إلى الـرأي الصحيـح وهـو **أن كـلَّ نبيّ رسول وكل رسول نبيّ**. . .
- وفـي [**الفصـل الثـاني**]: أوردنا [آراء العلمـاء قديمـاً وحـديثـاً **في نبـوّة آدم ورسالته ظنّيّاً أو ترجيحاً أو يقيناً**] واختـلافهم حول نبـوّته دون رسـالته، أو رسالته. ونبـوته معـاً. .**أو القول بهـذه الأولية لنـوح عليه السـلام. . لا لآدم أبي البشـر**.
- وبمـا أنَّ بعض العلماء يـرون أنَّ نبوّة آدم عليـه السـلام من أركـان العقيـدة الإسـلاميـة. . . وأنه لا يتمّ إسـلام المسلم إلاّ بالإقـرار بهـذه العقيـدة، كـان لا بدَّ لنـا من أن نتحدث في[**الفصـل الثالث**]عن [**العقـائد الأسـاسية في الإسـلام**]، وعن [**القـرآن والسُّنّـة. .وثبـوت العقيـدة**]،وأنَّ العقيـدة

الصحيحة تقول بوجوب الإيمان بجميع رسل الله الذين قصّهم علينا في القرآن الكريم: من **نوح عليه السلام، إلى محمد عليه الصلاة والسلام**.

ـ أما **الفصل الرابع** : فقد خصّصناه للحديث عن [**تعريفات وقواعد فقهية وأصولية وتفسيرية**].

وقد صدّرنا هذا الفصل بالتعريفات الدائرة بين أهل النظر. . ثم الأدلة الشرعية والقواعد الأصولية. . ثم القواعد الفقهية. . ثم قاعدة تحريم القول على الله بغير علم. . ثم بيان أنّ دلالة آيات القرآن إمّا قطعيّة . . وإمّا ظنّية. . ثم تحدّثنا عن السُّنّة النبوية المتواترة وأحاديث الآحاد. . وقطعي السنة وظنّيتها. . ثم الاجماع في أُصول الفقه. . والظّنّ واليقين في كتاب الله ، وأخيراً القواعد الأصولية والتفسيرية التي اتفق عليها علماء أصول الفقه وعلماء التفسير، وختمنا هذا الفصل ببيان أن الفهم الإنساني في الإسلام ليس ديناً يلتزم! .

ـ وفي **الفصل الخامس**: رأينا إثبات [**قصّة آدم عليه السلام**]، في العهد القديم (التوراة)، وإيراد ما جاء في (**دائرة معارف البستاني**)، و(**دائرة المعارف الإسلامية**)،عن آدم عليه السلام. . وأخيراً ما جاء **في القرآن الكريم عن آدم أبي البشر وزوجه ونهاية قصتهما بهبوطهما من جنّة الله إلى أرض الله ، مزوّدين بوصيّة الله الخالدة لهما ولذرّيتهما**:

﴿قال اهبطا منها جميعاً بعضكم لبعض عدوّ، فإمّا يأتينكم منّي هدى، فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يضلُّ ولا يشقى * ومن أعرض عن ذكري فإنَّ له معيشةً ضنكاً، ونحشره يوم القيامة أعمى * قال: ربِّ لِمَ حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً * قال: كذلك أتتك آياتُنا فنسيتها، وكذلك اليوم تُنْسَى ﴾. [طه : ١٢٣ - ١٢٦].

ـ أمـا **الفصـل السـادس**، فقد تحـدّثنا فيـه عن [**أدِلَّة الذين يقولون بنبوّة آدم ورسالته. .**]أو بالنبوّة دون الرسالة. . واستناد القـائلين بهذه النبـوّة إلى فهمهم لبعض الآيات من القرآن الكـريم أو إلى بعض الأحاديث الضعيفـة المنسـوبـة إلى رسـول الله ﷺ، وعلى زعم بعضهم بـإجمـاع علمـاء المسلمين وأهل الكتاب على نبّوة آدم عليه السلام. .

ثم ناقشنا هذه الأدلة منـاقشة علمية موضـوعية تستنـد إلى توجيـه القرآن الكـريم: ﴿ادْعُ إلى سبيـل ربِّك بـالحكمة والمـوعظة الحسنـة، وجادلهم بـالتي هي أحسن، إنَّ ربَّـك هـو أعلم بمن ضـلّ عن سبيله وهـو أعلم بالمهتدين﴾ [النحل : ١٢٥].

ـ ثم خصَّصنا **الفصـل السابع**: في الحديث عن[أدلـة العلماء والمفسِّـرين القـدامى والمعاصـرين الذين لم يقتنعـوا بنبوّة آدم ورسـالته نـظراً لإيمانهم بـأوليَّة هـذه النبوّة والـرسالـة **لنوح عليـه السلام. .لا لآدم عليـه السـلام. .**]

وهذه الأدلة تستند إلى :

ـ القرآن الكريم.
ـ السُّنَّة النبويـة الصحيحة. .

وقـد صدّرنـا هـذا الفصـل بتمهيـد [مـاذا كـان بين آدم ونـوح عليهمـا السلام من أجيال وقرون ؟]. ثم [الأدلة القرآنية القطعية على نبـوّة الأنبياء في القرآن الكريم] من نوح عليه السلام إلى محمد عليه الصلاة والسلام.

ـ أمّـا **الفصـل الثامن** : فقد خصصنـاه [للحوار والنقـاش مع القـائلين بنبوّة آدم عليـه السـلام. .وردودنـا على بعض الشبهـات] التي أوردهـا البعض للدلالة على هذه **النبوة الظنّيَّة** لا اليقينيـة. .

ـ وبما أنَّ بعض العلماء قد غالى في نبوّة آدم حتى زعم بعضهم أنَّ من لم يؤمن بنبوّة آدم فهو **فاسق**، وغالى البعض الآخر حتى زعم **بكفر وردّة** من لا يقول بهذه النبوّة، وزعم آخرون بأنَّ من لم يؤمن بنبوّة آدم **فهو يعيش مع زوجه في سفاح وليس في نكاح!!**

من أجل ذلك فقد خصصنا **الفصل التاسع** للحديث عن [**حرية التفكير.. والاجتهاد.. لا حرية التكفير.. والتفسيق**].

ـ ثم كان ختام هذه الفصول **الفصل العاشر**: لفتاوى العلماء والمفتين حول نبوّة آدم عليه السلام.. والتي تبيّن في نهاية البحث أن «قضية نبوّة آدم أو رسالته **ليست من أصول العقيدة.. ولا علاقة لها بكفر أو إيمان..**» كما تقول بذلك فتوى العلامة الشيخ محمد الغزالي.

وقد صدّرنا هذا الفصل بدراسات قيّمة للإمام ابن قيم الجوزية:

١ ـ **في تحريم الافتاء في دين الله بالرأي** المتضمن لمخالفة النصوص والرأي الذي لم تشهد له النصوص بالقبول.

٢ ـ **في تحريم الإفتاء والحكم في دين الله** بما يخالف النصوص، وسقوط الاجتهاد والتقليد عند ظهور النّص، وذكر إجماع العلماء على ذلك.

٣ ـ **في أنواع الرأي الباطل.**

ثم صدّرنا هذه الفتاوى بالدراسة القيمة التي أثبتها العلامة الشيخ محمد رشيد رضا في تفسير المنار بعنوان [تحقيق مسألة الإيمان بالرسل إجمالاً وتفصيلاً.. وعدد الرسل المذكورين في القرآن].

ثم فتاوى كبار علماء العالم الإسلامي أمثال:

ـ فضيلة الدكتور عبد الله المشدّ، [رئيس لجنة الفتوى بالأزهر الشريف].

ـ فضيلة الشيخ محمد الغزالي [الداعية الإسلامي الكبير].
ـ فضيلة الدكتور عبد المنعم النمر [وكيل الأزهر ووزير الأوقاف السابق].
ـ فضيلة الشيخ أحمد كفتارو، [مفتي الجمهورية العربية السورية].
ـ وفضيلة مفتي جمهورية مصر العربية الشيخ محمد سيد الطنطاوي . .
وغيرهم من العلماء المحققين . .

** .. ** .. **

ونسأل الله سبحانه أن يرينا الحقّ حقّاً، ويرزقنا اتّباعه، وأن يرينا الباطل باطلاً ويرزقنا اجتنابه، وأن يجعلنا مِنَ الذين يستمعون القول فيتّبعون أحسنه، وأن يبعدنا عن أهل التقليد الذين: ﴿إذا قيل لهم اتّبعوا ما أنزل الله، قالوا: بل نتّبعُ ما ألفينا عليه آباءنا ، أَوَ لَوْ كان آباؤُهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون﴾. [البقرة : ١٧٠].

والله يقول الحق . . وهو يهدي السبيل.
وآخر دعوانا أنِ الحمد لله ربِّ العالمين . . . .

[المؤلف]

** .. ** .. **

الفصـل الأول
بين النبوّة والرسالـــة

ـ آراء العلماء قديماً وحديثاً في النبوّة والرسالـة.

ـ خلاصة آراء العلماء في النبوّة والرسالة

ـ النبوّة والرسالة في كتاب الله.

ـ النبوّة والرسالة في السُّنَّة النبوية الصحيحـة.

** .. ** .. **

بين النبوّة والرسالة

آراء العلماء قديماً وحديثاً في النبوة والرسالة

اسم العالم	اسم الكتـــــاب
١ ـ الإمام الماوردي	أعلام النبوّة
٢ ـ القاضي عياض	الشفاء
٣ ـ الإمام ابن حزم	الإحكام في أصول الأحكام
٤ ـ الإمام ابن تيمية	النُبــوَّات
٥ ـ الإمام الآلوسي	روح المعاني
٦ ـ عبد الرحيم فـودة	كلمات قرآنية
٧ ـ محمد رشيد رضا	الوحي المحمدي
٨ ـ عبد الرحمن حسن حبنكة	العقيدة الإسلامية وأسسها
٩ ـ السيد نعمة الله الجزائري	النور المبين في قصص الأنبياء والمرسلين
١٠ ـ آدم عبد الله الألوري	فلسفة النبوَّة والأنبياء
١١ ـ محمد علي الصابوني	النبوَّة والأنبياء
١٢ ـ السيد سابق	العقائد الإسلامية
١٣ ـ أبو بكر جابر الجزائري	عقيدة المؤمن

اسم العالم	اسم الكتـــــاب
١٤ ـ البراء أحمد الأميري	إبراهيم عليه السلام ودعوته في القرآن الكريم
١٥ ـ عفيف عبد الفتاح طبارة	مع الأنبياء في القرآن الكريم
١٦ ـ ابن أبي العزّ الحنفي	شرح العقيدة الطحاوية
١٧ ـ محمد ناصر الدين الألباني	العقيدة الطحاوية (شرح وتعليق)
١٨ ـ عبد الكريم التّتان	شرح الفقه الأكبر
١٩ ـ محمد خليل رفاعي	عقيدة المسلم من الكتاب والسنّة
٢٠ ـ عبد الله الحبشي	الصراط المستقيم
٢١ ـ عبد الله بن زيد آل محمود	الإيمان بالأنبياء بجملتهم، وضعف حديث أبي ذر في عـددهم
٢٢ ـ أحمد محمد جمـال	يسألونك

١ ـ الإمام الماوردي:

يقول الإمام الماوردي في كتابه (أعلام النبوّة)(*).

الفرق بين الأنبياء والرّسل:

فأمَّا الفرق بين الأنبياء والرُّسل فقد جاء بهما القرآن جمعاً ومفصّلاً بقول الله تعالى: ﴿ **وما أرسلنا من قبلك** من رسولٍ ولا نبيٍّ إلاّ إذا تمنّى ألقى الشيطان في أُمنِيَّتِه، فينسخُ الله ما يُلقي الشيطانُ ثُمَّ يُحكمُ اللَّه آياته ﴾ [الحج: ٥٢].

واختلف أهل العلم في الأنبياء والرُّسل على قولين:

أحدهما: أن الأنبياء والرُّسل واحد، **فالنبيُّ** رسول، **والرسولُ** نبيٌّ، **والرسول مأخوذ من تحمُّل الرسالة. والنبيُّ مأخوذ من النبأ** وهو الخبر إن همز، لأنَّه مُخبر عن الله تعالى، ومأخوذ من النبوة إن لم يُهمز، وهو الموضع المرتفع، وهذا أشبه، لأنَّ محمداً ﷺ قد كان يخاطب بهما.

والقول الثاني: أنهما يختلفان، لأنّ اختلاف الأسماء يدلُّ على اختلاف المسمَّيات. والرسول أعلى منزلةً مِنَ النَّبي، ولذلك سمِّيت الملائكة رُسُلاً ولم يسمُّوا أنبياء.

(*) كتاب **أعلام النبوّة**: تأليف أبو الحسن علي بن محمد الماوردي.
الناشر: دار إحياء العلوم ـ بيروت ـ الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ ـ ١٩٨٨ م.
[ص ٥١ ـ ٥٢].

واختلف مَن قال بهذا في الفرق بينهما على ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنَّ **الرسول** هو الذي تنزل عليه الملائكة بالوحي.

والنبيُّ هو الذي يُوحى إليه في نومه!

والقول الثاني: أنَّ الرسول هو المبعوث إلى أُمَّة.

والنَّبي هو المحدِّث الذي لا يُبعث إلى أُمَّة [قاله قطرب].

والقول الثالث: أنَّ الرسول هو المبتدىء بوضع الشرائع والأحكام.

والنَّبيُّ هو الذي يحفظ شريعة غيره [قاله الجاحظ].

٢ ـ رأي القاضي عياض:

يقول المؤلف في كتابه(١) تحت عنوان:

بين النبوّة والرسالة:

فالنبوَّة: في لغة مَن همز مأخوذة من النبأ، وهو الخبر، وقد لا يهمز على هذا التأويل تسهيلاً. والمعنى: أنَّ الله تعالى أطلعه على غيبه، وأعلمه أنّه نبيّه، فيكون نبيّاً (منبّأ) فعيل بمعنى (مفعول) أو يكون مخبراً عمّا بعثه الله تعالى به، ومنبِّئاً بما أطلعه الله عليه. فعيل بمعنى فاعل. ويكون عند مَن لم يهمزه من النَّبْوَة. وهو ما ارتفع من الأرض. ومعناه أنَّ له رُتبة شريفة ومكانة نبيهة عند مولاه منيفة(٢)، فالوصفان في حقِّه مؤتلفان.

وأمَّا الرسول، فهو المرسل، ولم يأْتِ فعول بمعنى مُفعل في اللغة إلّا نادراً. . وإرساله أمْرُ الله له بالإبلاغ إلى مَن أرسله إليه، واشتقاقه من التتابع. . ومنه قولهم: جاء الناس أرسالاً. . إذا تبع بعضهم بعضاً. . فكأنَّه أُلزم تكرير التبليغ. . أو أُلزمت الأُمّة اتِّباعه.

واختلف العلماء: هل النبيُّ والرسول بمعنى أو بمعنيين،

---

(١) كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى.
للقاضي عياض بن موسى اليحصبي الأندلسي. الناشر: مكتبة الفارابي/ دمشق، ومكتبة مؤسسة علوم القرآن، دمشق. الجزء الأول [ص ٤٨٧ ـ ٤٨٩].

(٢) منيفة: من أناف أي عالية مشرفة.

فقيل: هما سواء، وأصله من الإنباء وهو الإعلام، واستدلّوا بقوله تعالى: ﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي ﴾[٣] **فقد أثبت لهما معاً الإرسال**، قال: **ولا يكون النبيُّ إلاّ رسولاً، ولا الرسول إلاّ نبيّاً**.

وقيل: هما مفترقان من وجه.. إذْ قد اجتمعا في النُّبوَّة التي هي الاطِّلاع على الغيب، والإعلام بخواص النُّبوّة أو الرفعة لمعرفة ذلك وحوزِ درجتها..

ـ وافترقا في زيادة الرسالة للرسول.. وهو الأمر بالإنذار والإعلام كما قلنا، وحُجَّتهم من الآية نفسها التفريق بين الاسمين، ولو كانا شيئاً واحداً لما حَسُن تكرارهما في الكلام البليغ(*).

قالوا: والمعنى: وما أرسلنا من رسول إلى أُمة، أو نبيّ وليس بمرسل إلى أحد!

وقد ذهب بعضهم إلى أنَّ الرسول قد جاء بشرع مبتدأ، ومَن لم يأْتِ به نبيٌّ غيرُ رسول. وإن أُمِرَ بالإبلاغ والإنذار.

والصحيح والذي عليه الجمَّاء الغفير: **أن كلَّ رسولٍ نبيٌّ، وليس كلُّ نبيٍّ رسولاً**، وأوّل الرُّسل: آدم، وآخرهم محمد ﷺ.

وفي حديث أبي ذر[٤] رضي الله عنه: «أن الأنبياء مئة ألف وأربعة وعشرون ألف نبيّ» وذكر أنَّ الرُّسل منهم ثلاث مئة وثلاثة عشر، أوَّلهم آدم عليه السلام»، فقد بان لك **معنى النبوّة والرسالة**.

---

(٣) الحج: ٥٢.

(٤) رواه أحمد في مسنده، وابن حبّان، والحاكم في مستدركه.

(*) مع أنّ القرآن الكريم أضاف إلى وصف الرسول (النبوّة) كما قال تعالى: ﴿واذكر في الكتاب إسماعيل، إنّه كان صادق الوعد، وكان رسولاً نبيّاً﴾، وقال أيضاً: ﴿واذكر في الكتاب موسى، إنّه كان مخلصاً، وكان رسولاً نبيّاً﴾، وقال عن خاتم النّبيين =

٣ ـ الإمام ابن حزم:

أما الإمام ابن حزم الأندلسي فيعرِّف النبوّة والرسالة[1] بقوله:

[النُّبوَّة: اختصاص الله عزّ وجل رجلاً أو امرأة من الناس بإعلامه بأشياء لم يتعلَّمها؛ إمَّا بواسطة مَلَك، أو بقوَّة يضعها في نفسه خارجة عن قوى المخلوقين، تعضدها خرق العادات وهو المعجزات، وقد انقطعت بعد محمد ﷺ.

والرسالة: أن يأمر الله تعالى نبيَّاً بإنذار قوم وقبول عهده، وكل رسول نبيّ، وليس كل نبيٍّ رسولاً].

---

(١) في كتابه (الإحكام في أصول الأحكام). الناشر: دار الجيل ـ بيروت. الطبعة الثانية ١٤٠٧ هـ ـ ١٩٨٧ م. الجزء الأول [ص ٤٢].

= في سورة الأعراف: ﴿الذين يتَّبعون الرسول النَّبي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل﴾. [**المؤلف**].

٤ - رأي الإمام ابن تيمية في النبوّة والرسالة:

يقول الإمام ابن تيمية في (كتابه النبوَّات) [ص ٢٥٥].

(... والمقصود هنا: الكلام على النبوّة).

فالنبيُّ هو الذي ينبئه الله. وهو ينبىء بما أنبأ الله به. **فإن أُرسل مع ذلك إلى مَن خالف أمر الله** ليبلغه رسالة من الله إليه، **فهو رسول**. وأمَّا إذا كان إنما يعمل بالشريعة قبله، ولم يرسل هو إلى أحد يبلِّغه عن الله رسالة **فهو نبيّ، وليس برسول** قال تعالى:

﴿ **وما أرسلنا** من قبلك من رسولٍ **ولا نبيّ** إلا إذا تمنّى ألقى الشيطان في أُمنيته ﴾ [الحج: ٥٢].

وقوله: ﴿ **من رسول ولا نبيّ** ﴾ فذكر إرسالاً يعمُّ النَّوعين، وقد خصّ أحدهما بأنَّه رسول، **فإنَّ هذا هو الرسول المطلق** الذي أمره بتبليغ رسالته إلى مَن خالف الله كنوح. **وقد ثبت في الصحيح أنه أول رسول بُعِثَ إلى أهل الأرض وقد كان قبله أنبياء كشيث وإدريس، وقبلهما آدم كان نبيّاً** معلّماً.

وأضاف:

فقوله: ﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسولٍ ولا نبيّ ﴾. دليل على أن النَّبي مرسل! ولا يسمّى رسولاً عند الإطلاق. لأنَّه لم **يرسل إلى قوم بما لا يعرفونه بل كان يأمر المؤمنين بما يعرفونه أنه حقّ كالعالم! ولهذا قال النَّبيُّ:** «العلماء ورثة الأنبياء».

ثم قال:

وليس من شرط **الرسول** أن يأتي بشريعة جديدة، فإنّ يوسُف كان رسولاً وكان على ملَّة إبراهيم. وداود وسليمان كانا رسولين وكانا على شريعة التوراة قال تعالى عن مؤمن آل فرعون: ﴿ ولقد جاءكم يوسُفُ من قَبْلُ بالبيِّنات، فما زلتم في شكٍّ مما جاءكم به حتّى إذا هلك قلتم: لن يبعث الله من بعده رسولاً ﴾ [غافـر : ٣٤].

وقال تعالى:

﴿ إنّا أوحينا إليكَ كما أوحينا إلى نوحٍ والنَّبيّين من بعده وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيـل وإسحاق ويعقـوب والأسباط وعيسى وأيُّـوب ويونُسَ وهارون وسليمان، وآتينا داودَ زبوراً * ورُسُلاً قد قصصناهم عليك من قبل وَرُسُلاً لم نقصصهم عليك، وكلَّم الله موسى تكليماً ﴾.

[النساء : ١٦٣ ـ ١٦٤].

وأضاف:

والإرسال اسم عام يتناول إرسال الملائكة، وإرسال الرياح وإرسال الشياطين وإرسال النار (١).

---

(١) كتاب النبوّات لابن تيمية.

ـ الناشر: دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ الطبعة الأولى ـ ١٩٨٢ م ـ ١٤٠٢ هـ.

٥ ـ رأي الإمام الآلوسي:

يقول الإمام الآلوسي في تفسيره لسورة الحج وعن اختلاف العلماء في تعريف كلٍّ من النبي والرسول[١]:

قوله تعالى: ﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسولٍ ولا نبيٍّ إلاّ إذا تمنّى ألقى الشيطان في أمنيته ﴾ وعطفُ «نبيٍّ» على «رسولٍ» يدلُّ على المغايرة بينهما وهو الشائع، ويدلُّ على المغايرة أيضاً ما روي «أنَّه ﷺ سُئِلَ عن الأنبياء فقال: مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً. قيل: فكم الرُّسل منهم؟ قال: ثلاثمائة وثلاثة عشر جمّاً غفيراً» وقد أخرج ذلك ـ كما قال السيوطي ـ أحمد، وابن راهويه في مسنديهما من حديث أبي أُمامة، وأخرجه ابن حِبّان في صحيحه، والحاكم في مستدركه من حديث أبي ذر.

وزعم ابن الجوزي أنَّه موضوع، وليس كذلك. نعم قيل في سنده ضعف، جبر بالمتابعة؛ وجاء في رواية الرُّسل ثلاثمائة وخمسة عشر.

واختلفوا هنا في تفسير كلٍّ منهما فقيل:

الرسولُ: ذَكَر حرٌّ بعثه الله تعالى بشرعٍ جديد يدعو الناس إليه.

والنبيُّ: يعمُّه، ومَن بعثه لتقرير شرع سابق كأنبياء بني إسرائيل الذين كانوا بين موسى وعيسى عليهما السلام. وقيل:

الرسول: ذَكَر حرٌّ بعثه الله تعالى إلى قومٍ بشرع جديد بالنسبة إليهم،

---

(١) تفسير الآلوسي ـ الجزء السابع عشر ـ [ص ١٧٢ ـ ١٧٣].

وإن لم يكن جديداً في نفسه، كإسماعيل عليه السلام إذ بعث لجرهم، **والنبيُّ** يعمّه ومَن بعث بشرع غير جديد كذلك. وقيل:

الرسول: ذَكَر حرٌّ له تبليغ في الجملة وإن كان بياناً وتفصيلاً لشرع سابق.

والنبيّ: مَن أُوحي إليه ولم يؤمر بتبليغٍ أصلاً أو أعمّ منه ومن الرسول. وقيل:

الرسول من الأنبياء: مَن جمع إلى المعجزة كتاباً منزَّلاً عليه.

والنبيُّ غير الرسول: مَن لا كتاب له. وقيل:

الرسول: مَن له كتاب أو نسخ في الجملة.

والنبيُّ: مَن لا كتاب له ولا نسخ. وقيل:

الرسول: مَن يأتيه المَلَك عليه السلام بالوحي يقظة.

والنبيُّ: يقال له ولمَن يُوحى إليه في المنام لا غير، وهذا أغرب الأقوال، ويقتضي أن بعض الأنبياء عليهم السلام لم يوحَ إليه إلاّ مناماً، وهو بعيد، ومثله لا يقال بالرأي.

وأنت تعلم أن المشهور أن النبي في عُرف الشرع أعمّ من الرسول، فإنّه مَن أُوحي إليه سواء أُمر بالتبليغ أم لا. والرسول مَن أُوحي إليه وأُمر بالتبليغ، ولا يصحُّ إرادة ذلك،لأنه إذا قوبل العامّ بالخاصّ يراد بالعامّ ما عدا الخاص، فمتى أُريد بالنبيِّ ما عدا الرسول كان المراد به مَن لم يؤمر بالتبليغ، وحيث تعلّق الإرسال صار مأموراً بالتبليغ فيكون رسولاً، فلم يبق في الآية بعد تعلُّق الإرسال رسول ونبيّ مقابل له، فلا بدّ لتحقيق المقابلة أن يراد بالرسول: مَن بُعِثَ بشرع جديد، وبالنبيِّ: مَن بُعِثَ لتقرير شرع من قبله أو يراد بالرسول مَن بُعِث بكتاب، وبالنبيِّ مَن بُعِث بغير كتاب،أو يراد نحو ذلك مما يحصل به المقابلة مع تعلُّق الإرسال بهما!

٦ ـ رأي الشيخ عبد الرحيم فودة:

يقول الكاتب في كتابه[1] تحت عنوان (الرسول):

من تمام رحمة الله بالناس أن بعث فيهم رُسُلاً منهم. اصطفاهم لتبليغ رسالته إليهم، وآثرهم بتلقّي وحيه وهَدْيه.

فالرسول إنسان ذَكَر حرّ، أوحي إليه بشرع يعمل به وأُمر بتبليغه **كما يقول العلماء**، فإذا لم يؤمر بتبليغه فهو مجرّد نبي يتلقى الأمر من السماء.

وبعض العلماء يرى أنّ النبي والرسول بمعنى واحد، فالنبيّ هو المُنبىء عن الله كالرسول.

---

(١) كلمات قرآنية ـ عبد الرحيم فودة، مؤسسة دار الشعب ـ بالقاهرة ١٣٩٥ هـ ـ ١٩٧٥ م.

٧- رأي العلاّمة الشيخ محمد رشيد رضا:

في الوحي والنبـوَّة والرسـالـة

يقول السيد محمد رشيد رضا في كتابه [الوحي المحمدي][1] تحت عنوان [تحقيق معنى الوحي والنبوّة والرسالة...].

تعريف الوحي لغةً وشرعاً:

قال في الأساس: أوحى إليه وأومى إليه بمعنى، ووحيت إليه وأوحيت إذا كلّمته بما تخفيه عن غيره. وأوحى الله إلى أنبيائه.. ﴿ وأوحى ربُّك إلى النحل ﴾[2].

وقال الراغب: أصل الوحي الإشارة السريعة، ولتضمن السرعة قيل: «أمر وحي» وذلك يكون بالكلام على سبيل الرمز والتعـريض، وقد يكون بصوت مجرّد عن التركيب، وبإشارة ببعض الجوارح، وبالكتابة. وقد حمل على ذلك قوله تعالى عن زكريا: ﴿ فخرج على قومه مِنَ المِحراب، فأوحى إليهم أن سبِّحوا بُكْرةً وعشيّاً ﴾[3]. أي أشار إليهم ولم يتكلّم.

---

(١) الوحي المحمدي ـ محمد رشيد رضا ـ الطبعة الثانية ١٣٥٢ هـ. الفصل الأول، [ص ٢٢ ـ ٢٦].

(٢) سورة النحل: ٦٨.

(٣) مريم: ١١.

ثم قال:

فالقول الجامع في معنى الوحي أنّه الإعلام الخفي السريع الخاص بمَن يوجَّه إليه بحيث يخفى على غيره. **ومنه الإلهام الغريزي كالوحي إلى النحل**، وإلهام الخواطر بما يلقيه الله في رَوْع الإنسان السليم الفطرة الطاهر الروح، كالوحي إلى أم موسى، ومنه ضدّه، وهو وسوسة الشيطان، قال تعالى: ﴿ وإنَّ الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم ﴾[٤]، وقال: ﴿ وكذلك جعلنا لكل نبيٍّ عدوّاً شياطين الإنس والجِنَّ، **يُوحي** بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً ﴾[٥].

وأضاف:

ووحي الله تعالى إلى أنبيائه قد رُوعِي فيه المعنيان الأصليان لهذه المادة وهما: الخفاء والسرعة. فهذا معنى المصدر، ويطلق على متعلقه وهو ما وقع به الوحي أي اسم المفعول، وهو ما أنزله تعالى على أنبيائه وعرّفهم به من أنباء الغيب والشرائع والحكم، ومنهم مَن أعطاه كتاباً أي شريعةً تكتب، ومنهم مَن لم يُعطه.

والله تعالى يوحي إلى ملائكته ما يأمرهم بفعله كقوله: ﴿ إذ يوحي ربُّك إلى الملائكة أنّي معكم فثبِّتُوا الذين آمنوا ﴾[٦]، ويوحي مَلَك الوحي ما يوحيه المَلَك إلى الرسول كقوله: ﴿ فأوحى إلى عبده ما أوحى ﴾[٧]، أي أوحى إلى عبده جبريل عليه السلام ما أوحى جبريل إلى محمد ﷺ.

---

(٤) الأنعام: ١٢١.
(٥) الأنعام: ١١٢.
(٦) الأنفال: ١٠.
(٧) النجم: ٥٣.

ثم قال:

وقال شيخنا الأستاذ الإمام في رسالته التوحيد **بعد تعريف الوحي لغةً:**

«وقد عرّفوه شرعاً أنَّه إعلام الله تعالى لنبيٍّ من أنبيائه بحكم شرعي ونحوه. أمَّا نحن فنعرِّفه على شرطنا بأنه عرفان يجده الشخص من نفسه مع اليقين بأنه من قِبَل الله بواسطة أو بغير واسطة. والأول بصوت يتمثل لسمعه أو بغير صوت. ويفرّق بينه وبين الإلهام **بأنَّ الإلهام** وجدان تستيقنه النفس وتنساق إلى ما يُطلب من غير شعور منها من أين أتى، وهو أشبه بوجدان الجوع والعطش والحزن والسرور».

هذا التعريف يشمل أنواع الوحي الثلاثة الواردة في قول الله عزّ وجل:

﴿ وما كان لبشر أنْ يكلِّمه الله إلاّ وحياً، أو من وراء حجاب، أو يرسل رسولاً فيوحي بإذنه ما يشاء، إنّه عليٌّ حكيم ﴾[٨].

فالوحي هنا إلقاء المعنى في القلب، وقد يعبَّر عنه بالنَّفْث في الرُّوع - وهو بالضم القلب والخَلَدُ والخاطر - **والكلام من وراء حجاب**، هو أن يسمع كلام الله من حيث لا يراه، كما سمع موسى عليه السلام النداء من وراء الشجرة. **وأمّا الثالث** فهو ما يلقيه مَلَك الوحي المُرسَل من الله تعالى إلى رسول الله فيراه متمثلاً بصورة رجل أو غير متمثِّل، ويسمعه منه أو يَعِيه بقلبه.

وتعبيره يشمل (قبل التفرقة بينه وبين الإلهام) ما يسمِّيه بعضهم بالوحي النفسي وهو الإلهام الفائض من استعداد النفس العالية..».

وتحدَّث **عن** (النبي: معناه لغةً وشرعاً، والفرق بين الرسول وغيره) فقال: «**النبيُّ في اللغة العربية**: وصف من النبأ، وهو الخبر المفيد لما له

---

(٨) الشورى: ٥١.

شأن مهم، ويصحُّ فيه معنى الفاعِل والمفعول لأنه **منبِىء** عن الله ومنبأ منه، والنبيُّ بالتشديد أكثر استعمالاً، أُبدلت الهمزة ياء، أو هو من النبوة وهي الرِفعة والشرف. ويطلق عند أهل الكتاب على الملهَم الذي يخبر بشيء من أمور الغيب المستقبلة، وقيل إن معنى أصل مادته من العبرانية القديمة: المتكلّم بصوت جهوري مطلقاً، أو في الأمور التشريعية، **وهو عندنا مَن أوحى الله إليه وحياً، فإن أمره بتبليغه كان رسولاً، فكلّ** رسول نبيّ، **وما كلّ نبيٍّ** رسول».

٨ ـ رأي الشيخ عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني:

في معنى النبوّة والرسالة والنبيّ والرسول.

يقول المؤلّف في كتابه[١] في الباب الرابع (الإيمان بالأنبياء والرُّسل عليهم الصلاة والسلام) الفصل الأول، تحت عنوان: **معنى النُّبوَّة والرسالة والنبيِّ والرسول:**

أ ـ النبوّة:

١ ـ **في اللغة: مأخوذة من النبأ،** أي الخبر، قال تعالى: ﴿عَمَّ يتساءلون؟ عن النبأِ العظيم﴾، **أو من النبـوة:** وهي ما ارتفع من الأرض، يقال: نبا الشيء إذا ارتفع.

٢ ـ **وفي الاصطلاح الشرعي:** اصطفاء الله عبداً من عباده بالوحي إليه.

ولهذا المعنى الشرعي مناسبة ظاهرة مع كلٍّ من معنيي النبوّة في اللغة: الخبر والارتفاع.

فالنبيُّ : عبدٌ اصطفاه الله بالوحي إليه.

---

(١) العقيدة الإسلامية وأسسها: عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني ـ الطبعة الثانية ١٣٩٩ هـ ـ ١٩٧٩ م ـ دار القلم ـ دمشق ـ بيروت.

ب ـ الرسالة:

١ ـ **في اللغة**: التوجيه بأمرٍ مّا، فالرسول هو الذي يتابع أخبار الذي بعثه.

٢ ـ **وفي الاصطلاح الشرعي**: تكليف الله نبيّاً من أنبيائه بتبليغ شريعة للناس.

فالرسول: هو النبيُّ المكلَّف من قِبَل الله بتبليغ شريعته لخلقه.

وقال: **في معنى الاصطفاء بالنبوّة نجد عدّة آيات في القرآن الكريم**:

فمنها قوله تعالى في وصف آدم ونوح وآل إبراهيم وآل عمران:

﴿ إنَّ الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين ﴾.

وفي معنى الاصطفاء بالرسالة نجده في عدّة آيات أيضاً:

﴿ قال يا موسى إنِّي **اصطفيتك** على الناس برسالاتي وبكلامي، فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين ﴾.

﴿ الله **يصطفي** من الملائكة رُسُلاً ومن الناس، إنَّ الله سميع بصير ﴾.

ثم قال:

«ونستطيع أن نستنبط من النصوص القرآنية **حول النبيِّ والرسول** الأمور التالية:

أولاً: أنّ كُلاًّ من النُّبوَّة والرسالة فيض إلّهي واصطفاء ربّاني، وأنَّ أيّاً منهما لا يكون أمراً مكتسباً بالاجتهاد والرياضة، ولا بالدراسة والبحث، وهذا هو معنى الاصطفاء والاختيار والاجتهاد.

ثانياً: أنّ الوصف بالرسالة مغاير للوصف بالنبوّة، ويشهد لذلك وصف الله لهما معاً، **وفي هذا إشعار بتغاير مفهوميهما في الاصطلاح الشرعي**.

ومن ذلك قوله تعالى في [سورة مريم]: ﴿ واذكر في الكتاب موسى، إنّه كان مخلصاً **وكان رسولاً نبيّاً** ﴾، كما يشهد له عطف أحدهما على الآخر عطف تغاير، وذلك في قوله تعالى في [سورة الحج]: ﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسولٍ ولا نبيّ إلاّ إذا تمنّى ألقى الشيطان في أُمنيَّته، فينسخ الله ما يُلقي الشيطان ثم يُحكم الله آياته، والله عليم حكيم ﴾.

ثالثاً: إنَّ **الاصطفاء بالنبوّة** سابق على **الاصطفاء بالرسالة**، فلا يتمّ الاصطفاء بالرسالة إلاّ إنْ تمَّ اصطفاءُ بالنبوّة. أي بالوحي إليه، كما سبق في التعريف.

ويدلّ على ذلك عدّة نصوص، منها قوله تعالى في [سورة الزخرف]:

﴿ وكم أرسلنا من نبيٍّ في الأوّلين ﴾، وقوله في حق سيدنا محمد ﷺ في [سورة الأحزاب]: ﴿ يا أيُّها النبيُّ إنّا أرسلناك شاهداً ومبشِّراً ونذيراً. . وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً ﴾، **وأضاف**:

فهاتان الآيتان تشيران إلى أنَّ النُّبوَّة تكون محقّقة أولاً، ثم يأتي بعدها الإرسال. ونستطيع من هذا أن نفهم أنه قد تمرُّ على النبيِّ فترة **الاصطفاء بالوحي**، قبل أن يُؤْمر بالتبليغ، فيكون في هذه الفترة ـ بالنظر لواقع حاله ـ **نبيّاً لا رسولاً**!

فإذا أمره الله بالتبليغ صار ـ في واقع حاله ـ **نبيّاً** رسولاً!!

وذلك كالفترة التي كانت للنبي محمد ﷺ بين بدء الوحي، وبين أمر الله له بالتبليغ في نحو قوله تعالى: ﴿ يا أيّها المدّثّر، قم فأنذر ﴾، وقوله تعالى في [سورة المائدة]: ﴿ يا أيُّها الرسول، بلِّغ ما أُنزل إليك من ربِّك ﴾.

رابعاً: إنّ الله قد يقتصر على الاصطفاء بالنبوّة لبعض الأنبياء، دون أن يأمرهم بتبليغ رسالته، وهؤلاء يمكن أن نسمِّيهم **أنبياء لا رُسُلاً**، وعلى هذا

فتكون مهمة النبيّ الذي لم يُؤْمر بتبليغ رسالته: **العمل والفتوى بشريعة رسول سابق له!**

ثم قال:

ويدلُّ على هذا: أننا إذا نظرنا فيمَن تحدّث القرآن عنهم بأنهم أنبياء، وجدنا بعضهم لم يؤمر بتبليغ رسالته إلى قومه، كما لم يذكر في عداد الرُّسل، ويمكن أن نستشهد لهذا بمثل قوله تعالى:

﴿ألم ترَ إلى الملأ من بني إسرائيل، من بعد موسى، إذ قالوا لنبيٍّ لهم: ابعث لنا ملكاً نقاتل في سبيل الله. قال: هل عسيتم إن كُتِبَ عليكم القتال ألّا تقاتلوا؟ ﴾. [البقرة: ٢٤٦].

وأضاف: وهذا النبيّ لم يُذكَر في عداد الرُّسل، مع أنَّه قد جرى التنويه به وبقصَّته مع بني إسرائيل من بعد موسى. قال المؤرّخون، وتابَعهم المفسّرون: واسمه (صمويل = شمويل).

ويؤيّد ذلك أيضاً الأحاديث النبوية التي تفرِّق بين عدد الأنبياء وعدد الرُّسل، كما سيأتي بيانها فيما بعد.

ومن ذلك يتبين لنا:

(أنَّ كل رسول نبيّ، وليس كلُّ نبيٍّ رسولاً).

ثم قال:

[وحسبنا أن نفهم **أنَّ النبيَّ**: عبدٌ اصطفاه الله بالنُّبوَّة، وذلك بأن أوحى إليه. **وأنَّ الرسول**: نبيٌّ اصطفاه الله، فكلَّفه بتبليغ رسالته لخلقه]

[ص ٢٩٦ ـ ٣٠١].

٩ ـ رأي السيد نعمة الله الجزائري:

وتحدَّث السيد نعمة الله الجزائري في كتابه[١] **عن الرسول والنبيّ، والإمام،** مستعرضاً آراء العلماء في ذلك، فقال:

وفي (الكافي) عن زُرارة، قال: سألت أبا جعفر (ع) عن قول الله تعالى: ﴿وكان رسولاً نبيّاً﴾ **ما الرسول، وما النبيّ؟**

قال: **النبيُّ** الذي يرى في منامه، ويسمع الصوت **ولا يُعاين المَلَك،** **والرسول:** الذي يرى في المنام، ويسمع الصوت، **ويُعاين المَلَك،**

قلت: **الإمام** ما منزلته؟

قال: يسمع الصوت ولا يرى ولا يُعاين المَلَك، ثم تلا هذه الآية: ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبيٍّ **ولا محدِّث**﴾!!

وعن الرضا (ع): **الرسول** الذي ينزل عليه جبريل، فيراه ويسمع كلماته وينزل عليه الوحي، وربما يرى في منامه نحو رؤيا إبراهيم عليه السلام.

والنَّبيُّ: ربما يسمع الكلام وربما رأى الشخص ولم يسمع.

والإمام: هو الذي يسمع الكلام ولا يرى الشخص.

وفي (الصحيح) عن الأحول قال: سمعت زرارة يسأل أبا جعفر عليه السلام، قال: أخبرني **عن الرسول والنَّبيِّ والمحدِّث؟** فقال:

---

(١) النور المبين في قصص الأنبياء والمرسلين ـ نعمة الله الجزائري ـ منشورات مؤسسة الأعلمي ـ الطبعة الثامنة ـ ١٣٩٨ هـ ـ ١٩٧٨ م.

الرسول: الذي يأتيه جبريل قبلاً فيراه ويكلِّمه.

وأمّا النبيّ: فهو يرى في منامه على نحو ما رأى إبراهيم عليه السلام، ونحو ما كان رسول الله ﷺ من أسباب النُّبوَّة قبل الوحي، حتّى أتاه جبريل من عند الله بالرسالة، وكان محمد ﷺ حين جُمع له **النبوّة** وجاءته **الرسالة** من عند الله يجيئه بها جبريل عليه السلام ويكلِّمه بها قبلاً، ومن **الأنبياء** مَن جمع له النبوّة ويرى في منامه يأتيه الروح فيكلّمه ويحدِّثه من غير أن يكون رآه في اليقظة.

وأما المحدّث: فهو الذي يُحدَّث فيسمع ولا يُعاين ولا يرى في منامه.

(أقول) **اختلف علماء الإسلام في الفرق بين النَّبيِّ والرسول**، فقيل **بالترادف**، وقيل **بالفرق** بأنَّ **الرسول** مَن جمع إلى المعجزة الكتاب المنزّل عليه.

والنبيُّ غير الرسول: مَن لم ينزل عليه كتاب، وإنما يدعو إلى كتاب مَن قبله.

ومنهم مَن قال: إن مَن كان صاحب المعجِز، وصاحب الكتاب ونسخ شرع مَن قبله **فهو الرسول**.

ومَن لم يكن مستجمعاً لهذه الخصلة **فهو النبيُّ غير الرسول**.

ومنهم مَن قال: إن مَن جاءه المَلَك ظاهراً وأمره بدعوة الخلق **فهو الرسول**. ومَن لم يكن كذلك، بل يرى في النوم **فهو النَّبيُّ**. [ذكر هذه الوجوه الفخر الرازي وغيره]، ثم قال: والظاهر من أحاديثنا صحة القول الأخير لما مرّ من عدد المرسلين وكون مَن نسخ شرعه ليس إلا خمسة.

ثم قال:

وفي كتاب (البصائر) عن الباقرين (ع):

والمرسلون على أربع طبقات:

فنبيٌّ تنبَّأ في نفسه لا يعدو غيرها.

ونبيٌّ يرى في النوم، ويسمع الصوت، **ولا يُعاين في اليقظة**، ولم يُبعث إلى أحد، وعليه إمام مثل ما كان إبراهيم على لوط.

ونبيٌّ يرى في منامه ويسمع الصوت، **ويُعاين المَلَك**، وقد أُرسل إلى طائفة قلّوا أو كثروا، كما قال الله تعالى: ﴿ وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون ﴾.

ونبيٌّ يرى في منامه، ويسمع الصوت، ويُعاين في اليقظة، وهو إمام مثل أُولي العزم، وقد كان إبراهيم عليه السلام نبيّاً وليس بإمام حتى قال: ﴿ إنِّي جاعِلك للناس إماماً، قال: ومن ذرِّيتي؟ قال: لا ينـال عهدي الظالمين ﴾، أي مَن عبد صنماً أو وثناً.

ثُمّ قال:

(أقول) يعني **الإمامة** الرياسة العامة لجميع المخلوقات، **فهي أفضل من النُّبوَّة** وأشرف منها!! [ص ٨ ـ ٩ المقدمة].

١٠ ـ رأي الأستاذ آدم عبد الله الألوري:

ويقول الأستاذ آدم عبد الله الألوري في كتابه [فلسفة النبوّة والأنبياء] عن الفرق بين النبي والرسول(١):

وصحّ عند الجمهور بشكل الإجماع أنَّ كل رسول نبيّ، وليس كل نبيٍّ رسولاً، والفرق بينهما العموم والخصوص، ويؤيده قوله تعالى: ﴿ وكم أرسلنا من نبيٍّ في الأوّلين ﴾(٢).

ويطلق النَّبيُّ على الرسول من باب إطلاق العام على الخاص، كما يطلق العسكر على الجندي العادي وعلى ذي الرتبة العالية.

والتعريف التقليدي المشهور للنَّبيِّ والرسول هو:

النَّبيُّ: مَن أوحى الله إليه بشرع يعمل به ولم يُؤمر بتبليغه.

والرسول: مَن أوحى الله إليه بشرع يعمل به وأُمِرَ بتبليغه.

وأوضح الزمخشري في تفسيره وقال: «الرسول من الأنبياء مَن جمع إلى المعجزة الكتاب المنزّل عليه».

واعترض بعض العلماء على التفريق بين النبيّ والرسول. وقال: «**لا فرق بين الرسول والنبي في التبليغ، إذْ ما من نبيٍّ إلاّ وقد تلا على قومه**

---

(١) فلسفة النبوّة والأنبياء في ضوء القرآن والسنّة ـ الفصل الثالث (النبوّة والرسالة). [ص ٩٣ ـ ٩٧]. الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـ ـ ١٩٨٣ م. مكتبة وهبة ـ القاهرة.

(٢) الزخرف: ٦.

الكتاب، واستدلّ على ذلك بقوله تعالى: ﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسولٍ ولا نبيٍّ إلّا إذا تمنّى ألقى الشيطانُ في أُمنيته، فينسخ الله ما يُلقي الشيطان ﴾[٣].

لذلك يُحرم على كل نبيٍّ أن لا يبلّغ ما أُوحي إليه، وكل **نبيٍّ على هذا يكون رسولاً** حيث بلّغ لغيره. قال المؤلف: (قلت):

أولاً: إنَّ الاستدلال بالآية **ظنّي** وليس **قطعياً** لأن كلمة «تمنّى» تدلُّ على معنيين:

أولهما: أراد، وهو المتبادر.

وثانيهما: قَرَأَ وتَلَا، وهو المعنى الثاني، فلا يجوز حمل المعنى على الثاني دون الأول المتبادر.

ثانياً: إنَّ أَخْذَ ميثاق الذين أُوتوا الكتاب لا ينطبق على الأنبياء، وإنما ينطبق على أتباعهم بدليل قوله تعالى بعده: ﴿ فنبذوه وراء ظهورهم، واشتروا به ثمناً قليلاً ﴾[٤]، فبذلك بطل الاعتراض!

وأضاف تحت عنوان (تعريف جديد للنَّبيِّ والرسول):

إنَّ التعريف التقليدي للنبيِّ والرسول لم يسلَم من النقد والاعتراض، لأنَّه ليس مستمدّاً من النّص، لذلك رأيت أن يُؤخذ تعريف النبيِّ من قوله تعالى: ﴿ وما كان لبشر أن يكلِّمه الله إلّا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولاً فيوحي بإذنه ما يشاء، إنَّه عليٌّ حكيم ﴾[٥]، ومن حديث أبي ذر هل كان آدم نبيّاً؟ قال: «نعم كلَّمه الله».

---

(٣) الحج: ٥٢.

(٤) آل عمران: ١٨٧.

(٥) الشورى: ٥١.

ومن ثم يكون كُلُّ مَن كلَّمه الله بوحي من البشر نبيّاً!!

وشرحَتْ الآية السابقة طرق الوحي، وعلى ذلك نقول:

النبيُّ: بَشَرٌ كلّمه الله عَياناً أو من وراء حجاب، أو أرسل إليه ملَكاً فأوحى إليه بإذنه ما يشاء.

كما يؤخذ تعريف الرسول من قوله تعالى: ﴿ولقد بعثنا في كل أُمَّةٍ رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت﴾[٦]، وقوله تعالى: ﴿يا أيُّها الرسول بلِّغْ ما أُنزل إليكَ من ربِّك﴾[٧]، وقوله تعالى: ﴿ما على الرسول إلاّ البلاغ﴾[٨]، وقوله تعالى: ﴿رُسُلاً مبشِّرين ومنذرين﴾[٩]، وقوله تعالى: ﴿يا أيُّها النَّبيُّ إنَّا أرسلناك شاهداً ومبشِّراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً﴾[١٠].

ونقول في تعريفه:

الرسول: هو النَّبيُّ الذي بعثه الله داعياً إلى الله ومبلِّغاً رسالة الله ومبشِّراً ونذيراً!

عدد الأنبياء وعدد المرسلين:

ومما يثبت الفرق بين الأنبياء والمرسَلين ورود نصّ الحديث على تحديد العدد لكلٍّ منهما كما في الطبراني عن أبي ذر يقول:

قلت: يا رسول الله.. كم الأنبياء؟

فقال: «مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً».

---

(٦) النحل: ٣٦.

(٧) النساء: ١٦٥.

(٨) المائدة: ٩٩.

(٩) المائدة: ٦٩.

(١٠) الأحزاب: ٤٥ - ٤٦.

قلت: يا رسول الله.. كم المرسَلون منهم؟

قال: «ثلاثمائة وثلاثة عشر».

ثم قال المؤلّف معلّقاً:

(قلت): ومهما يقال من ضعف هذا الحديث لورود حديث آخر يعارضه في العدد، فقد صحّ وجود الفرق بين عدد الأنبياء وعدد الرُّسل؟!

ولقد بحث المفسّرون في بعض الرُّسل ضمن بحوثهم عن مبهمات ودوّنوها في كتبهم، أورد السيوطي في الإتقان بعضها.

غير أن علماء التوحيد قرّروا بأن الواجب معرفته من المرسَلين خمسة وعشرون.

١١ ـ رأي الأستاذ محمد علي الصابوني:

ويقول الأستاذ محمد علي الصابوني في كتابه (النبوّة والأنبياء)[١] تحت عنوان:

ما الفرق بين النبيِّ والرسول:

النبيُّ هو: إنسان من البشر، أوحى الله تعالى إليه بشرع، **ولكنه لم يكلَّف بالتبليغ!**

وأمَّا الرسول فهو: إنسان من البشر، أوحى الله تعالى إليه بشرع، **وأمر بتبليغه.**

فالرسالة إذاً أعلى مرتبة من النُّبوَّة.. لأنَّ كُلَّ رسول نبيّ، وليس كُلّ نبيٍّ رسولاً.

وعدد الأنبياء لا يحصى، إذ يزيد عددهم ـ على ما جاء في بعض الآثار ـ إلى مائة وعشرين (١٢٠) ألفاً [٢].

---

(١) النبوّة والأنبياء: تأليف محمد علي الصابوني، الأستاذ بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية بمكة المكرّمة ـ الطبعة الثانية، ١٤٠٠ هـ ـ ١٩٨٠ م [ص ١١ ـ ١٣].

(٢) روى الإمام أحمد عن أبي ذرٍّ الغفاري رضي الله عنه أنّه قال: قلت يا رسول الله: أيُّ الأنبياء كان أوّل؟

قال: «آدم».

قلت: يا رسول الله: ونبيٌّ كان؟ =

أمّا الرُّسل فهم قلَّة، والذين ذكروا في القرآن الكريم **يجب الإيمان بهم تفصيلاً**، وهم (٢٥) خمسة وعشرون، **وكلُّهم من الرُسل**.. أولهم آدم.. وآخرهم محمد ﷺ.

ثم قال:

وهؤلاء يجب الإيمان بهم (**تفصيلاً**) بمعنى أنه يتعيّن التصديق برسالتهم بأشخاصهم وأسمائهم، لأنهم ذكروا في القرآن الكريم، **أما بقية الأنبياء**، فيجب الإيمان بهم (**جملة**) بمعنى أن نصدِّق بأنَّ هناك أنبياء غير هؤلاء الذين ذُكروا في الكتاب العزيز، لأنّ الله تبارك وتعالى قد أخبر عنهم بقوله: ﴿ ورُسلاً قد قصصناهم عليك من قبل، ورُسلاً لم نقصصهم عليك، وكلَّم الله موسى تكليماً ﴾(٣).

وأما الدليل على أن الرُّسل الكِرام مأُمورون بتبليغ الرسالة، وأنهم يختلفون عن الأنبياء في هذه النقطة بالذات فهو النَّصُّ القرآني الكريم، وهو قوله تعالى: ﴿ الذين يبلِّغون رسالات الله ويخشونه، ولا يَخْشَوْنَ أحداً إلاّ الله، وكفى بالله حسيباً ﴾(٤)، وقوله تعالى: ﴿ يا أيُّها الرسول بلِّغ ما أُنزل إليك من ربّك، وإن لم تفعل فما بلّغت رسالته، والله يعصمك مِنَ الناس، إنَّ الله لا يهدي القوم الكافرين ﴾(٥).

= قال: «نعم، نبيّ مكلّم».
قلت يا رسول الله: كم المرسلون؟
قال: «ثلاثمائة وبضعة عشر جمًّا غفيراً».
وفي رواية أبي أُمامة قال أبو ذر: قلت يا رسول الله كم وفاء عدة الأنبياء؟
قال: «مائة ألف وعشرون ألفاً، الرُّسل من ذلك ثلاثمائة وخمسة عشر جمًّا غفيراً» (رواه أحمد).

(٣) النساء: ١٦٤.
(٤) الأحزاب: ٣٩.
(٥) المائدة: ٦٧.

١٢ - رأي الشيخ سيد سابق في النبي والرسول:

ويعرِّف فضيلة العلّامة الشيخ السيد سابق في كتابه[1] النبي والرسول فيقول:

النبيُّ: هو مَن أُوحي إليه بشريعة ليعمل بها في نفسه.

والرسول: هو مَن أُوحي إليه بشريعة ليعمل بها في نفسه، **وليبلِّغها غيره**.

ويقول: أوجب الله على المسلم أن يؤمن بجميع رُسُل الله دون تفريق بينهم:

﴿ قولوا آمنّا بالله، وما أُنزل إلينا، وما أُنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط، وما أُوتي موسى وعيسى، وما أُوتي النَّبيُّون من ربِّهم لا نفرِّق بين أحد منهم، ونحن له مسلمون ﴾ [البقرة: ١٣٦].

وإذا آمن الإنسان ببعض الرُّسل، ولم يؤمن بالبعض الآخر، وفرّق بينهم في الإيمان **فهو كافر**: قال سبحانه:

﴿ إنَّ الذين يكفرون بالله ورسله، ويريدون أن يفرِّقوا بين الله ورُسُله، ويقولون: **نؤمن ببعض، ونكفُرُ ببعض**، ويريدون أن يتَّخذوا بين ذلك سبيلاً. **أُولئك هم الكافرون حقّاً** ﴾ [النساء: ١٥٠ - ١٥١].

---

(١) كتاب [العقائد الإسلامية] تأليف: فضيلة الشيخ السيد سابق. [ص١٥٣ - ١٥٤]. الناشر: دار الكتب الحديثة - القاهرة - ١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦ م.

وهؤلاء الرُّسل منهم مَن قصَّه الله علينا فذكرهم بأسمائهم، ومنهم مَن لم يقصص علينا، قال سبحانه: ﴿ ورُسُلاً قد قصصناهم عليك من قبل، ورُسُلاً لم نقصصهم عليك ﴾ [النساء: ١٦٤].

أما الذين قصَّهم الله علينا فعددهم خمسة وعشرون، وهم المذكورون في قوله تعالى:

﴿ وتلك حجّتنا. . . ﴾ [الأنعام: ٨٣ - ٨٦].

وقد جمعت هذه الآيات ثمانية عشر رسولاً، ويجب الإيمان بسبعة آخرين مذكورين في عدّة آيات:

﴿ إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين ﴾ [آل عمران: ٣٣].

﴿ وإلى عادٍ أخاهم هوداً ﴾ [الأعراف: ٦٥].

﴿ وإلى ثمود أخاهم صالحاً ﴾ [هود: ٦١].

﴿ وإلى مدين أخاهم شعيباً ﴾ [هود: ٨٤].

﴿ وإسماعيل وإدريس وذا الكفل كلٌّ من الصابرين ﴾ [الأنبياء: ٨٥].

﴿ ما كان محمد أبا أحد من رجالكم، ولكن رسول الله وخاتم النبيّين ﴾ [الأحزاب: ٤٠].

وقد ورد أن عدد الأنبياء (١٢٤) ألف نبي.

١٣ - رأي الشيخ أبو بكر جابر الجزائري:

تعريف النبوّة:

ويتحدث الأستاذ أبو بكر جابر الجزائري عن النبوّة والنبيّ والرسول والأنبياء فيقول(١):

النُّبوَّة: اسم مشتق من نَبَا الشيء ينبو نبوة إذا ارتفع متجاوزاً غيره، ومنه قولهم: نَبَا السيف ينبو نبوة إذا ارتفع متجاوزاً مضرب الفارس، أو هي اسم مشتقٌّ من أنبأ فلان غيره ينبئه إنباءً إذا أخبره بخبر ذي شأن، ولهذا يقال النبوءة بالهمز بعد الواو، وبها قرأ ورش عن نافع، ﴿وآتيناه الكتاب والحكم والنبوءة﴾ [الأنعام: ٨٩]، وقرأ حفص عن عاصم النبوّة بواو مشددة، ويمكن ردّ القراءة الأولى إلى هذه، وذلك بقلب الهمزة واواً، وإدغامها في الواو، وهو إعلال معروف عند النحاة.

وبناءً على هذا **فالنبوّة الشرعية**: هي إعلام الله تعالى مَن اجتبى من الناس لرفعته، والإعلاء من شأنه بإنبائه الوحي الذي أراده له، أو له ولغيره.

والأنبياء: جمع نبيّ، ويمدُّ مهموزاً فيقال نبيء كما هي قراءة ورش عن نافع في جميع القرآن أو في غالبه، وهو عائد إلى الاشتقاق الأول الذي تقدّم في كلمة النبوّة.

---

(١) كتاب (عقيدة المؤمن) لمؤلفه أبو بكر جابر الجزائري صاحب كتاب [منهاج المسلم]. الناشر: دار الكتب السلفية ـ القاهرة ـ ١٤٠٥ هـ ـ ١٩٨٥ م. [ص ٢٠٨].

والنبيّ: **ذَكَر** من بني آدم أوحى الله تعالى إليه بأمر، **فإن أُمر** **بتبليغه** إلى الناس **فهو نبيٌّ** ورسول، وإن لم يؤمر بتبليغه **فهو نبيٌّ غير رسول**، وبهذا **يظهر** الفرق بين كلٍّ، من النبي والرسول، وهو أنَّ **الرسول** من أُمِرَ بإبلاغ ما أُوحي إليه، **والنبيّ** مَن أُوحي إليه بشيء ولم يُؤْمَر بإبلاغه، لاختصاصه به دون غيره من الناس **وعليه فكلّ رسول نبيّ**، **وليس كل نبيّ رسولاً**.

ومثال النبيّ غير الرسول يوشع بن نون صاحب موسى وفتاه عليهما السلام، فقد نبّأه الله تعالى، وخلف موسى وهارون في بني إسرائيل، وهو الذي غزا بيت المقدس وفتحها الله تعالى عليه **ومثال النبي الرسول** نبيّنا محمد ﷺ.

ثم يتحدث عن الرُّسل في التاريخ فيقول: [ص ٢١٣]

لقد سبق أن عرّفنا الرسول في اصطلاح الشرع وهو: ذَكَر من بني آدم أُوحي إليه بشرع، وأُمِرَ بتبليغه، وأنه بوحي الله تعالى إليه أصبح نبيًّا، **وبإرساله كان رسولاً**.

عدد الرُّسل: لم نشكّ أبداً في أن الرُّسل كانوا جمًّا غفيراً، وذلك لقوله تعالى:

﴿ ولقد بعثنا في كل أُمَّةٍ رسولاً أنِ اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ﴾ [النحل: ٣٦].

وقوله: ﴿ وإن من أُمَّةٍ إلا خَلاَ فيها نذير ﴾ [فاطر: ٢٤]. غير أننا لا نستطيع أن نجزم بعدد معيّن لا نزيد عليه ولا ننقص منه، وذلك لعدم ثبوته عن الوحي الإلّهي، والخبر النبوي الصحيح. وكلّ ما ورد عن النبي ﷺ في بيان عدد الأنبياء والمرسَلين حديث أبي ذر الغفاري في مسند أحمد **وسنده ليس بالقويّ** كما قيل، ولفظه: (قلت يا رسول الله: أيّ الأنبياء كان أوّل؟ قال: «آدم»، قلت يا رسول الله: كم المرسلون؟ قال: «ثلاثمائة وخمسة عشر

جمّاً غفيراً»)، وفي لفظ: (كم وفاء الأنبياء؟ قال: «مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً، الرُّسل منهم ثلاثمائة وخمسة عشر جمّاً غفيراً)، ففي هذا الخبر المرفوع بيان أن آدم كان نبيّاً يكلّمه الله تعالى، ويوحي إليه، وبيان عدد كلّ من الأنبياء والمرسَلين. **ولا يبعد أن يكون هذا الخبر صحيحاً وإن ضعف سنده!** وذلك لما فيه من آثار طابع النبوّة وروحها!

ولمّا لم يجد علماء الإسلام بديلاً عنه، قالوا بالمعنى الذي جاء فيه، **فحكموا بنبوّة آدم،** وحدّثوا أن عدد الأنبياء مائة وأربعة وعشرون ألفاً، وأن المرسَلين منهم ثلاثمائة وخمسة عشر، ولا تثريب عليهم **في ذلك لعدم وجود ضرر يترتب على القول بهذا الخبر،** إذ هو كأخبار بني إسرائيل تصحّ روايتها للاعتبار بها إذا لم يوجد في الإسلام ما ينافيها أو يتنافى معها. [ص ٢١٣].

١٤ ــ رأي الأستاذ أحمد البراء الأميري:

يقول المؤلف في كتابه (*) تحت عنوان:

تعريف النَّبيِّ والرسول:

ورد في لسان العرب: [**النبيّ**: المخبِر عن الله عزّ وجل.. لأنه أنبأ عنه. وقيل: **النبيُّ**: مشتقٌّ من النباوة، وهي الشيءُ المرتفع][١].

وجاء في اللسان أيضاً: «النبيُّ: العَلَمُ من أعلام الأرض التي يُهتدى بها. قال بعضهم: ومنه اشتقاق النبيِّ، لأنّه أرفع خَلْقِ الله، وذلك لأنَّه يُهتدى به»[٢].

فالأنبياء هم عباد الله، يختارهم من خلقه، ويصطفيهم لوحيه، وهم من البشر، إلاّ أنهم يَسْمَوْنَ عليهم بنبل الخلال وطِيبِ الفِعال، **فيكونون للناس أسوة، وفي الحقِّ والخير قُدوة**.

يقول الماوردي: «**الأنبياء**: هم رُسل الله تعالى إلى عباده بأوامره ونواهيه، زيادة على ما اقتضته العقول من واجباتها، وإلزاماً لما جوّزته من مُباحاتها، لما أراده الله من كرامة العاقل وتشريف أفعاله، واستقامة أحواله، وانتظام مصالحه..»[٣]، «**فالنُّبوَّة**: سفارة بين الله عزّ وجل، وبين ذوي العقول لإزاحة

(*) إبراهيم عليه السلام ودعوته في القرآن الكريم ـ للأستاذ أحمد البراء الأميري ـ الناشر: دار المنارة: جدّة. الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ ـ ١٩٨٦ م، [ص ١٩ ـ ٢١].

(١) جـ٣: [ص ٥٦١ ـ ٥٦٢].

(٢) جـ٣ [ص ٥٧٣].

(٣) أعلام النبوّة [ص ٢٢].

عِللها»(1)، وهي: «نعمة يمنُّ الله بها على مَن يشاء، ولا يَبْلُغها أحد بعلمه ولا كشفه، ولا يستحقُّها باستعداد ولايته... وليست راجعة إلى جسم النَّبيِّ ولا إلى عرض من أعراضه، بل ولا إلى علمه بكونه نبيّاً، بل المرجعُ **إلى إعلام الله له**، بأنّي نبّأتُكَ، أو جعلتُكَ نبيّا..»(2).

أما الرسول: «فهو المرسَل (للمذكّر والمؤنث والواحد والجمع) وفي التنزيل العزيز ﴿ إنّا رسولُ ربِّ العالمين ﴾ [الشعراء: 16]. ويجمع أيضاً على رُسُلْ وأرْسُل. وهو من (الناس) **مَن يبعثه الله بشرع يعمل به ويبلِّغه للناس**»(3).

والملاحظ على التعاريف السابقة أنها مزجت بين النبي والرسول، والنُّبوَّة والرسالة، وذلك للعموم والخصوص بينهما. إلاّ أنَّ العلماء ذكروا «**فروقاً بين النَّبي والرسول**، أحسنها: **أنّ مَن نبّأه الله بخبر السماء، إن أمره أن يبلِّغ غيره فهو نبيٌّ ورسول**، وإن لم يأمره أن يبلِّغ غيره، **فهو نبيّ وليس برسول**، فالرسول أعمّ من النبي، **فكلّ رسولٍ نبيّ، وليس كل نبيٍّ رسولاً**»(4).

---

(1) المعجم الوسيط: جـ2 [ص903].

(2) فتح الباري: شرح صحيح البخاري لابن حجر: جـ6 [ص361].

(3) انظر المعجم الوسيط: جـ1 [ص345].

(4) شرح العقيدة الطحاوية ـ علي بن علي بن محمد بن أبي العزّ الحنفي [ص103]. وانظر النبوّات ـ ابن تيمية [ص177]. وكبرى اليقينيات الكونية ـ محمد سعيد رمضان البوطـي [ص196] وما بعدها.

١٥ ـ رأي الأستاذ عفيف طبارة:

ويتحدث الأستاذ عفيف عبد الفتاح طبارة عن الأنبياء والرُّسل، وعن الفرق بين النَّبيّ والرسول فيقول[1]:

مَن هم الأنبياء والرُّسل:

الأنبياء والرُّسل هم الذين اصطفاهم الله من بني البشر يحملون دعوته لعباده، يبشِّرون مَن آمَنَ منهم وعَمِلَ صالحاً بحُسْن الثواب والمكافأة في الحياة الدّنيا والآخرة، ويُنذرون مَن كفر وعمل سيّئاً بالعقاب وسوء المصير، قال تعالى:

﴿ وما نرسل المرسلين إلاَّ مبشِّرين ومُنذرين، فمَن آمَنَ وأصْلَحَ فلا خَوْفٌ عليهم ولا هم يَحْزَنُون ﴾ [الأنعام: ٤٨].

الفرقُ بين النَّبيِّ والرسول: النُّبوّة: قد تكون قاصرة على صاحبها **ويسمّى حينئذ نبيّاً، وقد تكون مقترنة بتكليف تقويم سلوك جماعة من الناس،** فيسمّى هذا التكليف رسالة، ويدعى صاحبها **رسولاً، وعلى هذا فكلّ رسولٍ نبيّ، وليس كلّ نبيٍّ رسولاً.**

وتحدّث عن وظيفة النبوّة، فقال:

---

(١) **مع الأنبياء في القرآن الكريم**، تأليف عفيف عبد الفتاح طبارة، توزيع دار العلم للملايين، الطبعة السابعة (أيار ١٩٧٩) [ص ١١] ـ الفصل الأول: تعريف النبوّة.

ووظائف النبوّة تتلخص في ثلاثة أمور:

أولاً: الدعوة إلى الإيمان بالله ووحدانيته.

ثانياً: الإيمان باليوم الآخر والجزاء فيه على الأعمال.

ثالثاً: تبيان الشرائع التي فيها صلاح الإنسان وسعادته في الدنيا والآخرة.

عدد الأنبياء والرُّسل:

والأنبياء والرُّسل كثيرون، أما الذين ذكرهم القرآن فهم خمسة وعشرون **يجب الإيمان بهم تفصيلاً** وهم:

(١) آدم، (٢) إدريس، (٣) نوح، (٤) هود، (٥) صالح، (٦) إبراهيم، (٧) لوط، (٨) إسماعيل، (٩) إسحاق، (١٠) يعقوب، (١١) يوسف، (١٢) شعيب، (١٣) أيوب، (١٤) ذو الكفل، (١٥) موسى، (١٦) هارون، (١٧) داود، (١٨) سليمان، (١٩) إلياس، (٢٠) اليسع، (٢١) يونس، (٢٢) زكريا، (٢٣) يحيىٰ، (٢٤) عيسى، (٢٥) محمد عليهم السلام أجمعين.

١٦ ـ رأي العلاّمة ابن أبي العزّ الحنفي:

ويقول العلاّمة ابن أبي العزّ الحنفي في شرحه للعقيدة الطحاوية[1].

«وقد ذكروا فروقاً بين النَّبيِّ والرسول، وأحسنها:

أنَّ مَن نبّأه الله بخبر السماء، إنْ أمره أن يبلِّغ غيره، فهو نبيّ ورسول وإن لم يأمره أن يبلِّغ غيره، فهو نبيّ وليس برسول، فالرسول أخصّ من النبي، فكلُّ رسولٍ نبيّ، وليس كل نبيٍّ رسولاً»، ولكن الرسالة أعمّ من جهة نفسها، فالنُّبوَّة جزء من الرسالة، إذ الرسالة تتناول النُّبوَّة وغيرها بخلاف الرُّسل، فإنهم لا يتناولون الأنبياء وغيرهم، بل الأمر بالعكس، فالرسالة أعمّ من جهة نفسها وأخصّ من جهة أهلها.

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية للإمام ابن أبي العز الحنفي ـ المكتب الإسلامي، الطبعة الرابعة، ١٣٩١ ـ بيروت [ص ١٦٧].

١٧ - رأي الشيخ محمد ناصر الدين الألباني:

ويقول الشيخ محمد ناصر الدين الألباني في شرحه للعقيدة الطحاوية على كلام المؤلف [وأن محمداً عبده المصطفى، ونبيّه المجتبى، ورسوله المرتضى][1]:

اعلم أنَّ كلّ رسول نبيّ، وليس كلّ نبيّ رسولاً، وقد ذكروا فروقاً بين الرسول والنبيّ، تراها في تفسير الآلوسي (٥/٤٤٩ - ٤٥٠) وغيره، ولعلّ الأقرب **أن الرسول** مَن بُعِثَ بشرع جديد، **والنبيُّ** مَن بُعِثَ لتقرير شرع مَن قبله، **وهو بالطبع مأمور بتبليغه**، إذ من المعلوم أن العلماء مأمورون بذلك، فهم بذلك أولى.

---

(١) العقيدة الطحاوية (شرح وتعليق: محمد ناصر الدين الألباني)، نشر المكتب الإسلامي - الطبعة الأولى ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م، [ص ٢٢].

١٨ - رأي الأستاذ عبد الكريم التّتّان:

ويقول الأستاذ عبد الكريم تتّان في شرحه(*) على رسالة (الفقه الأكبر) المنسوب إلى الإمام أبي حنيفة النعمان على قول المؤلف:

أصل التوحيد، وما يصحّ الاعتقاد فيه، يجب أن يقول: آمنتُ بالله، وملائكته، وكتبه ورُسُله(١)، والبعث بعد الموت، والقدر خيره وشرّه من الله.

يقول الشارح: ورسله: أي جميع أنبيائه، وظاهر كلام الإمام ترادف النبيّ والرسول،إلاّ أن الجمهورعلى أن الرسول أخصّ من النبيّ، **والرسول**: هو مَن أُنزل عليه شرعٌ وأُمر بتبليغه، **والنبيُّ**: مَن أُوحي إليه بشرع ولم يُؤمر بتبليغه. **ولا نعيِّن عدداً لئلا يدخل فيهم مَن ليس منهم أو يخرج منهم مَن هو منهم.**

** .. ** .. **

(*) شرح الفقه الأكبر لأبي حنيفة النعمان، الشارح: الأستاذ عبد الكريم التتان، [ص ٦] - نشر مكتبة الغزالي ومكتبة ابن الفارض - حماة - سوريا.

١٩ ـ رأي الأستاذ محمد خليل رفاعي:

ويعرِّف الأستاذ محمد خليل رفاعي الأنبياء والمرسلين فيقول[١]:

الأنبياء قسمان: **أنبياء مرسلون**: وهم الذين أُوحي إليهم بشرع وأُمروا بتبليغه إلى أقوامهم كما أمر الله، **وأنبياء غير مرسَلين**، وهم الذين أُوحي إليهم بشرع ما قبلهم ولم يؤمروا بتبليغه!!

والأنبياء الواجب معرفتهم خمسة وعشرون:

ثم قال تحت عنوان:

الملائكة والرُّسل: ويجب على كل مكلّف أن يعرف ويؤمن بما يأتي:

أن يعرف عشرة من الملائكة بأسمائهم وأعمالهم وهم:

١ ـ جبريل.
٢ ـ ميكائيل.
٣ ـ إسرافيل.
٤ ـ مَلَك الموت.
٥و٦ ـ منكر ونكير وهما لسؤال القبر وهما شخصان هائلان عظيمان، فيسألانه مَن ربُّك ونبيُّك، فإن استعجم (أي تلعثم لسانه ولم ينطق بالشهادتين) ولم يُجِب ضُرِب بمقمعة من حديد وملىء قبره ناراً وحيَّات

---

(١) عقيدة المسلم من الكتاب والسنّة، تأليف **محمد خليل رفاعي** نشر دار الاعتصام ـ القاهرة ـ ١٩٧٦ [ص ٢٦ ـ ٢٧].

وعقارب بدليل قوله تعالى: ﴿ومَن أعرض عن ذِكري.. فإنَّ له معيشةً ضَنْكاً ونحشُرُه يوم القيامة أعمى﴾ [طه: ١٢٣].

٧ ـ رقيـــب.

٨ ـ عتيـــد.

٩ ـ رضوان خازن الجنة.

١٠ ـ مالك خازن النار!

ثم قال:

ويجب على كل مكلّف معرفة خمسة وعشرين نبيّاً أولهم آدم وآخرهم محمد ﷺ.

وأضاف:

واعلم أنه يجب معرفة أن بعض الأنبياء أُولو عزم بدليل قوله تعالى: ﴿فاصْبِر كما صَبَرَ أُولوا العزم مِنَ الرُّسُل﴾ وهم خمسة على القول الصحيح:

١ ـ محمد، ٢ ـ إبراهيم، ٣ ـ موسى، ٤ ـ عيسى، ٥ ـ نوح.

٢٠ - رأي الشيخ عبد الله الحبشي:

أما الشيخ عبد الله الحبشي فيتحدث عن الفرق بين الأنبياء والرُّسل فيقول:

«اعلم أنَّ **النبيّ والرسول** يشتركان في الوحي، فكلٌّ قد أوحى الله إليه بشرع يعمل به لتبليغه للناس.

غير أن **الرسول** يأتي بنسخ بعض شرع مَن قبله أو بشرع جديد، **والنبيُّ غير الرسول** يوحى إليه ليتبع شرع رسول قبله، فلذلك قال العلماء: **كل رسول نبيٌّ، وليس كل نبيٍّ رسولاً**»(١).

---

(١) الصراط المستقيم للشيخ عبد الله الحبشي ـ الطبعة السادسة ١٤٠٣، [ص ٤٢].

٢١ ـ رأي فضيلة الشيخ عبد الله بن زيد آل محمود:

يقول المؤلف في كتابه [الإيمان بالأنبياء بجملتهم وضعف حديث أبي ذر في عددهم](*).

الأنبياء: هم بشر اصطفاهم الله لحمل نُبُوَّته وتبليغ رسالته. فهو يوحي إليهم من أمره ما يشاء، ثم يقومون بإبلاغ ما أُوحي إليهم من ربهم، ولا يكتمون الله حديثاً، يقول الله سبحانه: ﴿ يا أيُّها الرسول بلِّغ ما أُنزل إليك من ربِّكَ وإن لم تفعل فما بلَّغت رسالته ﴾(١).

فكلّهم ممّن أُوحي إليهم بشرع، وأُمروا بتبليغه، يقول الله سبحانه: ﴿ وإذْ أخذ الله ميثاق الذين أُوتوا الكتاب لتبيِّننّه للناس ولا تكتمونه ﴾(٢).

والأنبياء، هم رؤوس مَن أُوتوا الكتاب، وأُخِذَ منهم العهد والميثاق في البيان وعدم الكتمان.

فالأنبياء هم الرُّسل، والرُّسل هم الأنبياء، تنوَّع الاسم، والمسمّى واحد. قال الله سبحانه: ﴿ رُسُلاً مبشّرين ومنذرين لئلا يكون للناس على

(*) الإيمان بالأنبياء بجملتهم.. عبد الله بن زيد آل محمود، رئيس المحاكم الشرعية والشؤون الدينية بدولة قطر ـ الطبعة الثالثة: ١٤٠٧ هـ ـ ١٩٨٦ م، المكتب الإسلامي ـ بيروت. [ص ٣ ـ ٢٢].

(١) سورة المائدة: ٦٧.

(٢) آل عمران: ١٨٧.

الله حجّة بعد الرُّسل ﴾[1]، وقال: ﴿ كان الناس أُمّة واحدة **فبعث الله النبيّين مبشّرين ومنذرين** وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه ﴾[2]. **فأمر الله النبيّين بما أمر به المرسلين.**

وأما التعريف بقولهم: **إن الرسول**، هو مَن أُوحي إليه بشرع، وأُمر بتبليغه. **والنبيّ**: هو مَن أُوحي إليه بشرع، ولم يؤمر بتبليغه. فهذا يُعدّ من الخطأ المتناقل، الذي انتشر واشتهر على ألسنة الناس، **وفي عقائدهم** في كل بلد، **وحتى التبس الأمر فيه على العلماء الكبار، فظنّوه حقّاً، وهو لا صحّة له**، إذ لا يوجد نبيّ أُوحي إليه بشرع من الأمر، والنهي، والفرائض، والأحكام، والحلال، والحرام، ثم يصرُّ على كتمانه، وعدم بيانه، لكون هذا ينافي مقتضى الرسالة، والأمانة، فكلّهم مكلّفون بنشر الدعوة وتبليغ الرسالة.

وأوَّل مَن رأيناه تكلَّم بهذا التفريق بين النَّبيِّ والرسول، هو الإمام النووي. فتلقَّاه الناس عنه، وهو إنما أخذه من الحديث الموضوع المنسوب إلى أبي ذرٍّ في التفريق بين الأنبياء والرُّسل، وسيأتي الكلام على بيانه بما يقتضي بطلانه.

وليست هذه بأول غلطة دخلت في عقائد الناس، وتناقلوها من جرّاء سوء الأحاديث الموضوعة، التي عملت التأثير في الأمّة، في إدخال البِدَع، وتغيير السُنن، **إذ تأبى حكمة الله، وحكمة بعثه لأنبيائه، أن يكون فيهم مَن أُوحي إليه بشرع ولم يؤمر بتبليغه.**

وأضاف:

ثم إننا متى بحثنا عن سبب انتشار هذا الاعتقاد بين الناس في التفريق

---

(١) سورة النساء: ١٦٥.

(٢) سورة البقرة: ٢١٣.

بين الرسول والنبيّ، نجد السبب هو: تأثرهم بالحديث المنسوب لأبي ذرٍّ، **ويترجح بمقتضى الدلائل والبراهين أنه حديث موضوع مكذوب على الرسول وعلى أبي ذرٍّ**، وإن كان رواه الإمام أحمد في مسنده، ورواه ابن حِبّان في صحيحه، **فقد حقّق ابن الجوزي: بأنّه موضوع**، واتّهم بوضعه إبراهيم بن هشام. وكذلك ابن كثير، فقد أشار في التفسير إلى ضعفه قائلاً: ولا شك أنه قد تكلم فيه غير واحد من أئمة الجرح والتعديل، مع العلم أن لفظه ينمّ بوضعه، ونحن نسوقه بلفظه، ثم نعقّب عليه بما يوضح بطلانه، نصيحة لله، ولعباده المؤمنين.

فعن أبي ذرٍّ قال: قلت: «يا رسول الله! كم الأنبياء! قال: مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً. قلت: يا رسول الله! كم الرُّسل منهم؟ قال: ثلاثمائة وثلاثة عشر، جمٌّ غفير. قلت: يا رسول الله! **مَن كان أوَّلهم؟ قال**: آدم. قلت: يا رسول الله! **أنبيّ مرسل؟ قال**: نعم، خلقه الله بيده، ثم نفخ فيه من روحه، ثم سوّاه قبيلاً. ثم قال: يا أبا ذرٍّ، أربعة سريانيون: آدم، وشيث، ونوح، وخنوخ، وهو: إدريس، وهو أول مَن خطّ بالقلم. وأربعة من العرب: هود، وصالح، وشعيب، ونبيّك يا أبا ذرٍّ. وأول نبيّ من بني إسرائيل موسى، وآخرهم عيسى، **وأول النبيّين آدم**، وآخرهم نبيّك قلت يا رسول الله: كم كتاباً أنزله الله؟ قال: مائة كتاب وأربعة كتب، أنزل على شيث خمسين صحيفة وأنزل على أخنوخ ثلاثين صحيفة وأنزل على إبراهيم عشر صحائف وأنزل على موسى قبل التوراة عشر صحائف وأنزل التوراة والإنجيل والزبور والفرقان». وقد روى هذا الحديث الحافظ أبو حاتم ابن حِبَّان البستي في كتابه «الأنواع والتقاسيم» وقد وَسَمَه بالصحة، وخالفه أبو الفرج ابن الجوزي، فذكر هذا الحديث في كتابه «**الموضوعات**» واتَّهم به إبراهيم بن هشام. هذا ولا شك أنه قد تكلم فيه غير واحد من أئمة الجرح والتعديل، من أجل هذا الحديث، والله أعلم.

ثم قال:

وقد اتَّفق علماء الملّة على كفر مَن كذّب نبيّاً معلوم النبوّة، وكذا مَن سبَّ نبيّاً لكون الإيمان واجباً بجميع الأنبياء، وأن لا نُفرّق بين أحدٍ منهم. يقول الله سبحانه: ﴿ إنَّ الذين يكفرون بالله ورُسُله ويريدون أن يُفرّقوا بين الله ورُسُله ويقولون نؤمن ببعضٍ ونكفر ببعض ويريدون أن يتَّخذوا بين ذلك سبيلاً. أُولئك هم الكافرون حقَّاً وأعتدنا للكافرين عذاباً مُّهيناً. والذين آمنوا بالله ورُسُله ولم يفرّقوا بين أحدٍ منهم أُولئك سوف يؤتيهم أُجورهم وكان الله غفوراً رحيماً ﴾[1].

وهذا التفريق الذي ذمَّه الله، بما أنه محمول على الإيمان ببعضهم، وتكذيب بعضهم، **فإنَّه أيضاً يشمل إثبات الرسالة لبعضهم، ونفيها عن بعضهم**. والله سبحانه قد فضَّل بعض الأنبياء على بعض، فقال سبحانه: ﴿ تلك الرُّسل فضّلنا بعضهم على بعض ﴾[2].

أما عددهم: فقد جاء في حديث أبي ذرٍّ المذكور، **وقد تكلَّم عليه الوليّ العراقي بما يحقِّق وضعه وبطلانه، وعدم صحَّته. وردّ على ابن حِبّان، جماعة من العلماء الحفّاظ، وانتقدوا عليه إدخال هذا الحديث في صحيحه.**

وفي كتاب «الإيمان» لشيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ في قول الإمام أحمد ـ رضي الله عنه ـ في الرُّسل، وعددهم، أنه يجب الإيمان بهم في الجملة، مع الكفِّ عن عددهم، لعدم صحة الحديث الوارد فيه.

وذكر محمد بن نصر المروزي وغيره من أئمة السلف نحو هذا

---

(١) سورة النساء: ١٥٠ ـ ١٥٢.

(٢) سورة البقرة: ٢٥٣.

الكلام، مما يبيّن أنهم لم يعلموا عدد الكتب، والرُّسل، وأن حديث أبي ذرٍّ في ذلك لم يثبت عندهم. انتهى - كلام شيخ الإسلام[1].

ثم تحدّث عن خطر التفرقة بين الأنبياء والرُّسل فقال:

وقد دخلت طائفة البهائية، والقاديانية من فجوة هذا التفريق بين الأنبياء والرُّسل، لزعمهم أن الرسالة مكتسبة، وأنَّ بابها مفتوح، وأنَّها لم تُختم بمحمد رسول الله ﷺ، ولمّا استدلّ عليهم بعض المسلمين بقوله سبحانه: ﴿ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيّين﴾[2]، فقالوا: نعم، إنه خاتم النبيّين، وليس بخاتم المرسلين، فكأنَّهم وجدوا في هذا التفريق الذي لا صحَّة له فجوة يدخلون من جهتها إلى باطلهم في إثبات الرسالة «لبهاء الله الميرزا علي أحمد» كما في الطريقة القاديانية، القائلين برسالة رجل يدعى «ميرزا غلام أحمد» من سكنة قاديان بالهند، تشابهت قلوبهم وأكثرهم فاسقون.

---

(١) نقله عنه السفاريني في لوائح الأنوار - ص ٢٥٣ من المجلد الثاني.

(٢) سورة الأحزاب: ٤٠.

٢٢ - رأي الشيخ أحمد محمد جمال:

ويردّ المؤلف[1] على أسئلة السائلين عن الفرق بين النبيّ والرسول وعن نبوّة النساء في كتابه (*) تحت عنوان :

لا فرق بين النبيّ والرسول..
ولا نبوّة في النساء...

الأخ (ف، غ، خ) من الرياض بالمملكة العربية السعودية - يسأل ما الفرق بين النبيّ والرسول؟ وعندما ينزل عيسى عليه السلام آخر الزمان بماذا يدعى بنبيٍّ أم رسول؟

الأخ (عبد الجواد الخضري) من القاهرة بمصر - يُثير مسألة **(نبوّة النساء) ويحيل** على رأي الإمام ابن حزم رحمه الله في ذلك، ويريد البيان في هذه القضية؟

الجواب - (أولاً) اختلف الأوّلون في التفريق بين الرسول والنبيّ - **جاء في** «شرح الطحاوية» **قول المصنّف: ذكروا فروقاً بين النبيّ والرسول أحسنها أن مَن نبّأه الله بخبر السماء إن أمره أن يبلِّغ غيره فهو نبيّ ورسول،**

(*) يسألونك - فتاوى نشرت في مجلة المسلمون التي كانت تصدر في لندن - دار الكتاب العربي - بيروت - الطبعة الأولى، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م، [ص ١٦١ - ١٦٤].

وإن لم يأمره أن يبلّغ فهو نبيّ وليس برسول، فكلّ رسول نبيّ وليس كل نبيّ رسولاً.

وجاء في تفسير القرطبي ـ جـ/١٢ ص/٨٠ ـ تعليقاً على قول الله عزّ وجل: ﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبيٍّ إلاّ إذا تمنّى ألقى الشيطان في أمنيته.. ﴾ قوله: إن قوماً يرون أن الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم فيهم مرسلون، وفيهم غير مرسلين[1] وهناك تعريف واضح ـ في عدد من كتب العقائد ـ لكلٍّ من النبيّ والرسول، وهو أن: النبيّ مَن أُوحي إليه بشرع ولم يؤمر بتبليغه، والرسول من أُوحي إليه بشرع وأُمر بتبليغه ـ وهـذا التعـريف القديم أورده ـ من العلمـاء المعاصـرين ـ الشيخ محمـد علي الصابوني في كتابه (النبوّة والأنبياء).

والمتأمّل في آيات القرآن الكريم، والأحاديث النبوية ـ لا يجد فرقاً بين النَّبيِّ والرسول. فالقرآن يتحدث عن الأنبياء والرُّسل حديثاً واحداً من حيث التكليف بما ينقض زعم الزاعمين أن الأنبياء لم يؤمروا بتبليغ ما أُوحي إليهم من شرع، وإنما كانت نبوّتهم خاصة بهم.. وقد طرحنا هذا السؤال مراراً ـ في دراسات سابقة ـ ما هي جدوى أن يُوحى إلى إنسان بشريعة ثم لا يؤمر بالدعوة إليها وتبليغها إلى الناس؟

* . * . *

ونبدأ بالآيات التي تخاطب رسولنا محمداً ﷺ باسم (النبي) فهي أكثر عدداً من الأخرى التي يخاطب فيها باسم (الرسول):

ـ ﴿ يا أيُّها النَّبيّ حرِّض المؤمنين على القتال.. ﴾.

---

(١) نرى أن في هذه دليلاً واضحاً على أن الرسول والنبيّ شيء واحد.. وإلا فلو كان النبيّ يوحى إليه بشرع ولا يؤمر بتبليغه، فهو إذن لا يتمنى إيمان قومه، ولا يلقي الشيطان في طريقه العقبات.

- ﴿ يا أيُّها النبيّ جاهد الكفّار والمنافقين واغلظ عليهم. . ﴾.
- ﴿ يا أيُّها النبيّ اتَّقِ الله ولا تُطِعِ الكافرين والمنافقين. . ﴾.
- ﴿ يا أيُّها النبيّ قل لأزواجك. . ﴾.
- ﴿ يا أيّها النبيّ قل لمَن في أيديكم من الأسرى. . ﴾.
- ﴿ يا أيّها النبيّ حسبك الله ومَن اتّبعك من المؤمنين. . ﴾. إلخ. .

وهناك آيات أخرى تخاطب الرسول عليه الصلاة والسلام بأسلوب غير مباشر ـ كقوله عزّ وجل:

- ﴿ **ما كان لنبيٍّ أن يكون له أسرى. .** ﴾.
- ﴿ **ما كان للنبيّ والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين. .** ﴾.
- ﴿ **ما كان على النبيّ من حرج فيما فرض الله. .** ﴾. إلخ. .

وبالنسبة للأنبياء جميعاً فالقرآن يتحدث ـ كما أسلفنا ـ عن مهمتهم وابتلائهم بأممهم بوصفهم (أنبياء) أكثر مما يتحدَّث عنهم بوصفهم (رُسُلاً) ـ من ذلك قوله عزّ وجل:

- ﴿ وكم أرسلنا من (نبيٍّ) في الأوّلين ﴾.
- ﴿ وكأيِّن من (نبيٍّ) قاتل معه ربِّيون كثير. . ﴾.
- ﴿ وكذلك جعلنا لكل (نبيٍّ) عَدوّاً شياطين الإنس والجن ﴾.
- ﴿ وكذلك جعلنا لكل (نبيٍّ) عدوّاً من المجرمين ﴾.
- ﴿ يحكم بها (النَّبيُّون) الذين أسلموا للذين هادوا. . ﴾.
- ﴿ وما أُوتي (النَّبيُّون) من ربِّهم ﴾.
- ﴿ ويقتلون (النَّبيِّين) بغير الحق ﴾.
- ﴿ ويقتلون (الأنبياء) بغير حق ﴾.
- ﴿ إنّا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوحٍ و(النَّبيين) من بعده ﴾.

* * *

كذلك جاءت كلمة (النبوّة) كوصف لجميع الرُّسل أكثر مما جاءت كلمة (الرسالة). ومثل القرآن حديث الرسول ﷺ. فهو يتحدَّث عنهم بلفظ (النبيّين أو الأنبياء) أكثر مما يصفهم بأنَّهم رُسُل أو مرسلون.

ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام: «إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتاً، فأحسنه وأجمله إلَّا موضع لبنة في زاوية، فجعل الناس يطوفون به، ويعجبون ويقولون: هلّا وضعت هذه اللّبنة؟ فأنا اللّبنة، وأنا خاتم الأنبياء» أخرجه البخاري ومسلم.

وقوله ﷺ:

- «**لكل نبيٍّ حواريُّون وأصحاب..**» أخرجه البخاري.
- «**ما من نبيٍّ إلّا وله بطانتان..**» أخرجه البخاري.
- **ما بعث الله نبيَّاً إلّا رعى الغنم..**» أخرجه البخاري.
- «**إن الله حرّم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء**» رواه النسائي، وابن ماجه.
- «**لا تتخذوا قبور الأنبياء مساجد..**» أخرجه البخاري.

إلى أحاديث أُخرى لا نحصيها عدداً في هذا المجال المحدود..

فكيف يقال ـ بعد التأمّل في هذه الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ـ إن النبيّ هو مَن أُوحي إليه بشريعة ولم يؤمر ببلاغها إلى الناس؟

وإذن.. فلا فرق بين الرسول والنّبيّ.. فهما ـ في رأينا ـ وصفان متلازمان، **فالرسول لا بدَّ أن يكون نبيّاً بمعنى أن الله نبّأه أي أعلمه** بمهمته التي اختير لها، **والنبيُّ رسول اختاره الله لبيان دعوته لقومه،** فهو لهم بشير بالخير إن آمنوا، ونذير لهم بالسوء إن كفروا..

وقد روى ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «**عرضت**

عليّ الأمم. . فأخذ النبيّ يمرُّ معه الأُمَّة، والنبيُّ يمرّ معه النفر، والنبيُّ يمرّ معه العشرة، والنبيّ يمرّ معه الخمسة، والنَّبيّ يمرُّ وحده»!

* . * . *

وبالنسبة لنزول عيسى عليه السلام آخر الزمان. . فقد أسلفنا تفصيلاً عن حقيقة هذا النزول، ورددنا على منكِريه، وقلنا أنه ينزل حاكماً بشريعة سيدنا محمد ﷺ لا بشريعته ـ أي النصرانية ـ(*) .

* . * . *

أما موضوع نبوَّة النساء ـ فالقائل بها هو الإمام ابن حزم رحمه الله. . إذ يرى أن مجرد الاتصال الإلَهي بخبر أو بُشرى هو (نبوَّة) فسارة امرأة إبراهيم عليهما السلام ومريم ابنة عمران، وأُمّ موسى، وامرأة فرعون أيضاً ـ هؤلاء جميعاً نبيَّات! (ص/١٧ جـ/٥ من الفصل في المِلل والنِحل).

وقد ردّ عليه ابن كثير رحمه الله بقوله: لا يلزم من هذا أن يكنّ نبيَّات بذلك، فالذي عليه أهل السنّة والجماعة أنه ليس في النساء نبيَّة، وإنما فيهنّ **صدِّيقات** كما قال تعالى عن أشرفهنّ مريم بنت عمران: ﴿ وأُمُّه صدِّيقة. . ﴾ ولو كانت نبيَّة لذكر ذلك.

ويعتمد ابن كثير في ردِّه على الآية الكريمة ـ من سورة الأنبياء ـ ﴿ وما أرسلنا قبلك إلا رجالاً نوحي إليهم ﴾ فهي صريحة وواضحة ومؤكدة أن الله عزّ وجل إنما أرسل رُسُله من الرجال لا من النساء، وهو قول الجمهور.

(*) راجع رسالة [ندوة لواء الإسلام حول رفع عيسى حيَّاً إلى السماء] التي ستصدر قريباً عن دار الفتح للطباعة والنشر ـ بيروت. .

خلاصة آراء العلماء
في النبوة والرسالـــة

بعد استعراض آراء العلماءقديماً وحديثاً عن النبوّة والرسالة، وعن الفرق بين النبيّ والرسول ـ كما يدّعي بعضهم ـ أو عدم وجود هذا الفرق بينهما ـ كما يقول البعض الآخر ـ يحسن بنا أن نلخص آراءهم قبل أن نُبدي رأينا في ذلك.

١ ـ **فالإمام الماوردي** يثبت اختلاف أهل العلم في الأنبياء والرُّسل على قولين:

أحدهما: أنَّ الأنبياء والرُّسل واحد، فالنبيُّ رسول، والرسول نبيّ.

والقول الثاني: أنهما يختلفان، لأن اختلاف الأسماء يدلُّ على اختلاف المسمّيات.

ويضيف الماوردي:

واختلف مَن قال في الفرق بينهما على ثلاثة أقاويل:

أحدهما: أنّ **الرسول** هو الذي تنزل عليه الملائكة بالوحي.

والنبيُّ هو الذي يوحى إليه في نومه!

والقول الثاني: أنَّ الرسول هو المبعوث إلى أُمَّة.

والنبيُّ هو المحدِّث الذي لا يبعث إلى أُمَّة.

والقول الثالث: أنَّ الرسول هو المبتدىء بوضع الشرائع والأحكام.

والنبيُّ هو الذي يحفظ شريعة غيره.

ولذلك يقول القائلون بالتفرقة بين الرسول والنبيّ:

«إن كلِّ رسولٍ نبيٌّ، وليس كُلُّ نبيٍّ رسولاً».

٢ ـ ويثبت القاضي عياض اختلاف العلماء بين النّبوَّة والرسالة بقوله:

«واختلف العلماء: هل النبيّ والرسول بمعنىً أو بمعنيين:

١ ـ فقيل: هما سواء، وأصله من الإنباء، وهو الإعلام.

واستدلّوا بقوله تعالى: ﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبيّ ﴾ **[الحج: ٥٢]. فقد أثبت لهما معاً الإرسال،** قال: **ولا يكون النبيُّ إلاّ رسولاً، ولا الرسولُ إلاّ نبيّاً.**

٢ ـ وقيل: هما مفترقان من وجه.. **إذ قد اجتمعا** في النبوَّة التي هي الاطّلاع على الغيب والإعلام بخواص النُّبوَّة أو الرِفعة لمعرفة ذلك وحوزِ درجتها..

ـ وافترقا في زيادة الرسالة للرسول.. وهو الأمر بالإنذار والإعلام كما قلنا، وحجَّتهم من الآية نفسها التفريق بين الاسمين، **ولو كانا شيئاً واحداً لما حَسُنَ تكرارهما في الكلام البليغ.** قالوا: والمعنى وما أرسلنا من رسول إلى أُمَّة، أو نبيٍّ وليس بمرسل إلى أحد!

٣ ـ كما أثبت الإمام الآلوسي اختلاف العلماء في تعريف كُلٍّ من النَّبيِّ والرسول، ثم ذكر ستة أقوال للعلماء في كلٍّ من النبيِّ والرسول من بينها:

الرسول من الأنبياء: مَن جمع إلى المعجزة كتاباً منزلاً.

والنبيّ غير الرسول: مَن لا كتاب له.

ثم قال:

وأنت تعلم أن المشهور أنّ **النبيّ** في عُرف الشرع **أعمّ من الرسول،** فإنَّه مَن أُوحي إليه سواء أُمر بالتبليغ أم لا، **والرسول** مَن أُوحي إليه وأُمر

بالتبليغ، ولا يصحُّ إرادة ذلك لأنه إذا قوبل العامّ بالخاصّ يراد **بالعامِّ ما عدا الخاصّ**، فمتى أُريد **بالنبيِّ** ما عدا الرسول كان المراد به مَن لم يُؤْمَر بالتبليغ، **وحيث تعلّق الإرسال** صار مأموراً **بالتبليغ**، فيكون رسولاً، **فلم يبقَ في الآية بعد تعلُّق الإرسال** رسول **ونبيّ مقابل له!**

وأضاف: **فلا بدَّ لتحقيق المقابلة أن يُراد:**

بالرسول: مَن بُعِثَ بشرع جديد.

وبالنبيّ: مَن بُعِثَ لتقرير شرع مَن قبله.

أو يراد:

بالرسول: مَن بُعِثَ بكتاب.

وبالنبيِّ: مَن بُعِثَ بغير كتاب.

أو يراد نحو ذلك مما يحصل به المقابلة مع تعلُّق الإرسال!

٤ ـ وحجّة العلماء التي يستندون إليها في التفرقة بين النَّبِيِّ والرسول بالإضافة إلى آية ﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبيٍّ ﴾ حديث أبي ذرٍّ الطويل ـ الموضوع في رأي ابن الجوزي، والضعيف في رأي السيوطي ـ الذي يذكر عدد الأنبياء بأنهم مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً، وأن عدد الرُّسل ثلاثمائة وثلاثة عشر، كما يشير ذلك القاضي عياض منهياً كلامه بعد ذكر هذا الحديث بقوله:

«**فقد بانَ لك معنى النبوّة والرسالة**»!!

وأيّده في ذلك الشيخ آدم عبد الله الألوري بقوله:

«ومما يثبت الفرق بين الأنبياء والمرسلين ورود نصّ الحديث على تحديد العدد لكلٍّ منهما كما في الطبراني عن أبي ذر:

قلت: يا رسول الله.. **كم الأنبياء؟**

فقال: مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً.

قلت: يا رسول الله.. كم المرسلون؟

قال: ثلاثمائة وثلاثة عشر.

وأضاف: ومهما يقال من **ضعف هذا الحديث**، لورود حديث آخر يعارضه في العدد، **فقد صحّ وجود الفرق بين عدد الأنبياء وعدد الرُّسل**!

٥ ـ ثم جرَّ هذا الرأي بالتفرقة بين النَّبِيِّ والرسول إلى القول **بنبوَّة النساء** كما يقول الإمام ابن حزم في كتاب (الإحكام في أصول الأحكام) دون القول **برسالة النساء**، لأنَّ القرآن نصّ على **ذكورية الرُّسل** بقوله تعالى: ﴿وما أرسلنا من قبلك إلّا **رجالاً** نوحي إليهم﴾.

٦ ـ **بل جرَّ هذا الرأي إلى القول** بنبوّة **أبي البشر** آدم كما يقول بذلك كثير من العلماء والمفسّرين، **وإلى قول بعضهم بنبوَّة الحواريين**، كما يقول بذلك الشيخ آدم عبد الله الألوري.

ولم يقف الأمر عند هذا الحدّ بل دخلت طائفة البهائية والقاديانية من **فجوة التفريق بين الأنبياء والرُّسل**، لزعمهم أن الرسالة مكتسبة وأنّ بابها مفتوح، وأنها لم تختم بمحمد رسول الله ﷺ. ولمّا استدلّ عليهم بعض المسلمين بقوله سبحانه: ﴿ما كان محمد أبا أحد من رجالكم، **ولكن رسول الله وخاتم النبيّين**﴾، فقالوا: نعم، إنه **خاتم النبيّين وليس بخاتم المرسلين**، كما أشار إلى ذلك فضيلة الشيخ عبد الله بن زيد آل محمود[1]!

٧ ـ ويرى الشيخ آدم عبد الله الألوري أنَّ أخذ ميثاق الذين أُوتوا الكتاب **لا ينطبق على الأنبياء**، وإنما ينطبق على أتباعهم بدليل قوله تعالى: ﴿فنبذُوهُ وراء ظهورهم واشتروا به ثمناً قليلاً﴾، في حين أن الشيخ عبد الله بن زيد آل

---

(١) راجع كتاب (الإيمان بالأنبياء بجملتهم، وضعف حديث أبي ذر في عددهم)، [ص ٢١ ـ ٢٢].

محمود يرى بأنَّ الأنبياء هم رؤوس من أُوتوا الكتاب، وأُخذ منهم العهد والميثاق في البيان وعدم الكتمان.

وكذلك فإن الشيخ محمد ناصر الدين الألباني يعارض رأي الشيخ آدم عبد الله الألوري وغيره من العلماء الذين **يعرِّفون النبيّ بأنه مَن أُوحي إليه بشرع ولم يؤمر بتبليغه**، فيقـــول:

«النبيُّ مَن بُعِثَ لتقرير شرع مَن قبله، وهو بالطبع مأمور بتبليغه، إذ من المعلوم أنَّ العلماء مأمورون بذلك، **فهم بذلك أولى!**».

كما يشاطر الشيخ عبد الله الحبشي الشيخ محمد ناصر الدين الألباني رأيه في وجوب تبليغ النَّبيِّ شرع الله بقوله: «اعلم أنَّ **النبيّ والرسول** يشتركان في الوحي، فكلٌّ قد أوحى الله إليه بشرع يعمل به **لتبليغه للناس**».

أمَّا شارح الفقه الأكبر لأبي حنيفة النعمان الأستاذ عبد الكريم التَّتان فيقول بعد تعريفه للنبيِّ بأنَّه مَن أُوحي إليه بشرع ولم يؤمر بتبليغه:

«**ولا نعيِّن عدداً لئلا يدخل فيهم مَن ليس منهم، أو يخرج منهم مَن هو منهم**».

٨ ـ ويعترف الشيخ آدم عبد الله الألوري أنَّ التعريف التقليدي **للنَّبيِّ والرسول** لم يسلَم من النقد والاعتراض، **لأنه ليس مستمدّاً من النّص!**

ويرى أن يُؤخذ **تعريف النَّبيِّ** من قوله تعالى: ﴿وما كان لبشر أن يكلِّمه الله إلاّ وحياً، أو من وراء حجاب، أو يرسل رسولاً، فيوحي بإذنه ما يشاء، إنَّه عليٌّ حكيم﴾.

ومن حديث أبي ذرٍّ: «هل كان آدم نبيّاً؟ قال: نعم، كلَّمه الله»، وأضاف: ومن ثمَّ **يكون كلّ مَن كلّمه الله بوحي من البشر نبيّاً!**

ولذلك قال بنبوَّة آدم.. والنساء.. **والحواريين!**

وبنبوّة «**عزير**» صاحب الحمار، و«**الخضر**» صاحب موسى، و«**ذو القرنين**» صاحب السّدّ، و«**لقمان**» صاحب الحكمة(*)!

وأضاف الشيخ آدم عبد الله الألوري بعد تعريفه الجديد للنبيِّ، قوله:

«كما يؤخذ **تعريف الرسول** من قوله تعالى:

﴿ ولقد بعثنا في كل أُمَّةٍ رسولاً أنِ اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ يا أيها الرسول بلِّغ ما أُنزل إليك من ربِّك ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ ما على الرسول إلّا البلاغْ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ رُسُلاً مبشِّرين ومنذرين ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ يا أيها النبيُّ إنَّا أرسلناك شاهداً ومبشِّراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً ﴾.

وأضاف: ونقول في تعريفه (الرسول) هو النبيُّ الذي بعثه الله داعياً إلى الله، ومبلِّغاً رسالة الله، ومبشِّراً ونذيراً ﴾.

٩ ـ أما الشيخ محمد علي الصابوني فيستدلّ على تعريف الرُّسل، واختصاصهم بالبلاغ بقوله:

«إنَّ الدليل على أنّ الرُّسل الكِرام مأمورون بتبليغ الرسالة، وأنهم يختلفون عن الأنبياء **في هذه النقطة بالذات**، فهو النَّصُّ القرآني الكريم،وهو قوله تعالى:

﴿ الذين يبلِّغون رسالات الله وَيَخْشَوْنَهُ، ولا يَخْشَوْنَ أحداً إلّا الله، وكفى بالله حسيباً ﴾، وقوله تعالى: ﴿ يا أيُّها الرسول بلِّغ ما أُنزل إليك من ربِّك، وإن لم تفعل فما بلَّغت رسالته ﴾».

(*) راجع فلسفة النبوّة والأنبياء في ضوء القرآن والسنّة، [ص ١٠٠ ـ ١٠٨].

١٠ ـ ولا بدّ من الإشارة إلى اعتراف الشيخ آدم عبد الله الألوري بأنَّ بعض العلماء لا يفرِّقون بين النبيّ والرسول بقوله:

«واعترض بعض العلماء على التفريق بين النبيّ والرسول.. وقال: «**لا فرق بين الرسول والنَّبيِّ في التبليغ**، إذ ما من نبيٍّ إلّا وقد تلا على قومه الكتاب، واستدلّ على ذلك بقوله تعالى: ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبيٍّ إلّا إذا تمنّى ألقى الشيطان في أمنيته، فينسخ الله ما يلقي الشيطان﴾، **لذلك يُحرم على كل نبيٍّ أن لا يبلِّغ ما أُوحي إليه، وكل نبيٍّ على هذا يكون رسولاً حيث بلَّغ لغيره**».

بالإضافة إلى رأي للشيخ عبد الله بن زيد آل محمود الذي يقول:

«**إن كل نبيٍّ رسول، وكل رسول نبيٍّ، وليس هناك من فرق بينهما**، فقبل أن يُرْسَل النبيُّ يُنبَّأ، ثم يرسل».

وأخيراً رأي الأستاذ أحمد محمد جمال الذي يقول:

«والمتأمِّل في آيات القرآن الكريم، والأحاديث النبوية، **لا يجد فرقاً بين النبيّ والرسول. فالقرآن يتحدث عن الأنبياء والرُّسل حديثاً واحداً من حيث التكليف مما ينقض زعم الزاعمين** أن الأنبياء لم يُؤمروا بتبليغ ما أُوحي إليهم من شرع، وإنما كانت نبوّتهم خاصة بهم.. وأضاف: وقد طرحنا هذا السؤال مراراً ـ في دراسات سابقة ـ **ما هي جدوى أن يُوحى إلى إنسان بشريعة، ثم لا يؤمر بالدعوة إليها وتبليغها للناس؟!**».

والآن وبعد استعراض آراء العلماء حول النبوّة والرسالة يجدر بنا أن نبدي رأينا في هذا الموضوع.

النبوَّة والرسالــة في كتاب الله

رأي المؤلــف في النبوّة والرسالـــة:

قبل أن نبدي رأينا في هذا الموضوع، أُحبُّ أن أذكِّر القارىء الكريم بأن رسول الله ﷺ لمّا أراد أن يبعث معاذ بن جبل قاضياً إلى اليمن أجرى له امتحاناً قبل إرساله، فسأله:

«كيف تقضي إذا عرض لك قضاء؟

قال: أقضي بكتاب الله.

قال: فإن لم تجد؟

قال: **فبسنَّة رسول الله**.

قال: فإن لم تجد في سُنَّة رسول الله ولا في كتاب الله؟

قال: **اجتهد رأيي**، ولا آلو[1]. فضرب رسول الله ﷺ صدره، وقال: الحمد لله الذي وفَّق رسول رسول الله لما يرضي رسول الله»[2].

* . * . *

ومعنى ذلك أنه يتوجب على **العالِم والفقيه والمجتهد**، قبل أن يقول

---

(١) قوله: ولا آلو: معناه لا أقصِّر في الاجتهاد، ولا أترك بلوغ الوسع فيه.

(٢) سنن أبي داود ـ الجزء الرابع ـ كتاب الأقضية ـ باب اجتهاد الرأي في القضاء، حديث رقم ٣٥٩٢، [ص ١٨ ـ ١٩].

برأيه، أن يفتِّش عن الحكم في كتاب الله، فإن لم يجد، يلجأ إلى حديث رسول الله ﷺ، فإن لم يجد في كتاب الله، ولا في سُنَّة رسوله، يحاول الاجتهاد على ضوء القواعد العامة للشريعة الإسلامية.

الاجتهاد الفردي:

ويقول الإمام الشيخ محمود شلتوت رحمه الله:

«أمَّا الاجتهاد الفردي فإنَّه لا يكون حجّة ملزمة إلاّ لصاحبه. وأضاف:

والاجتهاد الفردي حقٌّ ثابت في الإسلام، لكلِّ مَن له أهليّة النظر والبحث، يستوي فيه الرجل والمرأة، والحاكم والمحكوم، وأرباب الوظائف الكبرى وغيرهم ممّن لا يشغلون وظيفة، وكما يستوون في ثبوت هذا الحقِّ لهم، يستوون في حقّ الخطأ، ولا يَعْرِفُ الإسلام عصمة أحد من الخطأ، إلاّ الرسول فيما يبلّغه عن ربِّه. أمّا فيما يجتهد فيه، فقد سبق أنَّه فيه عُرضه للخطأ...

ثم قال:

وإذا كان الرسول فيه عُرضة للخطأ، فإنّ غيره من أُمّته، مهما علا كعبه وقرُبت نسبته إليه، يكون ـ بالأولى ـ عُرضة للخطأ»[٣].

ونبادر إلى القول بأننا نشاطر الشيخ آدم عبد الله الألوري في أنَّ **التعريف التقليدي للنَّبيِّ والرسول ليس مستمدًّا من النّص.** لا من كتاب الله، ولا من سنّة رسول الله، ولا لصحابي من صحابة رسول الله.

ومن المعلوم أن قضايا الدِّين والعقيدة مصدرها القرآن الكريم أو الخبر

---

(٣) راجع كتاب (الإسلام عقيدة وشريعة) لمحمود شلتوت، [ص ٥٤٧]، دار الشروق ـ بيروت.

الصحيح المتواتر عن الرسول الكريم. فإذا كان لدينا تعريف من هذين المصدرين فعلى الرأس والعين. أمَّا إذا كان هذا التعريف لبعض العلماء، فهو اجتهاد قد يكون صحيحاً وقد يكون خطأ، وقد يكون نظرية ظنِّية لا حقيقة علمية، وإنَّ الظن لا يُغني من الحقّ شيئاً.

ويقول الشيخ عبد الله بن زيد آل محمود[٤]:

«أُحبُّ أن أُلفت النظر إلى هٰذا التعريف ـ للنَّبيِّ والرسول ـ الذي شاع على ألسنة العلماء والعوّام، **حتّى ألحقه بعضهم بعقائد الإسلام**، مع العلم أنَّ هذا التعريف لا أصل له، لا من القرآن الكريم ولا من السُّنّة الصحيحة المتواترة».

وأشار إلى العلاَّمة ابن كثير أحد الذين تكلموا بهذا التفريق بين النَّبيِّ والرسول في تفسيره على قوله سبحانه: ﴿ما كان محمدٌ أبا أحد من رجالكم، **ولكن رسول الله وخاتم النبيّين**﴾.

قال ابن كثير:

«. . . فهذه الآية نصّ في أنَّه **لا** نبيّ بعده، **فلا رسول بالطريق الأولى والأحرى**، لأن **مقام الرسالة أخصّ من مقام النبوَّة**، فإن كل رسول نبيّ ولا ينعكس» انتهى كلام ابن كثير.

ويضيف الشيخ عبد الله زيد آل محمود:

«وأوّل مَن رأيناه تكلَّم بهذا التفريق بين النَّبيِّ والرسول، هو الإمام النووي. فتلقّاه الناس عنه، **وهو إنما أخذه من الحديث الموضوع المنسوب إلى أبي ذر** في التفريق بين الأنبياء والرُّسل.

---

(٤) في رسالة «الإيمان بالأنبياء بجملتهم، وضعف حديث أبي ذر في عددهم».

ثم قال:

وليست هذه بأول غلطة دخلت في عقائد الناس، وتناقلوها من جرّاء سوء الأحاديث الموضوعة، التي عملت التأثير في الأمة، في إدخال البدع، وتغيير السُّنن، **إذ تأبى حكمة الله، وحكمة بعثه لأنبيائه أن يكون فيهم مَن أُوحي إليه بشرع ولم يؤمر بتبليغه»**.

وأضاف:

والحقّ أنَّ كلّ نبيٍّ ذكره الله في القرآن الكريم فإنَّه رسول، فلا فرق بين النَّبيِّ والرسول إلّا بمجرد الاسم، والمسمّى واحد، وهذا من تنوّع الاسم، كما نقول:

محمد رسول الله، ومحمد نبيٌّ الله.

والله عزَّ وجل خاطب محمداً بصفة **الرسالة** تارة، وبصفة **النبوّة** تارة أخرى، فقال:

﴿ يا أيُّها الرسول، بلّغ ما أُنزل إليك من ربِّك ﴾ [المائدة: ٦٧].

﴿ يا أيُّها النَّبيّ جاهد الكفّار والمنافقين ﴾ [التوبة: ٧٣].

والمعنى واحد.

ثم قال:

والنبيُّ مشتقٌّ من الإنباء أي أنّ الله أنبأه من وحيه بما شاء، كما قال تعالى: ﴿ قد نبّأنا الله من أخباركم ﴾ [التوبة: ٩٤]، ثم يقوم هو بإنباء ما أوحى الله إليه، كما يقول المحدِّث: أنبأنا فلان».

ثم ردّ على الذين استندوا في التفريق بين النبيّ والرسول من الآية الكريمة ﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي ﴾، بقولهم: فَعَطَفَ بالنبيِّ على الرسول بالواو المفيدة للمغايرة، فكأنّ النبيّ غير الرسول، فأجاب:

«إنّ مثل هذا يقع كثيراً في القرآن الكريم، وفي السُّنّة أيضاً. يُعطف بالشيء على الشيء، ويراد بالتالي نفس الأول كما في قوله تعالى:

﴿ إنَّ المسلمين والمسلمات، والمؤمنين والمؤمنات ﴾

[الأحزاب: ٣٥].

فغاير بينهما بواو العطف. ومعلوم أن المسلمين هم المؤمنون، والمؤمنين هم المسلمون، فلا يقال فلان مؤمن وليس بمسلم، ولا يقال فلان مسلم وليس بمؤمن، وإنما هو تنوّع اسم، والمسمّى واحد. كما في قوله تعالى:

﴿ فأخرجنا مَن كان فيها من **المؤمنين**، فما وجدنا فيها غير بيتٍ من **المسلمين** ﴾.

ونظير ذلك قوله تعالى:

﴿ مَن كان عدوّاً لله وملائكته ورُسُله وجبريل وميكال، فإنّ الله عدوٌّ للكافرين ﴾ [البقرة: ٩٨].

فعطف بجبريل وميكال على الملائكة، وهما منهم.

والنبيّ ﷺ يقول:

«فادعوا بدعوى الله الذي سمّاكم المسلمين **المؤمنين** عباد الله»[1].

* .* .*

أما ردُّنا على مَن استند إلى حديث أبي ذر الطويل الذي يفرِّق بين الأنبياء والرُّسل، فسنردّ عليهم بعد استعراض أدلة الذين يقولون بنبوّة آدم ورسالته فيما بعد.

* .* .*

---

(١) راجع رسالة الإيمان بالأنبياء بجملتهم، وضعف حديث أبي ذر في عددهم للشيخ عبد الله بن زيد آل محمود.

.. نعود الآن للتأكيد أنه ليس في كتاب الله عزّ وجل أيّ فرق بين النَّبيِّ والرسول، بل فيه تأكيد أنّ النبيَّ هو الرسول، والرسول هو النَّبيّ.. والدليل على ذلك أنَّ الله خاطبهم تارة **بالنُّبوَّة**... وتارة **بالرسالة**.

فهذا **إبراهيم عليه السلام** يتحدّث عنه القرآن الكريم بصفة النُّبوّة في سورة مريم:

﴿ واذكـر في الكتاب **إبـراهيم**، إنَّه كـان صدِّيقـاً نبيّـاً ﴾ [سـورة مريم: ٤١].

ثم تحدّث عنه في سورة الحديد **بالرسالة**:

﴿ ولقد **أرسلنا** نوحاً **وإبراهيم**، وجعلنا في ذرِّيتهما النبوَّة والكتاب ﴾ [الحديد: ٢٦].

وهذا **عيسى عليه السلام** يشير إليه **بالنُّبوَّة** حيناً، **وبالرسالة** حيناً آخر:

ففي سورة مريم:

﴿ قال: إنِّي عبد الله، آتانِيَ الكتابَ، **وجعلني نبيّاً**، وجعلني مباركاً أينما كنت، وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دُمت حيّاً ﴾ [مريم: ٣٠ ـ ٣١].

وفي سورة آل عمران:

﴿ ويعلِّمه الكتاب والحكمـة والتوراة والإنجيـل، **ورسولاً إلى بني إسرائيل** ﴾ [آل عمران: ٤٨ ـ ٤٩].

وهذا هارون عليه السلام يذكره القرآن تارة **بوصف النبوّة** وتارة أخرى **بوصف الرسالة**، ففي سورة مريم:

﴿ ووهبنا له من رحمتنا أخاه **هارون نبيّاً** ﴾ [مريم: ٥٣].

وفي سورة طه يشير إليه **بصفة الرسالة**:

﴿ اذهبا إلى فرعون إنَّه طغى، فقولا له قولاً ليِّناً لعلَّه يتـذكرُ أو

يخشى. قالا: ربَّنا إننا نخاف أن يَفْرُطَ علينا أو أن يطغى. قال: لا تخافا، إنني معكما أسمع وأرى. فأْتياه فقولا: **إنَّا رسولا ربِّك**، فأرسل معنا بني إسرائيل ولا تعذِّبهم، قد جئناك بآية من ربِّك، والسلام على مَن اتَّبع الهدى ﴾ [طه: ٤٣ ـ ٤٧].

وفي سورة الشعراء:

﴿ فأْتيا فرعون فقولا: **إنّا رسولُ ربِّ العالمين**. أن أرسل معنا بني إسرائيل ﴾ [الشعراء: ١٦ ـ ١٧].

وهذا محمد ﷺ يخاطبه ربّ العالمين تارة **بالنُّبوَّة**.. وتارة **بالرسالة**:

﴿ **يا أيها النبيُّ** حرِّض المؤمنين على القتال ﴾ [الأنفال: ٦٤].

﴿ **يا أيها النبيُّ** حَسْبُكَ الله وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ المؤمنين ﴾ [الأنفال: ٦٥].

﴿ **يا أيها النبيُّ** قل لمَن في أيديكم من الأسرى إن يعلم الله في قلوبكم خيراً، يُؤتِكم خيراً مما أُخذ منكم، ويغفر لكم، والله غفور رحيم ﴾ [الأنفال: ٧٠].

﴿ **يا أيها النبيُّ** جاهِدِ الكفَّارَ والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنَّم وبئس المصير ﴾ [التوبة: ٧٣].

﴿ **يا أيها النبيُّ** اتَّقِ الله، ولا تُطِعِ الكافرين والمنافقين، إنَّ الله كان عليماً حكيماً ﴾ [الأحزاب: ١].

﴿ **يا أيها النبيُّ** قل لأزواجك إن كنتنّ تُرِدْنَ الحياة الدّنيا وزينتها، فتعالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وأُسَرِّحْكُنَّ سراحاً جميلاً ﴾ [الأحزاب: ٢٨].

﴿ **يا أيُّها النبيُّ** إنّا أحللنا لك أزواجك اللاّتي آتيتهنّ أُجورهنّ ﴾ [الأحزاب: ٥٠].

﴿ **يا أيُّها النَّبيُّ** قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهنّ من

جلابيبهنّ، ذلك أدنى أن يُعرفن فلا يُؤْذَيْن، وكان الله غفوراً رحيماً ﴾ [الأحزاب: ٥٩].

﴿ **يا أيُّها النبيُّ** لِمَ تحرِّمُ ما أحلّ الله لك، تبتغي مرضات أزواجك، والله غفور رحيم ﴾ [التحريم: ١].

﴿ **يا أيُّها النبيُّ إذا جاءك المؤمنات يبايعنك** على أن لا يشركن بالله شيئاً، ولا يَسْرِقْنَ، ولا يَزْنِينَ، ولا يقتلن أولادهنّ، ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهنّ وأرجلهنّ، **ولا يعصينّك في معروف، فبايعهنّ**، واستغفر لهنّ الله، إنَّ الله غفور رحيم ﴾ [الممتحنة: ١٢].

﴿ **يا أيُّها النبيّ** إذا طلَّقتم النساء، فطلِّقوهنَّ لعدَّتهنّ، وأحْصُوا العِدَّة، واتَّقوا الله ربَّكم، لا تُخْرِجُوهنَّ من بيوتهنّ، ولا يَخْرُجْنَ إلّا أن يأتين بفاحشة مبيِّنة، وتلك حدود الله، ومَن يتعدَّ حدود الله فقد ظلم نفسه، لا تدري لعلّ الله يُحدِثُ بعد ذلك أمراً ﴾ [الطلاق: ١].

﴿ **يا أيُّها النبيُّ** إنَّا أرسلناك شاهداً، ومبشِّراً، ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً ﴾ [الأحزاب: ٤٥ ـ ٤٦].

ثم خاطبه سبحانه بوصف الرسالة قائلاً:

﴿ **يا أيُّها الرسول** بلِّغ ما أُنزل إليك من ربِّك، وإن لم تفعل فما بلَّغت رسالته، والله يعصمك من الناس، إنَّ الله لا يهدي القوم الكافرين ﴾ [المائدة: ٦٧].

﴿ **يا أيُّها الرسول** لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر، من الذين قالوا: آمنَّا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم ﴾.

ثم جمع الله له **بين النُّبوَّة والرسالة في سورة الأحزاب:**

﴿ **ما كان محمد أبا أحد من رجالكم، ولكن رسول الله، وخاتم النبيّين**، وكان الله بكل شيء عليماً ﴾.

* * *

وأكثر العلماء الذين فرّقوا بين النبيّ والرسول قالوا:

النبيُّ: هو مَن أُوحي إليه بشرع، ولم يؤمر بتبليغه.

والرسول: هو مَن أُوحي إليه بشرع، **وأُمر بتبليغه**.

أي إن الرسول والنبيّ يشتركان في الوحي، ولكن الرسول يزيد **على** النبيّ **بالإرسال والبلاغ**.

ولو أنهم قرأوا القرآن الكريم جيداً وفهموه لما وقعوا في هذا الخطأ الكبير.

فالقرآن الكريم **في آية واحدة** من آياته البيِّنات يقرِّر للأنبياء: **الإرسال والبلاغ**.

ففي سورة البقرة:

﴿كان الناس أُمَّة واحدة.. **فبعث الله النَّبيِّين مبشِّرين ومنذرين**، وأنزل معهم الكتاب بالحقّ ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه﴾.

وإذا كانت مهمة الرُّسل: ﴿**رُسُلاً** مبشّرين ومنذرين﴾.

وإذا كانت مهمة النبيّين: ﴿**فبعث الله النبيّين** مبشّرين ومنذرين﴾.

فأين الفرق بين الأنبياء والرُّسل؟

فَوَصَفَ الله سبحانه الرُّسل بالتبشير والإنذار كما وَصَفَ الأنبياء على حدٍّ سواء، وبذلك يتبين عدم صحة تعريف:

«**النبيّ**: بأنه مَن أُوحي إليه بشرع، **ولم يؤمر بتبليغه**».

وإذا كان المسلم العادي مكلَّف بتبليغ رسالة الإسلام إلى مَن يستطيع إبلاغهم، لأنَّ رسول الله ﷺ وضع أمانة البلاغ في عُنُق أُمَّته في خطبته في حجَّة الوداع حيث قال:

«ألا فليبلِّغ الشاهد منكم الغائب، اللّهمّ هل بلّغت، اللّهمّ فاشهد.

والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿ولتكُن منكم أُمَّة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون﴾ [سورة آل عمران: الآية ١٠٤]. والأمة المسلمة ما استحقّت وصف خير أُمَّةٍ أُخرجت للناس، إلّا على أساس: ﴿تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر﴾ [سورة آل عمران: الآية ١١٠].

وأُمَّة الإسلام لم تكن أول أُمَّة كُلِّفت بالبلاغ، بل إنَّ الأمم السابقة سبقتها بالدعوة والبلاغ: ﴿وَمِمَّن خَلَقْنَا أُمَّةٌ يهدون بالحقِّ وبه يعدلون﴾ [سورة الأعراف: الآية ١٨١]. ﴿وَمِن قومِ مُوسَى أُمَّةٌ يهدون بالحقِّ وبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ [سورة الأعراف: الآية ١٥٩]. فهل يعقل أن تكون مكانة الأنبياء أقل مرتبة من مكانة العلماء؟ «والله عزّ وجلّ تأبى حكمته أن يُوحي إلى نبيّ من الأنبياء بشرع من الأمر والنهي، والفرائض والأحكام، وأُمور الحلال والحرام، ثم لا يأمره بتبليغها، وما الفائدة من هذا النبيّ وهذا الشرع الذي أُوحي إليه إن لم يبلّغه إلى الناس. إن هذا لا يكون أبداً، وليس هو من سنّة الله ولا من شرعه، ويجب تنزيه الأنبياء عن الاتّصاف به والله عزّ وجل يقول: ﴿وإذ أخذ الله ميثاق الذين أُوتوا الكتاب لتبيِّنُنَّه للناس ولا تكتمونه﴾ [سورة آل عمران: الآية ١٨٧]. والأنبياء هم رؤوس مَن أُوتوا الكتاب، وأُخذ عليهم الميثاق في بيان ما نزّل إليهم من ربهم، فهم لا يكتمون الله حديثاً»(*).

وللدلالة على أن مهمة الأنبياء هي البلاغ، وأن من سنّة الحياة أن يقاوم الظالمون دعوات الخير، تكذيباً واستهزاء وتحدِّياً وتهديداً، عند ذلك يضطر النبيّ الذي قام بتبليغ الرسالة، يضطر هو والذين آمنوا معه إلى مقاومة الظالمين كما قال تعالى: ﴿وكأيِّن من نبيٍّ قاتَلَ مَعَهُ ربِّيُّون كثيرٌ، فما وَهَنُوا

(*) راجع رسالة (الإيمان بالأنبياء بجملتهم)، لعبد الله بن زيد آل محمود.

لِمَا أصابهم في سبيل الله ،وما ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا واللهُ يُحِبُّ الصابرين * وما كان قولهم إلا أن قالوا: ربّنا اغْفِر لَنَا ذُنُوبَنَا وإسْرافَنَا في أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين * فآتاهم الله ثوابَ الدُّنيا وَحُسْنَ ثوابِ الآخرة والله يُحِبُّ المحسنين ﴾ [سورة آل عمران: الآيات ١٤٦ ـ ١٤٨].

وصدق الله عزّ وجل:

﴿ والعصـر * إن الإنســان لفي خُســر * إلّا الـذين آمنـوا وعمِلوا الصالحات * وتواصوا بالحق * وتواصوا بالصبر ﴾.

وإذا كان القرآن الكريم يشير إلى أن **الأنبياء** كانوا يقابَلُونَ بالاستهزاء من أقوامهم كما **يقابل الرُّسل** سواء بسواء، فأين الفرق بين النبيِّ والرسول؟

وهذا وصف القرآن الكريم لاستقبال دعوة الأنبياء:

﴿ وكم أرسلنا من نبيٍّ في الأوَّلين. . . وما يأْتيهم من نبيٍّ إلّا كانوا به يستهزؤون ﴾ [الزخرف: ٦ ـ ٧].

يقابله وصف القرآن الكريم لاستقبال دعوة الرُّسل:

﴿ ولقد أرسلنا من قبلك في شِيَعِ الأوَّلين. . وما يأْتيهم **من رسول إلا كانوا به يستهزؤون** ﴾ [الحجر: ١٠ ـ ١١]

ولولا أنَّ النَّبي قام بواجب الدعوة، لما تلقَّى الاستهزاء من قومه.

بل إنَّ القرآن الكريم يقرِّر **وجود الأعداء لكلِّ نبيٍّ من شياطين الإنس والجنّ ومن المجرمين:**

﴿ **وكذلك جعلنا لكل نبيٍّ** عدوّاً **شياطين الإنس** والجن، يوحي بعضهم إلى بعضٍ زُخْرُفَ القول غُرُوراً ﴾ [الأنعام: ١٢٢].

وفي سورة الفرقان:

﴿ وكذلك جعلنا **لكل نبيٍّ** عدوّاً من المجرمين، وكفى بربِّك هادياً ونصيراً ﴾ [الفرقان: ٣١].

والقرآن الكريم يستعمل أحياناً كلمة **الرُّسل** وأحياناً كلمة **النبيّين**:

﴿ **تلك الرُّسُلُ** فَضّلْنَا بعضهم على بعضٍ ﴾

[سورة البقرة: الآية ٢٥٣].

﴿ ولقد فَضَّلنا بعض **النَّبِيِّين** على بعض ﴾

[سورة الإسراء: الآيـة ٥٥].

ويؤكد ذلك وصف القرآن الكريم لبني إسرائيل أحياناً **بقتل النبيِّين**، وأحياناً **بقتل الرُّسل**:

﴿ ذلك بأنَّهم كانوا يكفرون بآياتِ اللهِ **ويقتلون النَّبيِّين** بغير حقّ، ذٰلِكَ بما عَصَوْا وكانوا يعتدون ﴾ [سورة البقرة: الآية ٦١].

﴿ أفكلَّما جاءكم رسولٌ بما لا تهوى أنْفُسُكُم استكبرتم، ففـريقاً كذَّبتم، **وفريقاً تقتلون** ﴾ [سورة البقرة: الآية ٨٧].

ودليل آخر أشار إليه القرآن الكريم تارة ببعث أو **بإرسال الرُّسل**، وتارةً ببعث أو **بإرسال الأنبياء**:

﴿ كان الناس أُمَّة واحدةً، **فبعث** الله **النَّبيِّين** مبشِّرين ومنذرين ﴾

[سورة البقرة: الآية ٢١٣].

﴿ ولقد **بعثنا في** كُلِّ أُمَّةٍ **رسولاً** أنِ اعْبُدُوا الله واجتنبوا الطاغوت ﴾

[سورة النحل: الآية ٣٦].

﴿ وما **أرسلنا** قبلك من **رسول** إلاّ نُوحي إليه أنَّه لا إلٰـه إلاّ أنا فاعبدونِ ﴾ [سورة الأنبياء: الآية ٢٥]

﴿ وما **أرسلنا في** قريةٍ من **نبيٍّ** إلا أخذنا أهلها بالبأساء والضَّرَّاء لعلَّهم يضَّرَّعون ﴾ [سورة الأعراف: الآية ٩٤].

﴿ وإذْ أَخَذَ اللهُ ميثاقَ **النبيِّين** لَمَا آتَيتُكُم مِن كتاب وحكمةٍ، ثُمَّ جاءكم

رسولٌ مصدِّق لِمَا معكم لتؤمننَّ به وَلَتَنْصُرُنَّه ﴾

[سورة آل عمران: الآية ٨١].

﴿ وإذ أخذنا من النبيِّين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى بن مريم وأخذنا منهم ميثاقاً غليظاً * لِيَسْأَلَ الصادقين عن صدقهم، وأَعَدَّ للكافرين عذاباً أليماً ﴾ [سورة الأحزاب: الآية ٧].

ومن المعلوم أنَّ الرسول ﷺ ونوحاً وإبراهيم وموسى وعيسى هم رُسُلٌ وليسوا فقط أنبياء.

*. *. *

أما جوابنا على مَن احتجّ بالتفريق بين النَّبيّ والرسول من آية الحج ﴿ وما أرسلنا من قبلك من نبيٍّ ولا رسول ﴾ بقوله: «ولو كانا شيئاً واحداً لما حَسُنَ تكرارهما في الكلام البليغ» بأن القرآن الكريم استعمل كلمة النبوّة بعد الرسالة. . وإذا كان وصف الرسول يشمل النبوَّة، ووصف النبوَّة لا يشمل الرسالة فلا ضرورة أن يصف القرآن الكريم الرسول بالنبوّة، ما دامت الرسالة تشمل النبوّة وليس العكس. ففي سورة الأعراف:

﴿ ورحمتي وسِعت كُلَّ شيء، فسأكتبها للذين يتّقون، ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون * الذين يتَّبعون الرسول النبيَّ الأُميّ الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل، يأمرهم بالمعروف، وينهاهم عن المنكر ﴾ [١٥٦ - ١٥٧].

ثم يقول في آية أخرى:

﴿ فآمنوا بالله ورسوله النبيِّ الأميِّ الذي يؤمن بالله وكلماته، واتَّبعوه لعلّكم تهتدون ﴾ [١٥٨].

وكذلك وصف موسى عليه السلام بالنبوّة بعد الرسالة في سورة مريم:

﴿ واذكر في الكتاب موسى، إنّه كان مخلصاً وكان رسولاً نبيّاً ﴾ [مريم: ٥١].

كما وصف إسماعيل عليه السلام:

﴿ **واذكر في الكتاب إسماعيل**، إنّه كان صادق الوعد، **وكان رسولاً نبيّاً** ﴾ [مريم: ٥٤].

فهل يصحّ بعد ذلك أن نقول:

«ولو كانا شيئاً واحداً لما حَسُنَ تكرارهما في الكلام البليغ؟!».

* * *

وأخيراً ذكر القرآن الكريم إيمان المؤمنين **تارةً بالنَّبيّين**.. **وتارة بالرُّسل**:

﴿ ليس البرّ أن تولُّوا وجوهكم قِبَلَ المشرق والمغرب، ولكن البرّ **مَن آمن** بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب **والنَّبيين** ﴾ [البقرة: ١٧٧].

﴿ آمن الرسول بما أُنزل إليه من ربِّه والمؤمنون، كلٌّ **آمن بالله** وملائكته وكتبه، **ورُسُله، لا نفرِّق بين أحد من رُسُله**، وقالوا سمعنا وأطعنا، غفرانك ربَّنا وإليك المصير ﴾.

النبوّة والرسالة في السُّنَّة النبوية الصحيحة

١ - النبيّ هو الرسول في حديث الرسول.
٢ - النبيُّ يبلِّغ الرسالة.
٣ - النبيُّ صاحب كتاب أو معجزة.
٤ - النبوَّة والرسالة في الكتاب والسنّة.
٥ - لكل نبيٍّ حواري.
٦ - أحاديث عن الأنبياء.
٧ - النبيّ هو الرسول.. ومحمد ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين.

النبيّ هو الرسول في حديث الرسول

الحديث الأول:

عن أبي أُمامة قال عكرمة ـ وقد لقي شدّاد أبا أُمامة وواثلة، وصحب أنساً إلى الشام وأثنى عليه فضلاً وخيراً عن أبي أمامة قال: قال عمرو بن عبسة السُّلمي: كنتُ وأنا في الجاهلية أظنُّ أنَّ الناس على ضلالة، وأنهم ليسوا على شيء وهم يعبدون الأوثان، فسمعت برجل بمكة يُخبر أخباراً، فقعدتُ على راحلتي فقدِمت عليه، فإذا برسول الله ﷺ مستخفياً جُرَءَاءُ عليه قومُهُ، فتلطفتُ حتى دخلت عليه بمكة، فقلت له: ما أنتَ؟

قال: أنا نبيّ.

فقلت: وما نبيّ؟

قال: أرسلني الله.

فقلت: وبأيّ شيء أرسلك؟

قال: أرسلني بصلة الأرحام وكسر الأوثان، وأن يوحّد الله لا يُشرَكُ به شيء.

قلت له: فمَن معك على هذا؟

قال: حُرٌّ وعبدٌ (قال: ومعه يومئذ أبو بكر وبلال ممن آمن به).

فقلت: إني متّبِعُكَ.

قال: إنك لا تستطيع ذلك يَوْمَكَ هذا، ألا ترى حالي وحَالَ النَّاسِ،

ولكن ارجع إلى أهلك، فإذا سمعت بي قد ظَهَرْتُ فأتني.

قال: فذهبتُ إلى أهلي، وقدِمَ رسول الله ﷺ المدينة وكنت في أهلي، فجعلت أتخبَّرُ الأخبار، وأسأل الناس حين قدِمَ المدينة حتى قدِمَ عليَّ نفر من أهل يثرب من أهل المدينة، فقلت: ما فعل هذا الرجل الذي قَدِمَ المدينة؟

فقالوا: الناسُ إليه سِراعٌ، وقد أراد قومُهُ قَتْلَهُ، فلم يستطيعوا ذلك، فقدِمت المدينة فدخلت عليه، فقلت: يا رسول الله: أتعرفني؟

قال: نعم، أنت الذي لقيتني بمكة.

قال: قلت: بلى،

[فقلت يا نبيَّ الله: أخبرني عمّا علَّمك الله،وأجهَلُهُ، أخبرني عن الصلاة.

قال: صلِّ صلاة الصبح ثم أقصِر عن الصلاة حتى تطلُع الشمسُ حتى ترتفع، فإنها تطلُعُ حين تطلع بين قرني شيطان، وحينئذ يسجد لها الكفّار، ثم صلِّ فإن الصلاة مشهودة محضورة حتى يستقِلَّ الظِلُّ بالرُّمح، ثم أقصِرْ عن الصلاة فإن حينئذ تُسجرُ جهنَّم، فإذا أقبل الفيءُ فصلِّ، فإن الصلاة مشهودةٌ محضورة حتى تصلِّيَ العصر، ثم أقصر عن الصلاة حتّى تغرُبَ الشمسُ فإنها تغرُبُ بين قرني شيطان، وحينئذ يسجد لها الكفَّار.

قال: **فقلت يا نبيّ الله فالوضوء حدِّثني عنه؟**

قال: ما منكم رجل يقرِّب وضوءه فيتمضمض ويستنشق فينتثر إلا خرّت خطايا وجهه وفيه خياشيمه، ثم إذا غسل وجهه كما أمره الله إلا خرّت خطايا وجهه من أطراف لحيته مع الماء، ثم يغسل يديه إلى المرفقين إلا خرّت خطايا يديه من أنامله مع الماء، ثم يمسح رأسه إلاّ خرّت خطايا رأسه من أطراف شعره مع الماء، ثم يغسل قدميه إلى الكعبين إلاّ خرّت خطايا رجليه من أنامله مع الماء، فإن هو قام فصلّى فحمد الله

وأثنى عليه ومجّده بالذي هو أهل له وفرّغ قلبه لله إلاّ انصرف من خطيئته كهيئته يوم ولدته أمُّه][*] .

النبيّ يبلّغ الرسالـــة

الحديث الثاني:

عن عبد الرحمن بن عبد ربِّ الكعبة، قال[1]:

دخلت المسجد، فإذا عبد الله بنُ عمرو بنِ العاص جالسٌ في ظِلّ الكعبة والناس مجتمعون عليه، فأتيتهم فجلست إليه، فقال:

كُنَّا مع رسول الله ﷺ في سفر، فنزلنا منزلاً، فمنّا مَن يُصلح خباءه، ومنّا مَن ينتضل[2]، ومِنّا مَن هو في جشره[3] إذ نادى منادي رسولِ الله ﷺ **الصلاة جامعة**، فاجتمعنا إلى رسول الله ﷺ فقال.

«إنَّه لم يكن نبيٌّ قبلي إلاّ كان حقّاً عليه أن يَدُلَّ أُمَّتَهُ على خير ما يعلمُهُ لهم وينذرهم شرَّ ما يعلمُهُ لهم، وإن أُمَّتَكُم هذه جعل عافيتها في أوَّلِها، وسيصيب آخِرَهَا بلاءٌ وأمورٌ تُنكرونها، وتجيءُ فتنةٌ فيرقِقُّ بعضُها بعضاً[4] وتجيء الفتنة فيقول المؤمن: هذه مهلكتي، ثم تنكشف، وتجيء الفتنة فيقول المؤمن هذه هذه،

(*) رواه الإمام مسلم في صحيحه: جـ ٢ ص ٢٠٨ ـ ٢٠٩ ـ باب إسلام عمرو بن عبسة.

(١) صحيح مسلم ـ الجزء السادس ـ باب الأمر بالوفـــاء وببيعة الخلفاء، الأول فالأول، [ص ١٨]. منشورات دار الآفاق ـ دار الجيل ـ بيروت.

(٢) من المناضلة، وهي المراماة بالنشاب.

(٣) أي مع دوابه، وأصل الجشر: الدواب ترعى في مكان، ولا ترجـع إلى البيوت مساءً، تبيت حيث ترعى.

(٤) أي يصير بعضها بعضاً، أي خفيفاً لعظم ما بعده، فالثاني يجعل الأول رقيقاً. .

فمَن أحبَّ أن يزحزح عن النار ويدخُلَ الجنّة فلتأْته منيَّتُهُ وهو يؤمن بالله واليوم الآخر، وليأْت إلى الناس الذي يحبُّ أن يُؤتى إليه.

ومَن بايع إماماً فأعطاه صفقة يده وثمرة قلبه فليطعه إن استطاع، فإن جاء آخر ينازعُهُ فاضربوا عُنُقَ الآخرِ».

النبيّ صاحب كتاب أو معجزة

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبيّ ﷺ:

«ما من الأنبياء نبيٌّ إلاّ أُعطي ما مِثْلُهُ آمن عليه البشر،

وإنما كان الذي أُوتيته وحياً أوحاه الله إليَّ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابِعاً يوم القيامة» (متفق عليه).

النبوَّة والرسالة في الكتاب والسُّنَّة

يقول الله سبحانه في سورة الحديد:

﴿ ولقد أرسلنا نوحاً وإبراهيم، وجعلنا في ذرِّيتهما النُّبوَّة والكتاب،

فمنهم مهتدٍ، وكثيرٌ منهم فاسقون.

ثم قفَّينا على آثارهم بِرُسُلِنَا،

وقفَّينا بعيسى بن مريم البيِّنات، وآتيناه الإنجيل﴾

[الحديد: ٢٦ ـ ٢٧].

وفي سورة البقرة:

﴿ ولقد آتينا موسى الكتاب، **وقفَّينا من بعده بالرُّسل**،وآتينا عيسى بن مريم البيِّنات، وأيَّدناه بروح القدس، أفكلّما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقاً **كذَّبكم**، وفريقاً **تقتلون**﴾ [البقرة: آية ٨٧].

وفي **سورة المائدة: ٤٤ ـ ٤٧**:

﴿ إنّا أنزلنا التوراة **فيها هدىً ونور**،

يحكم بها **النبيُّون** الذين أسلموا للذين هادوا، والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء، فلا تخشوُا الناس واخشون، ولا تشتروا بآياتي ثمناً قليلاً ، **ومَن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون*** وكتبنا عليهم فيها: أنَّ النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأُذن بالأُذن والسِنَّ بالسِّنِّ، والجروح قصاص، فمَن تصدّق به فهو كفّارة له **ومَن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون** *

وقفّينا على آثارهم بعيسى بن مريم مصدِّقاً لما بين يديه من التوراة، وآتيناه الإنجيل **فيه هدىً ونورومصدِّقاً** لما بين يديه من التوراة وهدىً وموعظة للمتّقين* وليحكم أهل الإنجيل بماأنزل الله فيه، **ومَن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون***.

وعن أبي حازم قال:

«قاعدت أبا هريرة خمس سنين، فسمعته يحدِّث عن النبي ﷺ قال:

(كانت بنو إسرائيل **تسوسهم الأنبياء، كلما هلك نبيٌّ خَلفه نبيّ**، وأنَّه لا نبيّ بعدي، وستكون خلفاء فتكثر،

قالوا: فما تأمرنا؟

قال: فوا ببيعة الأول فالأول، واعطوهم حقَّهم، فإن الله سائِلهم عمّا استرعاهم) (رواه مسلم).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

«قاتل الله اليهود، اتخذوا قبور **أنبيائهم** مساجد» (متفق عليه).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال:

«سئل رسول الله ﷺ أيُّ الناس أكرم؟

قال: أكرمهم عند الله أتقاهم.

قالوا: ليس عن هذا نسألك.

قال: **فأكرم** الناس يوسف **نبيُّ الله ابنُ نبيِّ الله، ابنِ نبيِّ الله،** ابن **خليل الله»** (رواه البخاري في كتاب التفسير).

لكل نبيٍّ حــواري

عن عبد **الله** بن مسعود أن رسول الله ﷺ قال:

«ما من نبيٍّ بعثه الله في أُمَّةٍ قبلي، إلّا كان له من أُمّته حواريون وأصحاب، يأخذون بسنَّته، ويقتدون بأمره، ثم إنَّها تَخْلُفُ من بعدهم **خُلُوف،** يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون. فمَن جاهدهم بيده **فهو مؤمن،** ومَن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومَن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن. **وليس وراء ذلك من الإيمان حبَّة خردل»**.

[صحيح مسلم ـ الجزء الأول ـ باب كون النهي عن المنكر من **الإيمان** ـ ص ٥٠ ـ ٥١].

وعن جابر بن عبد الله قال: قال النبيّ ﷺ:

«إن لكلِّ **نبيٍّ حواريّاً،** وحواريَّ الزبير» (متفق عليه).

أحاديث عن الأنبيــاء

عن جابـر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ:

«أُعطيت خمساً لم يعطهنّ أحد من **الأنبياء** قبلي:

١ ـ **نصرت** بالرعب مسيرة شهر.

٢ ـ **وجُعِلت** لي الأرض مسجداً وطهوراً، فأيُّـما رجل من أمَّتي أدركته **الصلاة، فليصلِّ.**

٣ ـ **وأُحِلَّت** لي الغنائم.

٤ ـ وكان النبيّ يبعث إلى قومه خاصّة، وبعثت إلى الناس كافَّة.

٥ ـ وأُعطيت الشفاعة» (متفق عليه).

عن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:
«ثلاثة لهم أجران، رجل من أهل الكتاب آمن بنبيِّه وآمن بمحمد،
والعبد المملوك إذا أدّى حقَّ الله وحقَّ مواليه،
ورجل كانت عنده أمَةٌ فأدّبها فأحسن تأديبها، وعلَّمها فأحسن تعليمها،
ثم أعتقها فتزوّجها، فله أجران» (متفق عليه).

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: خرج علينا النبيُّ ﷺ يوماً فقال:
عرضت عليَّ الأمم، فجعل يمرُّ النبيُّ معه الرجل، والنبيُّ معه
الرجلان، والنبيُّ مع الرهط، والنبيُّ ليس معه أحد» (متفق عليه).

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال:
«كأني أنظر إلى النبيّ ﷺ يحكي نبيّاً من الأنبياء، ضربه قومه فأدمَوْهُ،
وهو يمسح الدَّم عن وجهه، ويقول: اللّهمّ اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون»
(متفق عليه).

النبيُّ هو الرسول:
ومحمد خاتم الأنبياء والمرسلين

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

[مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بنياناً فأحسنه وأجمله إلاّ
موضع لبنة، - من زاوية من زواياه - فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له
ويقولون: هلاّ وُضعت هذه اللّبنة، قال: فأنا اللّبنة، وأنا خاتم النبيّين]

[رواه مسلم - باب ذكر كونه ﷺ خاتم النبيّين - الجزء السابع -
ص ٦٤ - ٦٥].

الفصـل الثاني

نبـوّة آدم ورسالته بين الظن واليقيــن

***

آراء العلماء القائلين بنبوّة آدم عليه السلام
ظنيـاً أو ترجيحاً أو يقينـاً

***   ***

ملخص آراء العلماء حول نبوة آدم
مع بعض الملاحظـــات

□.□.□.□

آراء العلماء القائلين بنبوة آدم ظنِّياً أو ترجيحاً أو يقيناً

اسم العالـــم	اسم الكتاب أو المرجع
١ ـ الشيخ عبد الوهاب النّجار	قصص الأنبياء
٢ ـ الإمام ابن حزم	الإحكام في أصول الأحكام
٣ ـ الإمام الماوردي	أعلام النبوّة
٤ ـ الإمام ابن كثير	قصص الأنبياء
٥ ـ الإمام النيسابوري الثعلبي	قصص الأنبياء (عرائس المجالس)
٦ ـ السيد نعمة الله الجزائري	النور المبين في قصص الأنبياء والمرسلين
٧ ـ السيد أحمد الصباحي	حياة وأخلاق الأنبياء
٨ ـ الشيخ عبد الله بن زيد آل محمود	الإيمان بالأنبياء بجملتهم
٩ ـ الدكتورة بنت الشاطىء	مقال (القرآن والتاريخ)
١٠ ـ آدم عبد الله الآلوري	فلسفة النبوّة والأنبياء في ضوء القرآن والسُنّة
١١ ـ عبد الرحمن حسن حبنكة	العقيدة الإسلامية وأُسسها
١٢ ـ الشيخ محمد علي الصابوني	النبوّة والأنبياء
١٣ ـ عبد السلام محمد بدوي	من أنباء الرُّسل
١٤ ـ الشيخ علي الطنطاوي	تعريف عام بدين الإسلام

اسم العالم	اسم الكتاب أو المرجع
١٥ ـ أبو بكر جابر الجزائري	عقيدة المؤمن
١٦ ـ السيد سابق	العقائد الإسلامية
١٧ ـ عفيف عبد الفتاح طبارة	مع الأنبياء في القرآن الكريم
١٨ ـ محمد خليل رفاعي	عقيدة المسلم من القرآن والسُّنَّة
١٩ ـ الشيخ عبد الله الحبشي	الصراط المستقيم
١٠ ـ الدكتور صبحي الصالح	حديث في (الرسالة الإسلامية)
٢١ ـ الشيخ حسن خالد	(فتوى رقم ٨٥٩/ ٨٨)
٢٢ ـ الشيخ محمد كنعان	(مقال بمجلة الفكر الإسلامي)
٢٣ ـ الشيخ نزار الحلبي	(مقال بمجلة الفكر الإسلامي)
٢٤ ـ الشيخ أحمد العجوز	مناهج الشريعة الإسلامية
٢٥ ـ الدكتور محمد خضر	الهداية الإسلامية
٢٦ ـ المقاصد الخيرية الإسلامية	المبادىء الإسلامية[الأصدقاء الأربعة]
٢٧ ـ جمعية التعليم الديني الإسلامي	الإسلام رسالتنا
٢٨ ـ الشيخ عبد الله العلايلي	[مجلة الشراع اللبنانية]

١ - رأي الشيخ عبد الوهاب النجار:

في كتابــه [قصص الأنبياء] [1] عن نبوَّة آدم ورسالته:

جاء في مقدمة الطبعة الثالثة من كتاب المؤلف:

وليعلم القارىء الكريم أنِّي حين شرعت في كتابي «قصص الأنبياء» كانت ماثلة أمامي **قواعد** سِرْتُ على ضوئها. وإن كانت غير منصوصة كلها في مقدِّمة الطبعة الأولى من هذا الكتاب، وإنما تركتها على ذهن القارىء، **وكلها يكاد يكون معلوماً من الدين بالضرورة.**

١ - **أنَّ العقل رُكْنُ المعتقدات الأول:** فما أوجبه كان واجباً. وما أجازه كان جائزاً.

٢ - أنَّ الخبر الوارد عن المعصوم إذا كان **قطعيّ الثبوت والدلالة،** فهو حُجّة قاطعة على ما تضمَّنه، وذلك يشتمل شيئين: **الكتاب الكريم، والخبر المتواتر.**

٣ - إذا عارض الخبرُ العقلَ، وَجَبَ تأويلُ الخبر بما يُزيـل هذا التعارض.

٤ - **الخبر إذا كان رُواته آحاداً، فلا يصلح أن يكون دليلاً على ثبوت**

---

(١) قصص الأنبياء - عبد الوهاب النجار - الطبعة الثالثة - دار إحياء التراث العربي - بيروت.

الأُمور الاعتقادية؛ لأنَّ الأمور الاعتقادية الغرض منها القطع، والخبر الظنّي الثبوت أو الدلالة لا يفيد القَطْع.

٥ ـ ما نُقِلَ عن الأنبياء مما يُشعِر بكذبٍ أو معصية: فما كان منقولاً بطريق الآحاد سواء بلغ حدّ الشُّهرةْ أو لا فمردود؛ لأنّ نسبة الخطأ إلى الرّواة، أهون من نسبة المعاصي إلى الأنبياء.

٦ ـ ما نُقِلَ مما يُشْعر بكذب أحد الأنبياء أو معصيته، وكان النقل متواتراً، فما يمكن صرفه عن ظاهره صُرِف إن أمكن، وإلاّ فيحمل على أنَّه تَرْك الأولى، أو قبل البعثة.

٧ ـ المعجزات لا تَثْبُتُ بخبر الآحاد؛ لأنّ المطلوب فيها اليقين. وخبر الآحاد لا يقين فيه.

٨ ـ إنكار المعجزة الثابتة بنصٍّ قطعيِّ الثُّبوت والدلالة، كُفْر.

٩ ـ الإسرائيليات: لا حَرَجَ في مخالفتها ولا في إنكارها جُملةً وتفصيلاً.

١٠ ـ كتب العهد القديم والجديد: ما كان منها موافقاً للقرآن فهو حقّ، وما كان منها مخالفاً للقرآن فهو باطل. وما كان القرآن ساكتاً عنه فلا نقطع بصدقه ولا بكذبه. ويجوز نقلهُ والاستئناس به.

١١ ـ أقوالُ المفسّرين ليست حُجّة قاطعة فيما نصّت عليه، بل هي أوجه، كما يجوز حمل عبارة القرآن عليها يجوز مخالفتها، وحمل عبارته على غيرها. ولا مؤاخذة على مَن خالفها.

١٢ ـ القرآن الكريم لا تنقضي عجائبه، ولا تنفد غرائبه؛ فلكلٍّ امرىء أن يتدبَّره بعقله ويفهمه على الوجه الذي يستقرُّ في اعتقاده، بشرط أن يكون جارياً على مقتضى العربية، غير مخلٍّ بفصاحته، ولا مخلٍّ بشيء من مقاصد الدين.

ملاحظتان:

ـ قال الإمام أحمد: «ثلاثة ليس لها أصل: التفسير، والملاحم، والمغازي»، وعندي أيضاً متى اختلف التابعون لم يكن بعضُ أقوالهم حُجَّة على بعض.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «ما نُقِلَ عن الصحابة نقلاً صحيحاً، فالنفس إليه أسكن مما يُنقل عن التابعين» ـ وكلُّ ذلك فيما يتعلَّق بأمرٍ يحتاج فيه إلى اليقين».

* . * . *

هذه هي القواعد التي أثبتها العلاَّمة الشيخ عبد الله النَّجار في مقدِّمة الطبعة الثالثة من كتابه (قصص الأنبياء)، ولو أنّ كُتَّاب السيرة وقصص الأنبياء وكتب العقائد، اعتمدوا هذه القواعد وعمِلوا بها، لما نشروا في كتبهم كثيراً من الخرافات والأساطير والإسرائيليات، ولَمَا جعلوا فيه الظَّنِّيَّات.. قطعيات.

والآن إلى رأي الشيخ النجّار في نبوَّة آدم ورسالته: فقد قال تحت عنوان: **هل آدم نبيٌّ ورسول؟**

والجواب: أنّ نبوّة آدم قد أخذت دوراً مهمّاً من عدَّة سنوات، إذْ ظهر بمدينة دمنهور رجلٌ أنكر أن يكون آدمُ نبيَّاً، وقد رُفعت عليه الدعوى بالمحكمة الشرعية، وصدر الحكم عليه بالتفريق بينه وبين زوجته لِرِدَّته بذلك الإنكار، ولمّا استأنف الحكم إلى محكمة الإسكندرية كان كلامه أمامها:

إنَّه لم يَرَ لَفْظاً في القرآنِ يَذْكر آدم بالنُّبوَّة، وإنَّه يعتقد نبوَّته، فَصَدَرَ حُكمها بإلغاء الحكم الأوَّل، وأُعيدت إليه زوجته!

ثم قال:

أقول أيضاً إنَّ القرآن الكريم لم يذكرْ لفظ النُّبوَّة بإزاء آدم كما ذَكَرَ ذلك بإزاء غيره من الأنبياء، كإسماعيل وإبراهيم وموسى وعيسى وغيرهم، ولكن ذَكَرَ أنَّه خاطبه بلا واسطة، وشرع له في ذلك الخطاب، فَأَمَرَهُ ونهاه، وأحلّ له وحرَّم عليه بدون أن يرسل إليه رسولاً، **وهذا هو كل معاني النبوّة**؛ فمن هذه الناحية نقول: إنَّه نبيٌّ، وتطمئن أنفسنا بذلك.

وأضاف:

وأما رسالته فالأمر فيها مختلف فيه، وشأننا أن نفوِّض علم ذلك إلى الله تعالى؛ على أنّي رأيتُ في حديث أبي هريرة في الشفاعة الوارد في صحيح مسلم أنَّ الناس يذهبون إلى نوح، ويقولون: **أنت أوَّل رُسُلِ الله إلى الأرض؛ فلو كان آدم رسولاً لما ساغ هذا القول.** والعلماء القائلون برسالة آدم يؤوِّلون ذلك **بأنَّه أوَّل رسول بعد الطوفان**(*)، وهو تأويل متكلّف.

ثم قال:

إذا كان آدم نبيّاً فكيف عصى، والأنبياء معصومون من المعصية؟

والجواب عن ذلك من وجوه:

(الأول): أن يكون ذلك على سبيل النسيان؛ وإنّما سمِّي ما أتاه ناسياً **خطيئة ومعصية وغواية،** لأنَّ النبيّ ﷺ لمّا كان ليس كأحد الناس، وكان التنبُّه والحذر من مخالفة الله لازماً له، فإذا نسي، عُدَّ ذلك خطيئة في حقِّهِ، وإن كان غير خطيئة إذا صَدَر من غيره، وحسنات الأبرار سيئات المقرّبين!

(الثاني): أنّه تأوّل فيما فعل، إذْ فهم أنَّ الأمر والنهي ليسا جازمين بحيث

(*) مع أنه كان رسولاً قبل الطوفان! [المؤلف].

يترتب على المخالفة الغضب والمجازاة، بل فهمه **أمر إرشاد فقط ونهي إرشاد**، وما كان من هذا القبيل لا تحرم مخالفته، كما حمل الفقهاء الأمر بكتابة الدَّين على أنه أمر إرشاد ولا إثم بتركه!

(**الثالث**): أنّ ما حصل من الذَّنب صغيرة، وهذا لا يتأتى إلاّ على رأي مَن يقول إن الأنبياء غير معصومين من الصغائر.

(**الرابع**): أن ذلك كان **قبل النبوّة المستلزمة للعصمة من المعصية، وهو جواب حسن، لولا أنّه وقع بعد صدور الأمر والنَّهي إليه بلا واسطة، وهو ما جعلناه من أمارات نبوّته!!**

* . * . *

وتحدث عن إدريس عليه السلام وقال في ترجمته:

هو إدريس بن يارد بن مهلائيل بن قينان بن أنوش بن شيث بن آدم عليه السلام واسمه في التوراة العبرية «خنوخ» وفي الترجمة العربية «أخنوخ».

ونقل عن ابن كثير في «البداية والنهاية»: وكان أول بني آدم أُعطي النبوّة بعد آدم وشيث عليهما السلام.

وذكر ابن إسحاق أنه أول مَن خطّ بالقلم، وقد أدرك من حياة آدم ثلاثمائة سنة وثمان سنين...

ونقل ابن كثير: **زعم بعضهم أنّ إدريس لم يكن قبل نوح، بل في زمان بني إسرائيل.**

وقال عن نوح عليه السلام:

هو النبيّ الثاني ممن ذكروا بعد آدم عليه السلام، والأول بعد آدم هو جدّه الأكبر إدريس عليه الصلاة والسلام. **وهو أول الرُّسل** كما في حديث الشفاعة عن أبي هريرة في صحيح مسلم: (**يا نوح أنت أول الرُّسل إلى الأرض**)، وبعضهم يؤوّل هذا الحديث ويقول برسالة آدم وإدريس!

٢ - رأي الإمام ابن حزم في نبوّة آدم:

تحدّث ابن حزم في كتابه(*) عن نبوّة آدم فقال في الجزء الأول - الباب السادس تحت عنوان: [هل الأشياء في العقل على الحظر أو على الإباحة]:

وقال تعالى: ﴿أيحسب الإنسان أن يترك سدىً﴾ [القيامة: ٢٦]، والسدى المهمل الذي لا يؤمر ولا يُنهى، فصحّ بهذه الآية أنَّ الناس لم يبقوا وقتاً من الدهر هملاً دون ورود شرع، فبطل قول مَن قال: إنَّ العقول تعرَّت وقتاً من الدهر من شرع، وإذْ قد بطل هذا القول، فقد بطل أن يكون الشيء في العقل قبل ورود الشرع، له حكم في العقل بحظرٍ أو إباحة. فصار قولهم مُحالاً ممتنعاً، مع كونه حراماً أيضاً لو كان ممكناً.

وقال تعالى: ﴿وإن من أُمَّةٍ إلا خَلاَ فيها نذير﴾ [فاطر: ٢٤].

فبطل هذا أن تكون أُمَّة وقتاً من الدهر لم يتقدّم فيهم نذير[1] وقد كان آدم **عليه السلام رسولاً في الأرض**[2]، وقال تعالى له، إذ أنزله إلى الأرض:

(*) الإحكام في أصول الأحكام - علي بن أحمد بن حزم الأندلسي - الطبعة الثانية - ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م - الناشر: دار الجيل - بيروت.

(١) أبناء آدم كانوا أُسرة ولم يكونوا أمة، والله سبحانه قال عن أهل مكة: ﴿لِتُنْذِرَ قوماً ما أتاهم من نذيرٍ من قبلك لعلَّهم يتذكّرون﴾ [القصص: ٤٦]، وقوله تعالى: ﴿وما آتيناهم من كُتُب يدرسونها، وما أرسلنا إليهم قبلك من نذير﴾ [سبأ: ٤٤]. [المؤلف]

(٢) ليس هناك من دليل على رسالة آدم إلى أهل الأرض، بل الصحيح أن نوحاً عليه السلام هو أول نبيّ ورسول إلى أهل الأرض كما ثبت في حديث الشفاعة الذي =

﴿ ولكم في الأرض مستقرٌّ ومتاع إلى حين ﴾ فأباح تعالى الأشياء بقوله إنَّها متاعُ لنا، ثُمَّ حَظَرَ ما شاء، وكلُّ ذلك كان بشرع. وكذلك إذْ خلقه في الجنَّة لم يتركه وقتاً من الدهر دون شرع، بل قال تعالى: ﴿ **وَكُلَا منها رغداً حيثُ شئتما ولا تَقْرَبَا هذه الشجرة** فتكونا مِنَ الظالمين ﴾ [البقرة: ٣٥]، **فلم يَخْلُ قطّ وقتٌ من الزمان عن أمرٍ أو نهي**. [ص ٥٧ ـ ٥٨].

ثم تحدّث في الجزء الخامس من كتابه [الإحكام في أصول الأحكام] الباب الثالث والثلاثون ـ تحت عنوان [في شرائع الأنبياء عليهم السلام قبل محمد ﷺ أيلزمنا اتّباعها ما لم نُنْهَ عنها أم لا يجوز لنا اتّباع شيء منها أصلاً. . .] راداً على مَن قال: «**إنَّ نوحاً بُعِثَ إلى أهل الأرض كلهم**»:

[**فليس في إهلاك الله تعالى مَن أهْلَكَ بالطوفان دليل على أن جميعهم بُعث إليهم نوح، بل نصّ القرآن مثبت أنَّ نوحاً عليه السلام لم يُبعث إلى غير قومه البتّة**، بقوله تعالى: ﴿ إنّا أرسلنا نوحاً إلى قومه ﴾، فمَن ادّعى أنَّ قومه كانوا جميع أهل الأرض، فقد كذب وقفا ما ليس له به علم] وقد حرَّم ذلك بقوله: ﴿ وَلا تَقْفُ ما ليس لَكَ به علم ﴾ [الإسراء: ٣٦]، ولا في النّص أيضاً أنّ جميع أهل الأرض هلكوا بالطوفان، لا في القرآن ولا في الحديث الصحيح، والله أعلم، ولا علم لنا إلاّ ما علّمنا، **والقول بغير علم لا يستسهله فاضل، نعوذ بالله من الخذلان**.

فإن تعلّق متعلِّق بما حدّثناه عن أبي هريرة قال: [كنّا مع النبيّ ﷺ في دعوة، فرُفِعَ إليه الذراع وكانت تُعجبه، فَنَهَسَ منها نهسة وقال: أنا سيِّد الناس يوم القيامة، ثم ذكر صفة القيامة، وفيه أنَّ الناس يأتون نوحاً فيقولون: «**يا نوح**

= رواه أنس بن مالك في صحيح البخاري والذي يقول فيه آدم لأهل الموقف. . . «**ولكن ائتوا نوحاً أول نبيّ بعثه الله إلى أهل الأرض**» والإمام الشافعي يقول إذا ثبت الحديث فاضربوا بقولي عُرض الحائط!!. [**المؤلـف**]

أنت أوَّل الرُّسل إلى أهل الأرض» وذكر باقي الحديث، قيل له وبالله تعالى التوفيق:

ليس لك في هذا حُجَّة لأنّه لم يقل إلى جميع أهل الأرض، وبعض أهل الأرض يقع عليه اسم الأرض وما كنّا لنستجيز تخصيص هذا العموم لولا ما ذكرنا قبل من رواية جابر وأبي هريرة وشهادتهما على رسول الله بأنَّ كل شيء قبله إنما بُعِثَ إلى قومه خاصّة، حاشاه عليه السلام، فإنه بُعِثَ إلى الناس كافَّة وفضِّل على جميع الأنبياء بذلك.

وقد قال قوم: إنَّ آدم عليه السلام بُعِثَ إلى وَلَدِه، وهم أهل الأرض قاطبة في وقتهم بلا شك قال أبو محمد: وهذا شغب لا يصحّ، لأن الحديث الذي ذكرنا يبطل هذه الدعوى، وقد أخبر عليه السلام في هذا الحديث أنَّ نوحاً أول مَن بُعِث إلى أهل الأرض، وقد روي أن شيثاً كان نبيّاً، وإذا كان ذلك فليس آدم مبعوثاً إليه.

فإن قال قائل: ومن أين استجزت الاحتجاج في دفع بعث آدم إلى أهل الأرض بنبوّة شيث، ولم يأتِ في نصٍّ صحيح ولا في إجماع، وأنت تنكر هذا على غيرك؟

قال أبو محمد: فنقول وبالله تعالى التوفيق:

إنما قلنا ذلك، لأنه قد صحّ بيقين أنه لم يُبعَث قطّ نبيّ إلى جميع الناس حاشا محمداً ﷺ فمَن قال إن آدم ونوحاً أو غيرهما بُعث إلى جميع الناس في زمانه فهو كاذب ولا شكّ، مخالف لمحمد، مبطل لفضيلته، فلما صحّ ذلك عندنا، علمنا أن آدم لا يخلو من أحد وجهين ضرورة لا ثالث لهما: إمّا أن يكون معه نبيّ آخر لم يُبعث آدم إليه، أو يكون ولده لم يلزموا شريعة أبيهم آدم، وقد يُنبّأ المرء في مهده. كما نُبِّىء عيسى عليه السلام، فلعلّه وُلِدَ لآدم ولد نُبِّىء في حين خروجه إلى الدنيا، فلا يكون آدم مبعوثاً إليه والله أعلم.

إلّا أن اليقين الذي لا شك فيه أن آدم لم يُبعث إلى جميع ناس عصره، ولا ناس هنالك إلّا امرأته وولده فقط، وبالله تعالى التوفيق.

وأما قوله ﷺ في الحديث الذي ذكرنا آنفاً «إن نوحاً أول الرُّسل إلى أهل الأرض» ولا شكّ في أنَّ آدم رسول الله عزّ وجل، فإنَّ معناه عندنا والله أعلم!! أن رسالة آدم عليه السلام إنما كانت لأهل السماء قائلًا لهم عن الله عزّ وجل: ﴿ أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين ﴾ ومنبِّئاً لهم بأسمائهم، ومسلّماً عليهم على ما جاء في القرآن والحديث الصحيح، وإنّه لم يُبعث إلى أهل الأرض أصلًا!! وأن أولاده وامرأته أُوحي إليهم التوحيد، ثم بعث إلى كل طائفة نبيّ منها، ثم بعث نوح إلى قومه خاصة بشريعة، كما أخبر رسول الله ﷺ وأرسل إلى أهل الأرض بالعذاب العام لهم ولجميع الحيوان بلا شك، لا شريعة أُلزموها، فهذا موافق لما صحّ في القرآن من خبره عليه السلام.

وكل ما أرسله تعالى فبلا شكّ أنه إنما أرسله بأمرٍ مّا، هذا ما لا بدّ منه، فوجب أن يُعرف بماذا أُرسل إلى أهل الأرض؟ فلم نجده إلّا العذاب العام لكلّ مَن في الأرض ووجدنا النّص قد جاء بإرساله إلى قومه خاصَّة بشريعته، فصحّ الأمر، ولله الحمد.

وبهذا تتآلف الأحاديث كلها والقرآن، وقد روينا في هذا الحديث تأويلاً آخر:

عن قتادة والحكم، وهو ما حدّثناه أحمد بن عمر العذري، ثنا أبو ذر عبد بن السرخسي قال: حدَّثنا إبراهيم بن خزيم، قال: ثنا عبد بن حميد، قال: حدّثني يونس عن شيبان عن قتادة:

بُعِثَ نوح حين بَعْثِ الشريعة بتحليل الحلال وتحريم الحرام.

وبه إلى عبد قال: حدّثنا أبو نعيم، حدّثنا ابن أبي غنيـة عن الحكم: جاء نوح بالشريعة بتحريم الأخوات والأمهات والبنات.

قال أبو محمد:

فتأوّل هذان الإمامان أنَّ نوحاً أول مَن بُعِثَ بالتحريم والتحليل، والذي يظهر إلينا، فالذي قدّمنا أولى.

٣- رأي الإمام الماوردي:

وقال الإمام الماوردي في كتابه (أعلام النبوّة) (١) تحت عنوان: **هبوط آدم إلى الأرض:**

ولما هبط آدم إلى الأرض، قيل إنَّه أُهبط إلى شرقي أرض الهند، **وحوّاء** بجدّة، **وإبليس** على ساحل نهر الأبلة،(*) **والحيَّة** في البرية.

ثم قال:

« **وكانت نبوّة آدم مقصورة عليه**، وما نزل عليه من الوحي متوجهاً إليه فكان من **المصطفين دون المرسلين** » [صفحة ٦١].

وأضاف:

« ثم قام بالأمر بعده شيث بن آدم، فبرع في الحكمة وفاق في علم النجوم بما أخذه عن أبيه آدم وبما استفاده بالتجربة بمرور الزمان ».

ثم تحدّث عن أولاد آدم فقال:

أولاد آدم: واختلف أهل الكتاب في **نُبُوَّة شيث**، فادّعاها بعضهم، وأنكرها آخرون منهم، وولد بعد مائتين وثلاثين سنة من عمر أبيه آدم، ومات وله تسعمائة واثنتا عشرة سنة، فكان قيامه بالأمر بعد موت آدم مائتين واثنتي عشرة سنة.

---

(١) أعلام النبوّة، تأليف أبو الحسن علي بن محمد الماوردي، الطبعة الأولى، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م، الناشر دار إحياء العلوم - بيروت.

(*)نهر الأبلّة، يقع قرب البصرة في العراق.

واتفق أهل الكتاب أنه لم يكن بين شيث وإدريس نبيّ غير إدريس

. . . ثم قام بالأمر بعد يارد أخنوخ بن يارد وهو إدريس، وولد بعد مائتين واثنتين وستّين سنة من عمر يارد، **وهو نبيّ على قول جميع أهل المـلل**.

واختلف أهل الكتاب هل هو أول الأنبياء، أو ثانيهم، فقال مَن زعم أن **شيثاً نبيّ هو ثاني الأنبياء**.

وقال مَن زعم أن شيثاً ليس بنبيّ **أن إدريس أول الأنبياء**، وهو أول مَن شرع الأحكام، وأول مَن اتخذ السلاح وجاهد في سبيل الله تعالى وسبى وقتل بني قابيل ولبس الثياب، وكانوا يلبسون الجلود وأول مَن كتب الخطّ في قول الأكثرين، وأول مَن وضع الأوزان والكُيول، **ثم رفعه الله تعالى إليه حيًّاً بعد سبعمائة وخمس وثمانين سنة من عمره**، أقام فيها داعياً وأبوه حيّعلى مايقتضيه تاريخ هذه المواليد والأعمار المأخوذة من التوراة المنزّلة»!!

وقال ابن قتيبة: وسمِّي إدريس لكثرة ما كان يدرس من كتب الله تعالى وسُنن الإسلام!!

ثم تحدّث عن نوح فقال:

نوح عليه السلام:

ثم كثر الناس فافترقوا بعد إدريس، وزادوا إلى زمن نوح بن لمك بن متوشلخ بن **أخنوخ وهو إدريس! وهو آخر نبيّ بُعث قبل الطوفان** على قول مَن زعم أنّ شيثاً نبيّ!!**ثم قال في صفحة ٧٠**:

«وذكر وهب بن منبّه أنّ الأنبياء كلهم مائة ألف نبيّ، وأربعة وعشرون ألف نبيّ: الرُّسل منهم ثلاثمائة نبيّ وخمسة عشر نبيّاً، منهم خمسة عبرانيون: آدم وشيث وإدريس ونوح وإبراهيم، وخمسة من العرب: **هود** وصالح وإسماعيل وشعيب ومحمد صلوات الله عليهم.

٤ - رأي الإمام ابن كثير:

تحدّث الإمام إسماعيل بن كثير في كتابه[1] تحت عنوان: **ذكر الأحاديث الواردة في خلق آدم عليه السلام**، فقال:

. . . وقد ذكر السُّدِّي عن أبي مالك وأبي صالح عن ابن عباس، وعن مرّة عن ابن مسعود، وعن ناس من أصحاب رسول الله ﷺ قالوا:

فبعث الله عزّ وجل جبريل في الأرض ليأتيه بطين منها، فقالت الأرض: أعوذ بالله منك أن تنقص منّي أو تشينني، فرجع ولم يأخذ، وقال: ربِّ إنّها عاذت بك فأعذتها!

فبعث ميكائيل، فعاذت منه، فأعاذها، فرجع فقال كما قال جبريل.

فبعث مَلَك الموت، فعاذت منه، فقال: وأنا أعوذ بالله أن أرجع ولم أنفِّذ أمْره، فأخذ من وجه الأرض وخلطه، ولم يأخذ من مكان واحد، وأخذ من تربة بيضاء، وحمراء، وسوداء، فلذلك خرج بنو آدم مختلفين!

فصعد به، فبلّ التراب حتى عاد طيناً لازباً. واللّازب: هو الذي يلزق بعضه ببعض، ثم قال للملائكة: ﴿ إنّي خالق بشراً من طين فإذا سوّيته ونفخت فيه من روحي، فقعوا له ساجدين ﴾.

---

(١) قصص الأنبياء - لابن كثير - تحقيق وتعليق عبد القادر أحمد عطا - الناشر: المكتبة الإسلامية - بيروت - الطبعة الثانية: ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ (الجزء الأول).

فخلقه الله بيده لئلا يتكبّر إبليس عنه، فخلقه بشراً، فكان جسداً من طين أربعين سنة من مقدار يوم الجمعة، فمرّت به الملائكة ففزعوا منه لمّا رأوه، وكان أشدّهم منه فزعاً إبليس، فكان يمرُّ به فيضربه، فيصوِّت الجسد كما يصوِّت الفخّار يكون له صلصلة، فذلك حين يقول: ﴿من صلصال كالفخّار﴾، وقال للملائكة: لا ترهبوا من هذا، فإن ربَّكم صَمَدٌ، وهذا أجوف، لئن سُلِّطتُ عليه لأُهلكنّه.

فلما بلغ الحين الذي يريد الله عزّ وجل أن ينفخ فيه الروح، قال للملائكة: إذا نفخت فيه من روحي فاسجدوا له، فلما نفخ فيه الروح فدخل الروح في رأسه عطس، فقالت الملائكة: قل: الحمد لله، فقال: الحمد لله، فقال له الله: رحمك ربُّك، فلما دخلت الروح في عينيه نظر إلى ثمار الجنة، فلما دخلت الروح في جوفه اشتهى الطعام، فوثب قبل أن تبلغ الروح إلى رجليه عجلان إلى ثمار الجنة، وذلك حين يقول الله تعالى: ﴿خُلِقَ الإنسان من عجل﴾﴿فسجد الملائكة كلهم أجمعون. إلّا إبليس أبى أن يكون مع الساجدين﴾، وذكر تمام القصة.

ثم قال المؤلف: «ولبعض هذا السياق شاهد من الأحاديث، **وإن كان كثير منه متلقى من الإسرائيليات!!**» [ص ٦٩ - ٧١].

وذكر المؤلف حديثاً عن الترمذي عن أبي هريرة قال:

قال رسول الله ﷺ: «لمّا خلق الله آدم مسح ظهره، فسقط من ظهره كل نسمة هو خالقها من ذرِّيته إلى يوم القيامة، وجعل بين عيني كل إنسان منهم وبيصاً[1] من نور، ثم عرضهم على آدم، فقال: أي ربِّ من هؤلاء؟ قال: هؤلاء ذرّيتك، فرأى رجلاً فأعجبه وبيص مـا بين عينيه، فقال:

---

(١) بريقاً.

أي ربِّ مَن هؤلاء؟

قال: هؤلاء ذرِّيتك.

فقال: أي ربِّ: مَن هذا؟

قال: هذا رجل من آخر الأمم من ذرّيتك يقال له داود.

قال: ربِّ، وكم جعلت عمره؟

قال: ستّون سنة.

قال: أي ربِّ زِدْه من عمري أربعين سنة.

فلما انقضى عمر آدم جاءه مَلَك الموت، قال: أوَ لم يبقَ من عمري أربعون سنة؟

قال: أوَ لم تُعطِها ابنك داود؟

قال: **فجحد** آدم، فجحدت ذرِّيته، **ونسي** آدم، فنسيت ذرِّيته، **وخطىء** آدم فخطئت ذرِّيته»!!

ثم قال الترمذي: **حسن صحيح**، وقد روي من غير وجه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ. ورواه الحاكم في مستدركه من حديث أبي نعيم الفضل بن دكين، وقال: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه. [ص ٧٣].

وقال ابن كثير عن أولاد آدم:

وقد ذكر الإمام أبو جعفر بن جرير في تاريخه عن بعضهم: أنّ حوّاء ولدت لآدم **أربعين ولداً في عشرين بطناً**. قاله ابن إسحاق وسمّاهم. والله تعالى أعلم. **وقيل**: **مائة وعشرين بطناً** في كل واحد ذَكَر وأُنثى، أولهم قابيل وأخته إقليما، وآخرهم عبد المغيث وأخته أُمّ المغيث.

ثم قال:

وقد ذكر أهل التاريخ أن آدم عليه السلام لم يمت حتى رأى من ذرِّيته

من أولاده وأولاد أولاده أربعمائة **ألف نسمة**.(*) والله أعلم. [ص ٩٢].

وقال تحت عنوان:

ذكر وفاة آدم ووصيّته إلى ابنه شيث عليه السلام:

ومعنى شيث: هبة الله، وسمّياه بذلك لأنهما رزقاه بعد أن قتل هابيل.

قال أبو ذرٍّ في حديثه عن رسول الله: إن الله أنزل مائة صحيفة وأربع صحف، **على شيث خمسين صحيفة!**

قال محمد بن إسحاق:

ولما حضرت آدم الوفاة عهد إلى ابنه شيث، وعلّمه ساعات الليل والنهار، وعلّمه عبادات تلك الساعات وأعلمه بوقوع الطوفان بعد ذلك!

ولمّا توفي آدم عليه السلام - وكان ذلك يوم الجمعة - جاءته الملائكة بحنوط، وكفن من عند الله عزّ وجل من الجنة، وعزّوا فيه ابنه ووصيّه شيثاً عليه السلام، قال ابن إسحاق: **وكسفت الشمس والقمر سبعة أيام بلياليهنّ**(**)!!

وقد قال عبد الله ابن الإمام أحمد: حدّثنا... عن يحيىٰ - هو ابن حمزة السعدي - قال: رأيت شيخاً بالمدينة يتكلم، فسألت عنه فقالوا: هذا أُبيّ بن كعب، فقال: إن آدم لمّا حضره الموت قال لبنيه: أي بني، إني أشتهي من ثمار الجنة، قال: فذهبوا يطلبون له، فاستقبلتهم الملائكة، ومعهم أكفانه وحنوطه، ومعهم الفؤوس والمساحي والمكاتل، فقالوا لهم:

(*) لاحظ الفرق بين عدد أولاد آدم حسب رأي ابن جرير الطبري ورأي ابن اسحاق ثم رأي أهل التاريخ أن عدد أولاد آدم وأولاد أولاده أربعمائة ألف نسمة!! [المؤلف].

(**) ورد في الصحيحين عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه، قال:
كَسَفَتِ الشمس على عهد رسول الله ﷺ يوم مات إبراهيم؛ فقال الناس: كَسَفَتِ الشمس لموت إبراهيم، فقال رسول الله (ﷺ): **«إن الشمس والقمر لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته، فإذا رأيتم فصلُّوا وادعو الله».** [**المؤلــف**].

يا بني آدم ما تريدون وما تطلبون؟ أو ما تريدون وأين تطلبون؟

قالوا: أبونا مريض، واشتهى من ثمار الجنة.

فقالوا لهم: ارجعوا، فقد قضي أبوكم.

فجاءوا، فلما رأتهم حوّاء عرفتهم، فلاذت بآدم، فقال: **إليكِ عنّي، فإني إنما أُتيت من قِبَلِكِ**، فخلّي بيني وبين ملائكة ربِّي عزّ وجل. فقبضوه، وغسّلوه، وكفّنوه، وحنّطوه، وحفروا له، ولَحَدوه، وصلّوا عليه، ثم أدخلوه قبره، فوضعوه في قبره، ثم حثوا عليه، ثم قالوا: يا بني آدم، هذه سنّتكم. (إسناد صحيح إليه).

وروى ابن عساكر عن بعضهم أنه قال: رأسه عند مسجد إبراهيم ورجلاه عند صخرة بيت المقدس!!

وقد ماتت بعده حوّاء بسنة واحدة! [ص ٩٧ - ٩٨].

وقال ابن كثير في الجزء الثاني [ص ٢٢٦] ناقلاً عن ابن سعد صاحب الطبقات: وقال محمد بن سعد كاتب الواقدي:

أنبأنا هشام بن محمد بن السائب الكلبي عن أبيه قال:

أول نبيّ بعث إدريس، ثم نوح، ثم إبراهيم، ثم إسماعيل، وإسحاق، ثم يعقوب، ثم يوسف، ثم لوط، ثم هود، ثم صالح، ثم شعيب، ثم موسى، وهارون ابنا عمران، ثم إلياس النشبي بن ألعازر بن هارون بن عمران بن قاهث بن لاوى بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم هكذا قال. وفي هذا الترتيب نظر(*).

ويتحدث الإمام ابن كثير عن قصّة نوح عليه السلام فيقول:

هو نوح بن لامك بن متوشلخ بن خنوخ - وهو إدريس - بن يارد بن

(*) لأن الله أرسل هوداً ثم صالح قبل إبراهيم عليه السلام [المؤلـف].

مهلاييل بن قينان بن أنوش بن شيث بن آدم أبي البشر عليه السلام.

وكان مولده بعد وفاة آدم بمائة سنة وست وعشرين سنة، فيما ذكره ابن جرير وغيره.

وعلى تاريخ أهل الكتاب المتقدّم يكون بين مولد نوح وموت آدم مائة وست وأربعون سنة، وكان بينهما عشرة قرون كما قال الحافظ ابن حبّان في صحيحه: حدّثنا محمد بن عمر بن يوسف حدّثنا محمد بن عبد الملك بن زنجويه، حدّثنا أبو توبة، حدّثنا معاوية بن سلام عن أخيه زيد بن سلام، سمعت أبا سلام، سمعت أبا أمامة: أن رجلاً قال يا رسول الله: أنبيٌّ كان آدم؟ قال: «نعم مكلّم». قال: فكم كان بينه وبين نوح؟ قال: «عشرة قرون». قلت: وهذا على شرط مسلم ولم يخرجه. وفي صحيح البخاري عن ابن عباس، قال: كان بين آدم ونوح عشرة قرون، كلهم على الإسلام.

ثم قال: وبالجملة فنوح عليه السلام، إنما بعثه الله تعالى لمّا عُبدت الأصنام، والطواغيت، وشرع الناس في الضلالة والكفر، فبعثه الله رحمة للعباد، **فكان أول رسول بُعِثَ إلى أهل الأرض، كما يقول أهل الموقف يوم القيامة!** [١٠٤ - ١٠٥].

ثم قال:

والمقصود أن الفساد لما انتشر في الأرض، وعمّ البلاد بعبادة الأصنام فيها، بعث الله عبده ورسوله نوحاً عليه السلام، يدعو إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وينهى عن عبادة ما سواه.

فكان أول رسول بعثه إلى أهل الأرض، كما ثبت في الصحيحين من حديث أبي حيّان، عن أبي زرعة بن عمرو بن جرير، عن أبي هريرة عن النبي ﷺ **في** حديث الشفاعة، قال: «**فيأتون آدم فيقولون: يا آدم أنت أبو** البشر، خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأمر الملائكة فسجدوا لك، وأسكنك الجنة، ألا تشفع لنا إلى ربّك؟ ألا ترى إلى ما نحن فيه وما بلغنا؟

فيقول: ربّي قد غضب غضباً شديداً لم يغضب قبله مثله، ولا يغضب بعده مثله، **ونهاني عن شجرة، فعصيت**، نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى نوح.

فيأتون نوحاً فيقولون: يا نوح أنت أول الرُّسل إلى أهل الأرض، وسمّاك الله عبداً شكوراً، ألا ترى إلى ما نحن فيه... إلخ.

٥ ــ رأي أبي إسحاق الثعلبي النيسابوري:

في نبوّة آدم وإدريس ونوح:

وقال العالِم أبي إسحاق النيسابوري الثعلبي في كتابه[١] الباب الثاني: في خلق آدم عليه الصلاة والسلام وكيفيته وصفته:

قال المفسّرون بألفاظ مختلفة ومعانٍ متفقة:

... ثم أمر جبريل عليه السلام أن يأتيه بالقبضة البيضاء التي هي قلب الأرض وبهاؤها ونورها ليخلق منها محمداً ﷺ، فهبط جبريل عليه السلام في ملائكة الفردوس المقرَّبين الكروبيين وملائكة الصفح الأعلى، فقبض قبضة من موضع قبر النبيّ ﷺ! وهي يومئذ بيضاء نقيَّة، فعجنت بماء التسنيم ورعرعت حتى صارت كالدُّرّة البيضاء، ثم غُمست في أنهار الجنَّة كلها، فلما خرجت من الأنهار نظر الحقّ سبحانه وتعالى إلى تلك الدّرة الطاهرة، فانتفضت من خشية الله تعالى، **فقطر منها مائة ألف قطرة وأربعة وعشرون ألف قطرة**، **فخلق الله سبحانه وتعالى من كل قطرة نبيّاً، فكل الأنبياء صلوات الله على نبيّنا وعليهم من نوره خلقوا ﷺ**، ثم طِيفَ بها في السماوات والأرض، فعرفت الملائكة حينئذ محمداً ﷺ قبل أن تعرف آدم، ثم عجنها بطينة آدم عليه السلام، ثم تركها أربعين سنة حتى صارت طيناً

---

(١) قصص الأنبياء المسمّى عرائس المجالس ـ تأليف أبي إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري المعروف بالثعلبي، الطبعة الرابعة ـ دار الرائد العربي ـ بيروت ـ بدون تاريخ، [ص ٢٦ ـ ٢٧].

لازباً ليّناً، ثم تركها أربعين عاماً حتى صارت صلصالاً كالفخار، وهو الطين اليابس الذي إذا ضربته بيدك صلصل؛ أي صوّت ليُعلم أن أمره بالصنع والقدرة لا بالطبع والحيلة، فإن الطين اليابس لا ينقاد ولا يتأتّى تصويره، ثم جعله جسداً وألقاه على طريق الملائكة التي تهبط إلى السماء وتصعد منه أربعين سنة، فذلك قوله ﴿ هل أتى على الإنسان حينٌ من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً ﴾ [الآية...]. قال ابن عباس: الإنسان آدم، **والحين** أربعون سنة، كان آدم جسداً ملقى على باب الجنة!

وتحت عنوان: [**مجلس في ذكر نبيِّ الله إدريس عليه السلام**].

قال الله تعالى: ﴿ واذكر في الكتاب إدريس إنَّه كان صدّيقاً نبيّاً ﴾.

قال أهل العلم بأخبار الماضين وقصص النبيّين: هو إدريس بن يرد وقيل - ياريْد - بن مهلائيل بن قينان بن أنوش بن شيث بن آدم، واسمه **أخنوخ!** وسمِّي إدريس لكثرة درسه الكتب، وصحف آدم وشيث... [ص ٤٩].

وتحت عنوان: [مجلس في قصة نوح عليه السلام]:

قال الله تعالى لنبيّه عليه الصلاة والسلام: ﴿ واتلُ عليهم نبأ نوح إذ قال لقومه ﴾ [الآية...].

وهو نوح بن لمك بن متوشلخ بن **أخنوخ** بن قينان بن أنوش بن شيث عليه السلام وأمه قينوش بنت راكيل، وقيل بنت كابيل بن مخوئيل بن **أخنوخ** أرسله الله تعالى إلى ولد قابيل ومَن تابعهم من ولد شيث. [ص ٥٤].

وتحت عنوان [ذكر فضائل نوح عليه السلام] قال المؤلف:

وهي خمس عشرة خصلة: لم يسمّ أحد من الأنبياء باسمه، وسمِّي بذلك لكثرة نوحه على نفسه، **وكان أول نبيّ من أنبياء الشريعة**، وأوّل داعٍ

من الله تعالى، وأول نذير عن الشرك، وأول من عذِّبت أمته لردّهم دعوته، وأهلك أهل الأرض كلهم بدعائه... وكان عليه السلام أطول الأنبياء عمراً. وقيل له **أكبر الأنبياء وشيخ المرسلين**. وجعل معجزته في نفسه، لأنه عمّر ألف سنة، ولم ينقص له سِنّ، ولم ينقص له قوّة، ولم يبلغ أحد من الرُّسل في الدعوة مثل ما بلغ، وكان يدعو قومه ليلاً ونهاراً وإعلاناً وإسراراً، ولم يلقَ نبيّ من أمته من الضرب والشتم وأنواع الأذى والجفاء ما لقي... وجعل ثاني المصطفى ﷺ في الميثاق والوحي قال الله تعالى: ﴿وإذ أخذنا من النبيّين ميثاقهم ومنك ومن نوح﴾، وقال تعالى: ﴿إنّا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيّين من بعده، وفي البعث هو أول مَن تنشقّ عنه الأرض يوم القيامة بعد محمد ﷺ﴾ [ص ٦٠].

....**

٦ - رأي السيد نعمة الله الجزائري الإمامي:

وتحدَّث السيد نعمة الله الجزائري في كتابه[1] **عن آدم والأنبياء فيقول:**

(الاختصاص للمفيد) عن عمر بن أبان عن بعضهم، قال:

كان خمسة من الأنبياء سريانيين: آدم، وشيث، وإدريس، ونوح، وإبراهيم. وكان لسان آدم العربية، وهو لسان أهل الجنّة، **فلما عصى ربّه أبدله السريانية،** قال: **وكان خمسة عبرانيين:** إسحاق، ويعقوب، وموسى، وداود، وعيسى، **وخمسة من العرب:** هود، وصالح، وشعيب، وإسماعيل، ومحمد ﷺ، وملك الدنيا مؤمنان وكافران، **فالمؤمنان:** ذو القرنين وسليمان عليه السلام. **وأما الكافران** فنمرود بن كوش بن كنعان، **وبخت نصّر**. ثم قال:

(أقول) نصّر بوزن بقم، اسم صنم، وبخت يعني أولد لأنه وجد مطروحاً عنده فكأنه ابنه.

وروى الصدوق طاب ثراه في (إكمال الدين) حديثاً طويلاً، يسنده إلى الباقر عليه السلام وفيه:

أنّ آدم لما استكملت أيّام نبوّته، أوحى الله سبحانه إليه أن يجعل العلم وميراث النبوّة في ابنه هبة الله، وبشَّر آدم بنوح، وكان بينهما عشرة

---

(١) النور المبين في قصص الأنبياء والمرسلين ـ نعمة الله الجزائري ـ الطبعة الثامنة ـ ١٣٩٨ هـ ـ ١٩٧٨ م ـ منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ـ بيروت ـ لبنان.

آباء، كلهم أنبياء! فلما مضت نبوّة نوح عليه السلام، دَفَعَ ميراث العلم والنبوّة إلى ابنه سام، وليس بعد سام إلّا هود، فكان بين نوح وهود من الأنبياء مستخفون وغير مستخفين، ومن بعد هود انتهت النبوّة إلى إبراهيم، وكان بين هود وإبراهيم من الأنبياء عشرة، ـ وذكر كلاماً طويلاً ـ ثم قال: فأرسل الله موسى وهارون إلى فرعون وهامان وقارون، وكان يُقتل في اليوم نبيّان وثلاثة وأربعة، حتى أنه كان يُقتل في اليوم الواحد سبعون نبيّاً!! ويقوم سوق بقلهم آخر النهار!! [ص ٩ ـ ١٠].

وقال في بيان عصمة الأنبياء، وتأويل ما يوهم خلافه:

. . . وأما قوله عزّ وجل: ﴿ وعصى آدم ربّه فغوى ﴾ فإنَّ الله عزّ وجل خلق آدم حجّة في أرضه، وخليفة في بلاده، ولم يخلقه للجنّة، وكانت المعصية من آدم في الجنة لا في الأرض، لتتم مقادير أمر الله عزّ وجل. فلما أهبط إلى الأرض جعله حجّة وخليفة، عُصِمَ بقوله: ﴿ إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين ﴾.

ثم قال: «عيون الأخبار» مسنداً إلى علي بن الجهم، قال: حضرت مجلس المأمون وعنده الرضا علي بن موسى عليه السلام، فقال له المأمون:

يا ابن رسول الله: أليس من قولك إن الأنبياء معصومون؟

قال: بلى.

قال: فما معنى قول الله عزّ وجل: ﴿ وعصى آدم ربّه فغوى ﴾.

فقال عليه السلام: إن الله تبارك وتعالى قال لآدم عليه السلام: ﴿ اسكن أنت وزوجك الجنة، وكُلا منها رغداً حيث شئتما، ولا تقرَبا هذه الشجرة ﴾، وأشار لهما إلى شجرة الحنطة، ﴿ فتكونا من الظالمين ﴾، ولم يقل لهما: لا تأكلا من هذه الشجرة، ولا مما كان من جنسها، فلم يقرَبا تلك الشجرة وإنما أكلا من غيرها لمّا أن وسوس الشيطان إليهما وأقسم لهما

﴿ إنّي لكما لمن الناصحين ﴾، ولم يكن آدم وحوّاء شاهدا قبل ذلك مَن يحلف بالله كاذباً ﴿ فدلّاهما بغرور ﴾ فأكلا منها ثقة بيمينه بالله، **وكان ذلك من آدم قبل النبوّة، ولم يكن ذلك بذنب كبير استحقّ به النّار، وإنما كان من الصغائر الموهوبة التي تجوز على الأنبياء قبل نزول الوحي عليهم. فلما اجتباه الله عزّ وجل وجعله نبيّاً كان معصوماً** لا يذنب صغيرة ولا كبيرة، قال الله عزّ وجل: ﴿وعصى آدم ربّه فغوى، ثم اجتباه ربُّه فتاب عليه وهدى ﴾، وقال تعالى: ﴿ إن الله اصطفى آدمَ ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين ﴾ [ص ١٧].

وقال في قصة آدم:

(وروي) أنه قيل لأبي عبد الله عليه السلام: لِمَ صار الطواف سبعة أشواط؟

قال: لأنّ الله تبارك وتعالى قال للملائكة: ﴿إني جاعل في الأرض خليفة﴾، فردّوا على الله تبارك وتعالى وقالوا: ﴿ أتجعل فيها مَن يفسد فيها ﴾ وكان لا يحجبهم عن نوره، فحجبهم عن نوره سبعة آلاف عام، فلاذوا بالعرش سبعة آلاف فتاب عليهم، وجعل لهم البيت المعمور الذي في السماء الرابعة، ووضع البيت الحرام تحت البيت المعمور، فصار الطواف سبعة أشواط واجباً على العباد لكل ألف سنة شوطاً واحداً!!

[ص ٣١ - ٣٢].

وقال:

(وروى الثقة علي بن إبراهيم) بإسناده إلى جعفر عليه السلام في قول الله: ﴿ ولقد عهدنا إلى آدم من قبل، فنسي، ولم نجد له عزماً ﴾، قال: عهد إليه في محمد والأئمة من بعده صلوات الله عليهم، فترك، ولم يكن له عزم فيهم أنهم هكذا، وإنما سمُّوا أُولي العزم لأنه عهد إليهم في محمد

وأوصيائه من بعده، والقائم عليه السلام وسيرته فأجمع عزمهم على ذلك والإقرار به!! [ص ٣٢].

ونقل عن أبي عبد الله قوله:

«لما بكى آدم صلوات الله عليه في الجنة، وكان رأسه في باب من أبواب السماء وكان يتأذى بالشمس، فحطّ من قامته»!!.

ونقل المؤلف من كتاب قصص الراوندي:

عن مقاتل بن سليمان قال: سألنا أبا عبد الله عليه السلام: كم كان طول آدم عليه السلام حين هبط به إلى الأرض؟ وكم كان طول حوّاء؟

قال: وجدنا في كتاب علي بن أبي طالب أن الله عزّ وجل لمّا أهبط آدم وزوجته حوّاء إلى الأرض، وكانت رجلاه على ثنية الصفا، ورأسه دون أفق السماء وأنه شكا إلى الله ما يصيبه من حرّ الشمس، فصيّر طوله سبعين ذراعاً بذراعه، وجعل طول حوّاء خمسة وثلاثين ذراعاً بذراعها!! [ص ٣٥].

ونقل المؤلف عن الصوفية رأيهم في رفض سجود إبليس لآدم فقال:

واعلم أن جماعة من الصوفية قد شكروا لإبليس إباه عن السجود لادم، قالوا: إنه أراد اختصاص السجود بالله تعالى، فسمّوه من أجل هذا **سيّد الموحدين**!! ثم قال: عليه وعليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين!

[ص ٤١].

ونقل المؤلف عن كتاب (معاني الآثار) بإسناده إلى الصادق عليه السلام قوله:

«لقد طاف آدم عليه السلام بالبيت مائة عام ما ينظر إلى وجه حوَّاء، **ولقد بكى على الجنة حتّى صار على خدّيه مثل النهرين العظيمين من الدموع**»!! [ص ٥١].

ثم قال: (وعنه) عليه السلام: **البكّاؤون خمسة**:

آدم، ويعقوب، ويوسف، وفاطمة بنت محمد، وعلي بن الحسين عليهما السلام.

فأما آدم، فبكى للجنة حتى صار في خدّيه مثل الأودية. (وفي حديث آخر) «**أنه بكى حتى خرج من إحدى عينيه من الدموع، مثل ماء دجلة ومن الأخرى ماء الفرات**»!! [ص ٥٦].

ونقل المؤلف عن (العياشي) عن أبي عبد الله عليه السلام: قال: «ما بكى أحد بكاء ثلاثة: **آدم، ويوسف، وداود.**

فقلت: ما بلغ بكاؤهم؟

فقال: **أمّا آدم عليه السلام،** فبكى حين أُخرج من الجنّة، وكان رأسه في باب من أبواب السماء، فبكى حتّى تأذّى به أهل السماء، فشكوا ذلك إلى الله فحطّ من قامته.

وأما داود، فإنه بكى حتى هاج العشب من دموعه، وكان لِيُزْفِر فيحرق ما ينبت من دموعه.

وأما يوسف، فإنه كان يبكي على أبيه يعقوب وهو في السجن، فتأذّى أهل السجن، فصالحهم على أن يبكي يوماً ويسكت يوماً»!! [ص ٥٩].

وتحدّث المؤلف في الفصل الرابع في تزويج آدم وحوّاء، وكيفية ابتداء النَسْل، وقصة قابيل وهابيل، فقال:

... عن زرارة عن أبي عبد الله عليه السلام... ثم أنشأ يحدِّثنا كيف كان بدء النَسْل من آدم وذرِّيته فقال: إن آدم صلوات الله عليه ولد له سبعون بطناً، في كل بطن غلام وجارية، إلى أن قُتِلَ هابيل، **فجزع آدم عليه جزعاً قطعه عن إتيان النساء خمسمائة عام!،** ثم تخلّى عمّا به من الجزع عليه، فغشي حوّاء فوهب الله له شيئاً، وليس معه ثانٍ، فلما أدرك وأراد الله أن يبلغ بالنَسْل ما ترون، وأن يكون ما جرى به القلم تحريم ما

حرَّم الله عزّ وجل من الأخوات على الإخوة أنزل بعد العصر في يوم الخميس حوراء من الجنة اسمها (نزلة) فأمر الله عزّ وجل أن يزوِّجها من (شيث) فزوّجها منه، ثم أنزل بعد العصر من الغد حوراء من الجنة، اسمها (منزلة) فأمر الله عزّ وجل آدم أن يزوِّجها من يافث، فزوّجها منه، فولد لشيث غلام، وولد ليافث جارية، فأمر الله عزّ وجل آدم حين أدركا أن يزوج بنت يافث من ابن شيث، ففعل ذلك، فولد الصفوة من النبيّين والمرسلين، ومعاذ الله أن ذلك على ما قالوا من الإخوة والأخوات!

..**..

٧ - رأي الأستاذ أحمد الصباحي في نبوّة آدم:

ويقول الأستاذ أحمد الصباحي عوض الله في كتابه[1] بعد أن أشار إلى شجرة الأنبياء: «والشجرة الطيِّبة - هي شجرة الأنبياء، أصلها: آدم أبو البشر، **والنبيُّ الأول**، وقمَّتها محمد بن عبد الله خاتم الأنبياء والمرسلين» [ص ١٢ - ١٣].

ثم قال:

حينما أراد الله سبحانه خلق هذه الدنيا..

قبض قبضة من نوره، وقال لها: كوني محمداً.. فكانت.. ثم خلق من نور محمد ﷺ أرواح الملائكة والنبيّين وأرواح الخلق!

ثم خلق الأرض والسماوات! [ص ١٩].

وقال تحت عنوان (أخلاق الأنبياء):

«... والأنبياء جميعاً **من آدم إلى محمد** عليهم الصلاة والسلام، كان دينهم لا إلّه إلّا الله ولا حول ولا قوَّة إلا بالله، وكانت أخلاقهم مستمدّة من روح الله وصفاته» [ص ٢٢].

وتحت عنوان: **كيف خلق آدم**، قال:

---

(١) حياة وأخلاق الأنبياء - أحمد الصباحي عوض الله - الناشر: دار اقرأ، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م.

«في صحيح الترمذي بإسناد عن سيدنا رسول الله ﷺ في تفسير أول سورة البقرة: «أنّ الله خلق آدم بيده من قبضة قبضها من جميع الأرض من السهل والجبل والأسـود والأبيض والأحمر، فجـاءت الأولاد على ألوان الأرض».

وسأل عبد الله بن سلام رسول الله ﷺ كيف خُلِقَ آدم عليه السلام؟ فقال: خلق الله رأس آدم وجبهته من تراب الكعبة، وصدره وظهره من بيت المقدس، وفخذيه من أرض اليمن، وساقيه من أرض مصر، وقدميه من أرض الحجاز، ويده اليمنى من أرض المشرق، ويده اليسرى من المغرب، ثم ألقاه على باب الجنة»!! [ص ٥١].

وقال تحت عنوان «نزول آدم من الجنة»:

نزل آدم من الجنة عملاقاً كبيراً **طوله ستون ذراعاً**، وعرضه سبعة أذرع، بيده عصا، وعلى رأسه تاج من الجنة، وعندما هبط إلى الأرض جفّ التاج بعد نضارته، وقيل رواية عن النبيّ ﷺ: «حين نزل آدم من الجنة وهو مستور بورق الجنة، يبس هذا الورق، وتطاير بأرض الهنـد، فامتـلأت بالرائحة أشجار العود والصندل والمسك والعنبر والكافور»!! [ص ٥٣].

ثم قال تحت عنوان «ندم آدم»:

عندما هبط آدم إلى الأرض، ورأى التاج الذي نزل معه من الجنة على رأسه قد جفّ، ورأى ورق الجنة الرطب الذي كان يستره قد يبس وسقط عن جسده، وأنّه أصبح عرياناً يتأذّى من حرارة الطبيعة وبرودتها حزن حزناً شديداً وبكى.. **قال شهر بن حوشب**: بلغني أن آدم عليه السلام لمّا هبط إلى الأرض مكث ثلاثمائة سنة لا يرفع رأسه حياءً من الله تعالى!! **وقال ابن عباس رضي الله عنهما**: بكى آدم وحوّاء على ما فاتهما من نعيم الجنّة **مائتي سنة**! ولم يأكلا ولم يشربا **أربعين سنة**!! **ولم يقرب آدم حوّاء**

مائة سنة!! فلما أراد الله أن يرحم عبده لقَّنه كلمات، قال بعض العلماء: ألهمه الله أن يقول: ﴿ربَّنا ظلمنا أنفسنا، وإن لم تغفرْ لنا وترحمنا لنكوننّ من الخاسرين﴾ فتاب الله عليه وهداه، وأنزل عليه ثمانية أزواج: من الضأن اثنين، ومن المَعِز اثنين، ومن الإبل اثنين، ومن البقر اثنين، وأرسل إليه جبريل ليعلّمه شؤون الحياة، فأمره أن يذبح كبشاً، فذبحه، ثم أخذ صوفه، فغزلته حوّاء، ونسجه آدم، ثم صنع لنفسه منه جُبّة، ولحوّاء خماراً!! [٥٣ - ٥٤].

وقال المؤلف تحت عنوان (حياة آدم):

«منح الله آدم بسطة في الجسم والعلم والخلق ليتمكّن من إقامة الخلافة في الأرض، ومن عمارتها. فكان طوله ستين ذراعاً، وعرضه سبعة أذرع، **وكانت خطوة سيره واسعة وكبيرة مقدار مسيرة ثلاثة أيام!!** فكان لا يضع قدمه على أرض إلاّ أخصبت وزُرعت وأينعت وَرَخَتْ.ثم أنزل **عليه عشر صحف تحتوي على الدين والعلم والخير والخُلُق!!**

ثم قال: عاش آدم ألف عام، **ولم يمت حتّى ولد له أربعون ألفاً من البنين والبنات** - كان أولهم قابيل وتوأمته إقليمان، وآخرهم عبد المغيث! فكانت حوّاء تلِد في كل بطن ولداً وبنتاً **ما عدا شيث، فجاء وحده ذَكَراً، وقد منحه الله النبوّة بعد أبيه آدم.** ولتكاثر النَسْل أوحى الله إلى آدم أن يزوِّج كل فتىً من فتيانه بتوأمة أخيه - وبهذا أوعز آدم إلى أبنائه، فكان التزواج في عصر آدم أن يتزوج الولد غير توأمته كأنهما من بطنين مختلفين، وإن كانت الأم واحدة. [ص ٥٥].

وأخيراً قال المؤلف تحت عنوان (آدم والحكم الخلقي):

«ومن فضل الله ورحمته على الدنيا أن خلف الله آدم (الإنسان) **وجعله نبيّاً ورسولاً إلى زوجه وأولاده** - فكانت دنيا فاضلة - حيث بدأ نهارها بأول رسالة إلّهية إلى الإنسان على يد أبي الإنسان آدم عليه السلام!

٨ - رأي فضيلة الشيخ عبد الله بن زيد آل محمود

في نبوّة آدم عليه السلام:

يقول المؤلف في كتابه[1] بعد أن ناقش حديث أبي ذر الطويل المعروف في عدد الرُّسل وعدد الأنبياء والذي يفرِّق بين الرُّسل والأنبياء:

فهذا العدد بهذه الصفة، وبهذا التفريق يُبطله صريح القرآن الكريم في قوله سبحانه: ﴿ورُسلاً قد قصصناهم عليك من قبل، ورُسُلاً لم نقصصهم عليك﴾ [النساء: ١٦٤]، وهي سورة مدنية، فلا يمكن أن تُنسخ بمثل هذا الحديث الضعيف..

ثم قال: فالاشتغال بعدد الأنبياء، هو ما يشغل الأذهان ولا يزيد في الإيمان، وهو صريح لمخالفة ما أبهمه القرآن.

فلو طلبنا من المُجادلين بصحة ذلك تسمية ثلاثة أشخاص من الأنبياء، هم أنبياء، وليسوا برُسُل، لم يحيطوا علماً بمعرفتهم.

ثانياً: قوله في الحديث: «قلت يا رسول الله: مَن أول الرُّسل؟

قال: آدم. قلت: أنبيّ مُرسَل؟ قال: نعم».

فهذا أيضاً مما يدل على عدم صحة الحديث: **لأن القرآن لا يثبت**

---

(١) الإيمان بالأنبياء بجملتهم وضعف حديث أبي ذر في عددهم - عبد الله بن زيد آل محمود - رئيس المحاكم الشرعية والشؤون الدينية بدولة قطر - الطبعة الثالثة - ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦ م - منشورات المكتب الإسلامي.

لآدم نبوّة ولا رسالة، وما كان ربك نسيًّا. وإنما هو أبو البشر، يذنب فيتوب، يقول الله: ﴿وعصى آدم ربّه فغوى. ثم اجتباه ربّه فتاب عليه وهدى﴾[1].

وأصحّ، وأصرح ما ورد في فضله هو قوله سبحانه: ﴿إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين﴾[2]، وليس فيها ما يدلّ على نبوّته بالصراحة، لكون الاصطفاء افتعال من الصفوة، ولا يلزم أن تكون نبوّة. يقول الله تعالى: ﴿وإذْ قالتِ الملائكة يا مريم إنَّ الله اصطفاكِ وطهّركِ واصطفاكِ على نِساء العالمين﴾[3].

ومن المعلوم أن مريم ليست بنبيّة، وإنما هي امرأة صالحة من صفوة نساء العالمين. **والصحيح أن أوّل الرُسل نوح**، وآخرهم محمد ﷺ **وحتى آدم نفسه يعترف بأن أول الرُسل نوح**، كما في حديث الشفاعة الذي رواه أنس، وأنه يجتمع المؤمنون يوم القيامة، فيلهمون ذلك، فيقولون: لو استشفعنا إلى ربّنا، فأراحنا من مكاننا هذا، فيأتون آدم، فيقولون: يا آدم. أنت أبو البشر، خلقك الله بيده، وأسجد لك ملائكته، وعلّمك أسماء كل شيء، فاشفع لنا إلى ربك، حتى يريحنا من مكاننا هذا. فيقول لهم آدم: لست هناكم، ويذكر ذنبه الذي أصاب، فيستحي من ربّه ـ عزّ وجل ـ ويقول: **ولكن ائتوا نوحاً، فإنه أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض**. رواه البخاري. وهذا الحديث قاطع للنزاع، ويُعيد الخلاف إلى مواقع الإجماع

ثم إن القائلين بنبوّة آدم، ليس عندهم دليل سوى محض الظن والتخمين، يقولون: إنه لا يمكن أن يبقى آدم وذريته في حياتهم بدون وحي

---

(١) سورة طه: ١٢١ ـ ١٢٢.

(٢) سورة آل عمران: ٣٣.

(٣) سورة آل عمران: ٤٢.

ينظّم أحوالهم ويبيّن لهم فرائضهم، وأحكامهم، ويستدلّون بقوله سبحانه: ﴿ وعلّم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة ﴾[1]. وهذا التعليم، وهذا العرض، **إنما هو للأرواح قبل خلق آدم**، فلا حجّة فيه، ولن ننسى في هذا الحديث الوارد في عرض الأرواح على ضعفه، وهو أن الله سبحانه عرض على آدم ذريته كالذرّ، فرأى رجلاً هو أضوأهم، قال: يا رب، مَن هذا؟ قال: هذا ابنك داود. قال: يا ربّ، كم عمره؟ قال: ستون سنة. قال: يا ربّ، زِدْه من عمري أربعين سنة. ثم إنها مضت الأيام والليالي، فلما انتهى عمر آدم، وحان الحين لقبض أجَلّه، جاءه مَلَك الموت لقبض روحه، فقال له آدم: إنك استعجلت عليَّ وإنني أعدّ الأيام والليالي، وقد بقي من عمري أربعون سنة. فقال: إنك وهبتها لابنك داود، فجحد أن يكون وهبها له. قال: فجحد آدم، وجحدت ذريته، ونسي، فنسيت ذريته، فمن ثم أمر الله بالكتابة والشهود، ثم إن الناس من لدن خلق آدم وهم يولدون على الفطرة التي هيمعرفة الخير ومحبته.فيلهمون فِعْل ما ينفعهم، واجتناب ما يضرّهم، وقد يذنبون، فيتوبون وقد لا يتوبون. كما في حادثة ابني آدم،حين قتل أحدهما أخاه ولم يهتدِ إلى كيفية دفنه، حتى دلّه غراب يبحث في الأرض، ليُريه كيف يواري سوأة أخيه، وكان هذا أول قتيل دفن في الأرض، ولهذا ورد: «ما قتل قتيل ظلماً إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها، لأنه أول مَن سنّ القتل». [رواه الإمام أحمد]

وكما يوجد في زماننا هذا أُمم من الناس لم تبلغهم الدعوة، ولا الشريعة، فيعيشون متعاشرين متعاملين، ويوصفون بأنهم ممّن لم تبلغهم الدعوة، كحالة زمان الفترة. والله سبحانه، بحكمته وعدله، لا يعذب أمّة حتى يبعث إليها رسولاً فيعصون أمره. قال الله تعالى: ﴿ وما كنّا معذبين حتى نبعث رسولاً ﴾[2].

---

(١) سورة البقرة: ٣١.

(٢) سورة الإسراء: ١٥.

وأما قول بعضهم: إن نبيّ الله إدريس، كان قبل نوح، كما أشار إليه العلّامة ابن كثير في التفسير، فهذا قول لا حظّ له من الدليل، ويخالف نصوص القرآن والسنّة.

وقد قال بعض العلماء: إن إدريس من أنبياء بني إسرائيل، وهذا أقرب إلى المعقول والمنقول.

ويقول الشيخ عبد الله بن زيد آل محمود في رسالته (عقيدة الإسلام والمسلمين)[1]، يقول الله سبحانــه:

﴿ إنَّ الدين عند الله الإسلام ﴾[2]، وقال: ﴿ ومَن يبتغِ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين ﴾[3]، وقال: ﴿ ورضيت لكم الإسلام ديناً ﴾[4]، **وهو دين سائر الأنبياء، أولهم نوح** وخاتمهم محمد عليه الصلاة والسلام يقول الله:

﴿ شرع لكم من الدِّين **ما وصّى به نوحاً** والذي أوحينا إليك (أي يا محمد) وما وصّينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدِّين ولا تتفرّقوا فيه، كبر على المشركين ما تدعوهم إليه، الله يجتبي إليه مَن يشاء ويهدي إليه مَن يُنيب ﴾[5].

---

(١) عقيدة الإسلام والمسلمين، رسالة منشورة في الجزء الثاني (من مجموعة رسائل) للمؤلف، نشرها المكتب الإسلامي في بيروت [ص ١٩١ ـ ٢١٤].

(٢) آل عمـران : ١٩ .

(٣) آل عمـران : ٨٥ .

(٤) المائـــدة : ٣ .

(٥) الشـورى : ١٣.

٩ ـ رأي الدكتورة بنت الشاطىء:

تحدَّثت الكاتبة عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطىء) أستاذة التفسير والدراسات العليا بكلية الشريعة بفاس ـ جامعة القرويين عن (القرآن والتاريخ)[1] وعن آدم وحوّاء وأول رسول بعثه الله تعالى في الناس (نوح عليه السلام) فقالت:

إيماننا بما في القرآن عن الرُّسلِ وأقوامهم هو التصديق بهم وبما أنزل إليهم من ربهم ﴿لا نفرّق بين أحد من رُسُله﴾ وذلك من أصول العقيدة الإسلامية، مع المقرر من اختصاص كل أمة برسولها وكتابها وشرعتها ومنهاجها. قال عزّ وجل: ﴿لكلٍّ جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً، ولو شاء الله لجعلكم أمّة واحدة..﴾ [الآية...] ثم قالت:

من أقدم تاريخ البشرية، نتلو الآيات في أبينا آدم عليه السلام، الإنسان الأول، قال تعالى: ﴿ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزماً. وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلّا إبليس أبى. فقلنا يا آدم إن هذا عدوٌّ لك ولزوجك فلا يخرجنّكما من الجنة فتشقى. إن لك ألّا تجوع فيها ولا تعرى. وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى. فوسوس إليه الشيطان قال يا آدم هل أدلّك على شجرة الخلد وملكٍ لا يبلى. فأكلا منها فبدت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة، وعصى آدم

(١) مقال نشر بجريدة الاتحاد الظبيانية ـ دولة الإمارات العربية المتحدة ـ ١٩٨٨/٤/١٩.

ربه فغوى. ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى. قال اهبطا منها جميعاً.. ﴾ [الآيات...].

ليس فيها ذكر لعمر أبوينا، وزمن خلقهما، وتعيين شجرة الخلد، وشجر الجنة، وطريقة الهبوط وزمانه ومكانه..

التركيز على العبرة بما جاز على الإنسان الأول، أبي البشر، من فتنة وغواية بما وسوس إبليس إليه، وليس إلى حوّاء التي اشتهر فينا وذاع وملأ الأسماع، أن إبليس تذرع بها إلى إغواء آدم، فما زالت به حتى أغرته بالمعصية وكانت هي السبب في إخراجه من الجنة!

والعبرة في أن (أكلا منها) كلاهما، فحق على كلٍّ منهما جزاء فعله. فهبطا من الجنة جميعاً لتبدأ حياة البشر على الأرض. مستخلفاً فيها كما تقرر في قديم علمه عزّ وجل وبمشيئته، قال عزّ وجل: ﴿ وإذ قال ربُّك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها مَن يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبّح بحمدك ونقدس لك، قال إني أعلم ما لا تعلمون ﴾.

ولنعتبر، نحن بني آدم، بما كان، لنتّقي مثل ما جاز على أبوينا من تعرّض لوسوسة الشيطان وفتنة الغواية والاستهواء.

﴿ يا بني آدم لا يفتننّكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة... ﴾ [الآية...].

وأول رسول بعثه الله تعالى في الناس «نوح عليه السلام» نتلو الآيات البيّنات فيه وفي قومه وابنه وامرأته، وفي السفينة والطوفان... لا تتعلق من الأزمنة إلا بطول مكثه عليه السلام فيهم، دون توقيت لأزمنة مولده وظهوره ومبعثه، أو تعيين الأمكنة وتحديد الأعمار.. ونحو ذلك مسمّاه لا يدخل في عموم قوله تعالى، عبرة للعالمين في كل زمان ومكان: ﴿ فأنجيناه وأصحاب السفينة وجعلناها آية للعالمين ﴾.

١٠ - رأي الأستاذ آدم عبد الله الآلوري في نبوّة آدم:

تحدّث المؤلف في كتابه[1] تحت عنوان: **نبوّة آدم ورسالته**، فقال:

«يقول الأستاذ عبد الوهاب النَّجار في كتابه (قصص الأنبياء):

إنَّ القرآن لم يذكر لفظ النبوّة بإزاء آدم كما ذكر ذلك بإزاء غيره من الأنبياء، ولكن ذَكَرَ أنه خاطبه بلا واسطة، وشرع له في ذلك الخطاب، فأمره ونهاه وأحلّ له وحرّم عليه دون أن يرسل له رسولاً، وهذا كل معاني النبوّة، **أما رسالته فالأمر فيها مختلف فيه**.

(قلت): إنَّ القرآن نظم آدم في سلك الرُّسل إذْ أطلق عليه كلمة اصطفى في قوله: ﴿إن الله اصطفى آدم ونوحاً﴾ ولا يُطلق القرآن هذه الكلمة إلا على المرسلين!

ثم إنَّ الله أرسله بشرع لأبنائه، من ذلك نظام التزويج والقربان، فاقرأ قوله تعالى: ﴿واتلُ عليهم نَبَأَ ابني آدم بالحق إذ قرّبا قرباناً﴾... إلخ. فإذا لم يكن له شرع فمن أين وجدوا القربان؟ وإذا لم يكن نبيّاً رسولاً، **فكيف كان له شرع وقد نزلت عليه الصحف**؟!.

وفي الحديث أن الله أنزل عليه عشر صحائف. **أمَّا حديث الشفاعة فلا ينهض دليلاً لردِّ رسالته وبدء الرسالة من نوح**! فقد أرسل الله آدم وشيثاً وإدريس قبل نوح.. إنما يكون نوح أول الرُّسل بعد الطوفان!! [ص ٩٩ - ١٠٠].

---

(١) فلسفة النبوّة والأنبياء في ضوء القرآن والسنّة - آدم عبد الله الآلوري - الطبعة الأولى - ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م، توزيع مكتبة وهبة - القاهرة.

١١ - رأي الشيخ عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني:

وتحدّث الشيخ عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني في كتابه[1] (عن عصمة الأنبياء) قال تحت عنوان:

عصمة الأنبياء قبل النبوّة:

إنَّ النبيَّ قبل اصطفائه بالنبوّة على وجهين، فهو:

- إما أن يكون لم يكلّف بعد مطلقاً بشرع مّا، فالعصمة في حقِّه غير ذات موضوع، لأنّ المعاصي والمخالفات إنما تُتصوّر بعد ورود الشرع والتكليف به، والمفروض أنه لم يكلّف، فلا مجال لبحث العصمة أو عدمها، لأنّ الذِّمَّة خالية من التكليف!

لكن علو نظرة الرسول وصفاء نفسه، وسموّ روحه وصحَّة عقله، تقتضي أن يكون أنموذجاً رفيعاً بين قومه، في أخلاقه ومعاملاته وأمانته، وفي بُعده عن ارتكاب القبائح التي تنفر منها العقول السليمة والطِباع المستقيمة.

٢ - **وإمّا أن يكون قد كلِّف بشرع رسول سابق**، كسيدنا لوط عليه السلام حينما كان تابعاً قبل نبوّته لعمِّه إبراهيم عليه السلام، **وكأنبياء بني إسرائيل من بعد موسى قبل أن يوحى إليهم بالنبوّة.**

---

(١) العقيدة الإسلامية وأُسسها: عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، الطبعة الثانية: ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م - الناشر: دار القلم، دمشق - بيروت.

ما جاء في النصوص الشرعية من معاصي الأنبياء:

وأمّا ما جاء في النصوص الشرعية القاطعة من معاصي الأنبياء ومخالفاتهم، فهو محمول على أحد وجهين:

الوجه الأول: أنّ المعصية الثابتة في حقِّ النبيّ قد وقعت منه قبل نبوّته. **وذلك كمعصية آدم بأكله من الشجرة التي نهاه الله عن أن يأكل منها**، وقد أثبت الله عصيانه بقوله تعالى في سورة طه: ﴿ وعصى آدم ربَّه فغوى * ثم اجتباه ربُّه فتاب عليه وهدى ﴾.

قال الشيخ أبو بكر بن فُورك وغيره: **إنَّ الله تعالى ذكر أنَّ الاجتباء والهداية كانا بعد العصيان، وهذا يدلُّ على أنَّ المعصية كانت قبل النبوّة**[1]!

الوجه الثاني: أن المعصية التي يوهم ظاهر النّص نسبتها إلى الرسول ليست هي في واقع الحال معصية، وإنما هي:

أ ـ **إمّا خطأ في اجتهاد مأذون به**، ثم أرشد الله رسوله إلى ما هو أتمّ وأكمل، وذلك كقصة فداء أسرى بدر بالنسبة إلى سيدنا محمد صلوات الله عليه.

ب ـ وإما اختيار للمفضول من أمرين مباحين، ثم جاء الإرشاد الإلٓهي إلى أنَّ الأمر الثاني أفضل، وأكثر تحقيقاً للمصلحة. [ص ٣٨٤ ـ ٣٨٦].

وتحدّث فضيلة الشيخ عبد الرحمن حبنكة عن **نبوّة آدم ورسالته**[2] **فقال**:

... **ولمّا كان البشر** بحسب تكوينهم عُرضة للتأثّر بشهوات النفس ووساوس الشياطين، الأمر الذي يُفضي بهم إلى الشر والضّرِّ والظلم، فيكونون مفسدين ظالمين في الأرض.

---

(١) انظر «الشفاء» للقاضي عياض، الجزء الثاني: [ص ١٦٢].

(٢) تحت عنوان (موجز تاريخ الرُّسل عليهم الصلاة والسلام) [ص ٤١٢].

ولمّا كانت حكمة الله ورحمته، تقتضي تدارك هذا النوع الإنساني بتنبيهه إلى الخير والشّرّ، وتعريفه بالحقّ والباطل، كما تقتضي أن تحبّب إليه الفضيلة، وتُكَرّه إليه الرذيلة، وأن تهديه إلى سلوك سبيل الحقّ والخير والكمال. ليتمّ بذلك ابتلاؤه واختباره، ووضعه في ظروف الامتحان الملائمة للمنح التي وهبه الله إيّاها..

من أجل كل ذلك... فقد تدارك الله سبحانه هذا النوع منذ نشأته الأولى إلى الأرض **بأن جعل أباه آدم رسولاً!!** فآتاه الهدى والحكمة، وأنزل عليه أسس شريعة الله للبشر **من عقيدة وعبادة وتعامل بين الناس.**

ومنذ أخرج الله آدم وزوجه من الجنَّة، نبَّهه إلى مهمة الرسالة التي سيجتبيه لها، **ويأمره بتبليغها إلى ذرّيته،** قال تعالى في حكاية ذلك في سورة البقرة:

﴿ قلنا اهبطوا منها جميعاً، **فإما يأتينّكم منّي هدىً** فمَن تبع هُداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ [البقرة: ٣٨].

وأضاف:

وقضى آدم في الأرض فترة استغفار وإنابة، فتاب الله عليه، ثم اجتباه بالرسالة وهداه، قال الله تعالى في سورة طه: ﴿ ثم اجتباه ربُّه فتاب عليه وهدى ﴾، **وكان آدم عليه السلام رسولاً إلى ذرِّيته!!**

ثم قال:

ثم إنّه لم يرد نصّ قاطع عن الرسول ﷺ في حصر عدد الرُّسل الذين أرسلهم الله إلى البشر، ولا في حصر عدد الأنبياء، ولذلك فنحن اتِّباعاً للنصوص القاطعة من قرآن وسنَّة، يجب علينا **أن نؤمن إجمالاً بجميع الأنبياء والرُّسل عليهم السلام، مَن عرفنا منهم ومَن لم نعرف،** ولكن الحقيقة المعلَن عنها في القرآن الكريم.

وقد ورد في الحديث عن النبيِّ ﷺ أن عدد الرُّسل (٣١٥) رسولاً، وأن مجموع الأنبياء والرُّسل (١٢٤) ألفاً.

فعن أبي ذر رضي الله عنه قال:

يا رسول الله: **أيّ الأنبياء** كان أوّل؟

قال: «آدم».

قلت: يا رسول الله: ونبيّاً كان؟

قال: «نعم، **نبيٌّ مكلّم**».

قلت: يا رسول الله: كم المرسلون؟

قال: «ثلاثمائة وبضعة عشر جمّاً غفيراً».

وفي رواية عن أبي أمامة: قال أبو ذر:

«قلت يا رسول الله: كـم وفاء عدّة الأنبياء؟

قال: مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً..

الرُّسل من ذلك ثلاثمائة وخمسة عشر جمّاً غفيراً».

وقال المؤلف تحت عنوان:

مَن يجب علينا الإيمان بهم من **الرُّسل** تفصيلاً:

ويجب علينا أن نؤمن تفصيلاً **بخمسة وعشرين رسولاً**، سمّاهم الله في قـرآنه، وقصّ علينـا قصصهم. **أولهم آدم عليه السـلام**، وآخـرهم محمد ﷺ.

ثم ذكر الآيات الدالّة على رسالة هؤلاء الرُّسل فذكر آيات [الأنعام: ٨٣ - ٨٦].

﴿ وتلك حجّتنا آتيناها **إبراهيم** على قومه، نرفع درجاتٍ مَن نَّشاء، إنَّ ربَّك حكيم عليم * ووهبنا له **إسحاق ويعقوب**، كُلًّا هدينا، **ونوحاً** هدينا من

قبل، ومن ذرِّيته داود وسليمان وأيُّوب ويوسف وموسى وهارون، وكذلك نجزي المحسنين * وزكريا ويحيى وعيسى وإلياس، كلٌّ من الصالحين * وإسماعيل واليَسَع ويونس ولوطاً، وكُلًّا فضّلنا على العالمين﴾.

وقال في سورة هود:

﴿ وإلى عاد أخاهم هوداً ﴾ [هود: ٥٠].

﴿ وإلى ثمود أخاهم صالحاً ﴾ [هود: ٦١].

﴿ وإلى مدين أخاهم شعيباً ﴾ [هود: ٨٤].

وقال في سورة الأنبياء ٨٥ :

﴿ وإسماعيل وإدريس وذا الكفل، كلٌّ من الصابرين ﴾[1].

ثم قال:

وفيما يلي إيضاح لرسالاتهم، وعرض لموجز حياتهم عليهم الصلاة والسلام:

١ ـ آدم أبو البشر عليه السلام:

وهو أول الرُّسل عليهم السلام، ودليل رسالته من القرآن الكريم ما جاء في الآيتين السابقتين:

أ ـ قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿ **فإمَّا يأتينّكم مِنّي هدىً** ﴾.

ففي هذا وعد بالهدى من الله تعالى، وإشعار بالرسالة! (*).

ب ـ وقوله تعالى في آية طه: ﴿ثم اجتباه ربُّه﴾.

---

(١) وفي هذه الآيات يكون مجموع الرُّسل: ٢٣، يضاف إليهم رسول الله وخاتم النبيين ﴿إنك لمن المرسلين﴾، أما آدم فلم يذكر المؤلف الآية التي تدل على نبوّته ورسالته، ولم يذكر آية الاصطفاء ﴿إنَّ الله اصطفى آدم ونوحاً﴾. [المؤلـــف].

(*) استند الشيخ عبد الرحمن حسن حبنّكة إلى أولية رسالة آدم عليه السلام، وإلى دليل هذه =

والظاهر أن اجتباء الله بعد المعصية وتوبة الله عليه، إنما هو اصطفاء الله إياه بالرسالة!! وأضاف: كما يدلُّ على رسالته عموم قوله تعالى: ﴿ وإن من أمّة إلاّ خلا فيها نذير ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ ولقد بعثنا في كل أُمّةٍ رسولاً ﴾.

= الرسالة من قوله تعالى في سورة البقـــرة: ﴿فإمّا يأتينكم مِنّي هدىً﴾ وشرحه لهذه الآية: «.. ففي هذا وعدٌ بالهدى من الله تعالى وإشعار بالرسالة !!».

والمتأمِّل إلى قصَّة آدم عليه السلام التي تكرَّرت في عدّة سور من القرآن الكريم بالإضافة إلى سورة البقرة كسورة الأعراف.. والحجر.. والكهف.. وطه.. وسورة ص، يلاحظ ختام قصّة آدم بالوصية لآدم وزوجه ولذريتهما أي أنَّ الخطاب ليس قاصراً على آدم فقط حتى يقول الشيخ حبنّكة: ففي هذا وعد بالهدى من الله وإشعار بالرسالة» وإنما الخطاب لآدم وزوجه وللذريتهما، ولنتأمل معاً نهاية قصة آدم عليه السلام كما جاءت في سورة البقرة.. وطه.. والأعراف..

ففي ســـورة البقـــرة:

﴿قلنا اهبطوا منها جميعاً،

فإمّا يأتينّكم مِنّي هدىً،

ـ فمن تَبِعَ هُداي فلا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون *

ـ والذين كفروا وكذّبوا بآياتنا أُولئك أصحاب النّار هم فيها خالدون ﴾.

وفي سورة طه:

﴿قال اهبطا منها جميعاً بعضكم لبعض عدوّ،

فإمّا يأتينّكم مِنّي هُدىً،

ـ فَمَنِ اتَّبَعَ هُداي.. فلا يَضِلُّ ولا يشقى *

ـ ومن أعرض عن ذِكْري (هدايتي) فإنَّ له معيشة ضنكاً، ونحشره يوم القيامة أعمى * قال: ربِّ لِمَ حشرتني أعمى وقد كنتُ بصيـراً ؟ (أي في الدنيا).

قال: كذلك أَتَتْكَ آياتُنا فنسيتها (أي اهملتها) وكذلك اليوم تُنْسَى﴾.

أمّا في سورة الأعراف، فكان ختام قصّة آدم قوله تعالى:

﴿قال: اهبطوا بعضكم لبعض عدوّ،

وقد كان أولاد آدم أُمة!! تتطلب رسالة ربَّانية، وأحرى الناس بأن يكون رسولاً لأوَّل أُمَّة إنسانية إنما هو آدم أبو البشر المكلَّم من قِبَل الله تعالى.

ولذلك نرى اتِّفاق علماء المسلمين على نبوّته ورسالته!!

= ولكم في الأرض مستقرّ ومتاع إلى حين *
قال: فيها تَحْيَون، وفيها تموتون، ومنها تُخرجون ﴾.
وإلى هنا انتـهت قصّة آدم وزوجـه، وبدأت التوجيهات الربانية لبني آدم:
﴿ يا بني آدم: قد أنزلنـا عليكم لباساً يواري سوءاتكم، وريشاً، ولباس التقوى ذلك خير، ذلك من آيات الله لعلَّهم يذكّرون *
يا بني آدم: لا يفتِنَنَّكُمُ الشيطانُ كما أخْرج أبويكم مِنَ الجنَّة،
ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوءاتهما،
إنَّه يراكم هو وقبيله، من حيث لا ترونهم، إنَّا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون * ﴾.
[الأعـراف: ١٩ - ٢٧]
﴿يا بني آدم: خذوا زينتكم عنـد كل مسجـد، وكلوا واشربـوا ولا تسرفـوا، إنَّه لا يحبُّ المسرفين ﴾. [الأعراف: ٣١]
وكانت خاتمة الوصايا لبني آدم مشابهة للوصايا التي كانت لآدم وزوجه ولـذرِّيتهما، مـع الإشارة إلى أن الرسل سيكونون من ذرِّية آدم دون الإشارة إلى آدم:
﴿ يا بني آدم: إمَّا يأتينكم رُسُل منكم، يقصُّون عليكم آياتي،
ـ فمن اتَّقى وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون *
ـ والذين كذَّبوا بآياتنا واستكبروا عنها أُولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾
[الأعراف: ٣٥ - ٣٦]

** .. ** .. **

١٢ - رأي الأستاذ محمد علي الصابوني:

وقال الأستاذ محمد علي الصابوني في كتابه[١] تحت عنوان:

النبوّة خاصة بالرجال ولا تكون للنساء أبداً[٢]:

والحكمة من تخصيص الرجال بالنبوّة دون النساء أن النبوّة عبء ثقيل، وتكليف شاق لا تتحمله طبيعة المرأة الضعيفة، لأنه يحتاج إلى مجاهدة ومصابرة، ولهذا كان جميع الرُّسل في محنة قاسية مع أقوامهم، وابتلوا ابتلاءً شديداً في سبيل تبليغ دعوة الله ﴿ فاصبر كما صبر أُولوا العزمِ من الرُّسل ﴾، والدليل على أن النبوّة خاصة بالرجال قوله تعالى: ﴿ وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً نوحي إليهم، فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون ﴾.

قال في الجوهرة:

«وما كانت نبيّاً قطُّ أُنثى ولا عبداً قبيحاً في الفعال»

ثم قال:

النبوّة لها ميدان واسع، وغرض نبيل، وهدف من أسمى الأهداف

---

(١) النبوّة والأنبياء - محمد علي الصابوني - الطبعة الثانية، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م.

(٢) ما يقوله بعضهم أن النبوّة قد تكون في النساء مستدلاً بقوله تعالى: ﴿ وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه ﴾ الآية، فإنه استدلال خاطىء، لأن الوحي ليس بإنزال مَلَك، وإنما هو بطريق (الإلهام) فقد أخبر تعالى أنه أوحى إلى النحل ﴿ وأوحى ربُّك إلى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتاً ﴾ فهل يصحّ أن نقول أن النحل قد نبّأه الله تعالى؟.

ودعوتها الأساسية إنما هي الدعوة إلى (الإيمان بالله) والدعوة إلى (الإيمان بالآخرة).

ثم تحدّث عن بعثة الأنبياء، فقال:

بعثة الأنبياء: من رحمة الله تبارك وتعالى بعباده.. ومن جميل لطفه بهم وإحسانه إليهم **أن بعث إليهم الأنبياء والمرسلين** مبشّرين ومنذرين، ليكونوا منارات للهدى، وأعلاماً للفضيلة ونجوماً زاهرة في سماء الإنسانية... [ص ١٨].

ثم تحدّث عن تعريف (العصمة) لغةً وشرعاً فقال:

تعريف العصمة:

العصمة في اللغة معناها: المنع، يقال عصمته عن الطعام أي منعته عن تناوله، وعصمته عن الكذب أي منعته منه، ومنه قوله تعالى: ﴿قال: سآوي إلى جبل يعصمني من الماء﴾، أي يمنعني من الغرق.

وقوله تعالى: ﴿ولقد راودته عن نفسه فاستعصم﴾، أي امتنع امتناعاً شديداً.

قال القرطبي: وسمِّيت العصمة عصمة لأنها تمنع من ارتكاب المعصية.

وأما في الشرع: فالعصمة هي: حفظ الله لأنبيائه ورُسُله عن الوقوع في الذنوب والمعاصي. [ص ٤٩ - ٥٠].

ثم تحدّث عن عصمة الأنبياء فقال:

هل العصمة قبل النبوّة أم بعدها؟ وقد اختلف العلماء في (عصمة الأنبياء)، هل هي قبل النبوّة أم بعدها؟ وهل تكون العصمة عن الكبائر فقط أم عن الكبائر والصغائر من الذنوب؟

فذهب بعضهم إلى أن العصمة ثابتة لهم **قبل النبوّة، وبعدها**، وذلك لأن السلوك الشخصي ـ ولو قبل النبوّة ـ يؤثر على مستقبل الدعوة للنبيّ، فلا بدّ إلاّ وأن يكون إذاً من ذوي السيرة العطِرة، والصفاء النفسي حتى لا يكون ثمّة مطعن في رسالته ودعوته... فلا بدّ إذاً أن يكونوا معصومين ومحفوظين **قبل النبوّة وبعدها**.

وأما الفريق الآخر: فقد ذهبوا إلى أن (عصمة الأنبياء) إنما تكون **بعد النبوّة**، وتكون من الصغائر والكبائر معاً، لأن البشر ليسوا مأمورين باتّباعهم قبل النبوّة. [**ص٥٣**]:

فالاتّباع والاقتداء إنما يكون بعد نزول الوحي عليهم. وبعد تشريفهم بحمل الرسالة والأمانة، وإنما قبلها فإنما هم كسائر البشر، ومع ذلك فإن سيرتهم تأبى عليهم الوقوع في المعاصي والآثام، أو الانجراف في طريق الفاحشة والرذيلة، فإنهم ولو كانوا قبل النبوّة غير معصومين، لكنهم محفوظون بالعناية والفطرة.

جاء في كتاب (العقيدة الإسلامية وأُسسها) ما نصّه: **إن النبيّ** قبل اصطفائه بالنبوّة على وجهين:

١ ـ فهو إما أن يكون لم يكلّف بعد مطلقاً بشرع، فالعصمة في حقّه غير ذات موضوع، لأن المعاصي والمخالفات بعد ورود الشرع والتكليف به، والمفروض أنه لم يكلّف، فلا مجال لبحث العصمة أو عدمها، لأن الذمّة خالية من التكليف.

لكن علوّ فطرة الرسول، وصفاء نفسه، وسموّ روحه، وصحة عقله تقتضي أن يكون أنموذجاً رفيعاً بين قومه، في أخلاقه، ومعاملاته، وأمانته، وفي بُعده عن ارتكاب القبائح، التي تنفر منها العقول السليمة والطِباع المستقيمة.

٢ ـ وإما أن يكون قد كلّف بشرع رسول سابق، كسيدنا لوط عليه السلام حينما كان تابعاً ـ قبل نبوّته ـ لعمّه إبراهيم عليه السلام أو كأنبياء بني إسرائيل من بعد موسى قبل أن يوحى إليهم بالنبوّة، وفي هذه الحالة لم يثبت في عصمة النبي فيها دليل قاطع، لا عن الكبائر، ولا عن الصغائر، لكن سيرة الأنبياء التي أُثِرت عنهم قبل نبوّاتهم تشهد بأنهم من أبعد الناس عن المعاصي كبائرها وصغائرها.

. . . والصحيح الذي عليه المعوّل من أقوال العلماء هو: أن الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم معصومون عن المعاصي (الصغائر والكبائر) **بعد النبوّة باتفاق**. وأما قبل النبوّة فيحتمل أن تقع منهم بعض المخالفات اليسيرة التيلا تخلّ بالمروءة ولا تقدح بالكرامة والشرف.

وأما الدليل على أن الرُّسل الكرام مأمورون بتبليغ الرسالة، وأنهم يختلفون عن الأنبياء في هذه النقطة بالذات، فهو النّص القرآني الكريم وهو قوله تعالى: ﴿ الذين يبلّغون رسالات الله ويخشونه، ولا يخشون أحداً إلّا الله، وكفى بالله حسيباً ﴾، وقوله تعالى: ﴿ يا أيها الرسول بلِّغ ما أُنزل إليك من ربِّك، وإن لم تفعل فما بلَّغت رسالته، والله يعصمك من الناس، إن الله لا يهدي القوم الكافرين ﴾.

ثم تحدّث عن نبوّة آدم فقال تحت عنوان:

هل آدم من الأنبياء؟

من المقطوع بهأن (آدم)عليه السلام من الأنبياء،**وهو رأيجمهور العلماء لم يخالف فيه أحد! وإنما الخلاف هل هو رسول أم لا؟ ولمَن أُرسل؟**

أما الأدلة علي نبوّته فقد وردت في الكتاب والسنّة. . ولكنها في القرآن الكريم لم تكن صريحة، فلم يذكر لفظ النبوّة بإزاء آدم كما ذكر ذلك

بإزاء غيره من الأنبياء الكِرام كإبراهيم، وإسماعيل، وموسى، وعيسى، وغيرهم من الأنبياء، ولكن ذكر أنه خاطبه بلا واسطة، وشرع له في ذلك الخطاب فأمره ونهاه، وأحلّ له وحرّم عليه بدون أن يرسل إليه رسولاً، وهذا هو معنى النبوّة، كما أسلفنا.

وأما رسالته، فالأمر فيها مختلف فيه، فيرى بعض العلماء أنه رسول، وأنّه أرسل إلى ذرِّيته، ويرى الآخرون أنه **لم يكن رسولاً وإنما كان نبيًّا**، ويستدلّ هؤلاء بحديث الشفاعة الوارد في صحيح مسلم أن الناس يذهبون إلى نوح ويقولون له: (أنت أول رُسُل الله إلى الأرض) **فلو كان آدم رسولاً لما ساغ هذا القول**. والقائلون برسالة آدم يؤولون ذلك بأنه أول رسول بعد الطوفان، والله أعلم بحقيقة الأمر، **والرأي الأرجح أنه من الرُّسل!**

أما الأدلة على نبوّته فهي:

١ ـ آية الاصطفاء.

٢ ـ قوله تعالى: ﴿ قلنا اهبطوا منها جميعاً، **فإمَّا يأتينّكم منّي هدى** ﴾.

٣ ـ قوله تعالى: ﴿ ثم اجتباه ربُّه فتاب عليه وهدى ﴾.

ثم قال: والظاهر أنَّ اجتباء الله له وتوبة الله عليه، إنما هو اصطفاء الله إيَّاه **بالنبوّة والرسالة!**.

وقد ورد في السنّة النبوية ما يدلّ على **نبوّته** صراحة وذلك في حديثين:

الأول: عن أبي سعيد الخدري (. . . أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر، وبيدي لواء الحمد ولا فخر، وما من نبيّ يومئذ آدم فمَن سواه إلاّ تحت لوائي. . .).

الثاني: عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه أنه قال:

قلت: يا رسول الله: أيّ الأنبياء كان أول؟

قال: «آدم».

قلت: يا رسول الله: ونبياً كان؟.

قال: «نعم نبيٌّ مكلّم...» إلخ.

وأضاف:

لهذه الأدلة نرى علماء المسلمين متفقين على نبوّته، لم يخالف في ذلك أحد، والله أعلم!!

ثم قال تحت عنـــوان:

شُبهة حول نبوّة آدم:

وقد يقال: **إذا كان آدم من الأنبياء فكيف عصى أمر الله،** والأنبياء **معصومون عن المعصية؟**

والجواب: أن هذا البحث قد تقدّم معنا مفصّلاً في باب (عصمة الأنبياء) ونحن نوجزه الآن في كلمات.

أولاً: أن ذلك حصل **نسياناً** منه، **لا قصداً وعمداً** بدليل قوله تعالى: ﴿ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزماً﴾، هذا ما اختاره القرطبي.

ثانياً: أن آدم عليه السلام قد تأوَّل في أكله من الشجرة، لأنَّه ظنّ أن المراد من قوله تعالى: ﴿ولا تقربا هذه الشجرة﴾ عين تلك الشجرة، فأكل من شجرة أخرى من جنسها فوقع في المخالفة.

ثالثاً: أنَّ أكله من الشجرة كان قبل النبوّة **المستلزمة للعصمة من المعصية، فلم يكن نبيّاً** حين **أكل منها بدليل قوله تعالى: ﴿ثم اجتباه ربُّه فتاب عليه وهدى﴾** ص[١٢٤ ــ ١٢٦].

وتحدّث عن نوح عليه السلام فقال:

نسبه: هو نـوح بن لامك بن متـوشلخ بن أخنوخ، أي «إدريس». فإدريس جدّه الأكبر. وينتهي نسبه إلى «شيث» عليه السلام ابن آدم أبي البشر، وبينه وبين آدم ما يزيد على ألف عام، ورواية التوراة تذكر أن بينهما (١٠٥٦) عاماً. [ص ١٣٣].

وقال تحت عنوان:

نوح أول رسول إلى الأرض:

يذكر المؤرخون أن نوحاً عليه السلام هو أول رسول بعثه الله سبحانه إلى أهل الأرض، وقد أمره ربُّه أن ينذر قومه ويحذرهم عذاب الله، **فكان نوح أول نذير وأول رسول** كما قال سبحانه: ﴿ إنَّا أرسلنا نوحاً إلى قومه أن أنذر قومك من قبل أن يأتيهم عذابٌ أليم ﴾، ويستدلّون على ذلك بالحديث المروي في الصحيحين **وهو حديث الشفاعة**..

وقال بعد أن أورد حديث الشفاعة (قول أهل الموقف لنوح: يا نوح أنت أول الرُّسل إلى أهل الأرض وقد سمّاك الله عبداً شكوراً...).

[وهذا الذي ذكروا من أنَّ **نوحاً عليه السلام هو أوّل الرُّسل إلى أهل الأرض هو الصحيح الذي عليه الأكثرون**، ولكن ليس معنى ذلك أنه لم يسبقه بعثة أحد من الأنبياء قبله، فشيث وإدريس وآدم **أنبياء**، وكلهم قد بُعثوا قبله، **ولكنهم لم يكونوا رُسُلاً**، فهو بهذا الاعتبار **أول رسول وليس أول نبيّ**، ومعلوم أن هناك فرقاً بين النبوّة والرسالة،

فالرسول هو الذي أُوحي إليه بشرع وأُمر بتبليغه،

وأما النبيّ فهو الذي أُوحي إليه بشرع ولكن لم يؤمر بتبليغه، والله أعلم!]. [ص ١٣٤ ـ ١٣٥].

١٣ - رأي الأستاذ عبد السلام محمد بدوي:

يقول المؤلف في كتابه[1] تحت عنوان: [مِن نبأ آدم نبيّ الملائكة]:

«بعد أن خلق الله آدم ـ عليه السلام ـ ونفخ فيه من روحه.. وأسجد له ملائكته.. علَّمه الأسماء كلها ﴿ وعلّم آدم الأسماء كلها، ثم عرضهم على الملائكة، فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين ﴾ [البقرة: ٣٠].

ونقل عن صاحب تفسير البيضاوي قوله في تفسير هذه الآية:

[إنَّ الله تعالى خلق آدم من أجزاء مختلفة.. وقوىً متباينة، مستعداً لإدراك أنواع المدركات من المعقولات والمحسَّات والمتخيلات والموهومات، وألهمه معرفة ذوات الأشياء وخواصّها.. وأسمائها.. وأصول العلوم.. وقوانين الصناعات وكيفية آلاتها].

ثم قال: [عرف آدم عليه السلام كُلَّ شيء في الدنيا.. بفطرته التي فَطَرَه الله عليها.. وكأنَّ الله سبحانه قد عرض عليه «فلم» الدنيا بما عليها.. من حيوان.. ونبات.. وجماد.. وعلوم.. وآلات.. ومكتشفات.

---

(١) كتاب من أنباء الرُّسل: (كتاب الشعب) ـ تأليف عبد السلام محمد بدوي، الطبعة الأولى، ١٤٠٣ هـ ـ ١٩٨٢ م.
الجزء الأول بين آدم الأول وآدم الثاني، وقد جعل ترتيب الأنبياء هكذا آدم ـ وإدريس ـ نوح.

عَرَفَ كلّ شيء باسمه.. وتركيبه.. وفائدته.. وخواصّه.. ثم عرض جلّ شأنه تلك المسمّيات على الملائكة.. قائلاً لهم: ﴿ أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين ﴾ في دعواكم.. بأنّكم أحقّ منه.. بالاستخلاف في الأرض.

فرأى الملائكة أشياء لم يألفوها.. ومسمّيات لم يعرفوها.. فقالوا - مقرّين بعجزهم -: ﴿ قالوا: سبحانك لا عِلْمَ لَنَا إلاّ ما علَّمتنا إنَّك أنت العليم الحكيم ﴾.

قال ليثبت لهم.. قدرة آدم.. وامتيازه عليهم ﴿ قال: أنبئهم بأسمائهم ﴾.

وهنا يجلس آدم من الملائكة مجلس النبوّة والإنباء لينبئهم بأسماء تلك المشهودات.. ﴿ فلما أنبأهم بأسمائهم ﴾ قال الله تبارك وتعالى لهم: ﴿ ألم أقل لكم إنِّي أعلم غيب السماوات والأرض وأعلم ما تُبدون وما كنتم تكتمون ﴾ [البقرة: ١٣٣].

ثم قال: فأراد - سبحانه - أن يجعل آدم وسيلة علمهم بالنشأة الجديدة.. فتفضل.. ووجَّه الأمر.. إلى آدم ﴿ قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم ﴾ ونهض آدم على منصّة الإنباء فأنبأ الملائكة.. ونجح في ذلك] [ص ٢٠ - ٢١].

وتحدَّث عن وفاة آدم فقال:

وفاة آدم:

مرض آدم.. قبل موته.. فأوصى إلى ابنه شيث.. وكان **شيث هو وارث النبوّة عن أبيه آدم.. حتّى ورّثها إلى إدريس..** الذي ورّثها ابنه متوشالح.. ثم لامك.. ومنه إلى نوح عليهم جميعاً الصلاة والسلام.

مات آدم ـ عليه السلام ـ في سنٍّ تسعمائة وثلاثين عاماً على ما جاء في التوراة.

«وقيل لمّا كان الطوفان.. حمل نوح تابـوت جدِّه آدم معـه في السفينة.. وبعد الطوفان، دفنه في مكان بيت المقدس».

* . * . *

ثم قال:

«ومن حقنا الآن.. أن ننتقل إلى أول رسول قبل نوح.. وهو نبيّ الله إدريس.. لنحلّق معه في عالم الفضاء!».

١٤ـ رأي فضيلة الشيخ علي الطنطاوي:

ويقول العالِم الفاضل الشيخ علي الطنطاوي في كتابه[1] تحت عنوان: حقيقة الرسول:

الرسول بشر يمتاز بالوحي، وقد قال تعالى لمحمد:

﴿ قل إنَّما أنا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحى إليَّ ﴾ [الكهف: ١١٠].

ثم تحدّث عن «عصمة الرسول» قائلاً:

ويستحيل أن تقع من الرسول **(بعد رسالته) معصية**، أو يأتي ما يجرح العدالة، أو يخلّ بالمروءة، أو ينافي الكمال، **لأنّ الله جعله قدوة**، وأمر المسلمين أن يتأسَّوْا به، وأن يتّبعوه في فعله: ﴿ لقد كان لكم في رسول الله أُسوةٌ حسنة ﴾ [الأحزاب: ٢١].

وهذه الأُسوة ثابتة للرُّسل جميعاً:

﴿ لقد كان لكم فيهم أُسوةٌ حسنةٌ ﴾ [الممتحنة: ٦].

وذلك يقتضي العصمة من ارتكاب المعاصي وإتيان النقائص.

ثم قال تحت عنوان (الرُّسل في القرآن)[2]:

المسلم يعتقد أن القرآن كلام الله، نزل به جبريل على محمد، وبلّغه

---

(١) تعريف عام بدين الإسلام ـ علي الطنطاوي ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت، الطبعة السادسة، الجزء الأول: في العقيدة، ١٣٩٤ هـ ـ ١٩٧٤ م، [ص ١٩١ ـ ١٩٢].
(٢) [ص ١٩٧ ـ ١٩٨].

كما سمعه من جبريل، وأنّ ما بين دفّتي المصحف هو القرآن كله، كما نزل به جبريل، فمَن أنكر شيئاً منه أو شكّ فيه، خرج من الإسلام.

وقد ورد في القرآن ذكر **خمسة وعشرين نبيّاً**، جمعت أسماؤهم في خمس آيات هي قوله تعالى:

﴿ وتلك حُجَّتنا آتيناها إبراهيم على قومه، نرفعُ درجاتٍ مَّن نَّشاءُ إنَّ ربَّك حكيم عليم * ووهبنا له إسحاق ويعقوبَ، كُلاًّ هدينا، ونوحاً هدينا من قبل، ومن ذُرِّيته داود وسليمان وأيُّوب ويوسُفَ وموسى وهارون، وكذلك نجزي المحسنين * وزكريا ويحيىٰ وعيسى وإلياس، كُلٌّ مِنَ الصالحين * وإسماعيل واليَسَعَ ويونُسَ ولوطاً، وكُلاًّ فضّلنا على العالمين ﴾ [الأنعام: ٨٣ ـ ٨٦].

وقوله تعالى: ﴿ واذكر في الكتاب إدريس، إنَّه كان صدِّيقاً نبيّاً * ورفعناه مكاناً عليّاً ﴾ [مريم: ٥٦ ـ ٥٧].

وقوله: ﴿ وإلى عادٍ أخاهم **هوداً** ﴾ [هود: ٥٠].

وقوله: ﴿ وإلى ثمود أخاهم **صالحاً** ﴾ [هود: ٦١].

وقوله: ﴿ وإلى مدين أخاهم **شعيباً** ﴾ [هود: ٨٤].

وقوله: ﴿ **وإسماعيل** وإدريس، وذا **الكفل**، كلٌّ من الصابرين ﴾ [الأنبياء: ٨٥].

ثم قال:

«وذُكِرَ آدم ولم **يصرَّحْ بأنَّه** كان رسولاً، ولكن تدلُّ الآيات التي ذُكِرَ فيها **على ترجيح القول برسالته**».

١٥ - رأي الأستاذ أبو بكر جابر الجزائري:

عرّف المؤلّف في كتابه[1] العقيدة، فقال:

ما هي العقيدة؟

«العقيدة هي مجموعة من قضايا الحق البدهية المسلّمة بالعقل والسمع والفطرة، يعقدُ عليها الإنسان قلبه، ويثني عليها صدره، **جازماً بصحّتها، قاطعاً بوجودها**، لا يرى خلافها أنه يصحّ أو يكون أبداً».

ثم تحدّث عن تاريخ الرُّسل وعن نبوّة آدم فقال:

إن تاريخ الرُّسل عليهم السلام يبتدىء بآدم أبي البشر عليه السلام، ووجوده في الأرض، وتكاثر أبنائه فيها مقتضى للوحي الإلٓهي، إذ به يشكّل آدمية الإنسان، وبه يتم شرفه، وعليه تزكو نفسه، ويتأهل للسعادة في الحياتين الأولى والآخرة.

ولم يعرف الناس نبيّاً من أولاد آدم لصلبه، اللّهمّ إلّا ما كان **من شيث عليه السلام،** فإنه روي أنه كان حفيداً لآدم أبي البشر عليه السلام، **وقد أنزل عليه عدّة صحف تُعرف بصحف شيث عليه السلام.** وجاء بعد شيث **نبيّ الله ورسوله إدريس عليه السلام** وهو مذكور في الكتاب الكريم، وتقول الأخبار انه من ذرّية شيث عليه السلام.

---

(١) عقيدة المؤمن - أبو بكر جابر الجزائري - **الطبعة الأولى، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م،** الناشر: دار الكتب السلفية بالقاهرة.

ثم جاء نوح عليه السلام، وهو أول رسول كما صرّح بذلك القرآن الكريم في قوله تعالى:

﴿ إنّا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيّين من بعده ﴾.

ثم جاء بعده هود، فصالح، فإبراهيم، فلوط، فإسماعيل، فإسحاق، فيعقوب، فيوسف ثم شعيب، فموسى وهارون، فداود، فسليمان **ثم إلياس فأيوب واليَسَع وذو الكفل ويونس**، وزكريا فيحيىٰ، وعيسى، ثم خاتمهم محمد ﷺ.

وهذا الترتيب الزمني صحيح إلى حدٍّ ما، ولولا الخفاء في زمن كلٍّ من يونس، وأيوب، وذي الكفل، واليَسَع لكان إلى الصحة أقرب منه إلى غيرها. **والحقيقة في هذا أنه من باب علم لا ينفع، وجهالة لا تضرّ،إذ المطلوب الإيمان بالرُّسل وتوقيرهم** وتعزيزهم واتّباعهم، والاقتداء بهديهم في أيّ زمان كانوا وفي أيّ أرض وُجدوا. [ص٢١٤]

وتحدَّث عن أُولي العزم من الرُّسل فقال:

مما يعتبر جزءاً من العقيدة الإسلامية معرفة أُولي العزم من الرُّسل عليهم السلام إذ جاء في القرآن قوله تعالى: ﴿ فاصبر كما صبر أُولو العزم من الرُّسل ﴾ **فتعينت معرفتهم لذلك!**

كما جاء في القرآن بيان عددهم، وأسمائهم معاً، وذلك في آية من سورة الأحزاب وهي قوله تعالى: ﴿ وإذ أخذنا من النبيّين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى بن مريم ﴾. [ص٢١٦]:

ثم تحدّث عن وجوب **الإيمان بالرُّسل عليهم السلام**، فقال:

بعد أن عرفنا إمكان الوحي، وعرفنا الوحي وطرقه الخاصة به، وعرفنا

ضرورته وحاجة الناس إليه، كما عرّفنا النبوَّة، ومؤهلاتها، وعرَّفنا صفات الأنبياء والرُّسل، وتاريخهم العام، **نذكر إتماماً للبحث في هذا المعتقد أن الإيمان بالرُّسل إجمالاً وتفصيلاً جزء من عقيدة المؤمن لا يتجزّأ بحيث لا تصحّ عقيدة المؤمن ولا تكمل إلّا به!**

ومعنى الإيمان بالرُّسل إجمالاً: أن يؤمن المرء بكل نبيّ ورسول عرف نبوّته ورسالته عن طريق الوحي إيماناً تفصيلياً، فمَن عرفهم من طريق الوحي الإلٓهي بأسمائهم آمن بهم واحداً واحداً على التفصيل، ولا يؤمن برسالة بعض ويكفر برسالة البعض الآخر، إذ الكفر بواحد منهم يعتبر كفراً بجميعهم، **وقد تقدم آنفاً بيان الرُّسل الذين ذكروا في القرآن الكريم وهم خمسة وعشرون نبيّاً ورسولاً**. [ص ٢١٧]

١٦ ـ رأي فضيلة الشيخ سيد سابق في نبوّة آدم:

يقول المؤلف في كتابه[1] تحت عنوان (عصمة الأنبياء):

آدم عليه السلام:

﴿ وعصى آدم ربّه فغوى ﴾ [طه: ١٢١].

فظاهر هذه الآية **أنّ آدم عصى ربّه وغوى**، بمخالفة أمر الله واستجابته لدعوة الشيطان، وأن ذلك كان زلّة وقع فيها: ﴿ فأزلّهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه ﴾ [البقرة: ٣٦]، ولكن إذا أمعنّا النظر رأينا أن هذه المعصية إنما وقعت من آدم **نسياناً منه لعهد الله!! ولم يصدر عنه هذا الفعل عن إرادة وقصد!** والله سبحانه لا يؤاخذ **على الخطأ ولا على النسيان لأن ذلك تكليف بما لا يُطاق**، والله لا يكلّف نفساً إلاّ وسعها، والأصل في هذه القاعدة قول الله سبحانه:

﴿ وليس عليكم جُناح فيما أخطأتم به، ولكن ما تعمّدت قلوبكم ﴾ [الأحزاب: ٥].

وقوله: ﴿ ربّنا لا تُؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

والدليل على أن ما وقع من آدم **كان نسياناً** ومن غير عمد، قول الله سبحانه:

---

(١) العقائد الإسلامية ـ سيد سابق ـ الطبعة الثالثة ـ الناشر: دار الكتب الحديث ـ بالقاهرة.

﴿ ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي، ولم نجد له عزماً ﴾، أي أن آدم نسي عهد الله الذي وصّاه به حين ارتكب ما نهاه عنه من الأكل من الشجرة، **ولم يوجد له عزم على فعل ما نُهي عنه..! وحيث لم يوجد العزم على المعصية، فلا توجد المؤاخذة!**

وإنما اعتبر القرآن ذلك النسيان عصياناً نظراً لمقام آدم الذي خلقه الله بيده، ونفخ فيه من روحه، وأسجد له ملائكته، وأسكنه جنّته، وعلّمه الأسماء كلها، والذي شأنه هكذا يجب أن يكون يقظاً كأقوى ما تكون اليقظة **بحيث لا ينسى وصية الله وعهده إليه،** فهذا: من باب حسنات الأبرار سيئات المقربين! [ص ١٦١ ـ ١٦٢].

١٧ـ رأي الأستاذ عفيف طبارة عن نبوّة آدم وإدريس ونوح:

تحدّث المؤلف في كتابه[١] في الفصل الأول ـ تكوين آدم وتكريمه:

«**ملاحظة**: لم يذكر القرآن لفظ النبوّة بإزاء آدم كما ذكر ذلك بإزاء غيره من الأنبياء، ولكن ذكر أن الله خاطبه بلا واسطة فأمره ونهاه وأحلّ له وحرّم عليه، وهذا هو معنى النبوّة، وعلى هذا الأساس نستعرض قصة آدم كما جاءت في القرآن ضمن عرضنا قصص الأنبياء عبر تاريخ الإنسان.

ويقول المؤلف في الفصل الخامس: (نبوّة إدريس)[*]

وخلاصة أقوال العلماء فيه أنه أول مَن نزل عليه المَلَك جبريل بالوحي لهداية نَسْل (قابيل) ليرجعوا عن غيِّهم وكفرهم، ويتوبوا إلى الله، ويسيروا حسب شريعته.

والقرآن لم يذكر شيئاً مفصلاً عن حياته وتعاليمه، كما أنه ليس هناك سند تاريخي ثابت عن حياته.

وتحدث في الباب الثالث ـ الفصل الأول عن قصة نوح فقال:

نوح عليه السلام أول رسول[٢] أرسله الله بالرسالة الإلٓهية إلى قومه عندما تحوّلوا إلى عبادة الأصنام وأمعنوا في الضلالة والكفر. [ص ٦١].

---

(١) مع الأنبياء في القرآن الكريم: عفيف عبد الفتاح طبارة ـ الطبعة السابعة، أيار ١٩٧٧ ـ توزيع دار العلم للملايين ـ بيروت.

(*) جاء ترتيبه بعد آدم.

(٢) هذا ما ثبت في الصحيحين عن النبيّ في حديث الشفاعة أن نوحاً أول الرُسل إلى أهل الأرض، وبعض العلماء يؤوّل هذا الحديث ويقول برسالة آدم وإدريس فيكون نوح هو النبيّ الثالث.

١٨ - رأي الأستاذ محمد خليل رفاعي

قال المؤلف في كتابه [1]:

ويجب على كل مكلّف معرفة خمسة وعشرين نبيًّا، **أولهم آدم**، وآخرهم محمد ﷺ، وقد نظمها بعضهم فقال:

حتم على كل ذي التكليف معرفةٌ   بأنبياء على التفصيل قد عُلِمُوا
في تلك حجَّتنا منهم ثمانية   من بعد عشرٍ ويبقى سبعة وَهُمُ
إدريس هود شعيب صالح وكذا   ذو الكفل آدم بالمختار قد خُتِمُوا

** .. ** .. **

(١) عقيدة المسلم من الكتاب والسنّة - محمد خليل الرفاعي - دار الاعتصام - القاهرة - ١٩٧٦، [ص ٥٧ - ٥٨].

١٩ - رأي الشيخ عبد الله الحبشي:

يقول المؤلف فى كتابه (الصراط المستقيم)[١]:

[فقديماً، كان البشر جميعهم على دين واحد، هو الإسلام. وإنما حدث الشرك والكفر بالله تعالى بعد النبيّ إدريس عليه السلام. **فكان نوح**[٢] **أول نبيٍّ أُرسل إلى الكفّار** يدعو إلى عبادة الله الواحد الذي لا شريك له، وقد حذّر الله جميع الرُّسل من بعده من الشرك](*).

وتحدّث في الصفحة ١٦ من كتابه المذكور عن الجنة والنار وعن مكانهما فقال:

[وليست **الجنّة** في السماوات السبع، بل هي فوق السماوات وتحت العرش...

وليست النار في الأرض، بل **هي تحت الأرض السابعة منفصلة!**]. (**).

---

(١) الصراط المستقيم - عبد الله بن محمد الشيبي المعروف بالحبشي - الطبعة السادسة، ١٤٠٣ هـ - يطلب من مسجد برج أبي حيدر - بيروت - [ص٧].

(٢) يقول المؤلف في الحاشية: بين نوح وإدريس عليهما السلام ألف سنة، وتلك الفترة تسمّى الجاهلية الأولى، التي عَنَاها الله بقوله: ﴿ولا تبرَّجن تبرُّج الجاهلية الأولى﴾.

(*) يُفهم من كلام المؤلف أنه يؤمن بنبوّة آدم وربما يؤمن بنبوّة شيث ولكن لم يذكر الدليل. كما أنه يؤمن بإرسال إدريس قبل نوح [المؤلف].

(**) لا أدري ما هو دليله من الكتاب والسنّة [المؤلف]

ويقول في كتابه (مختصر عبد الله الهرري الكافل بعلم الدين الضروري)[1] في فصل (ضروريات الاعتقاد).

«. . . ويجب اعتقاد أنَّ كل نبيٍّ من أنبياء الله، يجب أن يكون متَّصفاً بالصدق، والأمانة، والفطانة، فيستحيل عليهم الكذب والخيانة والرذالة والسفاهة والبلادة، **وتجب لهم العصمة** من الكفر والكبائر وصغائر الخسَّة **قبل النبوّة وبعدها، ويجوز عليهم ما سوى ذلك من المعاصي**[*]، لكن ينبّهون فوراً للتوبة قبل أن يقتدي بهم فيها غيرهم».

---

(١) مختصر عبد الله الهرري الكافل بعلم الدين الضروري ـ للشيخ عبد الله الحبشي ـ الطبعة الثانية، ١٤٠٤ هـ ـ يطلب من مسجد أبي حيدر في بيروت ـ [ص٧].

(*) ولكن القرآن أثبت أن آدم عصى بقوله: ﴿وعصى آدم ربَّه فغوى﴾ والشيخ عبد الوهاب النجّار في كتابه قصص الأنبياء تساءل: إذا كان آدم نبيّاً فكيف عصى، والأنبياء معصومون من المعصية؟ ثم ردّ على مَن قال:

إن ذلك كان قبل النبوّة المستلزمة للعصمة من المعصية، بقوله: وهو جواب حسن لولا أنه وقع بعد صدور الأمر والنهي إليه بلا واسطة، **وهو ما جعلناه من أمارات نبوّته!. [المؤلــف]**

٢٠ ـ رأي فضيلة الشيخ الدكتور صبحي الصالح رحمه الله:

ـ وجّهت مجلة الرسالة الإسلامية اللبنانية سؤالاً إلى فضيلته يقول:

*** هل آدم عليه السلام نبيّ من الأنبياء؟ وما الدليل على نبوّته من القرآن الكريم والسُّنَّة النبوية الشريفة؟**

وقد ردّ فضيلته على هذا السؤال قبل اغتياله بيوم واحد بحديث عنوانه: [نعم.. آدم نبيّ] نشرته المجلة في عددها رقم ٧٧ ـ السنة التاسعة ـ تشرين الثاني ١٩٨٦، وقال فيه:

«عندما نفهم المراد من النُّبوَّة بمفهومها الديني، نميل إلى تصويب الرأي القائل إن آدم أبا البشر، كان نبيّاً، لأنَّ حصر النُّبوّة في معاني الوحي المقترن بالتبليغ لم يرد في مجاله الديني الخالص، إلّا عند تفرقة العلماء بين العاديِّين من البشر والأشخاص المميَّزين الذين اختصّهم الله بضرب من الإلهام لم يمنح مثلهم سواهم، بيد أنَّ هذا المفهوم الاصطلاحي لم يخطر ببال أئِمّتنا عندما وصفوا آدم أبا البشر بوصف النُّبوَّة، وإنما كان كُلُّ الذي تَصَوَّرُوهُ مرتدّاً إلى استنتاجات بعضها وردت به ألفاظ من القرآن الكريم، وبعضها الآخر أوحت به جملة من الأنباء المبثوثة في القصص الديني، سواء أصحَّت رواياته وأسانيده، أم كانت من قبيل الإسرائيليات، أو من الأخبار والأساطير المروية عمّن أسلم أو تظاهر بالإسلام من أهل الكتاب، ولا سيما اليهود! لذلك أجمع العلماء من سلفنا الصالح على أمرين يتعلقان برمز الجنس الآدمي المكرّم آدم عليه السلام، أمّا أحدهما فكونه أباً لهذا

الجنس، وأمّا الثاني فكونه نبيّاً بالمعنى الأصلي لهذا اللفظ في العربية.

ثُمَّ يضيف قائلاً:

«وبرغم اتّفاق العلماء على نُبُوَّة آدم فوق كونه أبا البشر، أوردت طائفة من المتكلّمين شُبَهاً حول هذه القضية، عندما استغربوا أن تقع معصية مِمَّن وُصِفَ بالنُّبُوَّةِ، ومن ذلك ما ورد في حقّ آدم: ﴿ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ ﴾[1]، وقالوا: كيف يمكن أن يكون نبيّاً مَن عَصَى وَغَوَى، مع أنَّ مِن أهمِّ أوصاف النُّبُوَّة العصمة من الوقوع في المعاصي، ولا سيما إذا كانت من الكبائر». ثُمَّ فَسَّرَ فضيلة الدكتور الشيخ صبحي الصالح قوله سبحانه: ﴿ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ ﴾، بقوله: فالمراد أنَّ بني آدم مستعدُّون استعداداً فطرياً للوقوع في المعاصي»!!

* . * . *

هذه مقتطفات من مقاله، ومَن قرأ المقال قراءة متأنيَّة يدرك بأنَّ الكاتب لم يردّ على سؤال المجلة: (.. وما الدليل على نُبُوَّته مِنَ القرآن الكريم والسُّنَّة النَّبويَّة الشريفة).

---

(١) طه: ١٢١

٢١ - رأي فضيلة الشيخ حسن خالد[1] في نبوّة آدم ورسالته:

وقد جاء في فتواه ردّاً على سؤال:

[ما هو حكم الإسلام فيمَن اعتقد بأنّ نوحاً عليه السلام هو أول رُسُل الله إلى الأرض استناداً إلى قوله تعالى في [سورة النساء الآية: ١٦٣]: ﴿ إنَّا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح **والنبيِّين من بعده** ﴾، واستناداً إلى حديث الشفاعة الذي ورد في صحيح البخاري ومسلم وفيه «..فيأتون نوحاً فيقولون: **يا نوح أنت أول الرُّسل إلى أهل الأرض**، وقد سمّاك الله عبداً شكوراً..».

هل يعتبر مَن اعتقد ذلك **أنه كافر يجب تطليق زوجته منه**]؟؟

فقال في جوابه:

إن استدلال السائل في سؤاله على أن نوحاً عليه السلام هو أول رُسُل الله بقوله تعالى: ﴿ إنَّا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح **والنبيِّين من بعده** ﴾ لا يصحّ!!... ثم قال: بل الإنصاف ليقتضينا ألاّ ننسى أنَّ آدم قد ذكره الله مع نوح عليهما السلام في [الآية ٣٣ من سورة آل عمران] بقوله: ﴿ إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين ﴾.

ثم استشهد بما ذكره بعض المفسرين الذين قالوا إن معنى الاصطفاء هو النبوّة.

---

(١) **مفتي الجمهورية اللبنانية - راجع فتوى رقم ٨٨/٨٥٩ - تاريخ ١٩٨٨/٦/٢٢.**

ثم قال:

وأما استدلال السائل على أوليّة نبوّة نوح ورسالته مطلقاً بما ورد في حديث الشفاعة عند البخاري ومسلم فيأتون نوحاً فيقولون: «**يا نوح أنت أول الرُّسل إلى أهل الأرض**»، **فلا يفيده في إثبات أوليّة نبوّة نوح ورسالته مطلقاً!!**

وأضاف: **ويحتمل** أن تكون **الأولية** في قول أهل الموقف لنوح: **أنت أول الرُّسل إلى أهل الأرض،** لأنه في زمن آدم لم يكن للأرض أهل!! أو لأن رسالة آدم إلى بنيه كانت كالتربية للأولاد.. **ويحتمل** أن يكون المراد أن نوحاً أول رسول أُرسل إلى بنيه وغيرهم من الأمم الذين أرسل إليهم مع تفرّقهم في عدّة بلاد.. وآدم إنما أُرسل إلى بنيه فقط!! وكانوا مجتمعين في بلدة واحدة [فتح الباري لابن حجر: ٦/٢٨٧] أو أن نوحاً عليه السلام كان أول الرُّسل للبشرية بعد الطوفان الذي أفنى الناس كلهم إلّا مَن كانوا معه في الفلك!.

ثم قال:

هذا وقد أجاب الإمام النووي أيضاً عن أوليّة رسالة نوح إلى أهل الأرض كما وردت في قول أهل الموقف في حديث الشفاعة فقال:

«فإنّ آدم وإن كان رسولاً فإنما أرسل لبنيه ولم يكونوا كفّاراً، بل أُمر بتعليمهم الإيمانَ وطاعة الله تعالى، **بخلاف رسالة نوح فإنها إلى كفّار أهل الأرض**» [شرح النووي على صحيح مسلم].

ثم قال:

وأجاب الإمام بدر الدين **محمود العيني** أيضاً عن أوليّة رسالة نوح المذكورة في حديث الشفاعة فقال:

قولهم لنوح: «أنت أول الرُّسل إلى أهل الأرض» إنما قالوا له ذلك لأنه آدم الثاني، **أو لأنَّه أول رسول هلك قومه**، أو لأنَّ آدم خرج بقولهم: «إلى أهل الأرض» لأنَّ الأرض لم يكن لها أهل حينئذ في عهد آدم، **أو لأن رسالته** كانت بمنزلة التربية للأولاد.. **وفي التوضيح**:

«قولهم: أنت أول الرُّسـل إلى أهل الأرض هـو الصحيح، قـاله الداودي. وروي أنّ **آدم** عليه السلام **نبيٌّ ومرسل**... وقيل هو **نبيٌّ وليس برسول.. وقيل رسول وليس نبيًّا!!** انتهى!!

وقال ابن بطّال: آدم ليس برسول.. نقله عنه الكرماني..

قلت (والكلام للعيني):

الصحيح أنّه نبيّ ورسول.. وقد نزل عليه جبريل.. وأنزل عليه صحفاً وعلّم أولاده الشرائع.. وقول ابن بطّال غير صحيح.

[عمدة القاري شرح صحيح البخاري للعيني: ١٥/٢٢١].

ثم قال الشيخ حسن خالد:

وبذلك يتبين أن استدلال السائل على أولية نبوّة نوح ورسالته بما ورد في قول أهل الموقف في حديث الشفاعة قد استدركه العلماء وعرفوه قبله، وأجابوا عنه بتلك الأجوبة، **فبقي الحكم بأولية نبوّة آدم ورسالته ثابتاً مطلقاً**، وبقيت أوليّة رسالة نوح في حديث الشفاعة محمولة على المعاني والوجوه التي ذكرها العلماء وأوردناها آنفاً، **ولا تعارض بين النصوص مطلقاً!!**

ثم قال:

ولمّا كانت نصوص القرآن الكريم ـ وإن لم تذكر صراحة رسالة أو نبوّة آدم عليه السلام ـ إلاّ أنها في الحقيقة والمضمون تدلُّ عليها دلالة واضحة، دون أن **يكون فيها ما ينفيها**.. وهذا لا يخفى على كل مدقّق وعالِم!!

ولمّا كانت تلك النصوص أيضاً لا تدلّ على أوليّة رسالة نوح، وذلك لتعارضها مع مفهوم حديث المعراج الوارد في صحيح البخاري، والمفيد إفادة واضحة برسالة آدم عليه السلام!!

لذلك كله..

فإننا ننتهي إلى القول:

أولاً: إننا نؤمن بأن آدم عليه السلام هو نبيٌّ ورسولٌ، وأنه أول الأنبياء والرُّسل عليهم السلام.. وهو ما ذهب إليه جمهور علماء المسلمين من الصحابة والتابعين وأتباعهم والسلف الصالح، **ولا يُعتدُّ بما ذهب إليه المخالفون!!**

وأضاف: **هذا ما رجح لدينا**.. والله أعلم[1]!!

كما أنه لم يُجِب السائل على سؤاله: هل يعتبر مَن اعتقد بأوليّة نبوّة نوح ورسالته أنه كافر يجب تطليق زوجته منه!!

**.. ** .. **

(١) من الملاحظ أن سماحة المفتي لم يُشِر إلى آراء العلماء والمفسّرين الذين يرون أوليّة نبوّة نوح ورسالته ويرون أن آية الاصطفاء لا تعني النبوّة كما قال الآلوسي وغيره.. وردّ عليهم بقوله: (ولا يعتدُّ بما ذهب إليه المخالفون) !! وليس هذا من الأمانة العلمية في شيء!.

٢٢ ـ رأي الشيخ محمد كنعان:

في نبوّة آدم ورسالته، وفي سابقية إرسال إدريس قبل نوح عليه السلام

كتب الشيخ محمد كنعان قاضي بيروت الشرعي مقالاً في مجلة الفكر الإسلامي الصادرة عن دار الفتوى في بيروت ـ العدد السابع ـ السنة السادسة عشرة: ١٤٠٧ هـ ـ ١٩٨٧ .[ص ١٢ ـ ١٤] بعنوان [معذرة أبا البشرية] ردّ فيه على مَن يرى ويقول بأوليّة نبوَّة نوح ورسالته استناداً إلى نصّ القرآن الكريم في [سورة النساء: ١٦٣]: ﴿ إنّا أوحينا إليك كما أوحينا **إلى نوح والنبيّين من بعده** ﴾، وهذه إشارة إلى أوليّة الوحي بالنبوّة والرسالة إلى نوح والنبيّين من بعده، وقد عزّز فهمه بأولية هذه النبوّة والرسالة بحديث الرسول ﷺ في صحيح البخاري على لسان آدم لأهل الموقف: «**ائتوا نوحاً أول نبيٍّ بعثه الله إلى أهل الأرض**» والرسول ﷺ يقول:

«تركت فيكم ما إن تمسكتم بهما لن تضلّوا أبداً: كتاب الله وسنّة رسوله»، ردّ الشيخ محمد كنعان على من يرى أوليّة نبوّة نوح ورسالته بقوله:

«أيّ عالم هذا الذي يفهم هذا الفهم؟ هكذا اعتباطياً يفهم ويحكم. **فلو كان عنده أدنى مستوى من العلم، بل لو كان من العامّة الذين يقرأون** القرآن مجرد قراءة، لقرأ قول الله تعالى في سورة مريم:

﴿ واذكر في الكتاب إدريس، إنّه كان صدِّيقاً نبيّاً، ورفعناه مكاناً عليّاً ﴾،

وأضاف:

وإدريس عليه السلام كان قبل نوح عليه السلام قطعاً!!

ثم ادّعى أن نبوّة آدم.. وإرسال إدريس عليه السلام قبل نوح عليه السلام من المسائل القطعية المبتوتة منذ قرون!!

ثم قال:

«إن آدم عليه السلام نبيّ ورسول بلا خلاف بين العلماء»!!

وأضاف:

فالقضية ليست هيِّنة كما يتوهم البعض، بل فيها أحد أمرين لا ثالث لهما:

إمَّا إيمان بنبوّة آدم فنجاة...!!

وإما إنكار لها فوقوع في الكفر البَوَاح!!.

** .. **

٢٣ - رأي الشيخ نزار الحلبي في نبوّة آدم:

كتب الشيخ نزار الحلبي مقالاً[1] بعنوان [آدم عليه السلام نبيٌّ بالقطع واليقين] جاء فيه:

وبما أنَّ الفتنة في الدين أشدّ من القتل!

وبما أنَّ إنكار نبوّة آدم فتنة في الدين!

لذلك صار لزاماً علينا أن ننصر دين الله، فنعظّم أنبياءه، **وأوّلهم آدم عليه السلام!**

ثم استشهد للدلالة على نبوّة آدم بقوله تعالى:

﴿ وإن من أمّة إلّا خلا فيها نذير ﴾.

وقوله سبحانه: ﴿ ولكلّ أمّة رسول ﴾.

ثم قال: وبما أنّ آدم أول البشر، وأولاده أوّل أُمّة، فلا بدّ أن يكون فيها رسول ألا وهو آدم عليه السلام لما سيأتي ذكره.

وهو أن قصة ابني آدم الواردة في القرآن الكريم... تدلّ على أن قابيل الذي قتل هابيل قد استحقّ العقوبة بقتله أخيه لأنه تعالى قال: ﴿ فأصبح من الخاسرين ﴾ كما فسّرها بذلك ترجمان القرآن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما.

---

(١) مجلة الفكر الإسلامي - تصدر عن دار الفتوى في بيروت - العدد السابع - السنة السادسة عشرة، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م، [ص ١٧ - ١٩].

وأضاف:

ومعلوم أن التحريم والعقوبة لا يكونان إلاّ بالوحي.. وقطعاً لم ينزل على غير أبيهما عليه السلام.. وإلاّ بِمَ استحقّ قابيل العقوبة، وقد قال الله تعالى: ﴿ وما كنّا معذِّبين حتَّى نبعث رسولاً ﴾.

ثم إنَّ قول الله تعالى: ﴿ إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين ﴾ **دالّ على نبوّة آدم عليه السلام** على ما ذكره أهل التفسير نقلاً عن الحسن ومجاهد ومقاتل هو أنه تعالى **اصطفاه** ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران **بالنبوّة!!**

ثم قال:

ومما يدلّ على نبوّة آدم عليه السلام أيضاً أن الله أسجد له الملائكة كلهم **وهذا دليل على أنه أفضل منهم**. ومَن يكون أفضل من الملائكة إلاّ الأنبياء؟.. وقد قال الله تعالى في حقّهم:

﴿ وكلاًّ فضّلنا على العالمين ﴾(*)، **والعالمين هنا الإنس والجن والملائكة!!**

وأضاف:

ومما يؤيده أيضاً قوله تعالى: ﴿ **فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء** ﴾، لأنه تعالى أراد أن يُري الملائكة آية عجيبة **تدلّ على نبوّة آدم عليه السلام!!**

ومما يؤيده أيضاً قوله تعالى:

﴿ واذكر في الكتاب إدريس إنه كان صدِّيقاً نبيّاً ﴾.

(*) على رأي كاتب المقال، فإنّ بني إسرائيل فضّلهم الله على الإنس والجنّ والملائكة لأنه قال في حقهم ﴿ يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم **وأنّي فضّلتكم على العالمين** ﴾!! [البقرة: ٤٧]. [**المؤلـــف**]

وذلك لأنه لا شكّ في أن إدريس كان قبل نوح عليهما السلام،

ثم قال:

وعليه فلا يكون حديث الشفاعة الذي رواه الإمام مسلم دالًّا على أوليّة نبوَّة نوح على الإطلاق! أي ونفي نبوّة آدم!!

ولفظ هذا الحديث هو: أنّ الناس يذهبون إلى نوح ويقولون له: «**أنت أول رُسُل الله إلى الأرض**».

وأضاف:

ثم إن الأوليّة المذكورة في هذا الحديث لو كانت أوليّة مطلقة لكان تكذيباً لنبوّة إدريس المنصوص عليها في القرآن!! ولسقط احتجاج مَن احتج به على هذا الوجه المردود في أوليّة نبوَّة نوح على الإطلاق **وإنكار نبوَّة مَن قبله حتى آدم.. فهذه الأوليّة التي في هذا الحديث** أوليّة نسبية وليست مطلقة كما في قوله تعالى حكاية عن نبيّه محمد ﷺ: ﴿ وأُمرت لأن أكون أول المسلمين ﴾(*).

ثم استند في الدلالة على نبوّة آدم من حديث أبي ذر المعروف الذي ادّعى كاتب المقال بأنه حديث صحيح لم يطعن فيه واحد من الحفّاظ والمحدِّثين بل صحّحه ابن حبّان وسلّم له الحافظ ابن حجر في شرح البخاري!!

والمستند الثالث في نبوّة آدم حكاية الإجماع الذي أورده البغدادي في كتابه (أصول الدين) بلفظ:

أجمع المسلمون وأهل الكتاب على أنّ أول مَن أُرسل من الناس آدم عليه السلام!!

(*) مع أن هذه الآية لا يضلّ في فهمها حتّى العاميّ بأن خاتم النبيّين أُمر أن يكون أول المسلمين من هذه الأمة.. وإلاّ حكمنا بعدم إسلام أيّ إنسان على وجه الأرض من آدم عليه السلام حتى محمد عليه السلام!! [**المؤلـــف**].

٢٤ ـ رأي الشيخ أحمد العجوز:

قال الشيخ أحمد العجوز في كتابه[1] تحت عنوان (**الإيمان بالرُّسل**):

الرُّسل: أُنـاس اختارهم الله من صفـوة البشر، وأمـدّهم بوحيـه، وأرسلهم إلى الناس بشرائعه، ليهدوهم إلى الإيمان بربِّهم، وليوجِّهوهم إلى طاعته، والعمل بأحكامه، فيفوزوا بسعادة الدنيا وفَلاح الآخرة. **أوّلهم آدم أبو البشر**، وآخرهم سيّدنا محمد ﷺ.

** .. ** .. **

---

(١) مناهج الشريعة الإسلامية ـ الجزء الأول ـ الشيخ أحمد العجوز ـ الطبعة الأولى ـ ١٣٨٥ هـ ـ ١٩٦٩ م ـ منشورات مؤسسة المعارف ، بيروت، [ص ٣٢].

٢٥- رأي الأستاذ محمد خضر في عدد الرُّسل:

تحدّث المؤلف في كتابه[١] تحت عنوان الإيمان بالرُّسل:

عددهم: وقد ذكر القرآن الكريم أسماء خمسة وعشرين رسولاً، موضّحاً بأن أنبياء غيرهم لم يذكرهم، قال الله تعالى: ﴿ولقد أرسلنا رُسُلاً من قبلك، منهم مَن قصصنا عليك ومنهم مَن لم نقصص عليك﴾، ومن رُسُل الله الذين ذكرت أسماؤهم في كتاب الله آدم، صالح، إبراهيم، نوح، داود، موسى، وعيسى، وخاتم الرُّسل محمد عليهم جميعاً الصلاة والسلام.

[ص ١٥ - ١٦]

** .. ** .. **

---

(١) الهداية الإسلامية **الجزء الأول** للصفوف الثانوية، تأليف الدكتور محمد حمد خضر، (الطبعة الخامسة) ١٩٧٥، قررت المديرية العامة للأوقاف الإسلامية وكثير من المدارس تدريس هذه السلسلة.

٢٦ ـ وجاء في كتاب المبادىء الإسلامية[1] (الأصدقاء الأربعة):

تحت عنوان أركان الإيمان ما يلي: أركان الإيمان ستة:

١ ـ الإيمان بالله، خالق السماوات والأرض.

٢ ـ الإيمان بالملائكة.

٣ ـ الإيمان بالكتب السماوية التي أنزلها الله على رُسُله لهداية الناس وإرشادهم إلى ما فيه خيرهم وسعادتهم، وهي بترتيب النزول:

أ ـ **التوراة** التي أُنزلت على سيدنا موسى عليه السلام(*).
ب ـ الزبور الذي أُنزل على سيدنا داود عليه السلام.
جـ ـ الإنجيل الذي أُنزل على سيدنا عيسى عليه السلام.
د ـ القرآن الكريم الذي أُنزل على سيدنا محمد عليه السلام.

٤ ـ الإيمان بالرُّسل، وهم كُثُر، لا يعلم عَدَدَهم إلاّ الله، وأوّلُهم أبو البشر سيدنا آدم عليه السلام، وآخرهم نبيُّنا محمد ﷺ.

٥ ـ الإيمان باليوم الآخر الذي يُحاسِبُ اللهُ فيه النَّاسَ على أعمالهم بالعدل.

٦ ـ الإيمان بالقضاء والقدر.

---

(١) المبادىء الإسلامية (الأصدقاء الأربعة) السنة الرابعة الابتدائية ـ منشورات دار المقاصد الإسلامية ـ بيروت ـ الطبعة الأولى، ١٩٨٩ م ـ ١٤٠٩ هـ.

(*) كان من المستحسن الإشارة إلى صحف إبراهيم التي وردت في القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿إنّ هذا لفي الصحف الأولى، صحف إبراهيم وموسى﴾[سورة الأعلى: ١٨-١٩].

٢٧ ــ وجاء في كتاب (جمعية التعليم الديني الاسلامي)[(١)]:

- **مَن هم الأنبياء؟**

الأنبياء: جمع نبيّ، والنبيّ إنسان.. اختاره الله ليكون سفيره إلى الناس.. والنبيُّ هو السفير الإلٓهي الذي ينقل إلى الناس تعاليم الله وأحكامه من أجل أن يعمّ الخير والعدل، ويسود الأمن الاستقرار. [ص ١٥ - ١٦].

- **الأنبياء عبر التاريخ**: قال الله تعالى: ﴿ولقد بعثنا في كل أُمَّةٍ رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت﴾ [النحل: ٣٦].

فمسيرة الأنبياء رافقت تاريخ البشرية **منذ آدم عليه السلام**، أول إنسان على الأرض وحتى وفاة سيدنا محمد ﷺ خاتم الأنبياء.

وقد حدّد الله لكل نبيٍّ وظيفة خاصة ومحددة، تتناسب واحتياجات الناس ومستوياتهم، **فكان هناك قسمان من الأنبياء**:

أ - أنبياء أُرسلوا إلى مناطق معينة أو قرى محدّدة.. فكانت وظيفتهم هداية هؤلاء الناس فقط، أمثال:

- هــود.

(١) من سلسلة (الإسلام رسالتنا)، هيئة التأليف في (جمعية التعليم الديني الإسلامي) الجزء الأول - الطبعة السابعة، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م - نشر الشركة العالمية للكتاب [دار الكتاب اللبناني - مكتبة المدرسة].

- صـالح.
- لـوط.
- شـعيب.

ب - أنبياء عالميّون أُرسلوا إلى البشر كافّة، فكانوا يحملون كتباً سماوية (كالتوراة والإنجيل والقرآن) وشرائع ورسالات لجميع النـاس. وهؤلاء الأنبياء يدعون بـ«**أولي العزم**» وهم خمسة:

١ - نـوح.
٢ - إبـراهيم.
٣ - موسـى.
٤ - عيسـى.
٥ - محمـد ﷺ.

أسئلة حول الدرس:

١ - لماذا أرسل الله الأنبياء إلى البشر؟.

٢ - ما الفرق بين الرسول والنبيّ؟
وهل نعتبر أُولي العزم من الرُّسل؟ لماذا؟

** . . **

٢٨ - رأي فضيلة الشيخ عبد الله العلايلي:

أجاب فضيلته مندوبة مجلة «الشراع» اللبنانية ردّاً على سؤالها:

هل آدم نبيّ ورسول؟ فقـال:

«إنَّ الله عز وجل اصطفى آدم على الناس أجمعين . .

والنَّبي أو الرسول مهمته تبليغ الدعوة الموكلة إليه . . فيما لم يكن هناك من يجب تبليغ الدعوة إليهم. إذاً، هنالك سؤال يطرح نفسـه: **نبيٌّ على مـن؟. ورسولٌ لمـن؟**(*) ».

(*) راجع مجلة الشراع اللبنانية، عدد ٣٥٤، كانون الثاني - يناير ١٩٨٩، ص ١٤، مقال: «علماء المسلمين ينقسمون حول آدم».

ملخص آراء العلماء حول نبوّة آدم
مع بعض الملاحظات

والآن.. وبعد أن استعرضنا آراء العلماء قديماً وحديثاً حول آدم وحول الحديث عن نبوّة آدم ورسالته، يُحسن بنا أن نلخص آراءهم قبل أن نُبدي رأينا في ذلك:

١ ـ **فبعض العلماء يرى نبوَّة آدم دون رسالته**، كالشيخ عبد الوهاب النّجار، **لأنّ** حديث الشفاعة الذي رواه مسلم **أثبت أوليّة رسالة نوح** على لسان أهل الموقف: «**أنت أوّل رُسُل الله إلى الأرض**» في حين أن الشيخ آدم عبد الله الألوري يقول: **أمّا حديث الشفاعة فلا ينهض دليلاً لردِّ رسالة آدم، وبدءِ الرسالة بنوح!!**.

٢ ـ وبعضهم يرى **أنّ آدم كان رسولاً في الأرض**.. وبعضهم يرى **أنّ آدم كان رسولاً لأهل السماء**.. والأغرب من ذلك أن عالِماً جليلاً جمع بين هذين القولين في كتابه [الإحكام في أصول الأحكام] حيث أثبت رأيه الأول في الجزء الأول من كتابه.. ثم أثبت رأيه الثاني في الجزء الخامس من كتابه!! في حين أن الأستاذ عبد السلام محمد بدوي يقول: إن آدم **نبيّ الملائكة!** ولكن الشيخ أحمد الصباحي عوض الله يرى **أن الله جعل آدم نبيّاً ورسولاً إلى زوجه وأولاده**...

٣ ـ وبعض العلماء يرى **أن نبوَّة آدم مقصورة عليه**، وما نزل عليه من الوحي متوجهاً إليه، **فكان من المصطفين دون المرسلين**، كما يقول الإمام

الماوردي، **في** حين أن الأستاذ آدم عبد الله الألوري يرى أنّ القرآن **نظم آدم في سلك الرُّسل** إذ أطلق عليه كلمة **اصطفى**.. وأضاف: **ولا يطلق القرآن هذه الكلمة إلّا على المرسلين!!**

٤ - وبعض العلماء يرى أن آدم أول الأنبياء.. وأنّ نوحاً أول الرُّسل كما يقول الإمام ابن كثير وغيره.. **في** حين **رجّح بعضهم** رسالة آدم كما قال الشيخ علي الطنطاوي: «وذُكِرَ آدم، **ولم يصرّح بأنه كان رسولاً**، ولكن تدلُّ الآيات التي ذُكِرَ فيها على **ترجيح القول برسالته**.

٥ - ويرى بعض العلماء أن آدم **عصى قبل النبوّة** كما يقول الإمام الرضا علي بن موسى.. في حين يرى بعضهم **أن آدم عصى بعد النبوّة** كما أشار إلى ذلك الشيخ عبد الوهاب النَّجار، **ويرى البعض الثالث** أنّ ظاهر آية ﴿وعصى آدم ربّه فغوى﴾ أنّ آدم عصى ربّه وغوى بمخالفته أمر الله، واستجابته لدعوة الشيطان، وأن ذلك كان زَلَّة وقع فيها كما يقول الشيخ سيد سابق.. وأضاف: ولكن إذا أمعنّا النظر رأينا أنّ هذه المعصية إنما وقعت من آدم **نسياناً منه لعهد الله**، ولم يصدر عنه هذا الفعل عن إرادة وقصد.. **ولم يوجد له عزم على فعل ما نُهِيَ عنه!!** وحيث لم يوجد العزم على المعصية، فلا توجد المؤاخذة!! **والبعض الرابع يقول**: والصحيح الذي عليه المعوّل من أقوال العلماء هو: أنّ الأنبياء صلوات الله عليهم **معصومون عن المعاصي** (الصغائر والكبائر) **بعد النبوّة** باتّفاق.. كما يقول الأستاذ محمد علي الصابوني.. نقلاً عن الشيخ حبنكة ويؤكد الأستاذ علي الطنطاوي **استحالة وقوع المعصية من الرسول بعد الرسالة** بقوله: «**ويستحيل أن تقع من الرسول (بعد رسالته) معصيـــة**»!!.

٦ - من الملاحظ أن أكثر كتب قصص الأنبياء وبعض كتب العقيدة الإسلامية جعلت ترتيب الأنبياء هكذا: [آدم - إدريس - نوح] كالإمام الماوردي، وابن كثير، والنيسابوري الثعلبي، وعبد الوهاب النجار،

وعفيف طبارة، ومحمد علي الصابوني، وعبد الرحمن حسن حبنكة الميداني.

في حين أن البعص الآخر جعل ترتيب الأنبياء هكذا: [آدم ـ شيث ـ إدريس ـ نوح] كالإمام ابن تيمية، وأحمد الصباحي عوض الله، ونعمة الله الجزائري الإمامي، وأبو بكر جابر الجزائري.

وبعض العلماء يؤكد سابقيّة إدريس على نوح كالشيخ عبدالله الحبشي ونزار الحلبي ومحمد كنعان في حين أن غيرهم من العلماء كالشيخ البهي الخولي وسيد قطب لا يرون هذا الرأي كما سيأتي فيما بعد.

٧ ـ ومن الملاحظ أنَّ بعض كتب قصص الأنبياء، اشتملت على بعض الخرافات والأساطير منها أن الله عزّ وجل لما أهبط آدم وزوجته حوّاء إلى الأرض، كانت رجلاه على ثنية الصفا، ورأسه دون أُفق السماء، وأنه شكى إلى الله ما يصيبه من حرّ الشمس، فصيَّر طوله سبعين ذراعاً بذراعه، وجعل طول حوّاء خمسة وثلاثين ذراعاً بذراعها!! كما حدّث ذلك السيد نعمة الله الجزائري. وأن آدم بكى على الجنة حتى صار على خدّيه مثل النهرين العظيمين من الدموع! وقال الشيخ أحمد الصباحي عوض الله ـ نقلاً عن ابن عباس ـ: «بكى آدم وحوّاء على ما فاتهما من نعيم الجنة **مائتي سنة**، ولم يأكلا ويشربا **أربعين سنة**، ولم يقرب آدم حوّاء **مائة سنة**!!

٨ ـ بعض كتّاب قصص الأنبياء يرى أن حوّاء ولدت لآدم أربعين ولداً في عشرين بطناً، كما نقل ذلك ابن كثير عن ابن جرير الطبري في تاريخه، وقيل مائة وعشرين بطناً كما ذكر ابن كثير، أولهم قابيل وأخته إقليما.. وآخرهم عبد المغيث وأخته أُمّ المغيث.. ويرى بعضهم أن آدم لم يمت حتى وُلد له أربعون ألفاً من البنين والبنات كما يقول الأستاذ أحمد الصباحي عوض الله، في حين ذكر أهل التاريخ أن آدم عليه السلام لم يمت

حتّى رأى من ذرّيته من أولاده وأولاد أولاده أربعمائة ألف نسمة فقط لا غير!! فالفرق بسيط جداً ما بين أربعين ولداً إلى أربعمائة ألف ولد!!

٩ ـ بعض العلماء يرى أن آدم نزل عليه عشر صحف، وأن شيثاً نزل عليه خمسون صحيفة، وأن خنوخ نزل عليه ثلاثون صحيفة، وأن نوحاً نزل عليه عشر صحف!!

١٠ ـ ويرى بعض العلماء أنَّ الإيمان بالرُّسل إجمالاً وتفصيلاً جزءٌ من عقيدة المؤمن لا يتجزأ بحيث لا تصحُّ عقيدة المؤمن ولا تكمل إلّا به كما يقول أبو بكر جابر الجزائري في كتابه (عقيدة المؤمن) في حين أنَّ الشيخ عبد الله بن زيد آل محمود يرى وجوب الإيمان بالأنبياء جملة وضعف حديث أبي ذر في عددهم، ويؤيد هذا الرأي الأستاذ عبد الكريم التّتان بقوله: «**ولا نعيِّن عدداً لئلا يدخل فيهم مَن ليس منهم أو يخرج منهم مَن هو منهم**».

في حين يغالي بعضهم فيرى أنّ معرفة أُولي العزم من الرُّسل بأسمائهم مما يعتبر جزءاً من العقيدة الإسلامية!

١١ ـ إن كثيراً من كتب العقائد وكتب الدين المدرسية أوجبت الإيمان بخمسة وعشرين نبيّاً أو رسولاً أولهم آدم وآخرهم محمد ﷺ.

١٢ ـ ثم غالى بعض العلماء في نبوّة آدم فادّعى أن آدم عليه السلام نبيّ ورسول بلا خلاف بين العلماء!! وأن إدريس عليه السلام كان **قبل نوح** عليه السلام **قطعاً**!

وأضاف: فالقضية ليست هيِّنة كما يتوهم البعض، بل فيها أحد أمرين لا ثالث لهما:

إما إيمان بنبوّة آدم فنجاة!!

وإما إنكار لها فوقوع في الكفر البَوَاح!! (كما يقول الشيخ محمد كنعان).

ويؤيده في هذا الكلام الشيخ نزار الحلبي بقوله: (آدم عليه السلام نبيّ بالقطع واليقين).

ويقول: إن إنكار نبوّة آدم فتنة في الدين!! مدّعياً أن إدريس كان قبل نوح عليهما السلام بلا شك! وأن حديث الشفاعة ليس دالاًّ على أوليّة نبوَّة نوح على الإطلاق.. وأن هناك أوليّة نسبية وأوليّة مطلقة!! وأوليّة نبوّة نوح ليست أوليّة مطلقة بل هي أوليّة نسبية!!

أما سماحة مفتي الجمهورية اللبنانية الشيخ حسن خالد رحمه الله فقد قال في فتواه:

فإننا ننتهي إلى القول:

[إننا نؤمن بأن آدم عليه السلام هو **نبيٌّ ورسول، وأنه أول الأنبياء والرُّسل عليهم السلام**.. وهو ما ذهب إليه جمهور علماء المسلمين من الصحابة والتابعين وأتباعهم والسلف الصالح، **ولا يعتدُّ بما ذهب إليه المخالفون!!** ولم يتحدّث عن كفر أو ردّة المسلم الذي يؤمن بأولية نبوّة نوح ورسالته، مختتماً فتواه:

هذا ما **رجح لدينا**.. والله أعلم].

في حين أن فضيلة الشيخ عبد الله العلايلي يقول:

النبي والرسول مهمته تبليغ الدعوة الموكلة إليه.. فيما لم يكن هناك من يجب تبليغ الدعوة إليهم، إذاً هنالك سؤال يطرح نفسه: **نبيٌّ على من؟ ورسولٌ لمن؟**

*. *. *

فهل كانت نبوّة آدم ورسالته ظنيّة.. أم يقينية؟

وهل كانت الأولية بالنبوة والرسالة لنوح عليه السلام أم كانت لآدم من قبله.

وهل كانت أوليّة نبوّة نوح نسبية أم مطلقة؟

هذا ما سنحاول الإجابة عليه فيما بعد..

الفصـــل الثالـــث

العقــائد الأساسيــة في الإسلام
والقرآن والسُنّـة . . وثبــوت العقيـــدة

العقائد الأساسية في الإسلام

يقول الأستاذ محمود شلتوت في كتابه [الإسلام عقيدة وشريعة]:

ـ والعقائد الأساسية التي طلب الإسلام الإيمان بها، وكانت العنصر الأول من عناصره هي:

أولاً: وجود الله ووحدانيته، وتفرّده بالخلق والتدبير والتصرّف، وتنزّهه عن المشاركة في العزّة والسلطان، والمماثلة في الذات والصفات، وتفرّده باستحقاق العبادة والتقديس، والاتجاه إليه بالاستعانة والخضوع، فلا خالق غيره، ولا مدبّر غيره، ولا يماثله مما سواه شيء، ولا يشاركه في سلطانه وعزّته شيء، ولا تخضع القلوب وتتجه إلى شيء سواه: ﴿ قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ * اللهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفواً أَحَدٌ ﴾(1)، ﴿ قُلْ أَغَيْرَ اللهِ أَتَّخِذُ وَلِيّاً فَاطِرِ السَّمٰوَاتِ والأَرضِ وَهُوَ يُطْعِم وَلَا يُطْعَمُ؟ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾(2)، ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي للهِ رَبِّ الْعالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ * قُلْ أَغَيْرَ اللهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ؟ ﴾(3).

---

(1) سورة الإخلاص.

(2) الآية ١٤ من سورة الإنعام.

(3) الآيات ١٦٣، ١٦٤، ١٦٥، من سورة الأنعام.

ثانياً: أن الله يصطفي من عباده مَن يشاء، ويحمّله رسالته ـ عن طريق ملائكته ووحيه إلى خلقه ـ ثم يبعثه إليهم رسولاً يبلغهم، ويدعوهم إلى الإيمان والعمل الصالح. ومن هنا وجب الإيمان بجميع رُسُله الذين قصّهم علينا من نوح عليه السلام إلى محمد عليه السلام.

ثالثاً: الإيمان بالملائكة «سفراء الوحي بين الله ورُسُله» وبالكتب «رسالات الله إلى خلقه».

رابعاً: الإيمان بما تضمنته هذه الرسالات من يوم البعث والجزاء «الدار الآخرة» ومن أصول الشرائع والنظم التي ارتضاها الله لعباده، مما يناسب استعدادهم، وتقضي به مصالحهم، على الوجه الذي يكونون به مظهراً حقّاً لعدله ورحمته، وجلاله وحكمته.

كلمة الشهادة تجمع عقائد الإسلام وأصول شرائعه:

٢ ـ وقد جعل الإسلام عنوان تحقّق هذه العقائد عند الإنسان الشهادة بأن الله واحد، وأن محمداً رسوله «أشهد أن لا إلّه إلّا الله وأن محمداً رسول الله» وكانت تلك الشهادة هي المفتاح الذي يدخل به الإنسان في الإسلام، وتجري عليه أحكامه.

فالشهادة بوحدانية الله تتضمن كمال العقيدة في الله من جهتي الربوبية «الخلق والتربية» والألوهية «العبادة».

والشهادة برسالة محمد تتضمن التصديق بكمال العقيدة في الملائكة، والكتب، والرُّسل، واليوم الآخر، وأصول الشريعة والأحكام ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ، كُلٌّ آمَنَ بِالله وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ، لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِن رُسُلِهِ ﴾(٤).

---

(٤) الآية ٢٨٥ من سورة البقرة.

﴿ لَيْسَ البِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ المَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ، وَلٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلاَئِكَةِ وَالْكِتَابِ والنَّبِيِّينَ ﴾[٥].

الحدّ الفاصل بين الإسلام والكفر:

٣ ـ وعليه؛ فمَن لم يؤمن بوجود الله؛ أو لم يؤمن بوحدانيته وتنزّهه عن المشابهة والحلول والاتحاد؛ أو لم يؤمن بتفرّده بتدبير الكون والتصرّف فيه، واستحقاق العبادة والتقديس، واستباح عبادة مخلوق ما من المخلوقات؛ أو لم يؤمن بأن لله رسالات إلى خلقه، بعث بها رُسُله، وأنزل بها كتبه عن طريق ملائكته؛ أو لم يؤمن بما تضمنته الكتب من الرُّسل؛ أو فرّق بين الرُّسل الذين قصّ علينا فآمن بالبعض وكفر بالبعض؛ أو لم يؤمن بأن الحياة الدّنيا تفنى ويعقبها دار أخرى هي دار الجزاء ودار الإقامة الأبدية، بل اعتقد أن الحياة الدّنيا حياة دائمة لا تنقطع، أو اعتقد أنها تفنى فناءً دائماً لا بَعْث بعده، ولا حساب ولا جزاء؛ أو لم يؤمن بأن أصول شرع الله فيما حرّم وفيما أوجب، هي دينه الذي يجب أن يتّبع، فحرّم من تلقاء نفسه ما رأى تحريمه، وأوجب من تلقاء نفسه ما رأى وجوبه... مَن لم يؤمن بجانب من هذه الجوانب أو حلقة من هذه الحلقات لا يكون مسلماً، ولا تجري عليه أحكام المسلمين فيما بينهم وبين الله، وفيما بينهم بعضهم وبعض، وليس معنى هذا أن مَن لم يؤمن بشيء من ذلك يكون كافراً عند الله، يخلد في النار، وإنما معناه أنه لا تجري عليه في الدنيا أحكام الإسلام، فلا يطالب بما فرضه الله على المسلمين من العبادات، ولا يمنع مما حرّمه الإسلام كشرب الخمر وأكل الخنزير والإتجار بهما، ولا يغسله المسلمون إذا مات ولا يصلُّون عليه، ولا يرثه قريبه المسلم في ماله، كما لا يرث هو قريبه المسلم إذا مات.

---

(٥) الآية ١٧٧ من سورة البقرة.

أما الحكم بكفره عند الله فهو يتوقف على أن يكون إنكاره لتلك العقائد أو لشيء منها ـ بعد أن بلغته على وجهها الصحيح، واقتنع بها فيما بينه وبين نفسه، ولكنه أبى أن يعتنقها ويشهد بها عناداً واستكباراً، أو طمعاً في مال زائل أو جاه زائف، أو خوفاً من لوم فاسد؛ فإذا لم تبلغه تلك العقائد، أو بلغته بصورة مُنفِّرة أو صورة صحيحة ولم يكن من أهل النظر، أو كان من أهل النظر ولكن لم يوفّق إليها، وظل ينظر ويفكّر طلباً للحق، حتى أدركه الموت أثناء نظره ـ فإنه لا يكون كافراً يستحق الخلود في النار عند الله.

ومن هنا كانت الشعوب النائية التي لم تصل إليها عقيدة الإسلام أو وصلت إليها بصورة سيئة مُنفِّرة، أو لم يفقهوا حجته مع اجتهادهم في بحثها ـ بمنجاة من العقاب الأخروي للكافرين، ولا يطلق عليهم اسم الكفر.

والشرك الذي جاء في القرآن أن الله لا يغفره، هو الشرك الناشىء عن العناد والاستكبار.. الذي قال الله في أصحابه: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْماً وَعُلُوّاً﴾[٦].

القرآن... وثبوت العقيدة:

٣ ـ وتطبيقاً للمبادىء التي ذكرناها، يتبين لنا: أن الطريق الوحيد لثبوت العقائد هو القرآن الكريم، وذلك فيما كان من آياته قطعيّ الدلالة (لا يحتمل معنيين فأكثر)، كالآيات التي ذكرناها من قبل في إثبات الوحدانية والرسالة، واليوم الآخر.

وأما ما كان غير قطعي في دلالته محتملاً لمعنيين فأكثر، فهذا لا

(٦) الآية ١٤ من سورة النمل.

يصلح أن يُتّخذ دليلاً على عقيدة يحكم على مُنكِرها بأنـه كافر، وذلك كالآيات التي استدلّ بها بعض العلماء على رؤية الله بالأبصار في الدار الآخرة: ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾[٧]. ﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ * عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ ﴾[٨]. ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾[٩]. ولم يسلّم لهم آخرون من العلماء فهمهم فيها، بل نفوا الرؤية المذكورة بآية أخرى ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾[١٠].

وإذن فثبوت العقيدة بالقرآن أو عدمه مبنيّ على قطعية الدلالة أو ظنيّتها. أما قطعيّة الورود فهذا لا شك فيه، إذ القرآن كله قد وصل إلينا كما أنزله الله ـ متواتراً جيلاً عن جيل.

* . * . *

السنّة.. وثبوت العقيدة:

منشأ ظنية السنّة:

٤ ـ وإذا كانت العقيدة لا تثبت إلا بنصّ قطعي في وروده ودلالته، كان لا بدّ من تبيين المبادىء التي تقوم عليها قطعية السنّة أو ظنيتها.

وأول ما يجب التنبّه له في هذا المقام أن [الظنيّة] تلحق السنّة من جهتي الورود والدلالة: فقد يكون في اتصال الحديث برسول الله ﷺ شُبهة فيكون ظنّي الورود، وقد يلابس دلالته احتمال، فيكون ظنّي الدلالة، وقد يجتمع فيـه الأمران: الشُّبهة في اتصاله، والاحتمال في دلالته، فيكون ظنيّاً

---

(٧) الآية ٢٦ من سورة يونس، وقد فسّروا الزيادة بأنها رؤية الله.

(٨) الآيتان ٢٢، ٢٣ من سورة المطففين، وقد قالوا: إن السياق يجعل المنظور إليه هو الله تعالى.

(٩) الآيتان ٢٢، ٢٣ من سورة القيامة.

(١٠) الآية ١٠٣ من سورة الأنعام.

في وروده ودلالته. ومتى لحقت [الظِّنية] الحديث على أيٍّ نحو من هذه الثلاثة فلا يمكن أن تثبت به عقيدة يكفَّرُ مُنكرها، وإنما يثبت الحديثُ العقيدةَ وينهض حجَّة عليها إذا كان قطعياً في وروده وفي دلالته.

التواتر والآحاد:

ولكي يتَّضح مناط [القطعية والظَّنِّيَّة] في ورود الحديث، ينبغي أن نبيِّن ما قرَّره العلماء في (التواتر والآحاد) ليكون مَناراً يهتدي به مَن يريد الوصول إلى الحق:

قسَّم العلماء (السُّنَّة) إلى قسمين: ما ورد بطريق التواتر، وما ورد بطريق الآحاد. وضابط التواتر أن يبلغ الرواة حدّاً من الكثرة تُحيل العادة معه تواطؤهم على الكذب.. ولا بدّ أن يكون ذلك متحقّقاً في جميع طبقاته: أوَّله ومنتهاه ووسطه، بأن يروي جمعٌ عن النبيّ ﷺ، ثم يروي عنهم جمع مثلهم، وهكذا حتَّى يصل إلينا، وهو عند التحقيق رواية الكافَّة عَنِ الكافَّة.

ويقول بعض علماء الأُصول: (الخبر المتواتر هو الذي اتَّصل بك من رسول ﷺ اتِّصالاً بلا شُبهة حتى صار كالمُعاين المسموع منه، وذلك أن يرويه قوم لا يُحصى عددهم، ولا يُتَوَهَّمُ تواطُؤهم على الكذب لكثرتهم وعدالتهم وتباين أماكنهم، ويدوم هذا في وسطه وآخره كأوله، وذلك مثل: القرآن والصلوات الخمس، وأعداد الركعات، ومقادير الزكوات)[11].

الآحاد لا تفيد اليقين:

هذا هو التواتر الذي يوجب اليقين بثبوت الخبر عن رسول الله ﷺ، أمَّا إذا روى الخبر واحد، أو عدد يسير ولو في بعض طبقاته، فإنَّه لا يكون

---

(١١) البزدوي:

متواتراً مقطوعاً بنسبته إلى رسول الله ﷺ، وإنما يكون (آحادياً) في اتِّصاله بالرسول شبهة، فلا يفيد اليقين [١٢].

إلى هذا ذهب أهل العلم ومنهم الأئمة الأربعة: مالك وأبو حنيفة والشافعي وأحمد في إحدى الروايتين عنه، وقد جاء في الرواية الأخرى خلاف ذلك، وفيها يقول شارح مسلم الثبوت: (وهذا بعيد عن مثله فإنَّه مكابرة ظاهرة) وقال البزدوي: (وأمَّا دعوى علم اليقين - يريد في أحاديث الآحاد - فباطلة بلا شُبهة لأنَّ العيان يردّه، وهذا لأنَّ خبر الواحد محتمل لا محالة، ولا يقين مع الاحتمال، ومَن أنكر هذا فقد سفه نفسه وأضلَّ عقله).

وقال الغزالي: (خبر الواحد لا يفيد العلم وهو - أي عدم إفادته العلم - معلوم بالضرورة. وما نُقِلَ عن المحدِّثين من أنَّه يوجب العلم، فلعلَّهم أرادوا أنه يفيد العلم بوجوب العمل، إذ يسمَّى الظَّنُّ علماً، ولذا قال بعضهم: خبر الآحاد يورث العلم الظاهر، والعلم ليس له ظاهر وباطن وإنَّما هو الظَّنّ).

وقال الأسنوي: (وأمَّا السُّنَّة، فالآحاد منها لا يفيد إلا الظَّنّ).

وقال البزدوي تفريعاً على أن خبر الواحد لا يفيد العلم: (خبر الواحد لمَّا لم يُفِد اليقين لا يكون حجَّة فيما رجع إلى الاعتقاد، لأنَّه مبنيّ على اليقين، وإنَّما كان حجَّة فيما قصد فيه العمل).

وقال الأسنوي: (إن رواية الآحاد إن أفادت فإنَّما تفيد الظَّنّ، والشّارع إنما أجاز الظَّنَّ في المسائل العملية وهي الفروع دون العلمية كقواعد أُصول الدِّين).

وهكذا نجد نصوص العلماء من متكلِّمين وأُصولِيين مجتمعة على أن

---

(١٢) ولا فرق في ذلك بين أحاديث الصحيحين وغيرهما: انظر مسلم الثبوت والتحرير.

خبر الآحاد لا يفيد اليقين، فلا تثبت به العقيدة، ونجد المحقّقين من العلماء يصفون ذلك بأنّه ضروري لا يصحّ أن ينازِعَ أحدٌ في شيء منه، ويحملون قول مَن قال[13]: (إن خبر الواحد يفيد العلم) على أنّ مراده العلم بمعنى الظَّنّ كما ورد، أو العلم بوجوب العمل. على أنَّ الكلام إنما هو في إفادته العلم على وجه تثبت به العقيدة، وليس معنى هذا أنه لا يحدث علماً لإنسان مَّا، فإنَّ من الناس مَن يحدث العلمُ في نفسه بما هو أقلّ من خبر الواحد الذي نتحدَّث عنه، ولكن لا يكون ذلك حجَّة على أحد، ولا تثبت به عقيدة يكفَّر جاحِدها، فإنَّ الله تعالى لم يكلِّف عباده عقيدة من العقائد عن طريق من شأنه ألاّ يفيد إلاَّ الظن، ومن هنا يتأكَّد أنَّ ما قررنا من أنَّ أحاديث الآحاد لا تفيد عقيدة، ولا يصحُّ الاعتماد عليها في شأن المغيبات قولٌ مجمع عليه وثابت بحكم الضرورة العقلية التي لا مجال للخلاف فيها عند العقلاء!

نُدرة المتواتر:

وإذ قد عرفنا الفرق بين مناط القطعية في الورود وهو التواتر، ومناط الظَّنِّية وهو الآحادية، فهناك بحث آخر يتّصل بالتواتر ولا بدَّ من النظر فيه، هذا البحث هو: هل يوجد المتواتر في الأحاديث المرويّة في الكتب المدوَّنة؟ وقد اختلف العلماء في الجواب عن ذلك: فذهب قوم إلى أنه لا يوجد حديث متواتر فيما روي لنا من الأحاديث ودُوِّن في الكتب، ولعلَّ هؤلاء بنوا رأيهم هذا على اشتراط عدم الإحصاء في رواة المتواتر، وهو مذهب لطائفة من العلماء، كما تبين مما نقلناه في تعريف المتواتر. وقال ابن الصلاح: (لا يكاد يوجد المتواتر في رواياتهم، مَن سئل عن إبراز مثال له فيما يروى من أهل الحديث أعياه تطلّبه، وحديث «إنما الأعمال بِالنِّيَّات»

---

(١٣) ابن حزم في كتابه «الإحكام».

ليس من ذلك السبيل، وإن نقله عدد التواتر وزيادة، لأنَّ ذلك طَرَأَ في وسط إسناده ولم يوجد في أوّله.. نعم حديث «مَن كذب عليّ» نراه مثالاً لذلك، فإن رُواته أزيد من مائة صحابي، وفيهم العشرة المبشَّرون بالجنَّة، ولا يُعرف حديث يروى عن أكثر من ستّين صحابياً إلا هذا الحديث الواحد).

وذهب آخرون إلى أنَّ المتواتر كثير في هذه الكتب. قالوا: (إنَّ هذه الكتب المشهورة المتداولة بأيدي أهل العلم شرقاً وغرباً مقطوع بصحَّة نسبتها إلى مصنِّفيها، فإذا اجتمعت على إخراج حديث، وتعدَّدت طرقه تعدُّداً تستحيل العادة معه تواطؤهم على الكذب إلى آخر الشروط، أفاد ذلك العلم اليقيني بصحَّة نسبته إلى قائله، ومثل ذلك في الكتب كثير)[١٤].

وليس بنا حاجة إلى أن نعرف مدى هذه الكثرة التي يراها هؤلاء ويذكرونها في مقابلة القول بالعدم، أو في مقابلة القول بالنُدرة وإعياء تطلُّب المثال، وإنَّما يهمُّنا أن نلفت النظر إلى أنَّه لا يحكم لحديث بالتواتر ـ حتَّى على أكثر هذه المذاهب توسُّعاً ـ إلا إذا اجتمعت فيه الشروط الآتية:

١ ـ أن تخرجه جميع كتب الحديث المشهورة المتداولة.

٢ ـ أن تتعدَّد طرق إخراجه تعدُّداً تستحيل العادة معه التواطؤ على الكذب.

٣ ـ أن يثبت هذا التعدُّد في جميع طبقاته: أوَّله وآخره ووسطه.

إذن: فالحديث الذي لم تخرجه جميع الكتب المتداولة المشهورة، أو أخرجته جميعها ولكن لا بطرق متعدِّدة، أو أخرجته بطرق متعدِّدة ولكن لا في جميع الطبقات، بل في بعضها دون بعض ـ لا يكون متواتراً باتِّفاق العلماء أجمعين!

---

(١٤) انظر مسلم الثبوت،والتحرير، ومقدمة ابن الصلاح.

الإسراف في وصف الأحاديث بالتواتر وأسبابه:

ويجدر بنا بعد هذا أن نعرض لظاهرة غريبة شاعت في الناس، وإن الحق ليتقاضى فيها واجبه من العلماء المسؤولين أمام الله وأمام الرسول: تلك الظاهرة هي أنَّه على الرغم مما قرَّره العلماء في شأن المتواتر تحديداً ووجوداً، وعلى الرغم من هذا التحفُّظ الشديد في الحكم لحديث مِمَّا دُوِّن في الكتب بالتواتر ـ نرى بعض المؤلفين قديماً وحديثاً يُسرفون في وصف الأحاديث بالتواتر، وقد يقتصدون فيخلعون عليها أوصافاً أخرى كالشُّهرة والاستفاضة والذيوع على ألسنة العلماء، وتلقِّي الأمَّة إيّاها بالقبول والثبوت في كتب التفسير وشرح الحديث، أو في كتب التاريخ والمناقب.. إلخ. وقد يشتطُّ أُناس في سلوك هذا السبيل، فنراهم يتتبعون مع هذا أسماء الصحابة والتابعين والأئمة والمؤلّفين الذين جرى ذكرهم على ألسنة النَّقَلَة في رواية الحديث، وهم يعلمون أنَّها روايات ضعيفة لا تصبر على النقد، وأنّ هذه الأسماء التي يحرصون على جمعها توجد في كل حديث، حتّى في الأحاديث الموضوعة، ولكنَّهم مع ذلك يجمعونها، ويجتهدون في عدِّها وإحصائها وَذِكْرِ الكتب التي اشتملت عليها، لأنَّهم يريدون أن يخطفوا أبصار العامَّة، ويستغلُّوا عاطفتهم الدينية، ويزعموا لهم أنَّ هذا الحديث أو تلك الأحاديث قد وردت عن نبيِّكم في هذه الكتب الكثيرة، وعلى لسان هذا الجمِّ الغفير من الرُّواة بين صحابة وتابعين، فهي متواترة لا شكَّ في تواترها، وهي متّصلة بالرسول لا شكّ في اتِّصالها، ومَن حاول الطعن فيها؛ أو الحطّ من درجتها، فقد ضلَّ ضلالاً بعيداً، وحادَ عن سبيل المؤمنين!

ولهذه الظاهرة أسباب:

منها: ـ وقد يكون أقلّها خطراً ـ اشتهار الحديث في طبقة أو طبقتين فتنسحب الشُّهرة على جميع طبقاته، ويُحكم عليه حُكماً عامًّاً بالتواتر أو الشُّهرة من غير تحقيق ولا تمحيص؛ وقد لا يصل الحديث إلى حدِّ الشُّهرة

في طبقة مَّا، ولكنَّه جاء في (الخلافيات) فقهية أو كلامية، فتعصَّب له أتباع المذاهب وخلعوا عليه وصف الشُّهرة أو التواتر تأييداً لمذهبهم، وتناقلته الكتب، موصوفاً بذلك منسوباً إلى جمع من رجال الرأي والمذهب، فيخاله النَّاس مشهوراً أو متواتراً، وهو ليس بمتواتر ولا مشهور!

ولقد كان للقائمين (بالترغيب والترهيب) ونقل الملاحم والفتن وغرائب الأخبار التي تميل النُّفوس إلى التَّحدُّث بها والاستماع إليها، أثر عظيم في خلع أوصاف الشُّهرة والتواتر على أنواع خاصَّة من الأحاديث التي ليست بمشهورة ولا متواترة، بل ربَّما كانت غير صحيحة[١٥]، وقد تأثَّرت بذلك طبقة من الخاصَّة لم تُعْنَ بتحقيق الرواية، ولا بمعرفة درجة الحديث، واكتفت بنقل ما يقوله هؤلاء وإجرائه على ألسنتهم وفي كتبهم حتَّى شاع واشتهر.

وإنما استباحوا ذلك معتمدين على ما قرَّره بعض علماء المصطلح من (جواز التساهل في الأسانيد، ورواية ما سوى الموضوع[١٦] من أنواع الأحاديث الضعيفة من غير اهتمام ببيان ضعفها فيما سوى صفات الله تعالى وأحكام الشريعة من الحلال والحرام وغيرهما، وذلك كالمواعظ والقصص وفضائل الأعمال وسائر فنون الترغيب والترهيب مما لا تعلُّق له بالأحكام والعقائد)[١٧].

وبذلك رووا الأحاديث الضعيفة بل الموضوعة، ثم توسَّعوا، فوصفوا الآحاد بالتواتر، والضعيف بالصحيح، وتناسوا مقاييس التواتر والآحادية،

---

(١٥) وقد روي عن الإمام أحمد أنه قال: أربعة أحاديث تدور بين الناس في الأسواق ولا أصل لها.. إلخ.

(١٦) وفي نخبة الفكر عن بعض الكرامية والمتصوفة: «إباحة الوضع في الترغيب والترهيب»، انظر مسلم الثبوت.

(١٧) انظر مقدمة ابن الصلاح.

ومقاييس الصِّحَّة والضعف، ومن هنا رأينا مَن يصف (المعجزات الحسِّية) كانشقاق القمر، وتسبيح الحصى، وكلام الغزالة، وحنين الجذع بالتواتر، مع أنَّها غير متواترة، وإنما هي آحادية كما قرَّره علماء الأصول. وكذلك رأينا مَن يصف أخبار المهدي، والدَّجَّال، ويأجوج ومأجوج، وما إلى ذلك مما يذكر باسم (أشراط الساعة) بالشُّهرة أو التواتر.

بقي بعد هذا أمرٌ لا بدَّ من تقريره: وهو أنَّ تلك الأحاديث كيفما كانت، ليست من قبيل المحكم الذي لا يحتمل التأويل حتى تكون قطعية الدلالة، فقد تناولتها أفهام العلماء قديماً وحديثاً، ولم يجدوا مانعاً من تأويلها. وقد جاء في شرح المقاصد ـ بعد أن قرَّر مؤلفها أنَّ جميع أحاديث أشراط الساعة آحادية ـ ما نصّه: (ولا يمتنع حملها على ظواهرها عند أهل الشريعة. . . وأوَّلَ بعض العلماء النار الخارجة من الحجاز بالعلم والهداية سيما الفقه الحجازيّ، والنار الحاشرة للناس بفتنة الأتراك، وفتنة الدَّجَّال بظهور الشَّرِّ والفساد، ونزول عيسى ﷺ باندفاع ذلك وبدوِّ الخير والصلاح. . . إلخ).

ومن ذلك نرى أنَّ السعد(*) لا يقرِّر وجوب حملها على ظواهرها حتَّى تكون من قطعيِّ الدَّلالة الذي يمتنع تأويله، وإنَّما يقرِّر بصريح العبارة (أنَّه لا مانع من حملها على ظواهرها) فيعطي بذلك حقَّ التأويل لمَن انقدح في قلبه سبب للتأويل، ثُمَّ يحدِّثُ عن بعض العلماء أنَّهم سلكوا سبيل التأويل في هذه الأحاديث فعلاً، ويبيِّن المعنى الذي حملوها عليه، ولا شكَّ أنَّ هذا لم يكن منه إلَّا لأنَّه يعتقد ـ كما يعتقد سائر العلماء الذين يعرفون الفرق بين ما يَقْبَلُ التأويل وما لا يقبله ـ أنَّ ما تدلُّ عليه ألفاظ تلك الأحاديث ليس عقيدة يجب الإيمان بها، فمَن أدَّاه نظره إلى أن يؤمن بظاهرها فله ذلك، ومَن أدَّاه نظره إلى تأويلها فله ذلك، شأن كل ظنِّيٍّ في دلالته. .

(*) سعد الدين التفتازاني.

الفصـل الرابـع

تعريفات وقواعد أُصوليـة وفقهية وتفسيريـة

١ ـ تعريفات: الألفاظ الدائرة بين أهل النظر.

٢ ـ الأدلة الشرعية والقواعد الأصولية.

٣ ـ قواعد فقهية من مجلة الأحكام العدلية.

٤ ـ تحريم القول على الله بغير علم.

٥ ـ دلالة آيات القرآن إمّا قطعية.. وإمّا ظنّية.

٦ ـ السنّة النبويّة قسمان: سُنّة متواترة، وأحاديث آحاد.

٧ ـ السنّة النبوية قطعيُّها.. وظنِّيها.

٨ ـ السنّة لا تعارض القرآن.

٩ ـ الإجماع في أصول الفقه.

١٠ ـ الظن واليقين في كتاب الله سبحانه.

١١ ـ الظن واليقين في أصول الأحكام.

١٢ ـ قواعد أصولية وتفسيرية اتّفق عليها علماء أصول الفقه وعلماء التفسير.

تعريفـــات

فصـل في الألفاظ الدائرة بين أهل النظر [1]

العلم: هو تيقُّن الشيء على ما هو عليه.

والاعتقاد: هو استقرار حكم بشيء ما في النفس، إمَّا عن برهان، أو اتِّباع مَن صحّ برهان قوله، فيكون علماً يقيناً ولا بدّ.

والبرهان: كلّ قضية أو قضايا دلَّت على حقيقة حكم الشيء.

والدليل: **قد يكون برهاناً، وقد يكون اسماً يعرف به المسمّى.**

والحجَّة: هي الدليل نفسه إذا كان برهاناً أو إقناعاً أو شغباً.

والاستدلال: طلب الدليل من قِبَل معارف العقل ونتائجه، أو من قِبَل إنسان يعلم.

والإقناع: قضية أو قضايا أنست النفس بحكم شيء مّا، دون أو توقفها على تحقيق حجّة ولم يقم عندها برهان بإبطاله.

والشغب: تمويه بحجّة باطل بقضية أو قضايا فاسدة تقود إلى الباطل، وهي السفسطة.

والتقليد: هو اعتقاد الشيء لأن فلاناً قاله عمّن لم يقم على صحَّة قوله برهان.

---

(١) من كتاب(الإحكام في أصول الأحكام) للإمام ابن حزم ـ الجزء الأول ـ الباب الخامس.

وأمّا اتِّباع مَن أمَرَ الله باتِّباعه فليس تقليداً، بل هو طاعة حقّ لله تعالى.

والبيان: كون الشيء في ذاته ممكناً أن تُعرف حقيقته لمَن أراد علمه.

والصدق: **هو الإخبار عن الشيء بما هو عليه.**

والحق: **هو كون الشيء صحيح الوجود.**

والباطل: **ما ليس حقّاً.**

والكذب: **هو الإخبار عن الشيء بخلاف ما هو عليه.**

والنّص: هو اللفظ الوارد في القرآن أو السُّنَّة المستدلّ به على حكم الأشياء، وهو الظاهر نفسه. وقد يسمّى كلّ كلام يورد كما قاله المتكلّم به نصّاً.

والتأويل: **نقل اللفظ عمَّا اقتضاه ظاهره وعمّا وُضِعَ له في اللغة إلى معنى آخر.**

والعموم: حمل اللفظ على كلّ ما اقتضاه في اللغة، وكلّ عموم ظاهر، وليس كلّ ظاهر عموماً، إذ قد يكون الظاهر خَبَرَاً عن شخص واحد ولا يكون العموم إلاَّ على أكثر من واحد.

والخصوص: محل اللفظ على بعض ما يقتضيه في اللغة دون بعض.

والمجمل: لفظ يقتضي تفسيراً فيؤخذ من لفظ آخر.

والمفسَّر: لفظ يُفهم منه معنى المجمل المذكور.

والأمر: **إلزام الآمر المأمور عملاً مّا، فإن كان الخالق تعالى أو رسوله ﷺ فالطاعة لهما فرض**، وإن كان مِمَّن دونهما فلا طاعة له.

والنّهي: **إلزام الناهي المنهي ترك عمل مّا.**

والفرض: **ما استحقّ تاركه اللوم، واسم المعصية لله تعالى، وهو: الواجب، واللازم، والحتم.**

والحرام: **هو ما استحق فاعله اللوم واسم المعصية لله تعالى ـ إلاّ أن**

يسقط ذلك عنه من الله تعالى عفو أو توبة، وهو المحظور، والذي لا يجوز، والممنوع.

والطاعة: تنفيذ الأمر من المأمور فيما أُمر به، والتوقّف عن إتيان المنهي عنه، وقد يسمّى كلّ بِرٍّ طاعة.

والمعصية: ضد ذلك.

والندب: أمر بتخيير في الترك إلاّ أنَّ فاعله مأجور، وتاركه لا آثم ولا مأجور... وهو كلّ تطوّع ونافلة، غير الفرض.

والكراهة: نهي بتخيير في الفعل إلاّ أن على تركه ثواباً، وليس في فعله أجر ولا إثم.

والإباحة: تسوية بين الفعل والترك، لا ثواب على شيء منهما ولا عقاب.

والنِّيَّة: قصد العمل بإرادة النفس له دون غيره، واعتقاد النفس ما استقرّ فيها.

والتفسير والشرح: هما التبيين.

والجدل والجدال: إخبار كلّ واحد من المختلفين بحجّته، أو بما يقدِّر أنه حجّته، وقد يكون كلاهما مبطلاً، وقد يكون أحدهما محقّاً، والآخر مبطلاً، إمّا في لفظه وإمّا في مُراده أو في كِليهما، ولا سبيل أن يكونا معاً محقَّيْن في ألفاظهما ومعانيهما.

والاجتهاد: بلوغ الغاية واستنفاد الجهد في المواضع التي يرجى وجوده فيها في طلب الحقّ، فمصيب موفّق أو محروم.

والرأي: ما تخيَّلَتْهُ النَّفْسُ صواباً دون برهان، ولا يجوز الحكم به أصلاً.

والصواب: إصابة الحق.

والخطأ: العدول عنه بغير قصد إلى ذلك.

والعناد: العدول عنه بالقصد إلى ذلك.

ودليل الخطاب: هو ضد القياس، وهو أن يحكم للمسكوت عنه بخلاف حكم المنصوص عليه.

والشريعة: هي ما شرعه الله على لسان نبيّه ﷺ في الديانة وعلى ألسنة الأنبياء عليهم السلام قبله، قال تعالى: ﴿ شرع لكم من الدِّين ما وصّى به نوحاً والذي أوحينا إليك،وما وصّينا به إبراهيم وموسى وعيسى ﴾.[الشورى:١٣]

واللغة: ألفاظ يعبّر بها عن المسمّيات، وعن المعاني المُراد إفهامها، ولكلّ أُمّة لغتهم، قال الله عزّ وجل: ﴿ وما أرسلنا من رسول إلاّ بلسان قومه ليبيِّن لهم ﴾ [إبراهيم: ٤] **ولا خلاف في أنه تعالى أراد اللغات.**

واللفظ: هو كلّ ما حرّك به اللسان. قال تعالى: ﴿ ما يَلْفِظُ من قولٍ إلاَّ لديه رقيب عتيد ﴾.[ق:١٨]

والخلاف: هو التنازع في أيّ شيءٍ كان، وهو أن يأخذ الإنسان في مسالك من القول أو الفعل، ويأخذ غيره في مسلك آخر وهو حرام في الديانة، **إذ لا يحلّ خلاف ما أثبته الله تعالى فيها**،وقال تعالى :﴿ ولا تنازعوا ﴾،[الأنفال: ٤٦]، وقال تعالى: ﴿ ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً ﴾ [النساء: ٨٢].**وهو التفريق أيضاً**، قال تعالى: ﴿ ولا تكونوا كالذين تفرّقوا واختلفوا ﴾.[آل عمران: ١٠٥]

والإجماع: هو في اللغة ما اتّفق عليه اثنان فصاعداً، وهو الاتفاق، وهو حينئذٍ مضاف إلى ما أجمع عليه، **وأمّا الإجماع الذي تقوم به الحجّة في الشريعة فهو ما اتّفق أن جميع الصحابة رضي الله عنهم قالوه ودانوا به عن نبيّهم ﷺ ليس الإجماع في الدين شيئاً غير هذا، وأما ما لم يكن إجماعاً في الشريعة، فهو ما اختلفوا فيه باجتهادهم أو سكت بعضهم، ولو واحد منهم عن الكلام فيه.**

والسنّة: هي الشريعة نفسها.

وأقسام السُّنة في الشريعة: فرض، أو ندب، أو إباحة، أو كراهة، أو تحريم، كلٌّ ذلك قد سنَّه رسول الله ﷺ عن الله عزّ وجل.

والبدعة: كلّ ما قيل أو فعل مما ليس له أصل فيما نسب إليه ﷺ وهو في الدِّين كلّ ما لم يأت في القرآن، ولا عن رسول الله ﷺ.

والكناية: لفظ يُقام مقام الاسم كالضمائر المعهودة في اللغات، وكالتعريض بما يفهم منه المراد وإن لم يصرّح بالاسم.

والإشارة: تكون باللفظ وتكون ببعض الجوارح، وهي تنبيه المشار إليه أو تنبيهه عليه.

والمجاز: هو في اللغة ما سُلك عليه من مكان إلى مكان، وهو الطريق الموصل بين الأماكن،ثم اسْتُعْمِل فيما نقل عن موضعه في اللغة إلى معنىً آخر. ولا يُعلم ذلك إلّا من دليل من اتفاق أو مشاهدة. **وهو في الدِّين كلّ ما نقله الله تعالى أو رسوله ﷺ عن موضعه في اللغة إلى مسمًّى آخر ومعنى ثانٍ**، ولا يقبل من أحد في شيء من النصوص أنه مجاز إلّا ببرهان يأتي به من نصّ آخر، أو إجماع متيقّن، أو ضرورة حسّ، وهو حينئذٍ حقيقياً، لأنّ التسمية لله عزّ وجل، فإذا سمّى تعالى شيئاً مّا باسم مّا فهو اسم ذلك الشيء على الحقيقة في ذلك المكان، **وليس ذلك في الدين لغير الله تعالى**، قال تعالى: ﴿ إن هي إلّا أسماءٌ سمّيْتُمُوها أنتم وآباؤكم، ما أنزل الله بها من سلطان ﴾. [النجم: ٢٣]

والمتشابه: لا يوجد في شيء من الشرائع إلّا بالإضافة إلى مَن جهل دون من علم وهو في القرآن، وهو الذي نهينا عن اتّباع تأويله وعن طلبه، **وأُمرنا بالإيمان به جملة**، وليس هو في القرآن إلّا للإقسام التي في السورة كقوله تعالى: ﴿ والضُّحى، والليل إذا سجى ﴾، ﴿ والفجر وليالٍ عشر ﴾ والحروف المقطّعة التي في أوائل السُوَر، **وكلّ ما عدا هذا من القرآن فهو محكم**.

والمفصل: هو ما بيّنت أقسامه.

والاستنباط: إخراج الشيء المعيَّن من شيء آخر كان فيه، وهو في الدِّين إن كان منصوصاً على جملة معناه فهو حقّ، وإن كان غير منصوص على جملة معناه فهو باطل لا يحلّ القول به.

والحكم: هو إمضاء قضيةٍ في شيءٍ مّا، وهو في الدين: **تحريم، أو إيجاب، أو إباحة مطلقة، أو بكراهة، أو باختيار.**

والإيمان: أصله في اللغة التصديق باللسان والقلب معاً، لا بأحدهما دون الثاني، **وهو في الدِّين التصديق بالقلب بكلٍّ ما أمر الله تعالى به على لسان رسوله ﷺ والنطق بذلك باللسان**، ولا بدّ من استعمال الجوارح في جميع الطاعات: واجبها، ونَدْبِهَا، واجتناب محرَّمها، ومكروهها.

والكفر: **أصله في اللغة التغطية**، قال عزّ وجل: ﴿ كَمَثَلِ غيثٍ أعْجَبَ الكفَّار نباتُه ﴾[1] **وهو في الدِّين**: صفة مَن جحد شيئاً مِمَّا افترض الله تعالى الإيمان به بعد قيام الحجّة عليه ببلوغ الحقّ إليه بقلبه دون لسانه أو بلسانه دون قلبه، أو بهما معاً...

والعقل: هو استعمال الطاعات والفضائل، وهو غير التمييز، لأنه استعمال ما ميّز الإنسان فضله، فكلّ عاقل مميّز، وليس كلّ مميّز عاقلاً، وهو في اللغة: المنع: تقول عقلت البعير أعقله عقلاً.

---

(١) الحديد: ٢٠ .

الأدلـــة الشرعيـــة (1)

تعريف الدليل: الدليل معناه في اللغة العربية: **الهادي إلى أيّ شيء** حسّي أو معنوي، خير أو شرّ ـ وأما معناه في اصطلاح الأصوليين فهو: **ما يستدلّ بالنظر الصحيح فيه على حكم شرعي عملي على سبيل القَطع أو الظنّ**. وأدلّة الأحكام، وأصول الأحكام، والمصادر التشريعية للأحكام، ألفاظ مترادفة معناها واحد.

وبعض الأصوليين عرَّف الدليل بأنه: ما يستفاد منه حكم شرعي عملي على سبيل القطع. **وأما ما يستفاد منه حكم شرعي على سبيل الظنّ، فهو أمارة لا دليل**. ولكن المشهور في اصطلاح الأصوليين أن الدليل هو ما يستفاد منه حكم شرعي عملي مطلقاً، أي سواء أكان على سبيل القطع أم على سبيل الظن. **ولهذا قسّموا الدليل إلى قطعي الدلالة، وإلى ظني الدلالة**.

الأدلّة الشرعية بالإجمال: ثبت بالاستقراء أن الأدلة الشرعية التي تستفاد منها الأحكام العملية **ترجع إلى أربعة: القرآن والسنّة والإجماع والقياس**، وهذه الأدلّة الأربعة اتفق جمهور المسلمين على الاستدلال بها، واتفقوا أيضاً على أنها مرتبة في الاستدلال بها هذا الترتيب: القرآن، فالسنّة، فالإجماع، **فالقياس**. **أي أنه إذا عرضت واقعة**، نظر أولاً في القرآن، فإن وجد فيه حكمها أمضي، وإن لم يوجد فيه حكمها، نظر في السنّة، فإن وجد فيها حكمها أمضي، وإن لم يوجد فيها حكمها نظر هل أجمع المجتهدون في عصر من العصور على حكم فيها، فإن وجد أمضي، وإن لم يوجد اجتهد في الوصول إلى حكمها بقياسها على ما ورد النص بحكمه.

---

(1) (علم أصول الفقـــه) لعبد الوهاب خلاف ـ ص ٢٠ ــ ٢٢.

أما البرهان في الاستدلال بها فهو قوله تعالى في سورة النساء: ﴿ يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم. فإن تنازعتم في شيء فردّوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً ﴾ [النساء: ٥٩].

فالأمر بإطاعة الله وإطاعة رسوله، أمر باتّباع القرآن والسنّة، والأمر بإطاعة أولي الأمر من المسلمين أمر **باتّباع ما اتفقت عليه كلمة المجتهدين من الأحكام لأنهم أُولو الأمر التشريعي من المسلمين**، والأمر بردّ الوقائع المتنازَع فيها إلى الله والرسول **أمر باتّباع القياس حيث لا نص ولا إجماع**، لأن القياس في ردّ المتنازَع فيه إلى الله وإلى الرسول **لأنه إلحاق واقعة لم يرد نص بحكمها بواقعة ورد النص بحكمها في الحكم الذي وَرَدَ به النص لتساوي الواقعتين في علّة الحكم، فالآية تدلّ على اتّباع هذه الأربعة.**

وأما الدليل على ترتيبها في الاستدلال بها هذا الترتيب، فهو ما رواه البغوي «عن معاذ بن جبل أن رسول الله ﷺ لمّا بعثه إلى اليمن قال: كيف تقضي إذا عرض لك قضاء؟ قال: أقضي بكتاب الله. قال: فإن لم تجد في كتاب الله؟ قال: فبسنّة رسول الله. قال: فإن لم تجد في سنّة رسول الله؟ قال أجتهد رأيي ولا آلو، (أي لا أقصّر في اجتهادي). قال: فضرب رسول الله على صدره وقال: الحمد لله الذي وفّق رسول رسول الله لما يرضي رسول الله». وما رواه البغوي عن ميمون بن مهران قال: «**كان أبو بكر إذا ورد عليه الخصوم نظر في كتاب الله، فإن وجد فيه ما يقضي بينهم قضى به، وإن لم يكن في الكتاب وعلم عن رسول الله في ذلك الأمر سنّةً قضى بها.** فإن أعياه أن يجد في سنّة رسول الله جمع رؤوس الناس وخيارهم فاستشارهم، فإن أجمع رأيهم على أمر قضى به وكذلك كان يفعل عمر» وأقرّهما هذا كبار الصحابة ورؤوس المسلمين ولم يعرف بينهم مخالف في هذا الترتيب.

أقسام الأصول

التي لا يُعرف شيء من الشرائع إلّا منها وأنها أربعة، وهي:

١ ـ نصّ القرآن.

٢ ـ ونصّ كلام رسول الله ﷺ الذي إنما هو عن الله تعالى، مما صحّ عنه عليه السلام بنقل الثقات أو التواتر.

٣ ـ وإجماع جميع علماء الأمة.

٤ ـ أو دليل منها لا يحتمل إلّا وجهاً واحداً.

[الاحكام في أصول الأحكام لابن حزم : جـ ١ ص ٦١].

النّص

قال ابن حزم: «. . والنّص إذا صحّ، فالأخذ به واجب، ولا يضرّه مَن خالفه»

[الإحكام في أصول الأحكام : جـ ٨ ص ٥٢٠].

وقال:

«. . وإذ هو كما ذكرنا، **فاتّباع النّصّ فرض،** سواء أجمع الناس عليه أو اختلفوا فيه، لا يزيد النّصّ مرتبة في وجوب الاتّباع أن يُجمع الناس عليه. ولا يوهن وجوب اتّباعه اختلاف الناس فيه.

بل الحقّ حقّ وإن اختلف الناس فيه.

وإن الباطل باطل، وإن كثر القائلون به.

[الاحكام في أصول الأحكام : جـ ٤ ص ٥٣٦].

قواعد أصولية

المحكم: ما كان الحكم فيه واضح الدلالة قطعيّها.

والمتشابه: ما احتمل أوجهاً من التأويل.

وقال الأصوليون:

الدليل إذا تطرّق إليه الاحتمال سقط به الاستدلال.

ومن القواعد الأصولية:

أن اللفظ ما دام غير يقيني الدلالة، أي يحتمل مراداً آخر غير ظاهر اللفظ، ولا قرينة تحدّد المراد، فإنه لا يكون صالحاً للاستدلال به على الفرض والواجب.

وقال المحدِّثون والأصوليون:

إن من علامة وضع الحديث مخالفته للدليل القاطع عقلياً كان أو نقلياً كأصول الاعتقاد.

ويقول الإمام ابن تيمية في كتابه (النبوّات).

«. . **وثبوت أحد النقيضين مستلزم لنفي الآخر**».

ويقول الإمام ابن حزم:

«. . والحقّ لا يعارض الحقّ أبداً، ولا يقوم دليل على صحة ضدّين في معنىً واحد أبداً».

[الإحكام في أصول الأحكام لابن حزم جـ ٦ ص ١٩٦].

قواعد فقهيـة من مجلة الأحكام العدلية (١)

القاعدة الثالثة: (المادة الرابعة)

اليقين لا يزول بالشك:

اليقين لغة: العلم الذي لا تردّد معه، وهو في أصل اللغة: **الاستقرار**، يقال: يقن الماء في الحوض إذا استقرّ، ولا يشترط في تحقّق اليقين الاعتراف والتصديق، بل يتصور مع الجحود، كما قال تعالى: ﴿ وجحدوا بها، واستيقنتها أنفسهم ظُلماً وعُلُّواً ﴾[النمل : ١٤].

واليقين في اصطلاح علماء المعقول: هو: **الاعتقاد الجازم المطابق للواقع الثابت، فخرج بالقيد الأول، أعني الجازم، الظن وغلبة الظن**، لأنه لا جزم فيهما. وخرج بالقيد الثاني ما ليس مطابقاً للواقع وهو الجهل وإن كان صاحبه جازماً. وخرج بالقيد الثالث اعتقاد المقلِّد فيما كان صواباً، لأنَّ اعتقاده لمَّا لم يكن عن دليل كان عُرضة للزوال. **فكلُّ ذلك ليس من اليقين في شيء.**

والشّكُّ: التردُّد بين النقيضين بلا ترجيح لأحدهما على الآخر.

القاعدة السابعة: (المادة ٨) **(الأصل براءة الذمّة)**

(الأصل براءة الذمّة) **لأنّ الذمم خُلقت بريئة غير مشغولة بحقٍّ من الحقوق.**

---

(١) من كتاب شرح القواعد الفقهية، لفضيلة الشيخ أحمد الزرقا ـ الطبعة الأولى: ١٩٨٣ ـ الناشر: دار الغرب الإسلامي.

الذِّمَّة لغةً: العهد، **واصطلاحاً**: «وصف يصير الشخص أهلاً للإيجاب له أو عليه».

من المعلوم أنه عند تنازع الخصمين تتخالف مزاعمهما نفياً وإثباتاً، فيحتاج في فصل الخصومة إلى مرجِّح يرجّح به في مبدأ الأمر، زَعْمُ أحدهما على الآخر، ولدى تتبُّع المسائل والنظر في وجوه الترجيح الأوّلية، وفي تقديم أحد المرجّحات على الآخر إذا تعارضت، بعد ذلك يظهر أن الترجيح، في مبدأ الأمر يكون بأحد شيئين، **هما الأصل، والظاهر**:

أمّا الأصل، فأنواعه كثيرة:

- منها هذه القاعدة، **وهي براءة الذمّة**.

- ومنها: **كون اليقين لا يزول بالشك**.

- وكون الأصل في الكلام الحقيقة.. إلى غير ذلك من الأصول التي يعسر استقصاؤها.

وأمَّا الظاهر:ـ وهو الحالة القائمة التي تدلّ على أمر من الأمور فهو قسمان:

- القسم الأول: **هو ما لم يصل في الظهور إلى درجة اليقين**.

والقسم الثاني: هو الذي وصل إلى درجة اليقين، وهو غير مراد في هذا التقسيم، لأن الكلام الآن في المرجحات الأوّلية غير اليقينية.

القاعدة الثالثة عشر: (المادة ١٤)

لا مساغ للاجتهاد في مورد النص:

(لا مساغ للاجتهاد في مورد النص) لأنَّ الحكم الشرعي حاصل بالنَّص، **ولأنَّ الاجتهاد ظنِّيّ، والحكم به حاصل ظَنِّيّ، بخلاف الحاصل بالنَّصِّ فإنه يقيني، ولا يترك اليقيني للظنّي**.

المراد بالنَّصِّ الذي لا مساغ للاجتهاد معه هو المفسَّر المُحْكَم، وإلا فغيرهما من الظاهر، والنَّص لا يخلو عن احتمال التأويل.

وبيان ذلك أن أقسام الدليل اللفظي بحسب الإفضاء إلى الأحكام أربعة:

ـ **ظاهر**: وهو ما ظهر المراد منه بصيغته، مع احتمال التأويل.

ـ **ونصّ**: وهو ما ازداد وضوحاً على الظاهر بمعنى سيق له الكلام لأجله، لا من نفس الصيغة، مع احتمال التأويل.

ـ **ومفسَّر**: وهو ما ازداد وضوحاً على النّصّ على وجه لا يبقى معه احتمال التأويل.

ـ **ومُحْكَم**: وهو ما أُحكم المراد منه من غير احتمال ولا نسخ.

فحيث كان الأوّلان لا يخلوان عن احتمال التأويل يكون مساغ للاجتهاد معهما.

المراد بالنَّصّ هاهنا: الكتابُ والسُّنَّة، والإجماع. فلا يجوز الاجتهاد في مقابلة المفسَّر والمُحْكَم منهما. (**مع العلم أن الإجماع ليس من مورد النص**).

ثم قال: **فليس للمفتي ولا للقاضي مخالفة ما رجّحوه باجتهاد منه**، ولو فعل لا يقبل منه، لأنه اجتهاد في مورد النص، والنص لا مساغ للاجتهاد في مورده. وإذا صحّ ما ذكرناه يكون المراد هاهنا هو المنقول في كتب المذهب لا ما سبق. [ص ٩٩].

القاعدة ٧١: (المادة: ٧٢)

لا عبرة بالظنّ البيِّن خطؤه:

«لا عبرة» أي لا اكتراث ولا مبالاة «بالظن البيِّن خطؤه» بل يلغى وَيُجْعل كأن لم يكن

مما فرّع على هذه القاعدة:

أ ـ ما لو أقرَّ بالطلاق بناء على إفتاء المفتي له بالوقوع، ثم تبيّن عدمه لم **يقع ديانة**.

ب ـ ومنه: ما لو تكلّمت زوجته فقال: هذا كفر، وحرمتعليّ، ثم تبين أن ذلك اللفظ ليس بكفر **لا** تحرم. [ص ٢٩٣].

القاعدة ٧٣: (المادة ٧٣) **(لا عبرة للتوهّم)**

أي لا اكتراث به ولا يبنى عليه حكم شرعي، بل يعمل بالثابت قطعاً أو ظاهراً دونه.

التوهّم: هو إدراك الطرف المرجوح من طرفي أمر متردّد فيه.

القاعدة ٧٤: (المادة ٧٥) **(الثابت بالبرهان كالثابت بالعيان)**

القاعدة ٧٥: (المادة ٧٦) **(البيّنة على المدّعي، واليمين على مَن أنكر)**

القاعدة ٧٩. (المادة ٨٠) **(لا حجّة مع التناقض)**

لا حجّة مع التناقض، ولكن لا يختلّ معه حكم الحاكم، أي **لا** تُعتبر **الحجّة، ولا يُعمل بها مع قيام التناقض فيها أو في دعوى المدّعي**.

فصـــل
تحريم القول على الله بغير علم
للإمام ابن قيِّم الجوزية

وقد حرَّم الله سبحانه القول عليه بغير علم في الفُتيا والقضاء، وجعله من أعظم المحرَّمات، بل جعله في المرتبة العليا منها، فقال تعالى: ﴿ قل إنَّما حرَّم ربِّيَ الفواحِشَ ما ظَهَرَ منها وما بَطَن، والإثْمَ والبَغْيَ بغير الحقّ، وأن تُشركوا بالله ما لم ينزِّل به سلطاناً،وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون ﴾،[1]فرتَّب المحرَّمات أربع مراتب، وبدأ بأسهلها وهو الفواحش، ثم ثنّى بما هو أشدّ تحريماً منه وهو الإثم والظلم. ثم ثلّث بما هو أعظم تحريماً منهما وهو الشرك به سبحانه، ثُمَّ ربَّع بما هو أشدّ تحريماً من ذلك كله وهو القول عليه بلا علم، وهذا يعمّ القول عليه سبحانه بلا علم في أسمائه وصفاته وأفعاله وفي دينه وشرعه. وقال تعالى: ﴿ ولا تقولوا لما تَصِفُ ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب، إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون، متاع قليل ولهم عذاب أليم﴾[2]. فقدَّم إليهم سبحانه بالوعيد على الكذب عليه في أحكامه،وقوله لما لم يحرِّمه: هذا حرام، ولما لم يحلّه: هذا حلال، وهذا بيان منه سبحانه أنه لا يجوز للعبد أن يقول هذا حلال وهذا حرام إلا بما علم أن الله سبحانه أحلَّه وحرّمه.

[إعلام الموقّعين ـ لابن قيِّم الجوزية ـ جـ ١ ص ٣٨].

---

(١) الأعـراف: ٣٣.
(٢) النحل : ١١٦.

دلالـة آيات القرآن
إمَّـا قطعيـــة .... وإمَّا ظنيـــة

يقول العلامة الشيخ عبد الوهاب خلاف في كتابه [علم أصول الفقه]:

نصوص القرآن جميعها قطعيّة من جهة ورودها وثبوتها ونقلها عن الرسول إلينا، أي نجزم ونقطع بأن كل نص نتلوه من نصوص القرآن، هو نفسه النص الذي أنزله الله على رسوله، وبلّغه الرسول المعصوم إلى الأمة من غير تحريف ولا تبديل. لأن الرسول المعصوم كان إذا نزلت عليه سورة أو آيات أو آية بلّغها أصحابه وتلاها عليهم وكتبها كَتَبَة وحيه، وكتبها مَن كتب لنفسه من صحابته، وحفظها منهم عدد كثير وقرءوها في صلواتهم، وتعبدوا بتلاوتها في سائر أوقاتهم، وما توفي الرسول إلا وكل آية من آيات القرآن مدوّنة فيما اعتاد العرب أن يدوّنوا فيه، ومحفوظة في صدور كثير من المسلمين، وقد جمع أبو بكر الصدّيق بواسطة زيد بن ثابت، وبعض الصحابة المعروفين بالحفظ والكتابة هذه المدوّنات وضم بعضها إلى بعض، مرتبة الترتيب الذي كان الرسول يتلوها به ويتلوها به أصحابه في حياته، وصارت هذه المجموعة وما في صدور الحفّاظ هي مرجع المسلمين في تلقّي القرآن وروايته، وقام على حفظ هذه المجموعة أبو بكر في حياته، وخَلفه في المحافظة عليها عمر. ثم تركها عمر عند بنته حفصة أُمّ المؤمنين. وأخذها من حفصة عثمان في خلافته ونسخ منها بواسطة زيد بن ثابت نفسه، وعدد من كبار المهاجرين والأنصار عدة نُسَخ أُرسلت إلى أمصار المسلمين. فأبو بكر حفظ كل ما دوّنت فيه آية أو آيات من القرآن حتى لا

يضيع منه شيء، وعثمان جمع المسلمين على مجموعة واحدة من هذا المدوّن ونشره بين المسلمين حتى لا يختلفوا في لفظ. وتناقل المسلمون القرآن كتابة من المصحف المدوّن، وتلقّياً من الحفّاظ أجيالاً عن أجيال في عدة قرون. وما اختلف المكتوب منه والمحفوظ ولا اختلف في لفظة منه صيني ومراكشي ولا بولوني وسوداني. وهذه ملايين المسلمين في مختلف القارات منذ ثلاثة عشر قرناً ونيّف وثمانين سنة يقرءونه جميعاً لا يختلف فيه فرد عن فرد ولا أمة عن أمة، لا بزيادة ولا نقص ولا تغيير أو تبديل أو ترتيب تحقيقاً لوعد الله سبحانه إذ قال عزّ شأنه: ﴿ إنّا نحن نزّلنا الذكر وإنّا له لحافظون ﴾.[الحجر: ٩].

وأما نصوص القرآن من جهة دلالتها على ما تضمنته من الأحكام فتنقسم إلى قسمين: نص قطعي الدلالة على حكمه، ونص ظني الدلالة على حكمه.

فالنص القطعي الدلالة هو ما دلّ على معنىً متعين فهمه منه ولا يحتمل تأويلاً ولا مجال لفهم معنى غيره منه، مثل قوله تعالى: ﴿ ولكم نصف ما ترك أزواجكم إن لم يكن لهنّ ولد ﴾[1]. فهذا قطعي الدلالة على أن فرض الزوج في هذه الحال النصف لا غير، ومثل قوله تعالى في شأن الزاني والزانية: ﴿ فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ﴾[2]، فهذا قطعي الدلالة على أن حدّ الزنا مائة جلدة لا أكثر ولا أقل. وكذا كل نص دلّ على فرض في الإرث مقدّر أو حدٍّ في العقوبة معيّن أو نصاب محدد. **وأما النص الظني الدلالة فهو ما دلّ على معنى ولكن يحتمل أن يؤوّل ويصرف عن هذا المعنى ويراد منه معنى غيره مثل قوله تعالى: ﴿ والمطلّقات يتربصن بأنفسهنّ ثلاثة قروء ﴾[3]. فلفظ القرء في**

(١) النساء : ١٢ .

(٢) النـــــور : ٢ .

(٣) البقــــرة : ٢٢٨.

اللغة العربية مشترك بين معنيين يطلق لغة على الطُّهر. ويطلق لغة على الحيض. والنص دلّ على أن المطلّقات يتربصن ثلاثة قروء، فيحتمل أن يراد ثلاثة أطهار ويحتمل أن يراد ثلاث حيضات، فهو ليس قطعي الدلالة على معنىً واحد من المعنيين ولهذا اختلف المجتهدون في أن عدّة المطلّقة ثلاث حيضات أو ثلاثة أطهار ومثل قوله تعالى: ﴿ حرّمت عليكم الميتة والدم﴾[٤]، فلفظ الميتة عام والنص يحتمل الدلالة على تحريم كل ميتة، ويحتمل أن يخصّص التحريم بما عدا ميتة البحر، فالنص الذي فيه نص مشترك أو لفظ عام أو لفظ مطلق أو نحو هذا يكون ظني الدلالة، لأنه يدلّ على معنىً ويحتمل الدلالة على غيره[٥].

** .. **

---

(٤) المائـــــدة : ٣.

(٥) علم أُصول الفقه لخلاّف ـ ص ٣٤ ـ ٣٥.

السنّة النبويّة قسمـــان
سنّة متواتــرة. . . . وأحاديث آحاد

يتحدّث العلاّمة الإمام محمد أبو زهرة في كتابه[1] عن السنّة النبويّة، فيقول:

«**ويلاحظ أن السنّة قسمان: سنّة متواترة رواها جمع عن جمع حتى تصل الرواية إلى النبيّ ﷺ، وهذا النوع من السنّة يجب الأخذ به في بيان الأحكام، وبيان معاني العقائد التي اشتمل عليها القرآن الكريم لأنها ثابتة عن النبيّ ﷺ بسند قطعي لا شُبهة فيه، والعقائد لا تثبت إلا بدليل قطعي الدلالة وقطعي السند، ولذلك يقول الشافعي لمن يخالف الأحاديث المتواترة، ويسمّيها أحاديث العامّة يقال له:** «تب».

والقسم الثاني أحاديث الخاصة كما يسمّيها الشافعي رضي الله تعالى عنه، وهي التي لم يبلغ سندها حدّ التواتر، ويسمّيها علماء السنّة أحاديث الآحاد، ولو رواها اثنان أو ثلاثة ما دام رُواتها لم يبلغوا حدّ التواتر التي يؤمن تواطؤهم على الكذب.

وهذا النوع من الأحاديث يعمل به في تفسير الآيات التي تتعلق بالأحكام، لأنها تفيد غلبة الظن بالنسبة للصدق، وقد ثبت ذلك عن الصحابة رضي الله

---

(١) (المعجزة الكبرى: القرآن) للإمام محمد أبو زهرة رحمه الله، الناشر: دار الفكر العربي ـ القاهرة ص ٥٥٩ ـ ٥٦١.

عنهم، ولأن النبيّ ﷺ كان يرسل رُسُله إلى الأقاليم آحاداً، ولا يرسلهم جماعات.

ولا يلزم الأخذ بأحاديث الآحاد في تفسير الآيات التي تتعلق بالعقائد من ضرب الأمثال، وذِكْر أسرار الكون من خلق السماوات والأرض، ومن سير الشمس والقمر، وخلق السماوات والأرض، وتسخير الرياح، والأنهار والبحار، وغير ذلك، **فإن ما يتعلق بذلك وكل ما ورد فيه من السنّة أخبار آحاد أو رُواتها غير ثقات لا يعتبر حجّة في تفسير القرآن وفهمه، بحيث يجب الأخذ به، ومخالفته تكون مخالفة للنبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم، فإنه من الثابت أن ما يجيء في السنّة مخالفاً للمقررات العلمية القاطعة، ويكون من أحاديث الآحاد يردّ،وتبطل نسبته إلى النبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم، فليس معنى ردّه تكذيب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلّم، إنما معنى ردّه أنه لم تصحّ نسبته إلى النبيّ ﷺ، وهو الصادق، ونقول مقالة الصدّيق خليفة رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم التي ردّدها الشافعي، وهي قوله: (أيّ أرض تقلُّني وأيّ سماء تظلّني، إذا قلت في القرآن ما لم أعلم).**

وإن دراسة الآيات الكونية للعقل والاستقراء والتتبّع، مقامه في إدراكها، **ما لم تخالف نصّاً قرآنيّاً أو حديثاً نبويّاً متواتراً، وليس في الأحاديث المتواترة ما يعارض هذه الدراسة قطّ،** والله أعلم.

وهنا أمر آخر يتعلق بالقصص القرآني، ونقول فيه إن القرآن يفسّر بعضه بعضاً في هذا القصص، وما يجيء من السنّة من زيادة على القرآن في هذا يقبل منه ما لا يناهض القرآن، وما يزيد يقبل ما دام السند صحيحاً وليس ثمة ما يردّه سنداً أو متناً، **ولا يجب الإيمان بالزيادة بحيث يكفر مَن ينكرها، ما دامت أحاديثها لم تصل إلى مرتبة التواتر.** ولكن ما لم يكن مطعن فيها يؤخذ بها على أساس الاطمئنان إليها.

هذه هي السنّة، وهي تعدّ المرتبة الأولى في تفسير القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

ويتحدّث الإمام محمد أبو زهرة في كتابه (أصول الفقه) عن خبر الآحاد، فيقول:

خبر الآحاد:

ويسمّيه الشافعي رضي الله عنه، خبر الخاصة، وهو كل خبر يرويه الواحد أو الاثنان أو الأكثر عن الرسول ﷺ ولا يتوافر فيه شرط المشهور.

وحديث الآحاد يفيد العلم الظَّنِّي الراجح، ولا يفيد العلم القطعي، إذ الاتصال بالنبيّ ﷺ فيه **شُبهة**، ويقول صاحب (كشف الأسرار) فيه: الاتصال فيه **شُبهة صورة ومعنى**، أمّا ثبوت الشُّبهة فيه صورة، فلأنَّ **الاتصال بالرسول لم يثبت قطعاً**، **وأما معنىً**، فلأنّ الأمّة تلقّته بالقبول «أي في الطبقة التي تلي التابعين»[1].

ولهذه الشُّبهة في إسناد الحديث إلى الرسول ﷺ قالوا: إنه يجب العمل به إن لم يعارضه مُعارِض، **ولكن لا يؤخذ به في الاعتقاد**، لأنَّ الأمور الاعتقادية **تُبنى على الجزم واليقين، ولا تُبنى على الظن**، ولو كان راجحاً، **لأن الظن في الاعتقاد لا يغني من الحقِّ شيئاً**[2].

ويقول الإمام الفقيه الأصولي الحنفي فخر الإسلام البزدوي:

[وأمّا دعوى علم اليقين ـ يريد في أحاديث الآحاد ـ فباطلة بلا شُبهة، لأنّ العيان يردّه، **وهذا لأنّ خبر الواحد محتمل لا محالة، ولا يقين مع الاحتمال**، ومَن أنكر هذا فقد سفه نفسه وأضلّ عقله][3].

---

(١) كشف الأسرار جـ٣ ص ٩٩.

(٢) راجع كتاب أصول الفقه للإمام محمد أبو زهرة. دار الفكر العربي ـ القاهرة ص ١٠٠.

(٣) كشـــف الأســـرار، جـ ٢ ص ٣٧٦.

السنّة النبويّة
قطعيّها... وظنّيها

ويتحدّث العلاّمة الشيخ عبد الوهاب خلاّف في كتابه[1] عن قطعيّ السنّة وظنّيها، فيقول:

قطعيّها وظنّيها: أما من جهة الورود فالسنّة المتواترة قطعيّة الورود عن الرسول. لأن تواتر النقل يفيد الجزم والقطع بصحة الخبر كما قدّمنا. والسنّة المشهورة قطعيّة الورود عن الصحابي أو الصحابة الذين تلقوها عن الرسول لتواتر النقل عنهم. **ولكنها ليست قطعيّة الورود عن الرسول، لأن أول مَن تلقى عنه ليس جمع التواتر، ولهذا جعلها فقهاء الحنفية في حكم السنّة المتواترة،** فيخصّص بها عامّ القرآن ويقيد بها مطلقه لأنها مقطوع ورودها عن الصحابي. والصحابي حجّة وثقة في نقله عن الرسول. فمن أجل هذا كانت مرتبتها في مذهبهم بين المتواتر وخبر الواحد.

وسنّة الآحاد ظنّية الورود عن الرسول، لأن سندها لا يفيد القطع.

وأما من جهة الدلالة فكل سنّة من هذه الأقسام الثلاثة قد تكون قطعيّة الدلالة، إذا كان نصها لا يحتمل تأويلاً. وقد تكون ظنّية الدلالة إذا كان نصها يحتمل التأويل.

---

(١) علم أصول الفقه لعبد الوهاب خلاف ـ الطبعة التاسعة ـ نشر دار العلم الكويت ص ٤٢.

ومن المقارنة بين نصوص القرآن ونصوص السنّة من جهة القطعيّة والظنيّة، ينتج أن نصوص القرآن الكريم كلها قطعيّة الورود ومنها ما هو قطعي الدلالة ومنها ما هو ظني الدلالة، وأما السنّة فمنها ما هو قطعي الورود ومنها ما هو ظني الورود. وكل واحد منهما قد يكون قطعي الدلالة وقد يكون ظني الدلالة.

**** .. ****

ويقول الإمام ابن القيِّم الجوزية في كتابه (إعلام الموقّعين) [جـ ٢ ص ٣٠٧]:

السنّة لا تعارض القرآن:

والسُّنَّة مع القرآن على ثلاثة أوجه؛ **أحدها**: أن تكون موافقة له من كل وجه؛ فيكون توارد القرآن والسُّنَّة على الحكم الواحد من باب توارد الأدلَّة وتضافرها. **الثاني**: أن تكون بياناً لما أُريد بالقرآن وتفسيراً له. **الثالث**: أن تكون مُوجِبة لحكم سكت القرآن عن إيجابه أو محرِّمة لما سكت عن تحريمه، ولا تخرج عن هذه الأقسام. **فلا تعارض القرآن بوجه ما.** فما كان منها زائداً على القرآن فهو تشريع مبتدأ من النبيِّ ﷺ تجب طاعته فيه، ولا تحلّ معصيته، وليس هذا تقديماً لها على كتاب الله، بل امتثال لما أمر الله به من طاعة رسوله.

الإجمـاع في أُصـول الفقـه

يتحدث العلاّمة الشيخ عبد الوهاب خلاف في كتابه [علم أصول الفقه] عن الإجماع، فيقول:

تعريفه: الإجماع في اصطلاح الأصوليين: هو اتفاق جميع المجتهدين من المسلمين في عصر من العصور بعد وفاة الرسول على حكم شرعي في واقعة.

فإذا وقعت حادثة وعرضت على جميع المجتهدين من الأمة الإسلامية وقت حدوثها واتفقوا على حكم فيها سمّي اتفاقهم إجماعاً، واعتُبر إجماعهم على حكم واحد فيها دليلاً على أن هذا الحكم هو الحكم الشرعي في الواقعة. وإنما قيل في التعريف بعد وفاة الرسول، لأنه في حياة الرسول هو المرجع التشريعي وحده فلا يتصور اختلاف في حكم شرعي **ولا اتفاق، إذ الاتفاق لا يتحقّق إلاّ من عدد.**

أركانه: ورد في تعريف الإجماع أنه: اتفاق جميع المجتهدين من المسلمين في عصر على حكم شرعي، **ومن هذا يؤخذ أن أركان الإجماع التي لا ينعقد شرعاً إلاّ بتحقّقها أربعة:**

الأول ـ أن يوجد في عصر وقوع الحادثة عدد من المجتهدين، لأن الاتفاق لا يتصوّر إلاّ في عدة آراء يوافق كلّ رأي منها سائرها، فلو خلا وقت من وجود عدد من المجتهدين، بأن لم يوجد فيه مجتهد أصلاً أو وجد مجتهد واحد، لا

ينعقد فيه شرعاً إجماع. ومن هذا لا إجماع في عهد الرسول لأنه المجتهد وحده.

الثاني - أن يتفق على الحكم الشرعي في الواقعة، جميع المجتهدين من المسلمين في وقت وقوعها، بصرف النظر عن بلدهم أو جنسهم أو طائفتهم، فلو اتفق على الحكم الشرعي في الواقعة، مجتهدو الحرَمين فقط، أو مجتهدو العراق فقط، أو مجتهدو الحجاز، أو مجتهدو آل البيت، أو مجتهدو أهل السنّة دون مجتهدي الشيعة لا ينعقد شرعاً بهذا الاتفاق الخاص إجماع. لأن الإجماع لا ينعقد إلّا بالاتفاق العام من جميع مجتهدي العالم الإسلامي في عهد الحادثة. **ولا عبرة بغير المجتهدين.**

الثالث - أن يكون اتفاقهم بإبداء كل واحد منهم رأيه صريحاً في الواقعة **سواء أكان إبداء الواحد منهم رأيه قولاً بأن أفتى في الواقعة بفتوى، أو فعلاً بأن قضى فيها بقضاء.** وسواء أبدى كلّ واحد منهم رأيه على انفراد وبعد جمع الآراء تبيّن اتفاقها، أم أبدوا آراءهم مجتمعين بأن جمع مجتهدو العالم الإسلامي في عصر حدوث الواقعة وعرضت عليهم، **وبعد تبادلهم وجهات النظر اتفقوا جميعاً على حكم واحد فيها.**

الرابع - **أن يتحقّق الاتفاق من جميع المجتهدين على الحكم، فلو اتفق أكثرهم لا ينعقد باتفاق الأكثر إجماعاً مهما قلّ عدد المخالفين وكثر عدد المتّفقين لأنه ما دام قد وجد اختلاف وجد احتمال الصواب في جانب والخطأ في جانب، فلا يكون اتّفاق الأكثر حجّة شرعية قطعية ملزمة.**

[علم أصول الفقه لخلاف: ص ٤٥، ٤٦].

والإجمـاع
في رأي الإمام ابن حزم

قال أبو محمد:

ونحن ـ إن شاء الله ـ مبيّنون كيفية الإجماع بياناً ظاهراً يشهد له الحِسّ والضرورة، وبالله تعالى التوفيق، فنقول:

إنَّ الإجماع ـ الذي هو الإجماع المتيقّن **ولا إجماع غيره** ـ لا يصحّ تفسيره ولا ادعاؤه بالدعوى، لكن ينقسم قسمين:

أحدهما: كلّ ما لا يَشُكُّ فيه أحد من أهل الإسلام في أن مَن لم يقل به فليس مسلماً، **كشهادة أن لا إلَه إلّا الله وأن محمداً** رسول الله، **وكوجوب الصلوات الخمس، وكصوم شهر رمضان، وكتحريم المَيْتة والدم والخنزير، والإقرار بالقرآن، وجملة الزكاة**، فهذه أمور من بلغته فلم يقرّ بها فليس مسلماً، فإذا كان ذلك كذلك، فكلّ مَن قال بها فهو مسلم، **فقد صحّ أنها إجماع من جميع أهل الإسلام**.

والقسم الثاني: شيء شهده جميع الصحابة رضي الله عنهم من فعل رسول الله ﷺ أو تيقن أنه عرفه كلّ مَن غاب عنه ﷺ منهم **كفعله في خيبر إذ أعطاها يهود بنصف ما يخرج منها** من زرع أو ثمر، يخرجهم المسلمون إذا شاءوا، فهذا لا شك عند كلّ أحد في أنه لم يبق مسلم في المدينة إلّا شهد الأمر أو وصل إليه. [**الإحكام في أصول الأحكام جـ ٤ ص ٥٤١ ـ ٥٤٢**].

ثم قال: **فهذان قسمان للإجماع، ولا سبيل إلى أن يكون الإجماع خارجاً**

عنهما ولا أن يعرف إجماع بغير نقل صحيح إليهما، ولا يمكن أحداً إنكارهما، وما عداهما فدعوى كاذبة، وبالله تعالى التوفيق.

ومَن ادّعى أنه يعرف إجماعاً خارجاً من هذين النوعين، فقد كذب على جميع أهل الإسلام ونعوذ بالله العظيم من هذا. [الإحكام جـ ٤ ص٥٤٢].

وقـال أيضاً: «. . وَمَن ادّعى إجماعاً فيما عدا ما ذكرنا فهو كاذب آفـك مفترٍ على جميع المسلمين، قائل عليهم ما لا علم لـه بـه.

وقد قال تعالى: ﴿ ولا تقفُ ما ليس لك به علم﴾[1]، وقال تعالى ذامّاً لقوم قالوا: ﴿ إن نظنُّ إلاّ ظنّاً، وما نحن بمستيقنين﴾[2]، وقال تعالى: ﴿ إن يتّبعون إلاّ الظن وما تهوى الأنفس، ولقد جاءهم من ربِّهم الهدى﴾[3]، وقال تعالى: ﴿ إن يتّبعون إلاّ الظن، وإن الظن لا يغني من الحقّ شيئاً ﴾[4].

فصح بنصّ كلام الله تعالى ـ الذي لا يُعرِض عنه مسلم ـ أن الظن هو غير الحقّ، وإذ هو غير الحقّ فهو باطل وكذب بلا شك، إذ لا سبيل إلى قسم ذلك، وقد قال رسول الله ﷺ: «إيّاكم والظن، فإن الظنّ أكذب الحديث» [الإحكام في أصول الأحكـام جـ ٤ ص٥٦٢].

وقال أيضاً: «. . . . وأيضاً قد تيقنّ إجماع المسلمين على أنه لا يحلّ لأحد أن يقطع بظنه اليقين فهذا إجماع آخر». [الإحكام في أصول الأحكام جـ ٤ ص ٥٧٠].

وقال الإمام ابن حزم:

«. . ونحن نقول: لا إجماع إلاّ عن نصّ» [الإحكام جـ ٤ ص ٥٣١].

وكذلك لا يجوز الإجماع على قول إنسان دون النبيّ ﷺ، لأنه لا أحد بعده إلاّ وقد خالفه طوائف من المسلمين في كثير من قوله [الاحكام جـ ٤ ص ٥٣٤].

فصحّ أنه لا إجماع إلاّ على نصّ. ولا اختلاف إلاّ في نصّ.

---

(١) الإسـراء: ٣٦.

(٢) الجاثيـة: ٣٢.

(٣) النجـم: ٢٣.

(٤) النجـم: ٢٨.

الظن . . . واليقين
في كتاب الله سبحانه

جاء محمد رسول اللّه ﷺ برسالة متمّمة لرسالات الأنبياء السابقين من الدعوة إلى وحدانيّة الله والإيمان برسُلِهِ، والحثّ على مكارم الأخلاق:

﴿ إنَّا أَوْحَينا إليك كَمَا أوحَيْنَا إلى نُوح والنّبِيِّين من بَعْده ﴾[1].

﴿ قُولُوا آمنّا بالله، وما أُنْزِلَ إلينا، وما أُنزِل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط، وما أُوتِي موسى وعيسى، وما أُوتِيَ النّبِيّون من ربِّهم، لا نُفَرِّقُ بين أَحَدٍ منهم، ونَحْنُ لَهُ مُسلمون ﴾[2].

«إنما بُعِثْتُ لأُتَمِّم مَكَارِمَ الأخلاق»[3].

وجاء الإسلام من أول يوم يدعو للعلم والنظر والفكر والعقل:

﴿ اقْرأْ باسم رَبِّكَ الذي خَلَقْ * خَلَقَ الإنسانَ مِنْ عَلَقٍ * اقرأْ ورَبُّكَ الأكْرَمُ * الَّذِي عَلّمَ بِالقَلَمِ * عَلَّمَ الإنسانَ مَا لَمْ يَعْلَم ﴾[4].

---

(١) النساء: ١٦٣.
(٢) البقرة: ١٣٦.
(٣) رواه الإمام مالك.
(٤) العلق: ١ ـ ٥.

﴿ إنَّ في خَلْقِ السماواتِ والأرض، واخْتِلَافِ الليل والنهار لآيات لأُولي الألباب ﴾[5].

﴿ إنَّ في خَلْقِ السماوات والأرض، واختلافِ الليلِ والنهار، والفُلْكِ التي تجري في البحر بما يَنْفَعُ النَّاس، وما أَنْزَلَ الله من السماء من ماء، فأحيا به الأرض بعدَ مَوْتِهَا، وبثّ فيها مِنْ كلِّ دابّةٍ، وتصريف الرِّياح والسحاب المسخّر بين السماء والأرض لآيات لقومٍ يعقلون ﴾[6].

ومن هنا تأتي مكانة العلم في الإسلام، وهو عبادة يُثاب المؤمن على كل ما ينالُهُ في سبيله من عناء: «تعلّمُوا العلم، فإن تعلّمهُ لله خشيةٌ، وطلبه عبادة»[7]، بل هو أفضل من العبادة، وقليل منه خيرٌ من كثيرها: «فضل العلم خيرٌ من فضل العبادة»[8]، ولذلك يلفت القرآن الأنظار إلى علم الطبيعة كثيراً، يلفت الأنظار إلى السماء وكواكبها، والأرض والجبال وطبقاتها، والنبات وأنواعه، والحيوان وعجائب خلقه، والإنسان ودقيق صنعه:

﴿ فلينظر الإنسانُ مِمَّ خُلِق ﴾[9].

﴿ وفي الأرضِ آيات للمُوقنين، وفي أَنْفُسكم أَفَلَا تُبْصِرُون ﴾[10].

وليس شيء من الخُرافة والوهم والظنّ والتقليد طريقاً موصلاً إلى العلم: ﴿ إن يتَّبعون إلّا الظنّ، وإن الظنّ لا يُغني من الحقّ شيئاً ﴾[11].

---

(٥) آل عمران: ١٩٠.

(٦) البقرة: ١٦٤.

(٧) رواه ابن عبد البر، والأرجح أنه موقوف على معاذ بن جبل.

(٨) رواه الطبراني.

(٩) الطارق: ٥.

(١٠) الذاريات: ٢٠ ـ ٢١.

(١١) النجم: ٢٨.

وإنما طريق العلم أحد ثلاثة:

١ ـ خبر لا يتطرق الشك إلى صدقه.

٢ ـ ومُشاهدة قد استعملت فيها الحواس بأسلوب لا يتسرب إليه الخطأ.

٣ ـ وعقل لا يجد الوهم والتقليد إليه سبيلاً.

هذه هي فقط، الطرق الموصلة إلى العلم في نظر الإسلام، وهو ما تنص عليه الآية الكريمة: ﴿ وَلاَ تَقْفُ ما لَيس لَكَ بِهِ علم، إنَّ السمعَ والبصر والفؤاد، كل أُولئك كان عَنْهُ مسؤولاً ﴾[١٢].

والله سبحانه بيّن أن أكثر الناس يبنون حياتهم وأفكارهم على الأوهام والظنون:

﴿ وما يتَّبعُ أكْثَرُهُمْ إلا ظَنّاً، إنَّ الظنَّ لا يُغني من الحق شيئاً، إن الله عَلِيمٌ بما يفعلون ﴾[١٣].

وحذّر رسوله من طاعة الأكثرية الضالّة التي تستند إلى الظن لا إلى اليقين:

﴿ وإن تُطِعْ أكثر مَن في الأرض يضلّوكَ عن سَبيلِ الله، إن يتّبِعون إلا الظّنَّ، وإن هم إلاّ يخرصون ﴾[١٤].

كما أخذ الله على المشركين افتراءهم على الله واعتمادهم في سلوكهم وأفكارهم على الظن لا على اليقين:

﴿ سيقولُ الذين أَشْرَكُوا: لَو شاءَ الله ما أَشركنا ولا آباؤنا، ولا حرّمنا من

---

(١٢) الإسراء: ٣٦.

(١٣) يونس: ٣٦.

(١٤) الأنعام: ١١٦.

شيء، كذلك كذّب الذين من قبلهم حتّى ذاقوا بأسنا، قُلْ هلْ عِنْدَكُمْ من علم فتخرِجُوه لَنَا؟ إن تتّبِعُونَ إلاّ الظنّ وإن أَنْتُمْ إلا تخرصون ﴾[15].

وأشار إلى عدم إيمانهم بالآخرة والحقائق اليقينية:

﴿ وإذا قيلَ إنَّ وَعْدَ الله حقّ، والسَّاعةُ لا رَيْبَ فيها، قلتم: ما نَدْرِي ما السَّاعة، إن نَظُنُّ إلاَّ ظنّاً، وما نحن بِمُسْتيقنين ﴾[16].

﴿ وقالوا: ما هي إلا حَيَاتُنَا الدنيا، نموتُ ونحيا، وما يهلكنا إلا الدَّهْرُ، وما لهم بذلك من علم، إن هم إلاّ يظنُّون ﴾[17].

كما أشار إلى تسميتهم للملائكة تسمية الأُنثى:

﴿ إن الَّذِين لا يُؤْمِنُونَ بالآخرة لَيُسَمُّون الملائكة تسميةَ الأُنثى * وما لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْم، إن يتّبعون إلا الظَّن، وإن الظنَّ لا يُغني من الحق شيئاً[18].

كما أخذ الله سبحانه على أهل الكتاب عكوفهم على الجهالة وبُعدهم عن اليقين:

﴿ ومِنْهُمْ أُمِّيُّون لا يَعْلَمُونَ الكتابَ إلاّ أمانيَّ، وإن هُمْ إلاّ يظنّون ﴾[19].

﴿ وقولهم إنّا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله، وما قَتَلُوه وما صَلَبُوه، ولَكِنْ شُبِّه لَهُمْ، وإنّ الَّذِين اختَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ، مَا لَهُمْ بِهِ من عِلْم إلاّ اتِّبَاعَ الظَّنّ، وَمَا قَتَلُوه يقيناً، بل رَفَعَهُ الله إليه، وكَانَ الله عزيزاً حكيماً ﴾[20].

---

(١٥) الأنعام: ١٤٨.
(١٦) الجاثية: ٣٢.
(١٧) الجاثية: ٢٤.
(١٨) النجم: ٢٧ ـ ٢٨.
(١٩) البقرة: ٧٨.
(٢٠) النساء: ١٥٧.

ولذلك طلب المولى عزّ وجلّ من عباده المؤمنين اجتناب الظن والتخمين وسلوك طريق الحقّ واليقين:

﴿ يَا أيُّها الَّذِين آمَنُوا اجْتَنِبُوا كثيراً مِنَ الظّن، إن بَعضَ الظَّنِ إثم ﴾[21].

وسَيّج أعراض الناس من الاتّهامات الباطلة:

﴿ والذين يؤذون المؤمنين والمُؤمِنَات بغيرِ ما اكتَسَبُوا، فقد احتملُوا بهتاناً وإثماً مبيناً ﴾[22]، ﴿ والَّذِين يَرمُون المحصنات، ثُمَّ لم يأْتوا بأربعة شهداء، فاجلدوهم ثمانين جلدة، ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً، وأولئك هم الفاسقون ﴾[23].

واشترط عدالة الشهود حتى لا يظلم بريء ولا تضيع الحقوق:

﴿ واستشهِدُوا شَهِيدين من رِجالِكُمْ، فإن لَّمْ يَكونا رَجُلَين، فرجل وامرأتان مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشهداء ﴾[24]، ﴿ يا أيُّها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأٍ فَتَبَيَّنُوا أن تُصِيبوا قوماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا على مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِين ﴾[25].

---

(٢١) الحجرات: ١٢.

(٢٢) الأحزاب: ٥٨.

(٢٣) النّور: ٤.

(٢٤) البقرة: ٢٨٢.

(٢٥) الحجرات: ٦.

الظــن . . واليقيــن
في أصـــول الأحكـــام

[الظـــن . . . .]

قال ابن حزم:

«. . . وأما الحقيقة **فإنَّ الظن باطل** بنصّ حكم النبيّ ﷺ **بأنه أكذب الحديث**، وبنص قول الله تعالى: ﴿ **إنَّ الظن لا يُغني من الحقِّ شيئاً** ﴾[1]، **فالظَّنُّ** بنصِّ القرآن ليس حقّاً، **فإذ ليس حقّاً فهو باطل**».

[الإحكام في أصول الأحكام لابن حزم ـ جـ ٨ ص ٥٢٢].

وقال ابن حزم:

«والحكم بالتهمة حرام لا يحلّ، **لأنه حكم بالظَّنِّ، وقد قال تعالى عائباً لقوم قطعوا بظنونهم**: ﴿ وظننتم ظنَّ السَّوءِ وكنتم قوماً بوراً ﴾[2].

وقال تعالى عائباً قوماً قالوا: ﴿ إن نظنّ إلاّ ظنّاً، وما نحن بمستيقنين ﴾[3]، **وقال تعالى**: ﴿ وما لهم به من علم إن يتّبعون إلاّ الظَّنّ، وإن الظَّنَّ لا يُغني من الحقّ شيئاً ﴾[4]، وقال رسول الله: «الظنّ أكذب الحديث».

---

(١) يونـس : ٣٦.

(٢) الفتـح : ١٢.

(٣) الجاثيـة : ٣٢.

(٤) النجـم : ٢٨.

قال أبو محمد: فكلّ مَن حكم بتهمة أو باحتياط لم يستيقن أمره أو بشيء خوف ذريعة إلى ما لم يكن بعد، **فقد حكم بالظن، وإذا حكم بالظن فقد حكم بالكذب والباطل، وهذا لا يحلّ، وهو حكم بالهوى، وتجنب للحق، نعوذ بالله من كل مذهب أدّى إلى هذا**، مع أن هذا المذهب في ذاته متخاذل متناقض، لأنه ليس أحد أولى بالتهمة من أحد، **وإذا حرّم شيئاً حلالاً خوف تذرّع إلى حرام فَلْيخْص الرجال خوف أن يزنوا، وليقتل الناس خوف أن يكفروا، وليقطع الأعناب خوف أن يُعمَل منها الخمر**، وبالجملة فهذا المذهب أفسد مذهب في الأرض، **لأنه يؤدّي** إلى إبطال الحقائق كلها، وبالله تعالى التوفيق.

[الإحكام في أصول الأحكام: جـ ٦ ص ١٨٩]

[اليقيـــن......]

وتحدث الإمام ابن حزم في كتابه [الإحكام في أصـول الأحكام] عن اليقين، فقال:

«ولكن الله تعالى لم يجعل لغيراليقين حكماً، **فوجب بما ذكرنا أن كل ما تيقن تحريمه** فلا ينتقل إلى التحليل إلاّ بيقين آخر من نصٍّ أو إجماع، **وكلّ ما تُيُقِّن تحليله** فلا سبيل أن ينتقل إلى التحريم إلاّ بيقين آخر من نصٍّ أو إجماع وبطل الحكم باحتياط، **وصحّ أن لا حكم إلاّ لليقين وحده**.

والاحتياط كله هو ألاّ يحرِّم المرء شيئاً إلاّ ما حرّم الله تعالى، ولا يحلّ شيئاً إلاّ ما أحلّ **الله تعالى**، وبطل بهذا أن تطلّق امرأة على زوجها إذا شكّ أطلّقها أم لا، **لأنها زوجة بيقين** فلا تُحرّم عليه إلا بيقين آخر من نصٍّ أو إجماع.

[الإحكام في أصول الأحكام لابن حزم - جـ ٦ ص ١٨٨ - ١٨٩].

---

(٥) سـورة ص: ٢٦.

قواعد أصولية وتفسيرية
اتَّفق عليها علماء أصول الفقه وعلماء التفسير

من المعروف أنَّ علماء أصول الفقه والتفسير اتَّفقوا على قواعد أُصولية وتفسيرية، نذكر منها:

أولاً: أنّ القرآن الكريم ليس فيه تناقض بين آياته، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ أفلا يتدبرون القرآن، ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً ﴾ [النساء: ٨٢].

ومعنى ذلك أنَّ القرآن الكريم إذا أشار أو نصّ في آية إلى أوَّلية نبوّة نوح عليه السلام ورسالته، فلا يُعقل أبداً أن يشير أو ينصّ في آية ثانية على أوَّلية نبوّة ورسالة آدم عليه السلام.

ثانياً: أنّ من مهمَّات خاتم النَّبيِّين بيان وتفصيل ما أجمله القرآن الكريم لقوله تعالى: ﴿ وأنزلنا إليك الذِّكْرَ لتبيِّنَ للنَّاس ما نُزِّل إليهم ﴾ [النحل: ٤٤]، والرسول ﷺ لا يخرج في بيانه عمَّا نزل به القرآن الكريم، لأنَّه ﷺ ﴿ لا ينطق عن الهوى، إن هو إلاَّ وحيٌ يُوحى ﴾ [النجم: ٣ - ٤]. ويرى كثير من العلماء المحقّقين «أنَّ السُّنَّة يستفاد منها في بيان القرآن بتخصيص عامِّهِ، وتقييد مُطلقه، وبيان مُجمله» (الإسلام عقيدة وشريعة ص ٤٩٧).

ومعنى ذلك أنَّ القرآن الكريم إذا أشار إلى أوَّلية نُبُوّة ورسالة نوحٍ عليه السلام، فلا يمكن للرسول ﷺ أن يتحدَّث بشيءٍ يُخالف فيه القرآن الكريم،

لأنَّ الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿ ولو تقوَّلَ علينا بَعْضَ الأقاويل، لأخذنا منه باليمين، ثُمَّ لقطعنا منه الوتين، فما منكم من أحدٍ عنه حاجزين ﴾ [الحاقة: ٤٤ ـ ٤٧]. ولذلك فإنَّ علماء الحديث ردُّوا حديثاً نُسِبَ إلى الرسول ﷺ يقول فيه: «إنَّ ولد الزنا لا يدخل الجنَّة إلى سبعة أبناء» لأن الله **سبحانه** يقول: ﴿ وَلَا تَزِرُ وازرةٌ وِزْرَ أُخرى ﴾ [الإسراء: ١٥].

ثالثاً: إنَّ في القرآن الكريم آيات محكمة، **قطعيّة الدلالة**، أي أنها واضحة لا تحتمل أكثر من معنى، والبعض الآخر، **ظنِّية الدلالة**، تحتمل أكثر من معنى. ويرى العلماء أن قضايا العقيدة نزلت بها آيات محكمة واضحة الدلالة، وأنَّ القرآن الكريم قد تكفَّل بتوضيحها ـ خاصَّة في آياته المكيّة ـ حتَّى تكون في متناول فهم الناس جميعاً، وليس فقط للعلماء. وقد تحدَّث الإمام محمود شلتوت في كتابه (الإسلام عقيدة وشريعة) [ص ٥٠٣] عن العقائد التي حدّدها الإسلام في الفرق بين الإيمان والكفر فيما يتعلق بالله وصفاته، وما يتعلّق بالرُّسل والوحي، وما يتعلَّق باليوم الآخر.. ثُمَّ قال: «وهذا القسم قد تكفَّل القرآن ببيانه، وكان لتواتره وإفادته **القطع** هو المصدر الوحيد لتعرُّفِ هذه العقائد، **فما طلب من الناس الإيمان به، فهو عقيدة، وما لم يطلب الإيمان به فليس بعقيدة**. ثم قال: «والحديث في هذا القسم ليس إلَّا مردِّداً لما أثبته القرآن منه، **وليس في العقائد ما انفرد الحديث بإثباته، أو ما يخالف الحديث فيه القرآن**».

وقد ثبت أن رسول الله ﷺ قد أشار في حديث الشفاعة الوارد في الصحيحين، أنه قال على لسان أهل الموقف: «**يا نوحُ أنت أوّل رُسُلِ الله إلى أهل الأرض**»، وقال على لسان آدم أبي البشر لأهل الموقف في صحيح البخاري: «**ولكن ائتُوا نوحاً أوَّل نبيٍّ بعثه الله إلى أهل الأرض**»، وهذا مصداق لقوله تعالى: ﴿ إنّا أوحينا إليك كما أوحينا **إلى نُوحٍ** والنَّبيِّين من بعده ﴾ [النساء: ١٦٣].

رابعاً: اتَّفق علماء أُصول الفقه على أن **الغيبيات والإيجاب والتحريم، لا تثبت إلا بدليل قطعي الثبوت والدلالة، وقطعي الثبوت** هو كتاب الله سبحانه، وسنّة رسوله المتواترة فيما يرى الحنفية. **وقطعي الدلالة** هو ما لا يحتمل أكثر من معنى، فلا يثبت شيءٌ من ذلك بدليل ظنّي من كتاب الله أو من سنّة رسوله الآحادية، لأن الظّنّي ما احتمل أكثر من معنى، واختلف فيه علماءالأمة[1].

ويقول فضيلة الإمام الشيخ محمود شلتوت، شيخ الجامع الأزهر الأسبق ـ رحمه الله ـ في كتابه (الإسلام عقيدة وشريعة) [ص ٥٠٤]:

«وإنما لا تثبت العقيدة بالحديث، لأنَّ العقيدة ما يطلب الإيمان به، **والإيمان معناه اليقين الجازم** ـ إلاّ ما كان من **قطعيّ** الورود والدلالة، **وهو** المتواتر ـ، والأحاديث المرويّة لم تتوفر فيها أركان التواتر، فلا تُفيد بطبيعتها إلاَّ الظنّ، **والظنُّ لا يُثبت العقيدة**».

ويقول سماحة مفتي الجمهورية اللبنانية الشيخ حسن خالد في كتابه (موقف الإسلام من الوثنية واليهودية والنصرانية) [ص ٦٨٥ ـ ٦٨٩] ما يلي:

«وأحاديث الآحاد ـ وإن كان يمكن الاستفادة منها بالتعرُّف إلى الأحكام الشرعية ـ إلاَّ أنَّها لا تكون ملزمة **إن كانت متعلِّقة بشأن اعتقادي**، لأنَّ الأمور الاعتقادية لا يُؤخذ بها إلا إذا كانت واردة **بنصٍّ قطعيٍّ يفيد اليقين**، كنصّ القرآن الكريم أو كنصِّ الحديث المتواتر».

خامساً: من المعلوم أنَّ «من خصائص اللغة العربية، اشتراك اللفظ في الوضع لمعنيين فأكثر وتردّده بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي، أو بين المعنى الحقيقي والمعنى الشرعي. ومن خصائصها أيضاً اشتراك الجمل المركبة بين معنيين مختلفين بحسب تركيبها بحروف خاصة (كأداة الاستثناء) وكلمتي (أو) و(الفاء) [الإسلام عقيدة وشريعة ــ ص ٥٠٧].

---

(١) يراجع فتوى لجنة الفتوى بالأزهر الشريف في فصل فتاوى العلماء والمفتين حول نبوّة آدم في الفصل العاشر من هذا الكتاب.

سادساً: ومن علوم القرآن والتفسير أن بعض كلمات القرآن لها عدّة معانٍ، وإنما يُفهم المعنى الحقيقي للكلمة بحسب سياق الآية أو الآيات. ونحن نذكر بعض الأمثلة للإيضاح:

١ ـ كلمة الظَّنّ:

الظن: لفظ مشترك بين معانٍ، يطلق على الشَّكِّ، كما صرّح بذلك أئمة اللغة. في القاموس الظن: التردّد والراجح بين طرفي الاعتقاد غير الجازم. فهذان إطلاقان. ويطلق على اليقين كما في قوله تعالى: ﴿ الذين **يظنُّون** أنَّهم مُلاقوا ربِّهم وأنَّهم إليه راجعون ﴾ [البقرة: ٤٦]. وفي قوله سبحانه: ﴿ قالَ الذين **يظنُّون** أنَّهم مُلاقوا الله: كَمْ مِن فئةٍ قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله، والله مع الصابرين ﴾ [البقرة: ٢٤٩]. وفي قوله عزّ وجل: ﴿ أَلَا **يظنُّ** أولئك أنَّهم مبعوثون ليومٍ عظيم. يوم يقوم النَّاسُ لربِّ العالمين ﴾ [المطففين: ٤ ـ ٦]. وفي قوله تعالى: ﴿ إنِّي **ظننت** أنّي مُلاقٍ حِسَابيه ﴾ [الحاقة: ٢٠]. **فالظَّنُّ هنا في هذه الآيات جاء بمعنى اليقين**، ومعنى ذلك أنَّ سياق الآية هو الذي يحدد المعنى الحقيقي للكلمة.

ويقول الإمام ابن حزم في كتابه (الإحكام في أصول الأحكام):

«واعلم أن المذموم من الظن، هو ما كان بمعنى الشَّكّ، وهو التردُّد بين طرفي الأمر، فطرفاه مستويان لا راجح بينهما، **فهذا يُحرم العمل به اتّفاقاً**، وهو الذي هو أكذب الحديث، وهو الذي لا يُغني من الحق شيئاً، وهو بعض الإثم الذي أراد الله تعالى ﴿ إنَّ بعض الظَّنِّ إثم ﴾».

٢ ـ كلمة سلطان:

وهذا مثال آخر لكلمة (سلطان).

فقد جاءت كلمة سلطان في القرآن الكريم بعدَّة معانٍ، منها (الحجَّة) ففي [سورة هود: ٩٦]: ﴿ ولقد أرسلنا موسى بآياتنا **وسلطان** مبين ﴾ وفي

[سورة يونس: ٦٨ ـ ٦٩]: ﴿ قالوا اتَّخذ الله ولداً، سبحانه، هو الغنيُّ، له ما في السماوات وما في الأرض، **إنْ عندكم من سلطان بهذا؟** أتقولون على الله ما لا تعلمون؟ قل: إنَّ الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون ﴾.

قال الإمام ابن حزم في شرحه لهذه الآيات في كتابه (الإحكام في أصول الأحكام) [جـ ١ ص ٢٣ و٢٥]: «ففي هذه الآية بيان أنه لا يُقبل قول أحدٍ إلاَّ بحجَّة، والسلطان ههنا بلا اختلاف من أهل العلم واللغة هو الحجَّة، وأنَّ مَن لم يأتِ على قوله بحجَّة فهو مبطل بنصِّ حكم الله عزّ وجل، وأنه مُفْتَرٍ على الله تعالى، وكاذب عليه سبحانه، لا تأويل ولا تبديل. . **وأنَّه لا يفلح إذا قال قولة لا يقيم على صِحَّتها حجَّة قاطعة**، وأنَّ مَن أتى ببرهان ظاهر وجب الانصراف إلى قوله.

ثُمَّ قال بعد ذلك: ﴿ قُلْ هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين ﴾ [البقرة: ١١١]، فأوجب سبحانه أنَّ مَن كان صادقاً في دعواه، **فعليه أن يأتِيَ بالبرهان، وإن لم يأتِ بالبرهان فهو كاذبٌ مبطلٌ أو جاهل**».

وعودة لمتابعة الآيات التي وردت فيها كلمة (سلطان) بمعنى (الحجّة) ففي [سورة الكهف: ١٥]: ﴿ هؤلاء قومنا اتَّخذوا من دونه آلهة، **لولا يأْتُونَ عليهم بسلطان بيِّن**، فمَن أظلم مِمَّنِ افترى على الله كَذِباً ﴾ وفي [سورة الصَّافَّات: ١٥١ ـ ١٥٧]: ﴿ ألا إنَّهم من إفكهم ليقولون: وَلَدَ الله، وإنَّهم لكاذبون: اصْطَفَى البناتِ على البنين؟ ما لكم كيف تحكمون؟ أفلا تذكَّرون؟ **أمْ لكم سُلطان مبين؟ فأْتوا بكتابكم إن كنتم صادقين** ﴾.

وجاءت كلمة (سلطان) بمعنى المعجزة:

ففي [سورة إبراهيم: ١٠ ـ ١١]: ﴿ قالوا إن أنتم إلاّ بَشَرٌ مِثْلُنَا، تريدون أن تَصُدُّونا عمَّا كان يعبد آباؤنا، **فأْتونا بسلطان مبين**. قالت لهم رُسُلُهُم: إن نَحْنُ إلاَّ بَشَرٌ مِثلكم، ولكن الله يمنُّ على مَن يشاء من عباده، **وما كان لنا أن نأْتِيَكُم بسلطان إلاَّ بإذن الله**، وعلى الله فليتوكل المؤمنون ﴾.

كما جاءت كلمة (سلطان) بمعنى العلم والقوة المادِّية:

ففي [سورة الرحمن: ٣٣ - ٣٤]: ﴿ يا مَعْشَرَ الجِنِّ والإنس، إنِ استطعتم أن تَنْفُذُوا من أقطار السماوات والأرض، فانفذوا، **لا تنفُذُون إلاَّ بسلطان،** فبأيِّ آلاءِ ربِّكُمَا تكذِّبان ﴾.

٣ - كلمة أُمَّة:

وهذا مثال ثالث لكلمة (أُمَّة) كما جاءت في القرآن الكريم.

فقد جاءت كلمة (أُمَّة) بمعنى الجماعة من البشر، ففي [سورة المؤمنون: ٩٢]: ﴿ إنَّ هذه أُمَّتُكُم أُمَّةً واحدةً وأنا ربُّكُم فاعْبُدُونِ ﴾، وفي [سورة النحل: ٣٦]: ﴿ ولقد بعثنا في كل أُمَّةٍ رسولاً أنِ اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ﴾.

وجاءت كلمة (أُمَّة) بمعنى جُزء من الأمة:

﴿ مِن أهْلِ الكتاب **أُمَّةٌ** قائمةٌ يتلون آيات الله آناءَ الليل وهم يسجدون ﴾ [آل عمران: ١١٣].

﴿ ومن قومِ موسى **أُمَّةٌ** يهدون بالحقِّ، وبه يعدلون ﴾ [الأعراف: ١٥٩].

﴿ وإذْ قالت **أُمَّةٌ** منهم: لِمَ تَعِظُونَ قَوْماً اللهُ مُهلكهم أو معذِّبهم عذاباً شديداً؟ قالوا معذرة إلى ربِّكم، ولعلَّهم يتّقون ﴾ [الأعراف: ١٦٤].

﴿ وَلَمَا وَرَدَ ماءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عليه **أُمَّةً** مِنَ النَّاس يَسْقُون ﴾ [القصص: ٢٣].

كما وصف الله عزّ وجل نَبِيَّ الله إبراهيم عليه السلام بأنَّه كان أُمَّة:

﴿ إنَّ إبراهيمَ كَانَ أُمَّةً، قانتاً لله، حنيفاً، ولم يَكُ مِنَ المشركين ﴾ [النحل: ١٢٠]، أي أنَّ إيمان إبراهيم عليه السلام وعقله الراجح يعدلان إيمان وعقل أُمَّة.

ثُمَّ جاءت كلمة (أُمَّة) بمعنى (فترة زمنية):

﴿ ولئن أخَّرْنَا عنهم العذابَ إلى أُمَّةٍ معدودة ليقولُنَّ: ما يَحْبِسُه؟ ﴾ [هود: ٨].

﴿ وقال الذي نَجَا منهما وادَّكَرَ **بعد أُمَّةٍ**: أنا أُنَبِّئُكُم بتأويلِهِ فأَرْسِلُونِ ﴾ [يوسف: ٤٥].

كما جاءت كلمة (أُمَّة) بمعنى الطريقة أو المِلّة:

﴿ إنّا وجدنا آباءنا **على أُمَّة**، وإنّا على آثارهم مهتدون ﴾ [الزخرف: ٢٢].

وهكذا نرى أنّ الكلمة الواحدة تحتمل أكثر من معنى، ولا يُفهم معناها الحقيقي إلاَّ من خلال السياق القرآني.

* . * . *

٤ - كلمة (آية)..

كلمة آية في القرآن الكريم لها عدة معانٍ، ولا يفهم المعنى الحقيقي للكلمة إلا من خلال السياق القرآني:

١ - فمثلاً كلمة (آية) كقوله تعالى في مطلع [سورة الأنعام]:

﴿ الحمد لله الذي خلق السماوات والأرض، وجعل الظلمات والنّور، ثمّ الذين كفروا بربّهم يعدلون ﴾، **فهذا المقطع من كتاب الله يسمّى (آية).**

٢ - وجاءت كلمة (آية) في القرآن بمعنى دلائل القدرة الإلّهية في نظام الليل والنّهار:

﴿ وجعلنا الليل والنهار آيتين، فمحونا آية الليل، وجعلنا آية النهار مبصرة ﴾. [الإسراء: ٢٢].

٣ - وجاءت كلمة (آية) في القرآن بمعنى العبرة:

﴿فاليوم ننجّيك ببدنك لتكون لمَن خلفك آية﴾ [يونس: ٩٢].

٤ ـ كما جاءت كلمة (آية) في القرآن بمعنى معجزة:

﴿وقال الذين لا يعلمون: لولا يكلّمنا الله أو تأتينا آية﴾ أي معجزة.

﴿ويا قوم هذه ناقة الله لكم آية، فذروها تأكل في أرض الله،ولا تمسُّوها بسوء، فيأْخُذَكُم عذابٌ قريب﴾ [يونس: ٦٤].

﴿ولقد آتينا موسى تسع **آيات** بيّنات﴾ [الإسراء: ١٠١].

٥ ـ وجاءت كلمة (الآيات) بمعنى الكشوف العلمية الجديدة:

﴿سنُريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتّى يتبيّن لهم أنّه الحقّ﴾ [فصّلت: ٥٣].

﴿وقل الحمد لله سيُريكم آياته فتعرفونها، وما ربُّك بغافل عمّا تعملون﴾ [النمل: ٩٣].

٦ ـ ثم جاءت كلمة (آية) بمعنى العلامة:

﴿قال ربِّ اجعل لي آية﴾ [مريم: ١٠].

﴿وقال لهم نبيّهم إن آية ملكه أن يأْتِيَكُمُ التابوت فيه سكينة من ربّكم، وبقيّة مما ترك آل موسى وآل هارون تحمله الملائكة﴾ [البقرة: ٢٤٨].

فهذه ستة معانٍ لكلمة آية وردت في القرآن الكريم، ولا يمكن أن يفهم المعنى الصحيح للكلمة إلاّ من خلال السياق القرآني.

٥ ـ كلمة (الوحي):

والمثال الخامس الذي نسوقه هو معنى (الوحي) في القرآن الكريم:

مِنَ المعلوم أنّ جمهور العلماء لا يجعلون كلّ وحي نُبُوَّة، كما يقول الإمام محمد رشيد رضا عليه رحمة الله، وهذه نماذج من أنواع الوحي كما جاءت في كتاب الله:

- **الوحي للأنبياء**: ﴿ إنَّا أوحينا إليكَ كما أوحينا إلى نوحٍ والنَّبيِّين من بعده ﴾ [النســاء: ١٦٣].

- **الوحي للسماوات**: ﴿ وأوحى في كُلِّ سماءٍ أمرها ﴾ [فصِّلت: ١٢].

- **الوحي لمريم ابنة عمران وأُمِّ موسى عليهما السلام**:

﴿ وإذْ قالت الملائكةُ: يا مريمُ: إنّ الله اصطفاكِ وطهَّركِ واصطفاكِ على نساء العالمين ﴾ [آل عمــران : ٤٢].

﴿ إذْ قالت الملائكة: يا مريمُ: إنَّ الله يبشِّرُكِ بكلمة منه اسمُهُ المسيحُ عيسى بنُ مريم، وجيهاً في الدنيا والآخرة ومن المقرَّبين ﴾ [آل عمران: ٤٥].

﴿ وأوحينا إلى أُم موسى أن أرضعيه، فإذا خِفْتِ عليه فألقِيهِ في اليَمِّ، ولا تخافي ولا تحزني إنّا رادُّوهُ إليكِ وجاعلوهُ مِنَ المرسلين ﴾ [القصص: ٧].

- **الوحي للحواريين**: ﴿ وإذْ أوحيت إلى الحواريين أن آمنوا بي وبرسولي، قالوا آمنّا، واشهدْ بأنَّنا مُسلمون ﴾ [المائدة: ١١١].

ولذلك فقد قال الشهيد سيد قطب في تفسيره لآية [الأعراف: ١٢]: ﴿ ونادَاهُمَا ربُّهُما: ألَمْ أنْهَكُمَا عن تِلْكُمَا الشَّجرة، وأقل لَكُمَا إنّ الشيطانَ لكما عَدُوٌّ مبين ﴾: «وسمعا(آدم وزوجه) هذا العتاب من ربِّهما على المعصية، وعلى إغفال النصيحة.. أمّا كيف كان النداء، وكيف سمعاه، **فهو كما خاطبهما أول مرة، وكما خاطب الملائكة، وكما خاطب إبليس**، كلها غيب لا ندري عنه إلا أنه وقع، وأنّ الله يفعل ما يشاء».

ومعنى ذلك أن استدلال بعضهم على نُبُوَّة آدم، بأنَّ الله خاطبه بلا واسطة، ليس دليلاً أكيداً على نبوّته، وإلاّ اضطررنا لإثبات النُبُوّة لحوَّاء عليها السلام، **بل ولإبليس**، وهذا لا يقول به عاقل.

وبما أنَّ السياق القرآني هو الذي يحدِّد المعنى الحقيقي للكلمة، كان

لا بدّ لفهم كلمة الاصطفاء أن نتبيّن: هل كان الغرض من إيراد قِصّة عيسى عليه السلام في سورة آل عمران **إثبات نُبُوّة آدم أم إثبات بشرية عيسى عليه السلام** وأنّه من آل عمران الذين جاءوا من سلالة آل إبراهيم، مروراً بنوحٍ عليه السلام، وتنتهي هذه السلالة المصطفاة بالمصطفى الأول عليه السلام آدم أبي البشر ﴿ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بعض ﴾، ولذلك كان ختام قصة عيسى عليه السلام: ﴿ إنَّ مَثَلَ عيسى عند الله كمَثَل آدم، خَلَقَهُ مِن تراب، ثم قال له كُن فيكون ﴾ [آل عمران: ٥١].

وبما أن كلمة الاصطفاء جاءت للأنبياء ولغير الأنبياء، بل جاءت لأتباع الأنبياء: ﴿ ثُمَّ أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا، **فمنهم ظالم لنفسه**، ومنهم مقتصد، ومنهم سابقٌ بالخيرات بإذن الله ذلك هو الفضل الكبير ﴾ [فاطر: ٣٢]، **فلا يمكن أن يكون معنى اصطفاء آدم من قطعي الدلالة على نبوّة أبي البشر بل من ظنّي الدلالة**، كما أشارت إلى ذلك فتوى لجنة الفتوى بالأزهر الشريف.

*. *. *

سابعاً: ومن القواعد الأُصولية أنَّ الله وحده يملك تشريع الحلال والحرام للناس. والله سبحانه وتعالى يقول في كتابه الكريم: ﴿ **وَلا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ ألسنتكم الكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ، وهذا حَرَامٌ، لِتَفْتَرُوا على الله الكذب**، إنَّ الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون. متاعٌ قليل، ولهم عذاب أليم ﴾ [النحل: ١١٦-١١٧].

ثامناً: الفهم الإنساني في الإسلام ليس ديناً يلتزم:

وقد شرح الإمام محمود شلتوت هذه القاعدة الأصولية بقوله:

وقد اتصلت بالقرآن - بعد أن التحق محمد بربه - أفهام العلماء والأئمة فيما لم يكن من آياته نصّاً في معنى واحد[1]؛ ومن هذا الجانب اتسع

(١) وكان المسلمون في حياة الرسول في غنىً عن هذا برجوعهم إليه وتعرفهم المراد منه ﷺ.

ميدان الفكر الإنساني، وكثرت الآراء والمذاهب في النظريات والعمليات، لا على أنها دين يلتزم، وإنما هي آراء وأفهام فيما هو من القرآن محتمل للآراء والأفهام، يردّ فيها كل ذي رأي منها رأيه إلى الدلالة التي فهمها هو من النص القرآني، بمعونة ما صحّ عنده من أقوال الرسول أو أفعاله، أو من القواعد العامة التي ترمي إليها روح الدين عامة؛ وهذا الصنيع لم يكن من هؤلاء الأئمة وفي معتقدهم إلا اجتهاداً فردياً، لا يوجب واحد منهم على أحد من الناس أن يتبعه؛ بل تركوا لغيرهم ممّن له أهليّة الفهم حرية التفكير والنظر.

أما العقائد الأصلية كالإيمان بالله واليوم الآخر، وأصول الشريعة كوجوب الصلاة والزكاة وحُرمة النفس والعرض والمال، فإن نصوصها جاءت في القرآن بيّنة واضحة لا تحتمل اجتهاداً ولا أفهاماً.

ومن هنا كثرت الآراء والمذاهب فيما يتصل بالفروع التابعة[1] للعقائد الأصلية وفيما يتصل بالعمليات التابعة[2] لأصول الشرائع والأحكام[3].

** .. **

---

(١) مثل زيادة صفات الله عن ذاته، وخلق العبد لأفعاله الاختيارية، ورؤية الله بالبصر في الآخرة، ووجوب الصلاح والأصلح على الله ونحوها.

(٢) مثل الفروع الاجتهادية كمسح ربع الرأس، أو كله في الوضوء.

(٣) الإسلام عقيدة وشريعة : ص ٨ - ٩ .

الفصل الخامس
قصّة آدم عليه السلام

أ ــ في العهد القديم ــ التوراة.

[ملاحظات حول قصة آدم في سفر التكوين].

ب ــ في دائرة معارف البستاني.

جـ ــ في دائرة المعارف الإسلامية.

[ملاحظات حول «دائرة معارف البستاني» و«دائرة المعارف الإسلامية»].

د ــ في القرآن الكريم.

** .. ** .. ** .. **

آدم في العهـد القديم [التوراة]

الفصـــل الأول

من سفــر التكويــن

في البدءِ خلق الله السَّماوات والأرض. وكانت الأرض خرِبةً وخالية وعلى وجه الغَمْرِ ظلام وروح اللهِ يُرِفُّ على وجه المياه. وقال الله ليكن نورٌ فكان نورٌ. ورأى الله النور إنّه حسن. وفصل الله بين النور والظلام. وسمَّى الله النور نهاراً والظلام سمَّاه ليلاً. **وكان مساءٌ وكان صباحٌ يومٌ واحد**. وقال الله ليكن جَلَدٌ في وسط المياه وليكن فاصلاً بين مياهٍ ومياهٍ. فصنع الله الجَلَدَ وفصل بين المياه التي تحت الجَلَدِ والمياه التي فوق الجَلَدِ فكان كذلك. وسمَّى الله الجَلَدَ سماءً. **وكان مساءٌ وكان صباحٌ يومٌ ثانٍ**. وقال الله لتجتمع المياه التي تحت السماء إلى موضعٍ واحدٍ وليظهر اليَبَسُ. فكان كذلك. وسمَّى الله الْيَبَسَ أرضاً ومُجتَمَعَ المياه سمَّاه بِحَاراً. ورأى الله ذلك إنَّه حَسَنٌ. وقال الله لتُنبِتِ الأرض نباتاً عشباً يُبزِرُ بزراً وشجراً مثمراً يُخرِجُ ثمراً بحسب صنفه بِزْرُهُ فيه على الأرض. فكان كذلك. فأخرجتِ الأرض نباتاً عشباً يُبزِرُ بزراً بحسب صنفه وشجراً يُخرِج ثمراً بِزْره فيه بحسب صنفه. ورأى الله ذلك إنه حسن. **وكان مساءٌ وكان صباحٌ يومٌ ثالثٌ**. وقال الله لتكن نيِّرات في جَلَدِ السماء لتفصل بين النهار واللّيل وتكون لآياتٍ وأوقاتٍ وأيامٍ وسنين. وتكون نيِّرات في جَلَدِ السماء لتُضيء على الأرض. فكان كذلك. **فصنع الله النَّيِّرين العظيمين** النَّيِّر الأكبر لحكم النهار **والنَّيِّر الأصغر لحكم**

الليـل والكواكب. وجعلهـا الله في جَلَدِ السماء لتضيء على الأرض. ولتحكم على النَّهار واللَّيل وتفصِل بين النور والظلام. ورأى الله ذلك إنَّه حَسَنٌ. **وكان مساءٌ وكان صباحٌ يوم رابع**. وقال الله لِتَفِضِ المياه زحَّافاتٍ ذات أنْفُسٍ حيَّةٍ وطيوراً تطير فوق الأرض على وجه جَلَدِ السماء. فخلق الله الحِيتان العِظام وكلَّ دابٍّ من كلِّ ذي نفسٍ حيَّةٍ فاضت به المياه بحسب أصنافه وكلَّ طائرٍ ذي جناحٍ بحسب أصنافه. ورأى الله ذلك إنَّه حَسَنٌ. وباركهـا الله قائلاً انْمي واكثُري واملإي المياه في البحار وليكثر الطَّير على الأرض. **وكان مساءٌ وكان صباحٌ يومٌ خامسٌ**. وقال الله لتُخرِجِ الأرضُ ذوات أنفسٍ حيَّة بحسب أصنافها بهائم ودبَّابات ووحوش أرضٍ بحسب أصنافها. فكان كذلك. فصنع الله وحوش الأرض بحسب أصنافها والبهائم بحسب أصنافها وكل دبَّابات الأرض بحسب أصنافها. ورأى الله ذلك إنَّه حَسَنٌ. **وقال الله لنصنع الإنسان على صورتنا كمثالِنا** وليتسلَّط على سمك البحر وطير السَّماء والبهائم وجميع الأرض وكلِّ الدَّبَّابات الدَّابَّةِ على الأرض. **فخلق الله الإنسان على صورته على صورة الله خلقه ذَكَراً وأُنثى خَلَقَهُمْ**. وباركهم الله وقال لهم انموا واكثروا واملأوا الأرض وأخضِعوها وتسلَّطوا على سمك البحر وطير السماء وجميع الحيوان الدَّابِّ على الأرض. وقال الله ها قد أعطيتكم كلَّ عشب يُبزِرُ بِزْراً على وجه الأرض كلِّها وكلَّ شجر فيه ثمرٌ يُبْزِرُ بِزْراً يكون لكم طعاماً. ولجميع وَحْشِ الأرض وجميع طير السَّماء وجميع ما يدِبُّ على الأرض ممَّا فيه نَفْسٌ حيَّة جميع بُقُولِ العشب جعلتها مأكلاً. فكان كذلك. ورأى الله جميع ما صنعه فإذا هو حَسَنٌ جدّاً. **وكان مساءٌ وكان صباحٌ يوم سادس**.

الفصل الثاني:

فأُكمِلَت السَّمٰوات والأرض وجميعُ جيشها. **وفرغ الله في اليوم السابع من عمله الذي عمِلَ، واستراح في اليوم السابع من جميع عمله الذي عمِلَ**.

وبارك الله اليوم السابع **وقدَّسه لأنَّه فيه استراح** من جميع عمله الذي خلقه الله ليصنعه. هذه مبادئُ السَّمٰوات والأرض إذ خُلِقت يوم صنع الرَّبُّ الإلٓه الأرض والسَّمٰوات. وكلُّ شجر البرِّيَّة لم يكن بعدُ في الأرض وكلُّ عشب البرِّيَّة لم ينبت بعدُ لأن الرَّبَّ الإلٓه لم يكن قد أمطر بعدُ على الأرض ولم يكن إنسان ليحرث الأرض. وكان يصعد منها بخارٌ فيسقي جميع وجهها. **وإنَّ الرَّبَّ الإلٓه جبل الإنسان تراباً من الأرض ونفخ في أنفه نسمة حياةٍ فصار الإنسان نَفْساً حيَّةً**. وغرس الرَّبُّ الإلٓه جنَّة في عدنٍ شرقاً وجعل هناك الإنسان الذي جَبَله. وأنبت الرَّبُّ الإلٓه من الأرض كلَّ شجرة حسنةِ المنظر وطيِّبة المأكل **وشجرة الحياة في وسط الجنَّة وشجرة معرفة الخير والشَّرِّ**. **وكان نهر يخرج من عدن فيسقي الجنَّة ومن ثم ينشعب فيصير أربعة** أرؤُس. **اسم أحدها فِيشون وهو** المحيط بجميع أرض الحَوِيلَةِ حيث الذَّهب. وذهبُ تلك الأرض جيِّد. هناك المُقْلُ وحجر الجزع. **واسم النهر الثاني جيحون** وهو المحيط بجميع أرض الحبشة. واسم النَّهر الثالث **حِدَّاقَلُ** وهو الجاري **في شرقي أشُور. والنهر الرابع هو الفرات**. وأخذ الرَّبُّ الإلٓه الإنسان وجعله في جنة عدنٍ **ليفلحها ويحرسها**. وأمر الرَّبُّ الإلٓه الإنسان قائلاً من جميع شجر الجنَّة تأكل. **وأمَّا شجرة معرفة الخير والشَّرِّ فلا تأكل منها فإنَّك يوم تأكل منها تموتُ موتاً**. وقال الرَّبُّ الإلٓه لا يَحسُنُ أن يكون الإنسان وحده فأصنعُ له عوناً بإزائه. **وجبل الرَّبُّ الإلٓه من الأرض جميع حيوانات البرِّيَّة وجميع طير السماء وأتى بها آدم ليرى ماذا يسمّيها فكلُّ ما سمَّاهُ به آدم من نفسٍ حيَّةٍ فهو اسمه. فدعا آدم جميع البهائم وطير السَّماء وجميع وحْشِ الصحراء بأسماء**. وأما آدم فلم يوجد له عون بإزائه. **فأوقع الرَّبُّ الإلٓه سُباتاً على آدم فنام فاستلَّ إحدى أضلاعه وسدَّ مكانها بِلَحْمٍ**. وبنى الرَّبُّ الإلٓه **الضِّلع التي أخذها من آدم امرأةً فأتى بها آدم**. فقال آدم ها هذه المَرَّةَ عظمٌ من عظامي ولحم من لحمي. **وهذه تسمَّى امرأةً لأنَّها من امرىءٍ أخذت**. ولذلك يترك الرجل أباه وأمَّه ويلزمُ امرأته فيصيران جسداً

واحداً. وكانا كلاهما عُريانين آدم وامرأته وهما لا يخجلان.

الفصل الثالث:

وكانت الحيَّة أحْيَل جميع حيوان البرِّيَّة الذي صنعه الرَّبُّ الإلّه فقالت للمرأة: أيقيناً قال الله لا تأكلا من جميع شجر الجنَّة. فقالت المرأة للحيَّة من ثمرِ شجر الجنَّة نأكل. وأما ثمر الشجرة التي في وسط الجنَّة فقال الله لا تأكلا منه ولا تمسَّاه كيلا تموتا. فقالت الحيَّة للمرأة لن تموتا. إنَّما الله عالِمٌ أنَّكما في يومٍ تأكلان منه تنفتح أعينكما وتصيران كآلهة عارِفَيِ الخير والشَّرِّ. ورأتِ المرأة أن الشجرة طيبة للمأكل وشهية للعيون وأن الشجرة مُنْيَةٌ للعقل فأخذت من ثمرها وأكلت وأعطت بَعْلَها أيضاً معها فأكل. فانفتحت أعينهما فعَلِما أنهما عُريانان فخاطا من ورق التِّين وصنعا لهما منه مآزِرَ. فسمعا صوت الرَّبِّ الإلّه وهو مُتمَشٍّ في الجنة عند نسيم النهار فاختبأ آدم وامرأته من وجه الرَّبِّ الإلّه فيما بين شجر الجنَّة. فنادى الرَّبُّ الإلّه آدم وقال له أين أنت. قال: إنّي سمعت صوتك في الجنَّة فخشيت لأنّي عُريان فاختبأت. قال فمَن أعلَمَكَ أنَّك عُريان: هل أكلت من الشجرة التي نهيتك عن أن تأكل منها؟ فقال آدم: المرأة التي جعلتها معي هي أعطتني من الشجرة فأكلت. فقال الرَّبُّ الإلّه للمرأة: ماذا فعلتِ؟ فقالت المرأة: الحيَّة أغوتني فأكلت. فقال الرَّبُّ الإلّه للحيَّة: إذ صنعتِ هذا فأنت ملعونةٌ من بين جميع البهائم وجميع وحش البرِّيَّة على صدرك تسلكين وتراباً تأكلين طول أيَّام حياتك. وأجعلُ عداوةً بينكِ وبين المرأةِ وبين نسلِكِ ونَسْلِها فهو يسحق رأسك وأنت ترصُدين عقِبَهُ. وقال للمرأةِ: لأُكثِّرنَّ مشقَّات حَمْلِكِ بالألم تلِدين البنين وإلى بَعْلِكِ تنقاد أشواقك وهو يسود عليكِ. وقال لآدم: إذ سمعت لصوت امرأتك فأكلت من الشجرة التي نهيتك قائلاً لا تأكل منها فملعونة الأرض بسببِكَ، بمشقَّةٍ تأكل منها طول أيَّام حياتك. وشوكاً وحسكاً تُنبِتُ لكَ وتأكل عشب الصحراء. بعرق وجهك تأكل خبزاً حتى تعود إلى

الأرض التي أُخِذتَ منها لأنك ترابٌ وإلى التُّرابِ تعود. **وسمَّى** آدم **امرأته حوّاء لأنها أُمُّ كلِّ حيٍّ**. وصنع الرَّبُ الإلّه لآدم وامرأته أقمِصةً من جلدٍ وكساهما. **وقال الرَّبُّ الإلّه**: **هُوَذا** آدم **قد صار كواحدٍ منَّا يعرف الخير والشَّرَّ والآن لعلَّه يمدُّ يده فيأخذ من شجرة الحياة أيضاً ويأكل فيحيا إلى الدَّهر**. فأخرجه الرَّبُّ الإلّه من جنَّة عدنٍ ليحرث الأرض التي أُخذ منها. **فطرد** آدم وأقام شرقي جنَّة عدنٍ الكَرُوبِينَ وبريق سيفٍ متقلِّبٍ لحراسة طريق شجرة الحياة.

الفصل الرابع:

وعرف آدم حوّاء امرأته **فحَمَلَت وولدت قَايِنَ** فقالت قد رُزِقت رجلاً من عند الرَّبِّ. **ثم عادت فولدت أخاه هابيل**. **فكان هابيلُ راعيَ غنمٍ وقايِنُ كان يحرث الأرض**. وكان بعد أيَّامٍ أنَّ قايِنَ قدَّم من ثمر الأرض تَقْدِمَةً للرَّبِّ. وقدَّم هابيل أيضاً شيئاً من أبْكار غنمه ومن سِمَانِها. فنظر الرَّبُّ إلى هابيل وتَقْدِمَتِهِ. وإلى قايِنَ وتَقْدِمَتِهِ لم ينظر. فشقَّ على قايِنَ جدّاً وسقط وجهه. فقال الرَّبُّ لِقَايِنَ: لِمَ شقَّ عليك ولِمَ سقط وجهك. ألا إنَّك إن أحسنت تنال وإن لم تُحسِن فعند الباب خطيئةٌ رابِضَةٌ وإليك انقياد أشواقها وأنت تسود عليها. **وقال قَايِنُ لهابيلَ أخيه: لنخرج إلى الصحراء. فلما كانا في الصَّحراء وثب قايِنُ على أخيه فقتله. فقال الرَّبُّ لقَايِنَ: أين هابيلُ أخوك؟ قال لا أعلم ألَعَلّي حارسٌ لأخي**. فقال ماذا صنعت، إن صوت دماءِ أخيك صارِخٌ إليَّ من الأرض. والآن فملعونٌ أنت من الأرض التي فتحت فَاهَا لِتَقْبَلَ دماء أخيك من يدك. وإذا حرثت الأرض فلا تعطيك قوَّتها أيضاً. تَائهاً شارداً تكون في الأرض. فقال قايِنُ للرَّبِّ: ذنبي أعظم من أن يُغفَرَ. إنَّك قد طردتني اليوم عن وجه الأرض ومن وجهك أستتر وأكون تائهاً شارداً على الأرض فيكون **أنَّ كلَّ مَن وجدني يقتُلُني. فقال له الرَّبُّ لذلك كُلُّ مَن قتل قَايِنَ** فسبعة أضعافٍ يُقادُ به. **وجعل الرَّبُّ لِقَايِنَ علامةً لئلَّا**

يقتله كلُّ مَن وجده. وخرج قاين من أمام الرَّبِّ فأقام بأرض نودٍ شرقيَّ عدنٍ. وعرف قَايِنُ امرأته فحَمَلَت وولَدَت أخنوخ. ثم بنى قريةً فسمَّاها باسمِ ابنه أخنوخ. وَوُلِدَ لأخنوخ عِيرَادُ. وعِيرادُ وَلَدَ مَحُويَائِيلَ. ومَحُويَائِيلُ وَلَدَ مَتُوشَائِيلَ. وَمَتُوشَائِيلَ وَلَدَ لامَكَ. واتخذ لاَمَكَ له امرأتين اسم إحداهما عَادَةُ والأخرى صِلَّةُ. فولدت عَادَةُ يَابَلَ وهو أبو ساكِنِي الخيام ومتَّخذي المواشي. واسم أخيه يُوبَلُ وهو أبو كلِّ عازف بالكِنَّارَةِ والمِزمار. وصِلَّةُ أيضاً وَلَدت تُوبَلَ قَايِنَ وهو أول صَيْقَلٍ لجميع المصنوعات النُّحاسية والحديدية. وأخت تُوبَلَ قَايِنَ نَعْمَةُ. وقال لاَمَكُ لامرأتيه عَادَةَ وصِلَّةَ اسمعا قولي يا امرأتَيْ لاَمَكَ وأصغيا لكلامي. إنِّي قتلت رجلاً لجرحي وَفَتًى لِشَدْخِي. إنه يُنتقم لِقَايِنَ سبعة أضعاف وأمَّا لِلاَمَكَ فسبعةً وسبعين. وعرف آدم امرأته أيضاً فوَلَدَت ابناً وسمَّته شِيتاً وقالت قد أقام الله لي نَسْلاً آخر بدل هَابِيلَ إذ قتله قَايِنُ. وَلِشِيتٍ أيضاً وُلِدَ ابنٌ وسمَّاه أَنُوشَ. حينئذ ابتدىء بالدُّعاء باسمِ الرَّبِّ.

الفصل الخامس:

هذا كتاب مواليد آدم. يوم خلق الله الإنسان على مثال الله عمِلَه. ذَكَراً وأُنثى خلقه وباركه وسمَّاه آدم يوم خُلِق. وعاش آدم مئةً وثلاثين سنة وَوَلَدَ ولداً على مثاله كصورته وسمَّاه شِيتاً. وعاش آدم بعدما ولد شِيتاً ثمانيَ مئة سنة وَلَدَ فيها بنينَ وبنات. فكانت كلُّ أيام آدم التي عاشها تسع مئة سنة وثلاثين سنة ومات. وعاش شِيتٌ مئة وخمس سنين وَوَلَدَ أُنُوشَ. وعاش شِيتٌ بعدما ولد أنوشَ ثماني مئة وسبع سنين وَلَدَ فيها بنين وبنات. فكانت كلُّ أيَّام شِيتٍ تسع مئة سنة واثنتي عشرة سنة ومات. وعاش أُنُوشُ تسعين سنة وَوَلَدَ قَيْنَانَ. وعاش أُنوشُ بعدما وَلَدَ قَيْنَانَ ثماني مئة سنة وخمس عشرة سنة وَلَدَ فيها بنين وبنات. فكانت كلُّ أيام أُنُوشَ تسع مئة سنة وخمس سنين

ومات. وعاش قَيْنَانُ سبعين سنة وَوَلَدَ مَهْلَلْئِيلَ. وعاش قَيْنَانُ بعد ما وَلَدَ مَهْلَلْئِيلَ ثماني مئة سنة وأربعين سنة وَلَدَ فيها بَنِينَ وبنات. فكانت كلُّ أيَّام قَيْنَانَ تسع مئة وعشر سنين ومات. وعاش مَهْلَلْئِيلُ خمساً وستِّين سنة وَوَلَدَ يَارَدَ. وعاش مَهْلَلْئِيلُ بعدما وَلَدَ يَارَدَ ثماني مئة سنة وثلاثين سنة وَلَدَ فيها بنين وبنات. فكانت كلُّ أيَّام مَهْلَلْئِيلَ ثماني مئة سنة وخمساً وتسعين سنة ومات. **وعاش يَارَدُ مئة واثنتين وستّين سنة وَوَلَدَ أخنوخ.** وعاش يَارَدُ بعدما وَلَدَ أَخْنُوخَ ثماني مئة سنة وَلَدَ فيها بنين وبنات. فكانت كلُّ أيَّام يَارَدَ تسع مئة سنة واثنتين وستّين سنة ومات. **وعاش أَخْنُوخُ خمساً وستّين سنة وَوَلَدَ مَتُوشَالَحَ. وسلك أخنوخُ مع اللهِ بعدما وَلَدَ مَتُوشَالَحَ ثلاث مئة سنة وَلَدَ فيها بنينَ وبناتٍ. فكانت كُلُّ أيَّام أَخْنُوخَ ثلاث مئة سنة وخمساً وستين سنة.** وسلك أخنوخُ مع اللهِ ولن يوجد بعدُ لأنّ الله أخذه. وعاش مَتُوشَالَحُ مئة سنة وسبعاً وثمانين سنة وَوَلَدَ لاَمَكَ. وعاش مَتُوشَالَحُ بعدما وَلَدَ لاَمَكَ سبع مئة سنة واثنتين وثمانين سنة وَلَدَ فيها بنينَ وبناتٍ. فكانت كلُّ أيَّام مَتُوشَالَحَ تسع مئة سنة وتسعاً وستّين سنة ومات. **وعاش لاَمَكُ مئة سنة واثنتين وثمانين سنة وَوَلَدَ ابناً. وسمَّاه نُوحاً** قائلاً هذا يعزِّينا عن أعمالنا وعن مشقَّة أيدينا في الأرض التي لعنها الرَّبُ. وعاش لاَمَكُ بعدما وَلَدَ نوحاً خمس مئة سنة وخمساً وتسعين سنة وَلَدَ فيها بنينَ وبناتٍ. فكانت كلُّ أيَّام لاَمَكَ سبع مئة سنةٍ وسبعاً وسبعين سنة ومات. **ولمَّا كان نوحُ ابنَ خمسِ مئةِ سنةٍ وَلَدَ سَاماً وحَامَاً ويَافَثَ.**

** . . **

ملاحظـــات المؤلـف حول سفر التكوين

١ ـ جاء في الفصل الأول من سفر التكوين، [الآية: ١٦]:

« فصنع الله النَّيِّرين العظيمين: النَّيِّر الأكبر لحكم النهار، والنَّيِّر الأصغر لحكم الليل والكواكب » مع العلم أن التعبير القرآني هو الصحيح علمياً كما جاء في [سورة الفرقان: ٦١] :

﴿ تبارك الذي جعل في السماء بروجاً، **وجعل فيها سِراجاً وقمراً منيراً** ﴾.

وقوله تعالى في [سورة يونس: ٥]:

﴿ **هو الذي جعل الشمس ضياءً والقمر نوراً**، وقدّره منازل ﴾.

وكما جاء في [سورة نوح: ١٥ ـ ١٦] على لسان نوح عليه السلام:

﴿ ألم تروا كيف خَلَقَ الله سبع سماوات طِباقاً * **وجعل القمر فيهنّ نوراً وجعل الشمس سراجاً** ﴾. ومن المعروف ـ علمياً ـ أن الشمس نجم ينتج باحتراقه الداخلي حرارة شديدة وضوءاً، على حين أن القمر ليس مضيئاً بذاته، بل هو يعكس الضوء الذي يستقبله من الشمس.

٢ ـ وجاء في الفصل الأول من سفر التكوين، [الآية: ٣٧]:

« **فخلق الله الإنسان على صورته، على صورة الله** خلقه ذَكَراً وأُنثى خلقهم » .

ويظهر أنه من هنا جاء الحديث الذي رواه الإمام مسلم عن أبي هريرة والذي نسب

إلى رسـول الله ﷺ أنـه قـال: «**خَلَقَ الله عـزّ وجلّ آدم على صـورتـه** ستّون ذراعاً»، ولعلّ هذا الحديث من أوهام الرّواة أو لعلّ هذا من مرويّات كعب الأحبار لأبي هريرة.

٣ ـ وجاء في سفر التكوين الفصل الثاني: [الآية: ٢ ـ ٣]:

«وفرغ الله في اليوم السابع من عمله الذي عمل، **واستراح في اليوم السابع من جميع عمله الذي عمل**. وبارك الله اليوم السابع وقدّسه **لأنّه فيه استراح من جميع عمله الذي خلقه الله**»!!

ونحن نقول بأن الله **سبحانه نزّه نفسه عن التعب** كما جاء في [سورة ق: ٣٨] ﴿ ولقد خلقنا السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام، **وما مسَّنا من لغوب** ﴾ وكما جاء في [سورة الأحقاف: ٣٣]:

﴿ أو لم يروا أنَّ الله الذي خلق السماوات والأرض **ولم يَعْيَ بخلقهنّ** بقادر على أن يُحييَ الموتى، بلى إنه على كل شيء قدير ﴾.

٤ ـ وجاء في الفصل الثاني من سفر التكوين: [الآية: ٩]:

«وأنبت الرَّبُّ الإلّهُ من الأرض كل شجرة حسنـة المنظر، وطيِّبـة المأكل، **وشجرة الحياة** في وسط الجنة، **وشجرة معرفة الخير والشر**».

والقرآن الكريم ما أشار إلاّ إلى شجرة واحدة دون أن يحدِّد نوعها وماهيتها: ﴿ **ولا تقربا هذه الشجرة** فتكونا من الظالمين ﴾ [البقرة: ٣٥، والأعراف: ١٩]، ﴿ وناداهما ربُّهما ألم أنْهَكما عن تِلْكما الشجرة، وأقل لكما إن الشيطان لكما عدوٌّ مبين ﴾ [الأعراف: ٢٢].

ولكن إبليس سمّاها **شجرة الخلد**:

﴿ قـال يـا آدم هـل أدلّـك على **شجـرة الخلد** ومُلكٍ لا يبلى ﴾ [طه: ١٢٠].

٥ ـ كما جاء في الفصل الثاني من سفر التكوين [الآيات: ١٠ ـ ١٤]:

« وكان نهرٌ يخرج من عَدْن فيسقي الجنّةَ ومن ثمّ ينشعبُ فيصير أربعة أرؤس * اسم أحدها فِيشون، وهو المحيط بجميع أرض الحويلة حيث الذهب * وذهب تلك الأرض جيِّد، هناك المُقْلُ وحجر الجزع * واسم النهر الثاني **جيحون**، وهو المحيط بجميع أرض الحبشة * **واسم النهر الثالث** حِدّاقل، وهو الجاري في شرقي أشّور. والنهر الرابع هو **الفرات** ».

وللأسف تسرّب إلى كتب الحديث ما يشبه هذه الإسرائيليات، كما في الحديث الذي رواه الإمام مسلم عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ «سيحان وجيحان، والنيل والفرات كلٌّ من أنهار الجنّة» وفي رواية «سيحون وجيحون».

٦ ـ وجاء في الفصل الثالث من سفر التكوين: [الآيات: ١ ـ ٨]:

« **وكانت الحيّة أحْيَلَ جميع حيوان البريّة الذي صنعه الرَّبُّ الإلّه، فقالت للمرأة:** أيقيناً قال الله لا تأكلا من جميع شجر الجنّة * **فقالت المرأة للحيّة:** من ثمر شجر الجنّة نأكل * وأما ثمر الشجرة التي في وسط الجنّة فقال الله لا تأكلا منه ولا تمسَّاهُ كيلا تموتا * **فقالت الحيّة للمرأة:** لن تموتا * إنما الله عالم أنكما في يوم تأكلان منه تنفتح أعينكما وتصيران كآلهة عارِفَي الخير والشر * ورأت المرأة أنَّ الشجرة طيِّبة للمأكل وشهيّة للعيون، وأنَّ الشجرة مُنية للعقل، فأخذت من ثمرها وأكلت، وأعطت بَعْلها أيضاً معها فأكل ».

ويؤسفنا أن كثيراً من كتَّاب **قصص القرآن، ومفسِّري القرآن** أخذوا هذه الإسرائيليات، واتهمّوا أُمَّنا الكبرى حوّاء بأنَّها هي التي أكلت من الشجرة ثم أعطت آدم بإغراء من الحيَّة! مع أن القرآن يقرّر أن التكليف كان لهما معاً: ﴿ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين﴾، والتحذير من الشيطان كان لهما معاً: ﴿فقلنا يا آدم إنَّ هذا عدوٌّ لَكَ ولزوجك فلا

يُخرجنّكما من الجنَّة فتشقى ﴾، وحاول إبليس التأثير على آدم وزوجه ﴿ وقال ما نهاكما ربُّكما عن هذه الشجرة إلاّ أن تكونا مَلَكين أو تكونا من الخالدين وقاسمهما إنِّي لكما لمن الناصحين ﴾، ونجحت مكيدة الشيطان ﴿ فدلّاهما بغرور ﴾ ثم كان السقوط من آدم وزوجه:

﴿ **فلما ذاقا الشجرة، بدت لهما سوءاتهما**، وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنَّة ﴾.

ثم كان العتاب والحساب من مالك **المُلْك والملكوت لهما معاً:**

﴿ وناداهما ربُّهما: ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما إنَّ الشيطان لكما عدوٌّ مبين ﴾.

وكان الندم والتوبة من آدم **وزوجه:**

﴿ قالا ربَّنا ظلمنا أنفسنا، وإن لم تَغْفِر لَنَا وترحمنا لنكـونَنَّ من الخاسرين ﴾.

يقول العلّامة الشيخ محمد الغزالي في كتابه «قذائف الحق»[1] بعد أن عقَّب على قول التوراة في سفر التكوين بأن الله سبحانه **استراح في اليوم** السادس من عمله... بقوله: لكن الحديث عن **عجز الله** تبعه حديث آخر عن **جهله!!**

واسمع إلى وصف العهد القديم لآدم وزوجه بعدما أكلا من الشجرة:

«وسمعا صوت الربّ الإلّه ماشياً في الجنة عند هبوب ريح النهار، فاختبأ آدم وامرأته من وجه الربّ الإلّه في وسط شجر الجنّة، فنادى الربّ الإلّهُ آدَمَ وقال له: أين أنت؟ فقال: سمعت صوتك في الجنة فخشيت لأني عريان فاختبأت. فقال مَن أعلمك أنك عُريان، هل أكلت من الشجرة التي

(١) قذائف الحق لمحمد الغزالي ـ منشورات دار ذات السلاسل ـ الكويت ـ الطبعة الثانية ـ ١٩٧٦، ص ٢٢.

أوصيتك أن لا تأكل منها» [سفر التكوين الإصحاح الثالث].

يقول الشيخ الغزالي معقّباً على ذلك:

«ما هذا؟ كان الإلَه يتمشّى في الجنة خالي البال مما حدث، ثم تكشّفت له الأمور شيئاً فشيئاً، فعرف أنّ آدم خالف عهده، وأكل من الشجرة المحرّمة!

تصوير ساذج يبدو فيه ربُّ العالمين وكأنه فلّاح وقع في حقله ما لم ينتظر!

ما أبعد الشقّة بين هذا التصوير وبين وصف الله لنفسه في القرآن العظيم:

﴿ ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه، ونحن أقرب إليه من حبل الوريد ﴾ [ق: ١٦].

﴿ وما تكون في شأن، وما تتلو من قرآن، ولا تعملون من عمل إلّا كنّا عليكم شهوداً إذْ تفيضون فيه ﴾ [يونس: ٦١].

وقد أعقب هذا «الجهل الإلَهي» قلق غريب، فكأن الله يبدو وكأنّ ملكه مهدّد بهذا التمرّد على الإلـه:

لقد أكل آدم من الشجرة ـ **شجرة المعرفة** ـ وارتفع بهذا العصيان إلى مصافّ الآلهة فقد أدرك الخير والشرّ، وكان الربّ عندما خلقه حريصاً على بقائه جاهلاً بهما.

ومَن يدري ربما ازداد تمرّده **وأكل من شجرة الخلد** وظفر بالخلود، إنه عندئذ سوف ينازع الله حقَّه، **إذن فليطرد قبل استفحال أمره!!**

جاء في العهد القديم:

«وقال الرّبُّ الإلَه: هوذا الإنسان قد صار كواحد منّا عارفاً الخير والشر، والآن لعلّه يمدّ يده ويأخذ من شجرة الحياة أيضاً، ويأكل ويحيا إلى

الأبد، فأخرجه الرَّبُّ الإله من جنَّة عدن ليعمل الأرض التي أُخذ منها.. وطرد الإنسان وأقام شرقي جنّة عدن الكروبين، وبريق سيف متقلّب لحراسة طريق شجرة الحياة» [سفر التكوين: الإصحاح الثالث] انتهى كلام الشيخ الغزالي.

٨ - وجاء في الفصل الرابع من سفر التكوين [الآية: ١٧ - ١٨]:

«وعرف قاين امرأته فحملت وولدت **أخنوخ**. ثم بنى قرية فسمّاها باسم ابنه أخنوخ».

وفي الفصل الخامس من سفر التكوين - كتاب مواليد آدم [الآية: ١٨ - ٢٤].

«وعاش يارد مائة واثنتين وستين سنة، **وَوَلَدَ أخنوخ** * وعاش يارد بعدما وَلَدَ **أخنوخ** ثماني مئة سنة **ولد** فيها بنين وبنات * فكانت كل أيام يارد تسع مائة سنة واثنتين وستين سنة ومات * **وعاش أخنوخ** خمساً وستين سنة وولد متوشالح * **وسلك أخنوخُ مع** الله بعدما وَلَدَ متوشالح **ثلاث مئة سنة** وَلَدَ فيها بنين وبنات * **فكانت كُلُّ** أيام **أخنوخ** ثلاث مئة **وخمساً وستين سنة * وسلك أخنوخ مع الله ولم يوجد بعد لأنّ الله أخذه**».

ويظهر أن هناك «أخنوخين» لا أخنوخ واحد، **فأخنوخ ابن قاين، وأخنوخ ابن يارد**، وكتّاب قصص الأنبياء والمفسّرين يقولون إن أخنوخ هو إدريس! ولا أعلم من أين أتوا بهذه الترجمة، وسفر التكوين يقول بأن آدم عاش ٩٣٠ سنة، وشيث عاش ٩١٢ سنة، وأخنوخ (إدريس) ٣٦٥ سنة. وإذا حكمنا بنبوّة آدم وشيث بجانب نبوّة إدريس التي أثبتها القرآن الكريم، فمعنى ذلك أنهم كانوا جميعاً معاصرين في زمن واحد! وأنهم أرسلوا إلى قوم مؤمنين لا مشركين، كما يقول بعض الذين يفرّقون بين النبيّ والرسول وفي خلال أقل من مائة عام عمّ الشرك وعبادة الأوثان حتّى بعث الله سبحانه

---

(١) راجع فصل [ماذا كان بين آدم ونوح عليهما السلام من أجيال وقرون] في هذا الكتاب.

جاء في كتاب «دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة»[1].

١ ـ من آدم إلى إبراهيم

يقدّم سفر التكوين، في أنسابه بالإصحاحات ٤ و٥ و١١ و٢١ و٢٥، معطيات غاية في الدقة عن كل أسلاف إبراهيم من صلب مباشر منذ آدم، ولما كان سفر التكوين يعطي مدة حياة كلٍّ منهم وعمر الأب عند ميلاد الابن، فإنه يسمح بيُسْر بتحديد تواريخ ميلاد ووفاة كل سلف بالنسبة إلى خلق آدم كما هو مشار إليه في الجدول التالي.

أُلِّف هذا الجدول حسب المعطيات الآتية كلها من النص الكهنوتي لسفر التكوين: وهو النص الوحيد في التوراة الذي يعطي تحديدات من هذا النوع. **ومنه يستنتج أن إبراهيم، كما تقول التوراة، قد رأى النور في عام ١٩٤٨ بعد آدم.**

أنســـاب إبراهيـــم

	تاريخ الميلاد بعد خلق آدم	مدة العمر	تاريخ الوفاة بعد خلق آدم
١ ـ آدم	٠٠	٩٣٠	٩٣٠
شيث	١٣٠	٩١٢	١٠٤٢
أنوش	٢٣٥	٩٠٥	١١٤٠

(١) تأليف موريس بوكاي ص ٤٨ ـ ٤٩ ـ الطبعة الرابعة ١٩٧٧ الناشر: دار المعارف ـ القاهـــرة.

	تاريخ الميلاد بعد خلق آدم	مدة العمر	تاريخ الوفاة بعد خلق آدم
قينان	٣٢٥	٩١٠	١٢٣٥
مهللئيل	٣٩٥	٨٩٥	١٢٩٠
يارد	٤٦٠	٩٦٢	١٤٢٢
أخنوخ	٦٢٢	٣٦٥	٩٨٧
متوشالح	٦٨٧	٩٦٩	١٦٥٦
لامك	٨٧٤	٧٧٧	١٦٥١
١٠ - نوح	١٠٥٦	٩٥٠	٢٠٠٦
سام	١٥٥٦	٦٠٠	٢١٥٦
أرفكشاد	١٦٥٨	٤٣٨	٢٠٩٦
شالح	١٦٩٣	٤٣٣	٢١٢٢
عابر	١٧٢٣	٤٦٤	٢١٨٧
فالج	١٧٥٧	٢٣٩	١٩٩٦
داعو	١٧٨٧	٢٣٩	٢٠٢٦
سروج	١٨١٩	٢٣٠	٢٠٤٩
ناحور	١٨٤٩	١٤٨	١٩٩٧
تارح	١٨٧٨	٢٠٥	٢٠٨٣
٢٠ - إبراهيم	١٩٤٨	١٧٥	٢١٢٣

آدم عليـــه السلام
كما جاء في دائرة معارف البستاني (*)

« إن لفظة «آدم» العبرانية كانت تعني الإنسان بوجهٍ عام، أي الجنس البشري.

وبهذا المعنى وردت في رواية الخليقة الأولى المثبتة في فاتحة التوراة. فبعد أن خلق الله السماءَ والأرض، والمعادن والنبات والحيوان، قال، وهو يتمّم خلقه، وكأنه يخاطب نفسه: «**لنصنع الإنسان (آدم) على صورتنا كمثالنا،** ليتسلَّط على سمك البحر، وطير السماء، والبهائم، وجميع الأرض، وكل الدبّابات الدابّة على الأرض. **فخلق الله الإنسان على صورته، على صورة الله خلقه، ذكراً وأُنثى خلقهم،** وباركهم الله وقال لهم: «انموا واكثروا واملأوا الأرض وأخضعوها» (تكوين ١: ٢٦ - ٢٨).

وبَيّنٌ أنّ هذا النص ينسب إلى الله القدير أصل الجنس البشري. وقد ردّد الكتاب التعليم عينه، بمزيد تشبيه وتفصيل، في الفصول التالية، حيث أطلق لفظ «آدم» من باب التخصيص، على الإنسان الأول. والرواية تلفت النظر من نواحٍ عدّة، سواءً لما تتضمّنه من تعليمٍ ديني أو لما تثير من قضايا لها علاقة بالتاريخ. وعلى هذا سنقسم بحثنا أقساماً ثلاثة: الأول: مضمون رواية التوراة. الثاني: تعليم الرواية الديني.. الثالث: علاقة الرواية بالتاريخ.

(*) دائرة المعارف بإدارة فؤاد أفرام البستاني - المجلد الأول ص ١٠٥ - ١٠٨ بيروت ١٩٥٦.

١ ـ **مضمون رواية التوراة:** يدور الكلام، في «سفر التكوين»، من الفصل ٢: ٤ إلى نهاية الفصل ٣، على الخلق، وحياة آدم وحوّاء، حتى سقوطهما وطردهما من الفردوس الأرضي، ويذكر الفصل ٤، والفصل ٥ (٤: ١ ـ ٢، ٢٥؛ ثم ٥: ١ ـ ٤) ولادة قاين وهابيل وشيث، ثم عمر آدم حتى ولادة شيث، وما بعدها إلى موته.

ومما ذكره الكتاب تتألف روايةٌ أبرز خطوطها حاضرة في جميع الأذهان، على أنه من المفيد الرجوع إليها، لا لنقلها بحرفها، بل لتبيّن جوهر مضمونها.

ليس في هذه الرواية ما في رواية الخلق في ستة أيام من ترتيب منظوم وتتابع منطقي. فتكوين الإنسان، على يد يهوى (وهو الاسم الذي أُطلق على الله، وهو، في العهد القديم، أجلّ أسماء الجلالة) يبدو فيها، وكأنه قد حدث قبلَ تكوين النبات والحيوان. وقد كوّن الله الإنسان الأول من تراب الأرض، ثم نفخ فيه نسمة الحياة، أي النفس أو الروح.

ثم يظهر عالم النبات، وكأنه قد طلع، في الفردوس الأرضي، جنّة عدن، تلبيةً لما شعر به آدم من حاجة إلى القوت. وفي عالم النبات شجرتان عجيبتان: **شجرة الحياة، وشجرة معرفة الخير والشرّ.**

ولكن لا القوت ولا الرخاء كانت فيهما الكفاية: «وقال يهوى ـ الله: لا يحسن أن يكون الإنسان وحده، فأضع له عوناً بإزائه» (٢: ١٨).

وكأنّي به قد مهّد لهذا العمل باستعراض الحيوانات، فكان آدم يُطلق اسماً على كلٍّ منها، وفي ذلك دلالة على وضع يده عليها. ولكن الحيوان أيضاً لم يكن فيه الكفاية والعون الذي يحتاج إليه آدم.

وبعد ذلك خُلقت حوّاء، من ضلع استلّه الله من بدن آدم، وهو مستغرق في سُبات عميق. فلما أفاق من غفوته، صاح فرحاً: «هو ذا، هذه المرّة، عظم من عظامي ولحم من لحمي» (٢: ٢٣). وطبّقت الرواية على الزواج: «لذلك يترك الرجل أباه وأمه ويلزم امرأته فيصيران جسداً واحداً» (٢: ٢٤).

وتمهيداً لمتابعة الرواية، وردت ملاحظة لا سبيل إلى إغفالها: «وكانا كلاهما عُريانَين، آدم وامرأته، وهما لا يخجلان» (٢ : ٢٥).

أما ما يلي من قصة العيلة الأولى فليس بالمبهج. **فقد دخلت الحيَّة**، ولم يفتها النطق، وكانت النهاية المعروفة:

«فقالت للمرأة: أيقيناً قال الله: لا تأكلا من جميع شجر الجنة. فقالت المرأة للحيّة: من ثمر الجنة نأكل، وأما ثمر الشجرة التي في وسط الجنة، فقال الله: لا تأكلا منه ولا تمسَّاه كي لا تموتا. فقالت الحيَّة للمرأة: لن تموتا. إنما الله عالم أنكما في يوم تأكلان منه تنفتح أعينكما وتصيران كالله عارفَي الخير والشر. ورأت المرأة أن الشجرة طيّبة للمأكل، وشهيّة للعيون، وأن الشجرة مُنْية للعقل. فأخذت من ثمرها وأكلت، وأعطت بعلها أيضاً معها فأكل» (٣: ١ ـ ٦).

ولم تلبث عواقب المعصية أن ظهرت. شعر الاثنان بخجل مفاجىء: «انفتحت أعينهما فعلِما أنهما عُريانان» (٣: ٧).

وشعرا نحو «يهوى» بخوف لم يكن لهما به عهد. فقد تراءى، وحملهما على الاعتراف بمعصيتهما، وأعلن حكمه عليهما. وكان قد لعن الحيّة، ووجّه إليها كلمته المعروفة: «اجعل عداوة بينك وبين المرأة، بين نسلك ونسلها، فهو يسحق رأسك وأنتِ ترصدين عقبه» (١٥).

وأُصيبت المرأة بأُمومتها، وذلّت أمام زوجها: «لأكثرنّ مشقات حملك، بالألم تلدين البنين، وإلى بعلك تنقاد أشواقك، وهو يسود عليك» (١٦).

ويسمع الرجل والجنس البشري بأسره حكم الله: «ملعونةٌ الأرضُ بسببك، بمشقّة تأكل منها طول أيام حياتك، وشوكاً وحسكاً تنبت لك، وتأكل عشب الصحراء. بعرق وجهك تأكل خبزك حتى تعود إلى الأرض، فإنك منها أُخذت، لأنك ترابٌ وإلى التراب تعود» (٣: ١٧ ـ ١٩).

وهكذا حُكِمَ على آدم وحوّاء، وطُردا من الفردوس الأرضي، بعيداً عن شجرة الحياة، التي كان لثمرها أن يضمن لهما البقاء على الدهر. ولكنهما قاما بوظيفتهما، كأبوين للجنس البشري، فولدا قاين وهابيل وشيثاً، وبنين وبنات غيرهم بعدهم (٤: ١ـ٢، ٢٥؛ ٥: ١ـ٣).

«وكانت كلّ أيام آدم التي عاشها تسع مئة سنة وثلاثين سنة، ومات» (٥: ٤).

وعن تعليم الرواية الديني تقول دائرة معارف البستاني:

أما المسيحية التي لا ترضى أصلاً بالتفريق بين الناس، فقد تمسّكت تمسكاً أشدّ بهذه الصفحات المُنزَلة، واقتبست منها تعاليم هامة:

كان الإسرائيلي يشعر بثقل آثامه، ويقابل أحياناً بين نفسه وبين آدم، أبيه الأول. **أما المسيحية فقد رأت في الخطيئة الأصلية عقيدة من عقائدها، وأُسَّاً من أسس تعليمها، وعندها أن جميع البشر يرثون بالولادة من أبينا الأول الخطيئة الأصلية، ينبوع الآثام المتراكمة على نسله، والتي كفّر عنها المسيح، آدم الجديد، بآلامه الفادية.**

وقد أخذت المسيحية هذا التعليم عن بولس الرسول بنوعٍ خاصّ. قال بولس الرسول في إحدى صفحاته الشهيرة: «**كما أنه بإنسانٍ واحد دخلت الخطيئة إلى العالم**، وبالخطيئة الموت، وهكذا اجتاز الموت إلى جميع الناس لأنهم جميعهم قد خطئوا... كذلك، كما أنه بزلّة واحدة قضي على الجميع، كان للجميع ببرّ واحد تبرير الحياة. **لأنه كما أنه بمعصية واحد خطىء الجميع كذلك ببرّ واحد يبرّر الجميع**» (رومانيون ٥: ١٢ـ١٩).

وعلى أثر بولس، تتبيّن الكنيسة في كل مولود من بني آدم، إن لم يكن وزر الخطيئة بحصر المعنى، فحالة الخطيئة وحرمان الخيرات الفائقة الطبيعة، التي لا مجال لصحبة الله ولا للخلاص الأبديّ بدونها. **ومن هنا عادة تعميد الأولاد**.ومن هذا النصّ استخلص اللاهوتيون أن عمل المسيح الفادي المُحْيي

قد رفع عنّا، في ما رفع، ما يثقل كاهلنا من خطيئة آدم، وبالتالي هذه الخطيئة عينها.

ثم تحدّثت الموسوعة عن رأي الإسلام في آدم فقالت:

أما الإسلام فقد اتخذ الرواية نفسها في خلق آدم، بما فيها من تمثيل وتجسيم، مضافاً إليها بعض التفاسير التقليدية. على أنه حفظ، كما كان الأمر عند اليهود والنصارى، أن المجرِّب إنما هو الشيطان، إبليس، وهو الذي سبَّب سقطة آدم، وكان قد سبق فرفض أن يسجد له. وقد أكبر الإسلام المنزلة التي وضع الله فيها الإنسان الأول. فهو عنده على اتصال بالله، وخليفته على الأرض؛ **وأطلق على آدم لقب «أول الأنبياء».**

٣ ـ علاقة الرواية بالتاريخ:

وقد أدّى التجسيم الذي مثّل الخالق يجبل الجسد أولاً ثم ينفخ فيه نسمة الحياة، إلى زيادات شتى، **فبدأ الملائكة يعاونون الله في عمله، ويجمعون له، لتكوين بدن آدم، تراباً من أمكنة مختلفة ومن طبقات الأرض المختلفة**، ولم يفتهم أن يفصّلوا دخول النفس، فنسبوا إليها الوجود فيما سبق.

وقد ذكرت تفاسير اليهود أن آدم وحوّاء كانا قبل السقطة يستران عُريهما بثوب عجيب انحلّ حالاً بعد السقطة، وجاء في «كهف الكنوز» أنهما لم يستمرّا على نعيمهما في جنة عدن إلا ثلاث ساعات، **وأن آدم كان ملكاً وكاهناً ونبيّاً**، الأمر الذي سيردّده كثيرون.

وبما أن مصالحتهما مع الله تفترض توبة، فقد وصفت الآثار المزيّفة هذه التوبة وعيّنت مدتها: «بعد أن طُرد آدم وحوّاء من عدن، جاعا وفتّشا في كل مكان عن قوتهما. ولما لم يجدا قوتاً كالذي ذاقاه في الجنّة، عزما على أن يتوبا، فغاصت حوّاء حتى رقبتها في مياه دجلة، ومكثت سبعة وثلاثين يوماً، وغاص آدم في الأردن أربعين يوماً» (حياة آدم وحوّاء في ملحق معجم التوراة،

الجزء الأول، ١٩٢٨ ص ١٠٢). وهناك رواية أخرى تداولها المسلمون تروي أن «آدم، بعد طرده من الفردوس، وقع في جزيرة سرنديب (سيلان) حيث مكث مئتي سنة مفصولاً عن امرأته، يقضي أيامه في التوبة... وعندما تاب أخذه جبريل إلى جبل عرفات، قرب مكة، حيث التقى زوجته» (دائرة المعارف الإسلامية، الجزء الأول، آدم، ص ١٢٩، ١٣٠).

آدم عليه السلام
كما جاء في دائرة المعارف الإسلامية (*)

آدم، ويلقب أبا البشر، و«صفيّ الله»، وقد وَرَد ذكر آدم في سورة الحجر، وتذكر القصص الإسلامية أن الله أمر ملائكته: جبريل وميكائيل وإسرافيل أن يأخذ كل واحد منهم سبع قبضات من تراب الأرض السبع، فاستعاذت الأرض بالله، فبعث الله عزرائيل، فانتزع من وجه الأرض ما يكفي من التراب لخلق إنسان، وقد أخذت هذه القصة - مع بعض التعديل - من القصص اليهودية (انظر الترجمة الأوروشليمية للعهد القديم، سفر التكوين، فصل ٢ فقرة ٧؛ التلمود البابلي، كتاب سنهدرين، ص ٣٨؛ فصول الحبر اليعزر فصل ١١) وقد أمطر الله الأرض عدّة أيام ليحيل ذلك التراب طيناً، وبعد أن لزبته الملائكة، صنع الله منه هيكل آدم وتركه مدّة ليجفّ قبل أن ينفخ فيه من روحه. ويشير «المسعودي» عند تفسيره للآية السابقة إلى **أن جسم آدم بقي ثمانين عاماً غير مصوّر ثم صوّره وتركه بلا روح مائة وعشرين سنة** (انظر مجموعة برشيت ربا، سفر التكوين فصل ١٢، فقرة ٧).

فلما خَلَقَ الله آدم أمر الملائكة أن تسجد له، فسجدوا جميعاً إلا إبليس،

(*) دائرة المعارف الإسلامية جـ١ ص ٥٥٣ - ٥٥٥، تأليف فريق من علماء الغرب المستشرقين، صدرت في القاهرة عام ١٩٣٣ في خمسة عشر مجلداً من القطع الكبير، أعادت نشرها دار المعرفة بيروت - لبنان، راجَعَ الطبعة العربية من قبل وزارة العدل الدكتور محمد مهدي علاّم.

وكان ذلك سبباً في محنته هو وآدم [سورة البقرة، الآية: ٣٤، سورة الأعراف، الآية: ١١؛ سورة بني إسرائيل، الآية ٦١ وغير ذلك). ويتفق القرآن مع مجموعة الروايات القصصية السريانية في **أن الله جعل آدم ملك الملائكة** (Schatzhohle: Bezold ص ٣ وما بعدها. النص، ص ١٤) **وآدم أول الأنبياء الذين أوحى الله إليهم كتباً** (الإشارة إلى كتاب آدم). **وقد أخبره الله بأخبار** الأمم التالية وأنبيائها. ولما علم آدم أن النبيّ داود لا يعيش إلا زمناً يسيراً جداً، تنازل له عن أربعين سنة من عمره الذي بلغ ألف سنة (تعادل الألف سنة يوماً من أيام الله). ولذلك صار عمر آدم ٩٦٠ عاماً (الطبري: جـ ١، ص ١٧٦ وما بعدها؛ ابن الأثير، جـ ١، ص ٣٧؛ انظر مجموعة برشيت ربا، سفر التكوين، فصل ٣، فقرة ٨، مجموعة مدبر ربا، سفر العدد. فصل ٧، فقرة ٧٨، **وتذكر أن آدم تنازل لداود عن سبعين سنة من عمره معتمدة في ذلك على سفر التكوين فصل ٥، فقرة ٥**) ولما أُخرج آدم من الجنة نزل في جزيرة سرنديب (سيلان) وعاش فيها مائتي سنة بعيداً عن زوجه يكفِّر عن ذنبه (سورة البقرة الآية ٣٦. التلمود البابلي، سفر عروبين، ص ١٨ ب). **وفي جزيرة سرنديب جبل أسماه البرتغاليون «جبل آدم»**، وتذكر القصص أن على هذا الجبل أثر قدمي آدم **وطول كل قدم منها سبعون ذراعاً**. ولما غفر الله له حمله جبريل إلى جبل عرفات قرب مكة وهناك لقي زوجه. ويقول الطبري [جـ ١، ص ١٢٢] وابن الأثير [جـ ١، ص ٢٩] إنَّ الله أمر آدم أن يقيم قواعد الكعبة وعلَّمه جبريل مناسك الحج، وتوفي آدم في السادس من نيسان، يوم جمعة، ودفن في مغارة الكنوز في سفح جبل أبي قبيس (اليعقوبي: طبعة هوتسما، جـ ١، ص ٥). ويقول آخرون إن جثته نقلها ملكي صدق Melchizedek بعد الطوفان إلى بيت المقدس. وتتفق هذه الأخبار المختلفة مع ما ورد في القصص السريانية السالفة الذكر التي ذكر فيها أن آدم بعد أن توفي يوم الجمعة الرابع عشر من نيسان، دفن إلى حين في مغارة الكنوز ثم نقل بعد الطوفان إلى بيت المقدس. (انظر Bezold، الكتاب المذكور، ص ٩ ـ ١٠).

المصـــادر :

(١) الطبـري ، جـ ١ ، ص ١١٥، وما بعدها.

(٢) الثعلبي : العرائس، القاهرة ١٢٩٧، ص ٢٣ ، وما بعدها.

(٣) النـووي : طبعة فستنفلـد، ص ١٢٣ وما بعدهـــا.

(٤) المسعودي : مروج الذهب، باريس، جـ ١، ص ١١٥ ، وما بعدها.

(٥) ابن الأثيـــر، طبعة تورنبرج، جـ ١ ، ص ١٩ ، وما بعدها.

(٦) Biblishe: Weil Legenden der Muselmänner ، ص ١٢ ، وما بعدها.

(٧) The Koran: G.sale ، جـ ١ ، ص ٥ ، انظر التعليق، جـ ٢ ، ص ٨٣، التعليق، ص ٤١٠، التعليق.

(٨) Neue: Grunbaum Beiträge zur semit. Sagenkunde ، ليدن ١٨٩٣ ،ص ٥٤، وما بعدها.

(٩) Zeitschr d.Deutsch. Morgenl, Gesellsch ، جـ ١٥ ، ص ٣١، وما بعدها، جـ ٢٤ ، ص ٢٨٤ ، وما بعدها، جـ ٢٥ ، ص ٥٩، وما بعدها.

[سلجسن M. Seligsohn].

ملاحظـــات المـؤلـف
حول دائرة معارف البستاني ودائرة المعارف الإسلامية

لقد ورد في دائرة معارف البستاني أن تفاسير اليهود ذكرت أن آدم **كان ملكاً وكاهناً ونبيّاً**، والسؤال الآن: **أين دليل النبوّة من التوراة؟** وأين دليل نبوّة آدم في المسيحية، والمسيحية ترى أن جميع البشر يرثون بالولادة من أبينا الأول الخطيئة الأصلية، **ينبوع الآثام المتراكمة على نسله**، والتي كفّر عنها المسيح، آدم الجديد، بآلامه الفادية؟!

وتحدّثت الموسوعة بأنَّ **الإسلام** أطلق على آدم لقب (**أول الأنبياء**).

والسؤال: أين الآية من كتاب الله التي أشارت إلى أن آدم هو **أول الأنبياء** أو أين الحديث الصحيح الذي أوردته الموسوعة أو دائرة المعارف، والذي يثبت أوليّة نبوّة آدم عليه السلام، وهل صحيح أن آدم كان ملكاً وكاهناً ونبيّاً.. الأمر الذي سيردده الكثيرون؟!

وكما أن دائرة المعارف للبستاني لم تأتِ بالدليل على نبوّة آدم ورسالته ما عدا عبارة (وأطلق على آدم لقب **أول الأنبياء**) بدون دليل من كتاب الله أو سنّة رسوله الصحيحة المتواترة، فإن دائرة المعارف الإسلامية التي أصدرها نخبة من علماء الغرب المستشرقين قالت عن آدم: ويلقّب أبا البشر و«صفيّ الله»، وأضافت: **وآدم أول الأنبياء الذين أوحى الله إليهم كتباً**، دون أن تذكر لنا المصدر عن أوّلية نبوّة آدم أو كتاب آدم المزعوم! وتعترف دائرة المعارف الإسلامية بأن كثيراً من معلوماتها عن آدم عليه السلام مأخوذة من القصص اليهودية والتلمود البابلي ومن سفر التكوين، وسفر العدد (العهد القديم).

قصة آدم عليه السلام في القرآن الكريم

ويحسن بنا قبل أن نتحدّث عن نبوّة آدم ورسالته أن نستعرض قصته كما وردت في القرآن الكريم:

وقد ذكرت قصة آدم عليه السلام أول البشر في عدد من سور القرآن الكريم، منها سور: (البقرة، الأعراف، الإسراء، الكهف، طه)، باسمه وصفته، وفي سورة الحجر وسورة (صٓ) بصفته فقط، وكلها بمعنى واحد، ولكن بعبارات مختلفة اللفظ فقط، وذلك مما يدلّ على إعجاز القرآن الكريم. فإنَّ أكتب الكاتبين وأبلغ البلغاء إذا كتب قصّة مرّة يستحيل عليه أن يكتبها مرة أُخرى بألفاظ غير الأولى مع المحافظة على المتانة في الأسلوب والبلاغة في التعبير كما في القرآن الكريم.

وعناصر قصة آدم تتلخص فيما يلي:

١ ـ خلق الله سبحانه لآدَمَ من غير أبٍ ولا أُمٍّ، ولكن من مادَّة الطين: ﴿ولقد خلقنا الإنسان من صلصالٍ من حمأٍ مسنون﴾ [الحجر: ٢٦].

٢ ـ تعليم الله سبحانه لآدم الأسماء كلها: ﴿وعلّم آدم الأسماء كلها﴾ [البقرة: ٣١].

٣ ـ أمر الله عزّ وجل للملائكة بالسجود لآدم سجود تكريم: ﴿وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم﴾ [البقرة: ٣٤].

٤ ـ مبادرة الملائكة جميعاً بالطاعة، وامتناع إبليس: ﴿ فسجد الملائكة كلهم أجمعون إلّا إبليس أبى أن يكون مع الساجدين ﴾ [الحجر: ٣٠ ـ ٣١].

٥ ـ وقال إبليس مبرراً عصيانه: ﴿ أأسجد لمَن خلقت طيناً ﴾ [الإسراء: ٦١]، و﴿ قَالَ أنا خَيْرٌ منه خَلَقْتَنِي مِن نار وَخَلَقْتَهُ مِن طين ﴾ [سورة صۤ: ٨٦].

٦ ـ طرد إبليس من الجنّة: ﴿ قال: فاخْرُجْ منها فَإِنَّكَ رجيم * وإنَّ عليك اللعنة إلى يوم الدِّين ﴾ [الحجر: ٣٤ ـ ٣٥].

٧ ـ خلق حوّاء عليها السلام: ﴿ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾ [النساء: ١].

٨ ـ سكنى آدم وزوجه الجنّة: ﴿ وقلنا يا آدم اسْكُن أَنْتَ وَزَوْجُكَ الجَنَّة وَكُلَا مِنْهَا رَغَداً حيثُ شئتما، ولا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجرة، فتكونا من الظالمين ﴾ [البقرة: ٣٥].

٩ ـ تحذير الله سبحانه لآدم وزوجه من عداوة إبليس ومَكْره: ﴿ فقلنا يا آدم إنّ هذا عدوٌّ لك ولزوجك فلا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الجَنَّةِ فَتَشْقَى ﴾، وَطَمْأَنَهُ على مستقبله وتوفر احتياجاته في الجنَّة: ﴿ إنَّ لَكَ ألَّا تَجُوعَ فيها ولا تَعْرَى، وأنَّك لا تَظْمَأُ فيها ولا تَضْحَى ﴾ [طه: ١١٧ ـ ١١٩].

١٠ ـ فماذا كان من إبليس اللعين؟

لقد شرع في خطة لإخراج آدم وزوجه من الجنَّة، مستعملاً سلاح الإغراء والترقِّي والخلود:

ففي سورة طه: ﴿ فوسوس إليه الشيطان، قال: يا آدم: هل أَدُلُّكَ على شجرة الخُلْدِ ومُلكٍ لا يبلى ﴾؟ [طه: ١٢٠].

وفي سورة الأعراف: ﴿ فوسوس لهما الشيطان ليبديَ لهما ما ووُرِيَ

عنهما من سوءاتِهِمَا، وقال: ما نهاكما ربُّكُمَا عن هذِهِ الشجرة إلاّ أن تكونا مَلَكَيْنِ أو تَكُونَا مِنَ الخالدين ﴾ [الأعراف: ٢٠].

١١ ـ وكانت الغواية من إبليس بثوب النصيحة: ﴿ وقاسمهما إنِّي لكما لَمِنَ النَّاصحين ﴾ [الأعراف: ٢١].

١٢ ـ وكانت الاستجابة من آدم وزوجه: ﴿ فدلاّهُمَا بغرور ﴾، وكان السقوط منهما: ﴿ فلما ذاقا الشجرة، بدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنّة ﴾ [الأعراف: ٢٢].

١٣ ـ وكان النداء والمؤاخذة من ربّ العالمين لآدم وزوجه: ﴿ وناداهما رَبُّهُمَا: أَلَمْ أَنْهَكُمَا عن تلكما الشجرة وأقُل لَّكُمَا إنَّ الشيطان لكما عَدُوٌّ مبين ؟﴾ [الأعراف: ٢٢].

١٤ ـ وكان الحكم من أحكم الحاكمين: ﴿ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ﴾ [طه: ١٢١].

١٥ ـ ثُمَّ كان النَّدم من آدم وزوجه: ﴿ قالا ربَّنا ظلمنا أَنْفُسَنَا، وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكوننّ من الخاسرين ﴾ [الأعراف: ٢٣].

١٦ ـ ثم كان الاجتباء والتوبة والهداية من التوّاب الرحيم: ﴿ ثُمَّ اجْتَبَاهُ ربُّه فَتَابَ عليه وَهَدَى ﴾. [طه : ١٢٢].

١٧ ـ ثم كان الهبوط من الجنّة: ﴿ قال اهبطا منها جميعاً بعضكم لبعض عدوّ ﴾ [طه: ١٢٣].

١٨ ـ وكان التوجيه والتحذير لهما ولذريتهما: ﴿ فإمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِنِّي هُدىً، فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلّ وَلَا يَشْقَى * وَمَن أَعْرَضَ عن ذِكْرِي فَإنَّ له معيشةً ضَنْكاً، ونحشره يوم القيامة أعمى * قال: رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أعْمى، وقد كنت بصيراً؟

قَال: كذلك أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا [أهملتها] وكذلك اليوم تُنسى ﴾ [طه: ١٢٣ ـ ١٢٦].

١٩ ـ ثُمَّ كان الخطاب لبني آدم: ﴿ يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباساً يواري سوءاتكم، وريشاً، ولباسُ التقوى، ذلك خير، ذلك من آيات الله لعلّهم يذّكرون ﴾ [الأعراف: ٢٦].

٢٠ ـ وكان التحذير لبني آدم ألَّا يُكَرِّروا غلطة أبويهم:

﴿ يا بني آدم لا يفتننَّكُمُ الشيطانُ كما أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الجنّة، ينزع عنهما لباسهما لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِما، إنَّه يراكم هُوَ وَقَبِيلُهُ مِن حَيْثُ لا ترونهم، إنّا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون ﴾ [الأعراف: ٢٧].

٢١ ـ وكانت الوصية والتنبيه لاستقبال الرُّسل من ذرِّية آدم:

﴿ يا بني آدم إمَّا يَأْتِيَنَّكم رُسُلٌ منكم، يَقُصُّون عليكم آياتي، فَمَن اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلا خوفٌ عَليهم ولا هم يحزنون* والذين كذّبوا بآياتنا واستكبروا عنها أولئك أصحاب النّار هم فيها خالدون * فمَن أظلم مِمَّنِ افْتَرَى على الله كَذِباً أو كَذَّبَ بآياته ﴾ [الأعراف: ٣٥ ـ ٣٧].

ومعنى ذلك أنَّ القرآن الكريم أثبت أنَّ الرُّسل سيأْتُونَ من ذُرِّية آدم، وسكت عن آدم، وأنَّ الله سبحانه سوَّى بين مَن يُنكر نُبُوَّةَ نبيٍّ، وبين مَن يفتري على الله الكذب فيدّعي نُبُوَّة نَبِيٍّ لم يقل بِهَا القرآن الكريم أو الرسول الصادق الأمين، وصدق الله العظيم: ﴿ ولقد عهدنا إلى آدم من قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَم نَجِدْ لَهُ عَزْماً ﴾ [طه: ١١٥].

* * *

الفصـــل السادس
أدلـة الذين يقولون بنبوّة آدم ورسالته

أ ــ من القرآن الكريم :

١ ــ استنادهم إلى آية الاصطفاء بسورة آل عمران.
٢ ــ استنادهم على آية﴿وإن من أُمّةٍ إلاّ خلا فيها نذيــر﴾.
٣ ــ على آية ﴿ثم اجتباه ربُّه فتاب عليه وهدى﴾.
٤ ــ على آية ﴿ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسيَ ولم نجد له عزماً﴾.
٥ ــ على آية ﴿إنّي جاعل في الأرض خليفة﴾.
٦ ــ على آية ﴿وعلّم آدمَ الأسماءَ كُلّهـا﴾.
٧ ــ على قصّة ابنيّ آدم في سورة المائــدة.

ب ــ من السنّة النبويــة :

١ ــ على حديث أبي ذَرّ الطويــل.
٢ ــ على حديث أبي سعيد الخدري في سنن الترمذي.
٣ ــ على حديث أبي أمامة الباهلي.

جـ ــ استدلالهم بخطاب الله لآدم بدون واسطــة!

د ــ على الزعم بوجود ثلاثة أنبيــاء قبـل نــوح!.

هـ ــ على الزعم بإجماع علماء المسلمين على نبوّة آدم!.

** .. ** .. **

أدلة الذين يقولون
بنبوّة آدم ورسالته. . ومناقشتها:

والآن، يحسن بنا بعد أن لخّصنا أدِلَّة الذين يقولون بنبوَّة آدم ورسالته أن نُدليَ برأينا في هذا الموضوع: فنردّ على الذين استندوا إلى نبوّة آدم بآية الاصطفاء :

﴿ إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين،ذرّية بعضها من بعض، والله سميع عليم ﴾ فنقول:

[**أولاً**]: ليس في القرآن الكريم ما يدلُّ دلالة واضحة على نُبُوَّة آدم، وكل ما وَرَد في هذا الخصوص هو آية الاصطفاء في سورة آل عمران.

وإذا راجعنا مادة [صفا] في لسان العرب وجدنا أن:

صفا: الصفوة والصفاء، ممدود: نقيض الكَدَرِ، وصفوةُ كُلِّ شَيءٍ: خالصُهُ مِن صفوة المال وصفوة الإخاء. الصِّفْوَةُ، بالكسر: خَيار الشيء وخلاصَته وما صفا منه، والصفاءُ: مصدر الشيءِ الصافي. وَصَفَا الجَوُّ: لم تكن فيه لُطْخَةُ غيم. واستصفى الشيء واصطفاه: اختاره. والاصطفاء: الاختيار، افتعالٌ من الصفوةِ، ومنه النَّبيّ ﷺ صفوةُ الله من خلقه ومصطفاه. والأنبياء المُصْطَفَوْنَ وهم من المُصْطَفَيْنَ إذا اختيروا، وَهُمُ المُصْطَفُونَ إذا اختاروا، وهذا بضمِّ الفاء. واصطفاهُ: أخذه صفيّاً.

فإذن، الاصطفاء: الاختيار. وقد افتتحت آية الاصطفاء بمناسبة الكلام

عن قصة امرأة عمران. . . وابنتها مريم بنت عمران وحفيدها عيسى بن مريم مروراً بِقِصَّة زكريا الذي كفل مريم ودعا ربَّه فقال: ﴿ ربِّ هَبْ لي من لدُنك ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إنَّكَ سميعُ الدُّعاء ﴾[3]، وكانت الإجابة: ﴿ فَنَادَتْهُ المَلاَئِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي في المِحْرَابِ أنَّ الله يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقاً بِكَلِمَةٍ مِنَ الله وَسَيِّداً وَحَصُوراً وَنَبِيّاً مِنَ الصَّالِحين * قَالَ: رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلامٌ، وَقَد بَلَغَنِيَ الكِبَرُ، وامْرَأَتِي عَاقِرٌ؟ قَالَ: كَذَلِكَ الله يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ * قَال: رَبِّ اجْعَل لي آيَةً [علامة] قَالَ: آيَتُكَ أَلاَّ تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاَثَةَ أيَّامٍ إلاَّ رَمْزاً، واذْكُرْ رَبَّكَ كَثيراً، وَسَبِّحْ بِالعَشِيِّ والإبْكَار ﴾[4].

وبعد بشارة زكريا، تأتي بشارة الملائكة لمريم: ﴿ وإذْ قَالَتِ الملائكةُ يا مَرْيَمُ: إنَّ الله اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ العَالَمِينَ ﴾[5]، ﴿ وإذْ قَالَتِ المَلاَئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إنَّ الله يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ المَسِيحُ عِيسَى بنُ مَرْيَمَ وَجِيهاً في الدُّنْيَا والآخِرَةِ وَمِنَ المُقَرَّبِينَ * وَيُكَلِّمُ النَّاسَ في المَهْدِ وَكَهْلاً وَمِنَ الصَّالِحِينَ * قَالَتْ رَبِّ أنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ؟ قَالَ: كَذَلِكِ الله يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إذَا قَضَى أَمْرَاً فَإنَّما يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾[6].

والمعنى: أنَّ الله اصطفى [اختار] آدم ليكون أباً للبشر، وَخَلَقَهُ بمعجزةٍ من غير أبٍ ولا أُمّ، بل إنَّ الله خَلَقَ حَوَّاءَ من ضلعه ﴿ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾[7]. وإذا كان الله قَدِ اصْطَفَى آدَمَ لِيَكُونَ أَوَّلَ البَشَرِ، فَقَدِ اصْطَفَى نوحاً لِيَكُون أَوَّل الرُّسل، واصْطَفَى آل إبراهيم ولم يقل إبراهيم لأنَّ الله أنعم على إبراهيم وزوجه [سارة] بغلام، بعد أن بلغا من الكِبَر عِتِيّاً، وكانت البشارة من الملائكة قبل

---

(٣) آل عمران: ٣٨.
(٤) آل عمران: ٤٢.
(٥) آل عمران: ٤٢.
(٦) آل عمران: ٤٢ ـ ٤٧.
(٧) النساء: ١.

توجُّهها إلى قوم لوط لإهلاكهم: ﴿ وامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ، فَبَشَّرْنَاهَا بإسحَاقَ وَمِن وَرَاءِ إِسْحاقَ يَعْقُوب * قَالَتْ: يَا وَيْلَتى أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخاً؟ إنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عجيب * قَالُوا أَتَعْجَبينَ مِن أَمْرِ الله، رَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ البَيْتِ إنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ﴾[8].

وينتهي المطاف بآلِ عمران بعد آل إبراهيم إلى قوله سبحانه: ﴿ إنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللهِ كَمَثَلِ آدَمَ، خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: كُن فَيَكُونُ ﴾[9].

وإذا كانت كلمة الاصطِفَاء تعني النُّبوَّة، فمعنى ذلك أنَّ مريم ابنة عمران نبيَّة، والقرآن الكريم نصَّ على ذكُورية الأنبياء فقال: ﴿ وما أرسلنا من قبلك إلاّ رجالاً نوحي إليهم، فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون ﴾، [النحل: ٤٣]. ومعنى ذلك أنَّ الدِّين نبيّ مِنَ الأنبياء: ﴿ وَوَصَّى بهَا إبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ: يَا بَنِيَّ إنَّ الله اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ، فَلاَ تَمُوتُنَّ إلاَّ وَأَنْتُم مُسْلِمُونَ ﴾[10]، وأنَّ طَالوت أيضاً من الأنبياء: ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إنَّ الله قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكاً، قالوا: أَنَّى يكونُ لَهُ المُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالمُلْكِ مِنْهُ، وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ المَالِ؟ قَالَ: إنَّ الله اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ، وَزَادَهُ بَسْطَةً في العِلْمِ والجِسْمِ، والله يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ والله واسعٌ عليم ﴾[11].

بل إن الله سبحانه قد اصطفى أتباع الأنبياء، بقوله في [سورة فاطر: ٣٢] ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الكتابَ الذينَ اصْطَفَيْنَا من عبادنا، فمنهم ظالمٌ لنفسه، ومنهم مقتصدٌ، ومنهم سابقٌ بالخيراتِ بإذن الله، ذلك هُوَ الفَضْلُ الكبير ﴾.

والآن يحسن بنا أن نستعرض بعض آراء المفسرين حول آية الاصطفاء، حتى يكون القارىء الكريم على بيِّنة من الأمر:

---

(٨) هود: ٧١ - ٧٣.
(٩) آل عمران: ٥٩.
(١٠) البقرة: ١٣٢.
(١١) البقرة: ٢٤٧.

آراء علماء التفسير في آية الاصطفاء:

ومن المفيد أن نشير إلى أن **الإمام القرطبي** ذكر في تفسيره لآية الاصطفاء أكثر من وجه، فقال في تفسيره:

قوله: اصطفى: **اختار**، ثم قال: والتقدير: أن الله اصطفى دينهم وهو دين الإسلام، فحذف المضاف، ثم ذكر القرطبي رأياً آخر في معنى اصطفاء آدم بقوله: ويقال: اختار آدم لخمسة أشياء:

أولهما: أنه خلقه بيده في أحسن صورة بقدرته.

والثاني: أنّه علّمه الأسماء كلّها.

والثالث: أمَرَ الملائكة بأن يسجدوا له.

والرابع: أسكنه الجنّة.

والخامس: جعله أبا البشر!

كما أن **الإمام ابن الجوزي** في «زاد المسير» ذكر ثلاثة أقوال لمعنى الاصطفاء، فقال:

وفي معنى اصطفاء المذكورين ثلاثة أقوال:

أحدهما: أن المراد اصطفى دينهم على سائر الأديان، قاله ابن عباس، واختاره الفرّاء والدمشقي.

والثاني: اصطفاهم بالنبوّة، قاله الحسن، ومجاهد، ومقاتل.

والثالث: اصطفاهم بتفضيلهم في الأمور التي ميزّهم بها على أهل زمانهم.

ويقول **الإمام فخر الدين الرازي** في تفسيره لآية الاصطفاء:

(المسألة الثانية) [اصطفى] في اللغة: اختار، فمعنى اصطفاهم أي

جعلهم صفوة خلقه، تمثيلاً بما يشاهد من الشيء الذي يصفّى وينقى من الكُدورة.

ثم قال:

إذا عرفت هذا فنقول: في الآية: قولان:

(الأول): المعنى أنَّ الله اصطفى دين آدم ودين نوح، فيكون الاصطفاء راجعاً إلى دينهم وشرعهم وملّتهم، ويكون هذا المعنى على تقدير حذف المضاف.

(والثاني): أن يكون المعنى: أنّ الله اصطفاهم، أي صفّاهم من الصفات الذميمة، وزيَّنهم بالخِصال الحميدة، وهذا القول أولى بوجهين:

(أحدهما): أنّا لا نحتاج فيه إلى الإضمار.

(والثاني): أنه موافق لقوله تعالى: ﴿ الله أعلم حيث يجعل رسالته ﴾.

وفي نهاية كلامه على آية الاصطفاء قال:

واعلم أن هذه الوجوه ليست دلائل قوية، بل هي أُمور ظنّية، وأصل الاحتمال قائم. [التفسير الكبير للفخر الرازي جـ ٨ ص ١٩ - ٢٣].

آدم عليه السلام: هادياً مهدياً . . ونوح عليه السلام نبيًّا مرسلًا:

ويقول الإمام محمد رشيد رضا في تفسيره لآية الاصطفاء:

«أي اختارهم وجعلهم صفوة العالمين وخيارهم، بجعل النبوّة والرسالة فيهم، فآدم أول البشر ارتقاءً إلى هذه المرتبة، فإنه بعدما تنقّل في الأطوار إلى مرتبة **التوبة والإنابة، اصطفاه تعالى واجتباه** كما قال في سورة طه : ١٢٢ : ﴿ثم اجتباهُ ربُّه فتاب عليه وهدى﴾، **فكان هادياً مهدياً**، وكان في ذرِّيته من النبيين والمرسلين من شاء الله تعالى.

وأمّا نوح عليه السلام، فقد حدث على عهده ذلك الطوفان العظيم، فانقرض

من السلائل البشرية مَنِ انقرض، ونجا هو وأهله في الفُلك، فكان بذلك أباً ثانياً للجمِّ الغفير من البشر، وكان هو نبياً مرسلاً. . .

** . . **

ويقول الأستاذ محمد محمد عبد اللطيف في كتابه [أوضح التفاسير]. . لابن الخطيب، الطبعة التاسعة ـ المطبعة المصرية ومكتبتها في تفسير قوله تعالى في سورة آل عمران: ﴿إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين﴾: «إن الله اصطفى. . **اختار واجتبى.**

ـ كما يقول الأستاذ سيد قطب في شرحه لآية الاصطفاء في آل عمران:

(. . . تقول الروايات التي تصف المناظرة بين النّبي ﷺ ووفد نصارى نجران اليمن: إن هذا القصص الذي ورد في هذه السورة عن مولد عيسى عليه السلام، ومولد أُمّه مريم، ومولد يحيى وبقية القصص، ردّاً على ما أراد الوفد اطلاقه من الشبهات؛ وهو يستند إلى ما جاء في القرآن عن عيسى عليه السلام بأنّه كلمة الله إلى مريم وروح منه، وأنهم كذلك سألوا عن أمور لم ترد في سورة مريم وطلبوا الجواب عنها.

ثم يقول. . وقصّة عيسى ـ وما جاء من القصص مكملاً لها في هذا الدرس ـ تؤكد هذه الحقيقة (قضية التوحيد) توحيد الألوهية وتوحيد القوامة. . وتنفي فكرة الولد والشريك، وتستبعدهما استبعاداً كاملاً، وتظهر زيف هذه الشبهة وسخف تصورها، وتبسط مولد مريم وتاريخها، ومولد عيسى وتاريخ بعثته وأحداثها بطريقة لا تدع مجالاً لإثارة أيّة شبهة في بشريته الكاملة. وأنه واحد من سلالة الرسل، شأنه شأنهم، وطبيعته طبيعتهم، وتفسر الخوارق التي صاحبت مولده وسيرته تفسيراً لا تعقيد فيه ولا غموض، من شأنه أن يريح القلب والعقل، ويدع الأمر فيهما طبيعياً عادياً لا غرابة فيه. . حتى إذا عقّب على القصة بقوله:﴿ إنّ مثل عيسى عند الله كمثل آدم، خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون﴾وجد القلب بُرد اليقين والراحة، وعجب كيف ثارت تلك الشبهات حول هذه الحقيقة البسيطة.

ثم قال : يبدأ هذا القصص ببيان من اصطفاهم الله من عباده واختارهم لحمل الرسالة بالدين الواحد منذ بدء الخليقة، ليكونوا طلائع الموكب الإيماني في شتى مراحله المتصلة على مدار الأجيال والقرون، فيقرر أنهم ذرِّية بعضها من بعض، وليس من الضروري أن تكون ذرية النسب ـ وإن كان **نسب الجميع يلتقي في آدم ونوح** ـ فهي أولاً رابطة الاصطفاء والاختيار الإلهي ونسب هذه العقيدة الموصول في ذلك الموكب الإيماني الكريم :

﴿إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين * ذرّية بعضها من بعض، والله سميع عليم﴾.

ــ **ويقول المرحوم الأستاذ حسن العشماوي في كتابه: [مع القرآن . . زاد الرحلة الأولى في كتاب الله]** ـ نشر دار الفتح للطباعة والنشر بيروت صفقحة ١٦٧ ، وهو يسلط الأضواء على آية الاصطفاء: (. . . وتنتقل الآيات من دعوة الحب: ﴿قل إن كنتم تحبّون الله فاتّبعوني يحببكم الله﴾ للتمهيد لقصة آل عمران ـ وهم قوم عيسى ـ **ببيان من فضّل الله واختار من البشر، فقد اختار الله آدم أبا للبشرية**، ونوحاً شيخاً وأبا ثانياً للنّاس. ثم آل إبراهيم خليل الله وأبي الأنبياء من بعده، ثم آل عمران من ذرّية يعقوب، ليكون منهم رسول الله وآيته الكبرى عيسى بن مريم عليهما السلام :

﴿إنّ الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين *
ذرّية بعضها من بعض، والله سميع عليم﴾ [آل عمران : ٣٣ ـ ٣٤].

ــ رأي الإمام الألوسي في تفسيره روح المعاني في شرحه لآية الاصطفاء في سورة آل عمران:

(. . . وقيل إن نصارى نجران لمّا غلوا في عيسى عليه الصلاة والسلام، وجعلوه ابن الله، واتّخذوه إلهاً، نزلت ردّاً عليهم وإعلاماً لهم بأنّه من ذُرِّية البشر المنتقلين في الأطوار المستحيلة على الإله.

ثم قال : وبدأ بآدم لأنه أول النوع.

وثنّى بنوح عليه السلام لأنه آدم الأصغر والأب الثاني، وليس على وجه البسيطة إلاّ من نسله، لقوله تعالى: ﴿وجعلنا ذرّيته هم الباقين﴾، وذكر آل إبراهيم لترغيب المعترفين باصطفائهم في الإيمان بنبوّة واسطة قلادتهم، واستمالتهم نحو الاعتراف باصطفائه بواسطة كونه من زمرتهم، وذكر آل عمران مع اندراجهم في الآل، لإظهار مزيد الاعتناء بأمر عيسى عليه الصلاة والسلام، لكمال رسوخ الاختلاف في شأنه، وهذا هو الداعي لإضافة الآل في الأخيرين دون الأوّلين. ثم قال: **والاصطفاء: الاختيار**. والمراد بالعالمين، أهل زمان كل واحد منهم على عالمي زمانه. وقيل: اصطفى آدم، بأن خلقه بيديه وعلّمه الأسماء، وأسجد له الملائكة، وأسكنه جواره.

واصطفى نوحاً بأنه أول رسول بعث بتحريم البنات والأخوات والعمات والخالات، وسائر ذوي المحارم، وأنّه أب الناس بعد آدم.

واصطفى آل إبراهيم بأن جعل فيهم النبوّة والكتاب، ويكفيهم فخراً أنّ سيد الأصفياء منهم.

واصطفى عيسى وأمّه بأن جعلهما آية للعالمين.

ثم قال: وليس المراد الاصطفاء بالنبوة حتى يخفى وجه التخصيص. ثم قال: وفيه أن المتبادر من الاصطفاء الاجتباء والاختيار لا النصر على الأعداء.

****..**..****

[ثانياً]: وقد استدلّ أصحاب نبوّة آدم على قوله سبحانه: ﴿ وإن مِّن أُمَّةٍ إلَّا خَلاَ فِيهَا نَذِير ﴾[12]، كَمَا حَدَّثني بعضهم، وكما جاء في بعض الكتب.

وجوابنا: أنَّ آدم وأهله لا يزيدون عن أُسرة، فأولاده وأحفاده لم يكونوا أُمّة، والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿ ولكلِّ أُمَّةٍ رسول ﴾[13]، وكانت حياتهم آنذاك على الفطرة، ليس فيها أزمات اقتصادية أو سياسية أو اجتماعية أو عمّالية. كان فيها الخير والخيرات والأنعام والدَّواجن والطيور والأسماك. والله سبحانه

(١٢) فاطر: ٢٤. (١٣) يونس: ٤٧.

قال عن يونس: ﴿ وأرْسَلْنَاهُ إلى مائَةِ أَلْفٍ أو يَزِيدُونَ ﴾(١٤)،وقال سبحانه: ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا في كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيراً ﴾(١٥)،وقال عزّ وَجلّ: ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إليكَ قُرْآناً عَرَبِيّاً لِتُنْذِرَ أُمَّ القُرَى وَمَن حَوْلَهَا ﴾(١٦)، والله سبحانه لم يرسل رُسُلاً إلى أُمِّ القرى ومَن حولها أحداً بعد إسماعيل حتّى جاءَ محمد ﷺ ﴿ لِتُنْذِرَ قَوْماً مَا أَتَاهُمْ مِن نَّذِيرٍ مِن قَبْلِكَ ﴾(١٧)، ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا إليهم قَبْلَكَ مِّن نَذِيرٍ ﴾(١٨)، والقرآن الكريم أشار إلى فترات لم يُرسل فيها رُسُلاً: ﴿ يَا أَهْلَ الكِتَابِ قَدْ جَاءَكُم رسولنا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِّنَ الرُّسُلِ أن تَقُولُوا: مَا جَاءَنَا من بَشِيرٍ وَلاَ نَذِيرٍ، فَقَد جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ، والله عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِير ﴾(١٩).

** . . **

[ثالثاً]: وثالث الأدلة التي يستند إليها دعاة نبوَّة آدم ورسالته قوله سبحانه: ﴿ ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ، فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى ﴾(٢٠).

وجوابنا على ذلك بأنَّ معنى الاجتباء ليس قاصراً على الأنبياء، وليس دليلاً على النُّبوَّة لأنَّ المولى عزَّ وجلَّ تحدَّث عن المؤمنين في آخر سورة الحج فقال: ﴿ يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا واسْجُدُوا واعْبُدُوا رَبَّكُمْ، وَافْعَلُوا الخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * وَجَاهِدُوا في اللهِ حَقَّ جِهَادِهِ، هُوَ اجْتَبَاكُمْ ﴾(٢١).

وقال عن يونس عليه السلام بعد أن أرسله إلى قومه، وترك قومه، ثُمَّ التقمه الحوت: ﴿ إذ نَادَى وَهُوَ مَكْظُوم، لَوْلاَ أَن تَدَارَكَهُ رَبُّهُ لَنُبِذَ بِالعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ، فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِين ﴾(٢٢). :فاجتباء يونس كان بعد الرسالة.

---

(١٤) الصّافات: ١٤٧.
(١٥) الفرقان: ٥١.
(١٦) الشورى: ٧.
(١٧) القصص: ٤٦.
(١٨) سبأ: ٤٤.
(١٩) المائدة: ١٩.
(٢٠) طه: ١٢٢.
(٢١) الحج: ٧٧ ـ ٧٨.
(٢٢) القلم: ٤٨ ـ ٥٠.

وفي لسان العرب، اجتباه: اصطفاه: وفي الحديث أنه اجتباه لنفسه، أي اختاره واصطفاه. ابن سيده: واجتبى الشيء: اختاره.

وفي رأينا أن آدم كانت تنقصه أهمّ صفة من صفات الرسالة وهي العزيمة، ولذلك قال الحقُّ تبارك وتعالى لرسوله الخاتم: ﴿ فاصْبِر كَمَا صَبَرَ أُولواْالعـزم من الرسل ولا تستعجل لهم ﴾(٢٣). أمّا آدم فقد وصفه مولاه: ﴿ ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسيَ ولم نجد له عزماً ﴾(*).

** .. **

[رابعاً]: ورابع أدلة الذين يقولون بنبوّة آدم قوله تعالى: ﴿ ولقد عهدنا إلى آدم من قَبْلُ فَنَسِيَ ولم نَجِدْ له عَزْماً ﴾(٢٤).

ونحن نترك الردّ على هذا الدليل للعلاّمة الأستاذ البهيّ الخولي في فصل [الغرائز بين الفتون والرشد] في مقاله الذي نُشر في مجلة المسلمون القاهرية والذي يشرح ويفسّر هذه الآية ويبيِّن فيه معاني (العهد) و(النسيان) و(العزيمة) بياناً وافياً(**).

ويبـدأ بالكـلام عن (العهد) فيقول:

(هو عهد من الله تعالى لآدم.. **عهد تكوين وفطرة، لا عهد وحي وشريعة**)، إلى أن قال: (وقد رأينا فيما تقدّم كيف أن الشيطان حين سوّل لآدم عليه السلام أن يأكل من الشجرة لم يأته من قِبَلِ صوابه الروحي، بل من قِبَلِ غرائزه.. حتّى تحولت عن عهد الله إلى ما أراد لها من المعصية.. ولكن كيف وقعت المعصية؟ **أو كيف كان النسيان، فكانت المعصية؟؟**

---

(٢٣) الأحقاف: ٣٥. (٢٤) طه: ١١٥.

(*) وقد جاء الاستشهاد بهذه الآية في فتوى أحد المفتين في البلاد العربية للدلالة على نبوّة آدم.

(**) راجع أيضاً كتاب آدم عليه السلام (فلسفة تقويم الإنسان وخلافته) للبهيالخـولي ـ نشر مكتبة دار التراث بالقاهرة ـ الطبعة الثانية، الباب السابع ـ فصل الغرائز بين الفتون والرشد ص ١٧٣ ـ ١٧٩.

ثم تحدّث عن النسيان فقال:

ثانياً: النسيان:

وقد رجعنا إلى ما كتبه المفسّرون عن النسيان المسند إلى آدم عليه السلام، فلم نجد فيه ما ينقع غلّة أو يشفي علّة ـ كما يقولون ـ نعم، لم نجد في كلامهم ما يبيِّن لنا كيف تكون المعصية مع النسيان؟ **أو كيف يكون فعل الناسي معصية مع أنّ الله قد رفع عن عباده الخطأ والنسيان**، وهو سبحانه أجلّ من أن يعاقب على شيء منه، فرجعنا إلى القرآن الكريم نفسه، فوجدنا النسيان يدور فيه على عِدّة معانٍ، أهمها وأبرزها الوجوه الآتية:

١ ـ النسيان الذي يطرأ في الذهن على الحوادث وأسماء الأشخاص، وما يكون المرء قد حفظ من المقرّرات العلمية.. وهو نقيض الذكر.. مثاله قوله تعالى: ﴿ سنُقرئك فلا تنسى ﴾[١] وهذا الضرب من النسيان ليس معنا، إذ لا يُقال إن آدم أكل من الشجرة وليس في ذهنه شيء من أمر الله ونهيه، فإن الشيطان قال له: ﴿ ما نهاكما ربُّكما عن هذه الشجرة إلاّ أن تكونا مَلَكَيْنِ أو تكونا من الخالدين ﴾[٢] **أي أنّه ذكّره نهي الله وأعاده على ذهنه، فلا محلَّ لأن يُقال أنه عليه السلام أكَلَ وهو ناسٍ!!**

٢ ـ النسيان الذي ينطوي على **معنى السهو**، كما ينسى الإنسان عصاه أو مسبحته في مكان مّا، أو كما يريد أن يتكلّم مع شخص مّا في عدّة أُمور، فيتكلّم عن بعضها ويسهو عن بعض، فلا يذكره إلاّ فيما بعد، ومثاله ما حكاه الله سبحانه عن فتى موسى عليه السلام إذ قال: ﴿ أرأيتَ إذْ أوينا إلى الصَّخرة، **فإنّي نسيتُ الحوت** ﴾[٣]، وقول موسى للعبد الصالح عليهما السلام: ﴿ **لا تؤاخذني بما نسيت** ﴾[٤]. ثم قـال:

---

(١) الأعلـى: ٦.

(٢) الأعـراف: ٢٠.

(٣) الكهـف: ٦٣.

(٤) الكهـف: ٧٣.

وكذلك نستبعد أن يكون هذا الضرب من النسيان معنا، فإن السهو يكفي للتنبّه منه أقلّ إشارة أو حركة أو كلمة، **ولا يعقل أن يكون آدم أكَلَ من الشجرة ساهياً بعد أن ذكّره الشيطان** بما ذكّره به.

٣ ـ و٤ ـ وثمَّ ضربان من النسيان: أي ذهاب الاهتمام بالشيء، ومثاله في القرآن قوله سبحانه: ﴿ **نَسُوا الله فَنَسِيَهُم** ﴾ [التوبة : ٦٧].

فالنسيان المسند إليهم معناه ذهاب اهتمامهم بأمره سبحانه، فإن أحد هؤلاء قد يأخذ في لهو الحديث ويشتغل بالباطل من الغايات، **فإذا ذكّرته بأمر الله لا ترى عليه من هزّة الاهتمام** مثل ما ترى له حين تنبِّهه أن يأخذ عصاه أو مسبحته التي نسيها، **بل ترى آثار التهاون وقلّة المبالاة التي تدلُّ على أن عقدة العهد قد انحلّت من ضميره، وبردت الغيرة عليه في قلبه،** فهو إذاً ـ **من نسيان القلوب، لا من نسيان الذاكرة،** أو غفلة السهو الطارئة.

أمَّا النسيان المسند إلى الله، فليس من نسيان العقول، ولا من نسيان القلوب، تعالى الله عن ذلك عُلُوّاً كبيراً، **بل معناه أنهم لما نسوا الله، وزال اهتمامهم بأمره، صرف عنهم فضله،** ووكلهم إلى نفوسهم.

ومن البديهي أن النسيان المسند إلى آدم حين أكل من الشجرة ليس من قبيل النسيان المسند إلى الله جلّ شأنه، فلم يبق إلّا أنه من قبيل النسيان المسند إليهم، **بمعنى أن قلبه صار إلى لحظة من الفتور عن عهد الله جلَّ شأُنه.**

ثالثاً: العزم:

أمَّا الأمر الثالث في الآية الكريمة فهو (العزم) في قوله جلّ ثناؤه: ﴿ ولم نجد له عزماً ﴾. ومن معاني العزم ما جاء في المصباح المنير: «عزم على الشيء وعزمه، **أي عقد ضميره على فعله**»، وما جاء في لسان العرب: «والعزم ما عقد عليه قلبك من أمر أنت فاعِله».

فإذا نظرنا في معنى العزم في قوله تعالى: ﴿ ولقد عهدنا إلى آدم من قبل

فنسي ولم نجد له عزماً ﴾، **كان معناه: لم نجد له ضميراً منعقداً على الفعل**، أو كما يقول البيضاوي: «**لم نجد له تصميم رأي وثباتاً على الأمر**.. ولعلّ ذلك كان في بدء أمره قبل أن يجرّب الأمور» فتكون جملة (ولم نجد له عزماً) بمعنى التفسير للنسيان في قول (فنسيَ).

وامّحاء العزم هو الآفة التي تترتب لا محالة على النسيان القلبي.. هذا ونسيان العهد لا يعني امّحاءه من القلب، **إنما هو تنحِّيه إلى إحدى زواياه، فلا يرى منه سوى صورته، أمَّا حرارته وروحه القويّ المنهض فلا**.. ومن هنا نرى الكثيرين يحسنون الكلام عن المُثُل العليا دون أن يُؤثر عن أحدهم أنه نهض فعلاً بحقٍّ ما يتحدَّث به، وذلك بعض ما صدّق به الشيطان ظنّه على كثير من الناس، إذ أقْسَمَ بين يدي الله سبحانه: ﴿ ولأُضِلَّنَّهم ولأُمنِّيَنَّهم ﴾.

والتمنية حالة يكون فيها المرء على علم بما جاءه من الله، دون أن يكون له نهضة إلى تحقيق شيء منه، **كأنَّما أصابه الشيطان بكساح العزيمة!** وليس هذا من حقيقة الإيمان في شيء، ورسول الله ﷺ يقول:

«ليس الإيمان بالتمنِّي، ولكن ما وَقَرَ في القلب وصدَّقه العمل، إنَّ قوماً ألهتهم أماني المغفرة حتى خرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم، وقالوا: نحسن الظنّ بالله، وكذبوا، لو أحسنوا الظنّ لأحسنوا العمل له».

وقال الزمخشري في تفسير قوله تعالى: ﴿ يَعِدُهُم ويُمَنِّيهِم ﴾،: «وإذا أبطل الله الأماني، وأثبت أن الأمر كلّه معقود بالعمل، وأنَّ مَن أصلح عمله فهو الفائز، ومَن أساء فهو الهالك، تبيَّن الأمر، ووضح وجوب قطع الأماني، وحسم المطامع، والإقبال على العمل الصالح... ولكنه نُصْحُ لا تعِيه الآذان، ولا تلقي إليه الأذهان!»

* . * . * . *

[خامساً]: أما خامس أدلة الذين يقولون بنبوّة آدم فقوله تعالى: ﴿ إني جاعل في الأرض خليفة ﴾.

والواقع أن قوله سبحانه: ﴿ إني جاعل في الأرض خليفة ﴾، لا علاقة له بالنبوّة. . ولكن في مشيئة الله سبحانه بعمارة الأرض في سلالة بشرية يخلف الناس بعضهم بعضاً حتى تقوم الساعة، وقد يكون الخليفة أفضل من سلفه كما يكون الأسلاف أفضل من الأخلاف كما يُشير إلى ذلك القرآن الكريم:

﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنّهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكننّ لهم دينهم الذي ارتضى لهم، وليبدِّلنّهم من بعد خوفهم أمناً، يعبدونني لا يشركون بي شيئاً، ومَن كفر بعد ذلك فأُولئك هم الفاسقون ﴾ [النور: ٥٥].

﴿ ونريد أن نمنّ على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين، ونمكِّن لهم في الأرض، ونُريَ فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون ﴾ [القصص: ٤ ـ ٥].

أما الخلف السيء فيشير إليه قوله سبحانه: ﴿ فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتّبعوا الشهوات فسوف يلقون غيّاً ﴾ [مريم: ٥٩].

﴿ فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب، يأخذون عرض هذا الأدنى ويقولون سيغفر لنا وإن يأْتهم عَرَضٌ مثله يأخذوه، ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب أن لا يقولوا على الله إلّا الحق، ودرسوا ما فيه. والدار الآخرة خير للذين يتّقون أفلا تعقلون ﴾ [الأعراف: ١٦٩].

وصدق الله العظيم:

﴿ وهو الذي جعلكم خلائف الأرض ورفع بعضكم فوق بعض درجات، ليبلوكم فيما آتاكم، إنّ ربّك سريع العقاب، وإنه لغفور رحيم ﴾ [الأنعام: ١٦٥].

فالآية لا تدلّ على استخلاف آدم فقط بل على استخلاف الجنس البشري، ولا تدلّ على نبوّة آدم لا من قريب ولا من بعيد.

حديث النشأة الأولى:

وقد تحدَّث العلاّمة الشيخ محمد محمد المدني في كتابه [القصص الهادف كما نراه في سورة الكهف](*) عن قصة آدم كما جاءت في هذه السورة: ﴿ وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم، فسجدوا إلاّ إبليس كان من الجِنّ ففسق عن أمر ربِّه، أفتتخذونه وذرِّيته أولياء من دوني وهم لكم عدوّ، بئس للظالمين بدلاً ﴾، فقال تحت عنوان: [حديث النشأة الأولى].

تكرر في القرآن الكريم ذكر هذه القصة: قصة النشأة الأولى للإنسان وما كان في الملأ الأعلى من حوار في شأنها، وتمرد إبليس حين أمر بالسجود لآدم.

وربما كان المذكور في أوائل سورة البقرة هو أكثرها تفصيلاً، وأشملها بياناً.

عند أهل التفويض:

وأهل العلم في هذه القصة فريقان:

فريق يأخذونها أخذ المتشابه الذي لم تتضح حقيقته، ويجب التسليم به، والتفويض لله في شأنه، وذلك لأنهم رأوا فيها ما لا يمكن إسناده لله تعالى على ظاهره - كمشاورته للملائكة، ورد الملائكة عليه، واعتراضهم بما اعترضوا، وجوابه تعالى بما أجاب، إلى غير ذلك من المواطن التي لا يدرك سرها ولا تتبين حقيقتها.

قالوا: كيف يستشير أحداً من خلقه؟! وكيف يستطيع أحد من الخلق أن يعترض على الله في فعله أو أمره؟!.

(*) صدر عن المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة - الكتاب الأول ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م.

وإذا حصل ذلك من أحد فهل يعقل أن يحصل من الملائكة الذين وصفتهم نصوص الدين بأنهم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ؟ وكيف عرف الملائكة بأن آدم وذريته سيفسدون في الأرض ويسفكون الدماء؟! وكيف ساغ أن يعلِّم الله آدم الأسماء ولا يعلمها الملائكة، ثم يسألهم ليعجزهم ويتحداهم بآدم في علمه؟! وكيف قال لهم بعد ذلك: ﴿ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض. . . الخ﴾ وهم بذلك مؤمنون وبه معترفون؟!.

كل هذه أسئلة يوردها العقل، فيقف منها بعض الناس موقف التسليم على طريقة السلف فيما لم يتضح أمره.

عند أهـــل التأويـــل:

وبعض الناس يسلك طريقة الخلف وهي التأويل، فيجعل هذه القصة كلها تمثيلاً وتصويراً، ويقرر أن جميع ما جاء بها من المخاطبات والمحاورات إنما هو بلسان الحال لا بلسان المقال، وكأن هذا الفريق يقول: إن مشاورة الله تعالى للملائكة في خلق آدم هي ايذانه تعالى لهذه القوى الغيبية بأمره وتكوينه، وشعورها ـ بحكم اتصالها بالملأ الأعلى ـ بقرب حدوث تطور في هذا الكوكب الذي هو الأرض، ولم يقع منها سؤال أو اعتراض على وجه الحقيقة، وإنما هو لسان حالها يقول: أن هذا المخلوق الجديد ما دام ليس من جنس الملائكة وطبيعتهم الخيرية فلا بد أن يكون فيه استعداد لفعل الشر وسفك الدماء والافساد في الأرض. فكيف يجعل هذا خليفة وتترك القوى الخيِّرة المطيعة؟! وهذا مجرد تصوير لواقع الأمر، ليس المراد أنهم قالوا ذلك فعلاً، أو سألوه عن سره. وفي قوله تعالى: ﴿إني أعلم ما لا تعلمون﴾ ارشاد لكل ذي عقل أنه ليس له أن يحكم عقله وقواعده في كل شيء حتى في أفعال الله وتصرفاته، فإن لها حكماً قد تخفى عليه، وقد يحمله خفاؤها على انكارها.

[سادســـاً]: أمـا سادس أدلة الذين يقولون بنبوة آدم فقولـــه تعالـــى :

﴿ وعلَّم آدَمَ الأسمـاء كلهـا﴾ .

وقـد رأينا أن نـورد آراء بعض المفسـرين لهـذه الآيـة حتى يعلم القـارىء الكريم مدى صحّة هذا الزعم :

١ ــ رأي الإمام ابن كثير [تفسير ابن كثير] .
٢ ــ رأي الإمام فخر الدين الرازي [تفسير مفاتيح الغيب] .
٣ ــ رأي الإمام الآلوسـي [روح البيـان] .
٤ ــ رأي الشيـخ محمد محمـد المدني [القصص الهـادف كما نـراه في سورة الكهف] .

١ ــ رأي الإمام ابن كثيــر في تفسيـر قولـه تعالـــى :
﴿وعلَّم آدم الأسمـــاء كلهـــا﴾

يقـــول الإمام ابن كثيـــر في تفسيـــره :

هـذا مقامٌ ذكـر الله تعالى فيـه شرف آدم على المـلائكـة بمـا اختصّـه من علم أسمـاء كل شيء دونهم، وهـذا كان بعـد سجودهم لـه، وإنما قـدّم هـذا الفصـل على ذاك لمنـاسبـة مـا بين هـذا المقـام وعـــدم علمهم بحكمـة خلق الخليفة حين سألوا عن ذلك، فأخبرهم تعالى بأنّه يعلم ما لا يعلمون، ولهذا ذكـر الله هذا المقـام عقب هذا ليبيِّن لهم شـرف آدم بما فُضِّـل بـه عليهم في العلم، فقال تعالى :

﴿وعلَّم آدم الأسماء كلها﴾ .

قال السّدّي عمّن حدّثه عن ابن عباس: ﴿وعلم آدم الأسماء كلها﴾، قال: علَّمه أسماء ولده إنساناً إنساناً، والدواب، فقيل: هذا الحمار، هذا الجمل، هذا الفرس.

وقال الضحّاك عن ابن عباس: ﴿وعلم آدم الأسماء كلها﴾، قال: هي هذه الأسماء التي يتعارف بها الناس: إنسان ودواب، وسماء وأرض وسهل وبحر وخيل وحمار وأشباه ذلك من الأمم وغيرها.

وروى ابن أبي حاتم وابن جرير من حديث عاصم ابن كليب عن سعيد بن معبد عن ابن عباس: ﴿وعلّم آدم الأسماء كلها﴾، قال: علَّمه اسم الصحفة والقِدر، قال: نعم، حتى الفسوة والفسية!

وقال مجاهد: ﴿وعلّم آدم الأسماء كلها﴾، قال: علّمه اسم كل دابّة وكل طير وكل شيء، وكذلك روى عن سعيد بن جبير وقتادة وغيرهم من السلف، أنّه علَّمه أسماء كل شيء، وقال الربيع في رواية عنه: **أسماء الملائكة**، وقال حميد الشامي: **أسماء النجوم**، وقال عبد الرحمن بن زيد: **علَّمه أسماء ذرِّيته كلهم!**

ثم قال ابن كثير: الصحيح أنّه علَّمه أسماء الأشياء كلها، ذوّاتها وصفاتها وأفعالها كما قال ابن عباس حتى الفسوة والفسية!» .

** . . ** . . **

٢ ـ رأي الإمام فخر الدين الرازي في تفسير قوله تعالى: ﴿وعلم آدم الأسماء كلها﴾:

«اعلم أنَّ الملائكة لمّا سألوا عن وجه الحكمة في خلق آدم وذرِّيته، وإسكانه تعالى إيَّاهم في الأرض، وأخبر الله تعالى عن وجه الحكمة في ذلك على سبيل الإجمال بقوله تعالى: ﴿إني أعلم ما لا تعلمون﴾، أراد تعالى أن يزيدهم بياناً، وأن يفصِّل لهم ذلك المجمل، فبيِّن تعالى لهم من

فضل آدم عليه السلام ما لم يكن من ذلك معلوماً لهم، وذلك **بأن علَّم آدم الأسماء كلها**، ثم عرضهم عليهم ليظهر بذلك كمال فضله وقصورهم عنه في العلم، فيتأكد ذلك الجواب الإجمالي بهذا الجواب التفصيلي، وههنا مسائل:

ثم قال: من الناس من قال: قوله: ﴿وعلَّم آدم الأسماء كلها﴾، أي علّمه صفات الأشياء ونعوتها وخواصّها، والدليل عليه أن الاسم اشتقاقه إمّا من السمة أو من السُّمُوّ، **فإن كان من السمة كان الاسم هو العلامة**، وصفات الأشياء ونعوتها وخواصّها دالَّة على ماهياتها؛ فصحّ أن يكون المراد من الأسماء: الصفات، **وإن كان من السمو فكذلك** لأن دليل الشيء كالمرتفع على ذلك الشيء، فإن العلم بالدليل حاصل قبل العلم بالمدلول، فكان الدليل أسمى من الحقيقة، فثبت أنه لا امتناع في اللغة أن يكون المراد من الاسم الصفة.

ثم قال: **والقول الثاني**: وهو المشهور أنَّ المراد أسماء كلّ ما خلق الله من أجناس المحدثات من جميع اللغات المختلفة التي يتكلّم بها ولد آدم من العربية والفارسية والرومية وغيرها. .

ثم قال في (المسألة الرابعة): **قالت المعتزلة**:

«إنّ ما ظهر من آدم عليه السلام من علمه بالأسماء معجزة دالَّة على نبوّته عليه السلام في ذلك الوقت، **والأقرب أنه كان مبعوثاً إلى حوّاء، ولا يبعد أيضاً أن يكون مبعوثاً إلى من توجه التحدي إليهم من الملائكة**، لأن جميعهم ـ وإن كانوا رسلاً ـ فقد يجوز الإرسال إلى الرسول كبعثة إبراهيم عليه السلام إلى لوط عليه السلام، واحتجوا عليه بأنَّ حصول ذلك العلم له ناقض للعادة، فوجب أن يكون معجزاً، **وإذا ثبت كونه معجزاً ثبت كونه رسولاً في ذلك الوقت**، ولقائل أن يقول: لا نسلم أنّ ذلك العلم ناقض

للعادة لأنَّ حصول العلم باللغة أن علّمه الله تعالى، وعدم حصوله عنه لمن لم يعلِّمه الله ليس بناقض للعادة.

ثم قال: واحتجّ من قطع بأنه عليه السلام ما كان نبيًّا في ذلك الوقت بوجوه:

أحدها: أنّه لو كان نبيًّا في ذلك الزمان لكان قد صدرت المعصية عنه بعد النبوّة. وذلك غير جائز. فوجب أن لا يكون نبياً في ذلك الزمان. أمّا الملازمة فلأن صدور الزَّلَّة عنه كان بعد هذه الواقعة باتّفاق. **وتلك الزَّلَّة من باب الكبائر على ما سيأتي شرحه إن شاء الله تعالى.** والإقدام على الكبيرة يوجب استحقاق الطرد والتحقير واللعن، **وكلّ ذلك على الأنبياء غير جائز،** فيجب أن يقال: وقعت تلك الواقعة **قبل النبوّة.**

وثانيها: لو كان رسولاً في ذلك الوقت لكان إمّا أن يكون مبعوثاً إلى **الملائكة أو الإنس أو الجنّ، والأول باطل، لأن الملائكة عند المعتزلة أفضل من البشر،** ولا يجوز جعل الأدون رسولاً إلى الأشرف، لأنَّ الرسول والأمّة تَبَعٌ، وجعل الأدون متبوع الأشرف خلاف الأصل. وأيضاً فالمرء إلى قبول القول ممن هو من جنسه أمكن، ولهذا قال تعالى: ﴿ولو جعلناه ملكاً لجعلناه رجلاً﴾ [1]، ولا جائز أن يكون مبعوثاً إلى البشر، **لأنّه ما كان أحد من البشر إلاّ حوّاء،** وأنّ حوّاء إنما عرفت بالتكليف لا بواسطة آدم لقوله تعالى: ﴿ولا تقربا هذه الشجرة﴾[2]، شافههما بهذا التكليف، **وما جعل آدم واسطة، ولا جائز أن يكون مبعوثاً إلى الجنّ،** لأنه ما كان في السماء

---

(١) الأنعام: ٩.

(٢) البقرة: ٣٥.

أحد من الجنّ، ولا جائز أيضاً أن يكـون مبعوثـاً إلى أحد، **لأنَّ المقصـود من جعله رسولاً التبليغ، فحيث لا مبلّغ لم يكن في جعله رسولاً فائدة!!**

وثالثها: قوله تعـالى: ﴿ثم اجتباه ربّـه﴾ [٣] ، فهذه الآيـة دلّت على أنّه تعالى إنما اجتبـاه بعد الـزّلة، فـوجب أن يقال إنّـه قبل الـزّلة مـا كان مجتبى، وإذا لم يكن ذلـك مجتبى، وجب أن لا يكـون رسـولاً، **لأنَّ الـرسـالـة والإجتبـاء متـلازمـان**، لأنّ الأجتبـاء لا معنى لـه إلاّ التخصيص بـأنـواع التشريفات، وكـل من جعله الله رسولاً فقـد خصّه بـذلك لقـوله تعـالى: ﴿الله أعلم حيث يجعل رسالته﴾ [٤] .

** .. ** .. **

ومعنى ذلـك، فإن الإمـام فخر الـدين الـرازي، يعتبـر أنَّ قـولـه تعـالى: ﴿وعلّم آدم الأسمـاء كلها﴾ ليست دالّـة على نبـوّة آدم، بـل إنَّ المعتـزلـة هي التي قـالت: إنَّ ما ظهـر من آدم عليه السـلام من علمه بـالأسماء معجـزة دالّة على نبوته عليه السلام في ذلـك الوقت، والأقـرب أنه كـان مبعوثـاً إلى حوّاء، ولا يبعـد أن يكون أيضـاً مبعوثـاً إلى من توجـه التحدّي إليهم من المـلائكـة، واستبعـد الإمام الـرازي نبوّة آدم في السمـاء **لأنّه لـو كا نبيـاً في ذلك الـزمان لكـان قد صـدرت المعصية عنه بعد النبـوة**، وذلك غيـر جائـز، **فوجب أن لا يكون نبياً في ذلك الزمان.**

والعـلاّمة الشيـخ عبد الـوهاب النجـار في كتابـه [قصص الأنبياء]، قـال تحت عنـوان: **هل آدم نبي ورسـول؟** قال: إن القـرآن الكـريم لم يـذكـر لفظ

---

(٣) طـه : ١٢٢ .

(٤) الأنعـام : ١٢٤ .

النبـوة بإزاء آدم كمـا ذكر ذلـك بإزاء غيـره من الأنبيـاء كـإسمـاعيـل وإبـراهيم ومـوسى وعيسى وغيرهم، ولكن ذكـر أنه خـاطبه بـلا واسـطة، وشـرع لـه في ذلـك الخطاب، فـأمره ونهـاه، وأحـلّ لـه وحـرّم عليـه بـدون أن يـرسـل إليـه رسولاً، وهذا هو كلّ معاني النبوّة، فمن هـذه الناحيـة نقول إنـه نبيّ، وتطمئن أنفسنا بذلك. وأضـاف:

وأمـا رسالتـه : فـالأمر فيهـا مختلف فيه، وشـأننا أن نفـوض علم ذلـك إلى الله تعـالى، على أني رأيت في حـديث أبي هـريـرة الـوارد في صحيـح مسلم أنَّ النـاس يـذهبـون إلى **نـوح** ويقـولـون لـه: **أنت أول رسـل الله إلى الأرض**، فلو كان آدم رسولاً لما ساغ هذا القول. والعلمـاء القائلون برسالـة آدم يؤولـون ذلك بـأنه أول رسـول بعد الـطوفان، وهـو تـأويـل متكلف.(*)

ثم قـال : **وإذا كـان آدم نبيّـاً فكيف عصى، والأنبيـاء معصـومـون من المعصيـة؟ وقد ردّ الشيـخ النجـار على من ادّعى بـأن ذلـك كـان قبـل النبـوّة المستلزمة للعصمة من المعصية، بقوله**: وهو جواب حسن لولا أنه وقع بعد **صدور الأمر والنهي إليه بلا واسطة وهو ما جعلناه من أمارات نبوّتـه**.

ومعنى ذلـك فإن الشيـخ عبد الـوهاب النجـار يـرى بـأن آدم **عصى بعـد النبـوّة**، في حين أن الإمـام فخـر الـدين الـرازي **يستبعـد نبـوّة** آدم **في ذلـك الزمان** لأنه لو كـان نبياً لكـان قد صـدرت المعصية عنـه بعد النبـوّة وذلك غيـر جائز، فوجب أن لا يكون نبياً في ذلك الزمان.

ولكن الإمـام الرازي يـرى أن الاجتباء هـو دليل نبـوّة آدم ورسالتـه، **لأن الرسالة والاجتباء متلازمان!**

ونحن مـع احترامنـا للعلامـة الرازي نقـول إن الاجتبـاء والـرسـالـة ليسـا متـلازمينلأنّ الله سبحانـه وتعالى **اجتبى يـونس عليه السـلام** بعد النبـوّة، وبعد

(*) لأن نوحاً كان رسولاً قبل الطوفـان وبعـده. [**المؤلـف**].

أن بلّغ الرسالة، وبعد أن التقمه الحوت كما جاء في سورة القلم: ﴿فاصبر لحكم ربِّك ولا تكن كصاحب الحوت إذ نادى وهو مكظوم * لولا أن تداركه نعمةٌ من ربِّه لَنُبِذَ بالعراء وهو مذموم * **فاجتباه ربُّه فجعله من الصالحين**﴾ [القلم: ٤٨ ـ ٥٠].

والاجتباء والرسالة ليسا متلازمين.. وإلّا حكمنا بنبوّة جميع المؤمنين **لقوله تعالى**:

﴿يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربَّكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون * وجاهدوا في الله حقّ جهاده **هو اجتباكم**﴾[الحج : ٧٧ ـ ٧٨].

٣ ـ رأي الإمام الآلوسي في تفسير قوله تعالى: ﴿وعلّم آدم الأسماء كلها﴾.

والأسماء : جمع اسم، وهو باعتبار الاشتقاق ما يكون علامة للشيء ودليلاً يرفعه إلى الذهن من الألفاظ الموضوعة بجميع اللغات والصفات والأفعال، واستعمل عُرفاً في الموضوع لمعنى مفرداً كان أو مركباً مخبراً عنه أو خبراً أو رابطة بينهما، **وكلا المعنيين محتمل**، والعلم بالألفاظ المفردة والمركبة تركيباً خبرياً أو انشائياً يستلزم العلم بالمعاني التصورية والتصديقية. وإرادة المعنى المصطلح مما لا يصلح لحدوثه بعد القرآن.

وقال الإمام : المراد بالأسماء صفات الأشياء ونعوتها وخواصها، لأنها علامات دالّة على ماهياتها، فجاز أن يعبّر عنها بالأسماء، وفيه كما قال الشهاب نظر، إذ لم يعهد إطلاق الاسم على مثله حتى يفسّر به النظم، وقيل: **المراد بها أسماء ما كان وما يكون إلى يوم القيامة**، وعزي إلى ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، وقيل: **اللغات**،وقيل **أسماء الملائكة**، وقيل: **أسماء النجوم**، وقال الحكيم الترمذي: **أسماؤه تعالى**، وقيل وقيل وقيل.

والحقّ عندي ما عليه أهل الله تعالى، وهو الذي يقتضيه منصب الخلافة الذي علمت، وهو أنها أسماء الأشياء علوية أو سفلية، جوهرية أو عرضية.

** . . **

٤ ـ رأي العلامة الشيخ محمد محمد المدني [رحمه الله] في تفسير قوله تعالى: ﴿وعلم آدم الأسماء كلها﴾:

معنى تعليم آدم الأسماء:

وتعليم آدم الأسماء هو تكوينه على طبيعة تمكنه من معرفة أحوال الحياة والتطلع إلى أسرارها وخواصها، فالأسماء كما تشمل اللغات تشمل خواص الكائنات وأسباب المخترعات، وقواعد هذا الكون وما فيه من قوى ما زالت تنكشف للإنسان شيئاً بعد شيء، والإنسان موكل بها وبكشفها وتتبع أسرارها حتى عرف طبيعة الهواء، وطبيعة الماء، وطبيعة الحرارة والبرودة، والنبات والحيوان، وأن يسخر موجات الهواء، وأن يخضع المسافات لصوته ومشاهدته وتصويره، وأن يصل بالعيون السحرية إلى أسرار لا تشاهدها عينه الطبيعية، وأن يعرف الذرة وما فيها . . . الخ . ! !

هذه كلها هي الأسماء التي علمها الله لآدم، وليس معنى هذا أن أبانا آدم كان يعرف سر الكهرباء أو عنصر كذا وكذا، أو كان يعرف حمل الأصوات بالأثير . . . الخ ـ وإنما طبعه الله، وطبع جنسه وذريته على سجية من شأنها أن توصلهم إلى ذلك، وتفتح أمامهم الآفاق. ولم يكن في خلق الله من ذوي الأرواح من لهم هذه السجية ولا تلك القوة، ومن بين هؤلاء الملائكة. فقوله تعالى: ﴿يا آدم أنبئهم بأسمائهم﴾ لم يحدث بذاته، ولكن الحال والواقع يقوله وينطق به، فطبيعة الإنسان فيها هذا الاستعداد، وطبيعة الملائكة ليس فيها هذا

الاستعداد، فكلتا الطبيعتين المتقابلتين كأنهما تتناقشان وتتجادلان!! [1] .

** .. ** .. **

[سابعاً]: أما سابع أدلّة الذين يقولون بنبوّة آدم، فهي قصة ابنيّ آدم كما جاءت في سورة المائدة، ونحن هنا نثبت ما جاء في بعض كتب التفسير من آراء، ثم نُبدي ملاحظاتنا حول هذه القصة:

آراء المفسرين في قصة ابنيّ آدم:

جاء في تفسير (روح المعاني للإمام الآلوسي) جـ ٦ صفحة ١١١ في شرحه لقصّة ابنيّ آدم ﴿ واتْلُ عليهم نَبَأَ ابنيّ آدَمَ بالحقِّ، إذْ قرّبا قُربانا، فَتُقُبِّلَ من أحدهما، ولم يُتَقَبَّلْ من الآخر، قال: لأقتُلَنَّك. قَالَ: إنَّما يتقبَّلُ الله مِنَ المتّقين. لَئِن بَسَطْتَ إليَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَني ما أنا بباسطٍ يَدِيَ إليكَ لأقتلك، إنِّي أخافُ الله ربَّ العالمين. إنّي أُريدُ أن تَبُوءَ بإثمي وإثمكَ، فتكونَ مِن أصحاب النار، وذلك جزاءُ الظالمين. فطوّعَتْ له نَفْسُهُ قَتْلَ أخيه، فَقَتَلَهُ، فأصْبَحَ مِنَ الخاسرين. فَبَعَثَ الله غُراباً يبحثُ في الأرض لِيُرِيَهُ كيف يواري سوأة أخيه، قال: يا ويلتى أعجزتُ أن أكون مِثْلَ هذا الغُرابِ فأُواريَ سوأةَ أخي، فأصْبَحَ مِنَ النادمين ﴾

[المائدة: ٢٧ - ٣١].

﴿ واتْلُ عليهم نَبَأَ ابنيّ آدم بالحق ﴾.

عليهم: يعودُ على بني إسرائيل، كما هو الظاهر، إذ هم المحدَّث عنهم

---

(١) القصص الهادف كما نراه في سورة الكهف، لمحمد محمد المدني صدر عن المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالقاهرة ـ ١٩٦٤، ص ١٦٤ .

أوّلاً، وأُمِرَ ﷺ بتلاوة ذلك عليهم إعلاماً لهم بما هو في غامض كتبهم الأول الذي لا تعلُّق للرسول عليه الصلاة والسلام بها من جهة الوحي لتقوم الحجّة بذلك عليهم، **وقيل: الضمير عائد على هذه الأُمَّةِ** أي اتْلُ يا محمد على قومِكَ (نبأ ابنيّ آدم) هابيل عليه الرحمة، وقابيل عليه ما يستحقّه، **وكانا بإجماع غالب المفسرين ابنيّ آدم عليه السلام لصلبه، وقال الحسن:** كانا رجلين من بني **إسرائيل.**

وكان من قصّتهما ما أخرجه ابن جرير عن ابن مسعود، وناس من الصحابة رضي الله تعالى عنهم أجمعين، أنَّه كان لا يولد لآدم عليه السلام مولود إلاّ وُلِدَ معه جارية، فكان يزوّج غلام هذا البطن جارية هذا البطن الآخر، ويزوِّج جارية هذا البطن غلام هذا البطن الآخر، **جعل افتراق البطون بمنزلة افتراق النسب، للضرورة إذ ذاك،** حتّى وُلِدَ له ابنان يُقال لهما: هابيل وقابيل، وكان قابيل صاحب زَرْع، وهابيل صاحب ضَرْع، وكان قابيل أكبرهما، وكانت له أُخت واسمها إقليما، أحسن من أُخت هابيل، وأنَّ هابيل طلب أن ينكح أُخت قابيل، **فأبى** عليه، وقال: هي أُختي، وُلِدَتْ معي، وهي أحسنُ من أُخْتِكَ، وأنا أحقّ أن أتزوّج بها، فَأَمَرَهُ أبوه أن يزوِّجها هابيل، فأبى، فقال لهما: قرِّبا قرباناً، فمن أيِّكما قُبِلَ، تزوّجها، وإنما أُمِرَ بذلك لعِلمه أنَّه لا يقبل من قابيل، لا إنه لو قبل، جاز، ثم غاب عليه السلام عنهما آتياً مكّة، ينظر إليها، **فقال للسماء: احفظي ولديّ بالأمانة، فأبَتْ، وقالَ للأرض: فأبَتْ، وقَالَ للجبال، فأبت، فقال لقابيل، فقال: نعم، تذهب وترجع وتجد** أهلك كما يسرّك، فلمّا انطلق آدم عليه السلام، قرَّبا قُرباناً، فقرّبَ هابيل جذعة، وقيل: كبشاً، وقرَّب قابيل حُزمة سنبل، فوجد فيها سنبلة عظيمة، ففركها وأكلها، فنزلت النار فأكلت قربان هابيل، وكان ذلك علامة القبول، وكان أكْل القربان غير جائز في الشرع القديم، وتركت قربان قابيل، فغضب، وقال (لأقتلنّك)، فأجابه بما قصَّ الله تعالى . . . إلخ .

هذا ما جاء في تفسير الآلوسي..

أمَّا ملاحظاتنا على هذا التفسير، فهي:

١ ـ واتْلُ عليهم، فبعضهم قال: الضمير عائد على بني إسرائيل، وبعضهم قال: على هذه الأُمة.

٢ ـ أن تفسير (ابنيّ آدم) هما هابيل (القتيل) وقابيل (القاتل). وكانا بإجماع غالب المفسرين ابنيّ آدم لصلبه، **في حين أنَّ (ابنيّ آدم) كانا رجلين من بني إسرائيل، كما قال الحسن.**

٣ ـ أن الرواية التي أوردها الآلوسي نقلاً عن ابن جرير عن ابن مسعود وناس من الصحابة، **في حين أن هذه الرواية هي من روايات العهد القديم (التوراة).** والكتب المقدسة السابقة كالتوراة والإنجيل لا تدخل في تكوين عقيدة المسلم، لشُبهة التحريف والتزيُّد والإضافة إلى تلك الكتب (كما يقول الشهيد سيّد قطب في تفسيره لسورة نوح).

٤ ـ إن كان آدم نبيّاً، وكان له شريعة، وهذه الشريعة لا تُبيح أن يتزوّج ابن آدم أُخته التي ولدت معه في بطن واحد، بل عليه أن يتزوّج من شقيقته التي نزلت في بطن آخر، ما كان بإمكان آدم أن يستبدل شريعة الله بتقديم القربان!

٥ ـ إن آدم عليه السلام طلب من السماء أن تحفظ أولاده بالأمانة، فأبت، وقال للأرض، فأبت، وسأل الجبال، فأبت، فاستودع أولاده عند أحدهم (قابيل) الذي خان الأمانة، فقتل أخاه، ولم يستودع آدَمُ ربَّه عزّ وجلّ الحافظ القائل: ﴿فالله خيّرٌ حافظاً، وهو أرحم الراحمين﴾ [يوسف: ٦٤].

٦ ـ إذا كان آدم عليه السلام نبيَّاً ورسولاً، ولديه شريعة، فلماذا لم يبيّن القرآن حكم شريعة آدم في هذه الجريمة البشعة؟ قد يقول قائل؟ كان آدم مسافراً في مكة، ونقول نحن: ولمَّا عاد آدم من سفره هل تركه المولى عزّ وجل، ولم ينزل عليه وحياً يبصِّره كيف يتصرَّف بإزاء ابنه القاتل؟

القرآن الكريم الذي قصَّ علينا هذه القصة لم يذكر كيف تصرَّف آدم بعد عودته من سفره، ويبدو أن القاتل بقي بلا عقابٍ دنيويٍّ بحجَّة أن آدم كان مسافراً، وكان هذا سبباً لسكوت القرآن عن ذلك!

ونحن في استبعادنا القول بنبوّة آدم ورسالته لنصِّ القرآن على أوَّلية نُبُوَّة نوح ورسالته، ولحديث رسول الله الصادق الأمين الذي لا ينطق عن هوى إن هو إلّا وحي يوحى قال على لسان أهل الموقف كما جاء في الصحيحين: يا نوح أنت أول رُسل الله إلى أهل الأرض، وقال أيضاً على لسان آدم عليه السلام في حديث الشفاعة الذي ورد في صحيح البخاري: (. . . ولكن ائتوا نوحاً أول نبيّ بعثه الله إلى أهل الأرض) نقول: إنَّ الذي يعلم السِرَّ وأخفى كان يسارع بالوحي إلى رسوله الخاتم لعلاج المشكلات التي تطرأ على المجتمع، ويكفي أن نشير إلى سرعة نزول الوحي على الرسول لعلاج مشكلة المرأة التي ظاهَرَ منها زوجها، فجاءت إلى الرسول تعرض مشكلتها ـ خشية على بيت الزوجية من أن ينهار، ويضيع الأولاد ـ فتقول في شكواها للرسول: يا رسول الله: إن زوجي أوس بن الصامت رجل كبير في السنّ، وليس له خادم، وقد قال كلمة ما قَصَدَ بها طلاقاً، قال: أنتِ عليَّ كظهر أُمّي، فقال لها رسول الله: «ما أراكِ إلّا قد حَرُمْتِ عليه»، فقالت يا رسول الله: إنَّ لي منه صبية صغاراً، إن ضممتهم إليه ضاعوا، وإن ضممتهم إليَّ جاعوا، فيسارع مَن لا تخفى عليه خافية بإرسال جبريل الأمين بالوحي إلى خاتم النَّبيين لإنقاذِ أُسرة فقيرة مغمورة قرآناً يُتلى إلى يوم القيامة: ﴿قَدْ سَمِعَ الله قَوْلَ التي تجادلك في زوجها، وتشتكي إلى الله، والله يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إنَّ الله سميع بصير﴾، ويأتي العلاج الناجع: ﴿الذين يُظاهرون منكم من نسائهم ما هُنَّ أُمَّهاتِهِمْ إنْ أُمَّهَاتُهُم إلّا اللائي وَلَدْنَهُمْ، وإنهم ليقولُونَ مُنكراً مِنَ القولِ وزوراً، وإنّ الله لغفور رحيم﴾إلخ.

تقول السيدة عائشة رضي الله عنها:

«الحمد لله الذي وسِع سمعه الأصوات. لقد جاءت المجادِلة خولة إلى

رسول الله ﷺ في جانب البيت، ما أسمع ما تقول، فأنزل الله: ﴿ قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله ﴾.

وينزل الوحي معاتباً خاتم المرسلين، لأنَّه عَبَسَ في وجه الأعمى:

﴿ عَبَسَ وتولَّى، أن جاءَهُ الأعْمَى، وما يُدريكَ لعلَّهُ يزَّكّى، أو يذّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكرى، أمّا مَنِ استغنى فأنتَ له تصدّى، وما عليك ألاّ يزّكّى، وأمَّا من جاءَكَ يسعى وهو يخشى، فأنتَ عنه تلهّى؟ كلاَّ ﴾.

بل إنَّ الوحي يتدخَّل في تسع آيات من سورة النساء لإدانة مسلم بالسرقة، وتبرئة يهودي اتُّهِمَ ظلماً بها:

﴿ إنَّا أنزلنا إليكَ الكتابَ بالحقِّ لِتَحْكُمَ بين النَّاسِ بما أراكَ الله، **ولا تَكُن للخائنينَ خصيماً** * واسْتَغْفِرِ الله إنَّ الله كان غفوراً رحيماً * ولا تجادلْ عَنِ الذين يختانون أنفسهم، إنَّ الله لا يحبُّ مَن كان خوّاناً أثيماً * يَسْتَخْفُونَ مِنَ الناس ولا يستخفونَ مِنَ اللهِ وهو معهم، إذْ يبيِّتُون ما لا يرضى من القول، وكان الله بما يعملون محيطاً * هـا أنتم هؤُلاءِ جادلتم عنهم في الحياة الدنيا، فمَن يجادِلُ الله عنهم يوم القيامة أم مَّن يكونُ عليهم وكيلاً * ومَن يعمل سوءاً أو يظلمْ نَفْسَه، ثُمَّ يستغفِرِ الله، يَجِدِ الله غفوراً رحيماً * **ومَن يكْسِبْ إثماً، فإنما يكْسِبُهُ على نفسه**، وكان الله عليماً حكيماً * **ومَن يكسبْ خطيئةً أو إثماً، ثُمَّ يَرْمِ به بريئاً، فقد احتمل بُهتاناً وإثماً مبيناً** * ولولا فضلُ اللهِ عليك ورحمتُهُ، لهمَّت طائفةٌ منهم أن يُضِلُّوكَ، وما يضِلُّونَ إلاَّ أنفسهم، وما يَضُرُّونَكَ من شيءٍ، وأنْزَلَ الله عليكَ الكتاب والحِكْمَةَ، وعلَّمَكَ ما لم تَكُن تَعْلَمُ، وكانَ فَضْلُ اللهِ عليكَ عظيماً ﴾ صدق الله العظيم.

هل يُعقل أن تتدخَّل السماءُ من أجل امرأة ظَاهَرَ منها زوجها، وينزل الوحي على مَن وصفه مولاه ﴿ وإنَّك لعلى خُلُقٍ عظيم ﴾، ليعاتبه ﴿ عَبَسَ وتولَّى أن جاءه الأعمى ﴾، وينزل الوحي تسع آيات على الرسول الكريم لإدانة مسلم وتبرئة يهودي.

ولا تتدخَّل السَّماء، ولا ينزل جبريل الأمين على نبيِّ الله آدم ليرشده إلى كيفية دفن ابنه القتيل، وعقاب ابنه القاتل؟!

*. *. *. *

أمَّا صاحب الظلال، فهو ينظر إلى قصَّة ابنيّ آدم من زاوية أُخرى، فيقول:

هذه القصة تقدِّم نموذجاً لطبيعة الشَّرِّ والعدوان، ونموذجاً كذلك من العدوان الصارخ الذي لا مبرِّر له.

كما تقدِّم نموذجاً لطبيعة الخير والسماحة، ونموذجاً كذلك من الطيبة والوداعة، وتقفهما وجهاً لوجه، كلٌّ منهما يتصرَّف وِفْقَ طبيعته..

ثُمَّ قال: **ولا يحدِّد السياق القرآني لا زمان ولا مكان ولا أسماء أصحاب القصة...** وعلى الرغم من ورود بعض الآثار والروايات عن (قابيل وهابيل وأنهما هما ابنا آدم في هذه القصة، وورود تفصيلات عن القضية بينهما، والنزاع على أُختين لهما.. فإننا نُؤْثر أن نستبقي القِصَّة ـ كما وردت ـ مجملة بدون تحديد، **لأنَّ هذه الروايات كلّها موضع شكٍّ في أنَّها مأخوذة عن أهل الكتاب** ـ والقصة واردة في العهد القديم، محدّدة فيها الأسماء والزمان والمكان على النحو الذي تذكره هذه الروايات ـ والحديث الوحيد الصحيح الوارد عن هذا النبأ لم يرد فيه تفصيل، وهو من رواية ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تُقْتَلُ نَفْسٌ ظُلماً إلاَّ كان على ابن آدم الأول كِفْلٌ من دمها، لأنَّه كان أول مَن سنّ القتل»، رواه الإمام أحمد في مسنده.. وأخرجه الجماعة ـ سوى أبي داود ـ من طريق عن الأعمش..

ثم قال: وكلُّ ما نستطيع أن نقوله: هو أنَّ الحادث وقع في فترة طفولة الإنسان، وأنه كان أول حادث قتل عدواني متعمّد، وأنَّ الفاعل لم يكن يعرف طريقة دفن الجثث.

وبقاء القِصَّة مُجملة ـ كما وردت في سياقها القرآني ـ يؤدي الغرض من

عرضها، ويؤدي الإيحاءات كاملة، ولا تُضيف التفصيلات شيئاً إلى هذه الأهداف الأساسية.. **لذلك نقفُ نحن عند النَّصِ العامِّ لا نخصّصه ولا نفصِّله!**

ثُمَّ قال:

إن ابنيّ آدم هذين في موقف لا يثور فيه خاطر الاعتداء في نفس طيّبة.. فهي في موقف طاعة بين يدي الله، موقف تقديم قربان، يتقربان به إلى الله:

﴿إذْ قرّبا قرباناً.. فَتُقُبِّلَ من أحدهما، ولم يتقبَّلْ مِنَ الآخر﴾.

والفعل مبني للمجهول، ليشير بناؤه هكذا إلى أنَّ أمر القبول أو عدمه موكول إلى قوة غيبية، وإلى كيفية غيبية.. وهذه الصياغة تفيدنا أمرين:

الأول: ألّا نبحث عن كيفية هذا التقبُّل، ولا نخوض فيه، **كما خاضت كتب التفسير في روايات، نرجِّح أنها مأخوذة عن أساطير «العهد القديم»**.

والثاني: الإيحاء بأنَّ الذي قُبِلَ قُربانه، لا جريرة له توجب الحفيظة عليه وتبييت قتله، فالأمر لم يكن له يد فيه، وإنَّما تولَّتْهُ قوَّة غيبية بكيفية غيبية، تعلو على إدراك كليهما وعلى مشيئته، فما كان هناك مبرّر ليحنق الأخُ على أخيه، وليجيش خاطر القتل في نفسه! فخاطر القتل هو أبعد ما يرد على النفس المستقيمة في هذا المجال.. مجال العبادة والتقرُّب، ومجال القدرة الغيبية الخفية التي لا دخل لإرادة أخيه في مجالها.. إلى آخر القصة..

ثم قال:

وهنا يلتقط السياق الآثار العميقة التي تتركها في النفس رواية النبأ بهذا التسلسل، ليجعل منها ركيزة شعورية للتشريع الذي فُرِضَ لتلافي الجريمة في نفس المجرم، أو للقصاص العادل إن هو أقدم عليها، بعد أن يعلم آلام القصاص التي تنتظره:

﴿من أجل ذلك، كتبنا على بني إسرائيل:

أنَّه مَن قَتَلَ نفساً بغير نفسٍ، أو فسادٍ في الأرض، فكأنَّما قَتَلَ الناس

جميعاً، ومَن أحياها، فكأنما أحيا الناس جميعاً. ولقد جاءتهم رُسُلنا بالبيِّنات، ثم إنَّ كثيراً منهم بعد ذلك في الأرض لَمُسْرِفُونَ﴾..

ويقول الإمام الشيخ محمود شلتوت في كتابه (الإسلام عقيدة وشريعة) [ص ٣٠٤]: قصَّ الله علينا هذه الجريمة، وربط بها أول تشريع جنائي فيما نعلم:

﴿من أجْل ذلك، كتبنا على بني إسرائيل...﴾.

* . * . * . *

هذا هو الهدف من هذه القصة، وليس الهدف من القصة إثبات نبوّة آدم من خلال تشريع تقديم القربان!

ونعود فنقول:

إنَّ هذه القصة تُؤخذ كاملة من أولها إلى آخرها، كما في قوله تعالى: ﴿ ويلٌ للمصلّين الذين هم عن صلاتهم ساهون ﴾، وقوله عزّ وجل: ﴿ لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى، حتَّى تعلموا ما تقولون ﴾.

وإذا كان آدم نبياً ورسولاً وحصلت هذه الجريمة، فالعقل والمنطق يقولان: لا بدّ أن يرسل الله لآدم النَّبي جبريل عليه السلام كي يعلِّم آدم كيف يدفن ابنه القتيل ويعاقب ابنه القاتل.

وسكوت القرآن عن ذلك، وعدم بعث الله سبحانه جبريل لآدم، وبعثه الغراب للقاتل ليعلّمه كيف يواري سوأة أخيه دليل كبير يقف في وجه دليل القائلين بنبوّة آدم ورسالته.

** .. **

وبعد الاطّلاع على آراء ثلاثة من كبار العلماء والمفسّرين: (الآلوسي، وسيد قطب، ومحمود شلتوت) يتبين أنّ من العلماء مَن يرى أن ابنيّ آدم ليسا من صلبه، ولكنهما من بني إسرائيل، وأنّ أقدم تشريع جنائي لجريمة القتل هو قوله تعالى: ﴿ من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل أنّه مَن قتل نفساً بغير نفس أو

فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً، ومَن أحياها فكأنّما أحيا الناس جميعاً ﴾، وأنّ في قصة ابنيّ آدم الدليل القاطع على عدم نبوّة آدم ورسالته استناداً إلى بعث الله سبحانه **الغراب** لتعليم القاتل كيف يدفن أخاه القتيل، بدلاً من **بعث** الله عزّ وجل جبريل **لآدم** لتعليمه كيف يدفن ابنه القتيل ويعاقب ابنه القاتل!!

** .. **

وبعد أن انتهينا من استعراض أدلة الذين يقولون بنبوّة آدم ورسالته استناداً إلى بعض الآيات القرآنية ننتقل بعد ذلك إلى استعراض أدلتهم من السُنّة النبوية.

(ب) أدلة الذين يقولون بنبوّة آدم ورسالته
استناداً إلى بعض الأحـاديث
المنسوبة للرسول الكريم ﷺ.

ـ حديـث أبي ذر الطويــل.
ـ حديث أبي سعيـد الخـدري.
ـ حديث أبي أُمـامـة الباهلي.

١ ـ حديث أبي ذرّ الطويل:

استند الذين يقولون بنبوّة آدم ورسالته إلى حديث أبي ذرّ الطويل الذي يفرّق بين الأنبياء والرُّسل، ويتحدّث عن عددهم، ويشير إلى أوّلهم آدم وعلى حديث الترمذي [أنا سيد ولد آدم] وعلى حديث أبي أمامة الباهلي [أن رجلاً قال يا رسول الله أنبيّاً كان آدم؟. قال: نعم].

أما ردُّنا على أدِلَّة مَن يرون نبوّة آدم من السنّة أو من أحاديث الرسول ﷺ، فنشير إلى ما ورد في شرح الآية [١٦٣] وما بعدها من سورة النساء من تفسير ابن كثير.

فقد قال ابن كثير: «قولُهُ: ﴿ وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ ﴾، وهذه تسمية الأنبياء الذين نصّ الله على أسمائهم في القرآن، وهم:

آدم ـ وإدريس ـ ونوح ـ وهود ـ وصالح ـ وإبراهيم ـ ولوط ـ وإسماعيل ـ وإسحاق ـ ويعقوب ـ ويوسف ـ وأيّوب ـ وشعيب ـ وموسى ـ وهارون ـ ويونس ـ وداود ـ وسليمان ـ وإلياس ـ واليَسَعَ ـ وزكريا ـ ويحيـى ـ وعيسى ـ وكذا ذُو

الكفل عند كثير من المفسّرين، وسيّدهم محمد ﷺ.

وقوله: ﴿وَرُسُلاً لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾ أي خلقاً آخرين لم يُذْكَرُوا في القرآن، والمشهور في ذلك حديث أبي ذَرٍّ الطويل، وذلك فيما رواه ابن مردويه رحمه الله في تفسيره، حيث قال:

«حدّثنا إبراهيم بن محمد، حدّثنا جعفر بن محمد بن الحسن، والحسين بن عبد الله بن يزيد، قالا: «حدّثنا إبراهيم بن هشام بن يحيٰى الغسّاني، قال: حدّثني أبي عن جدّي، عن أبي إدريس الخولاني، عن أبي ذرّ، قال:

«. . . قلت: يا رسول الله: كَمِ الأنبياء؟

قال: مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً.

قلت: يا رسول الله: كَمِ الرُّسُلُ منهم؟

قال: ثلاثمائة وثلاثة عشر، جمٌّ غفير.

قلت: يا رسول الله: مَن كان أوَّلُهُم؟

قال: آدم.

قلت: يا رسول الله: نبيٌّ مرسل؟

قال: نعم، خلقه الله بيده، ثُمَّ نفخ فيه من روحه، ثم سوّاه قبيلاً.

ثم قال: يا أبا ذرّ، أربعة سريانيون: آدم، وشيث، ونوح، وخنوخ، وهو إدريس، وهو أول مَن خطّ بالقلم. وأربعة من العرب: هود، وصالح، وشعيب، ونبيُّك يا أبا ذرّ. وأوَّل نبيٍّ من بني إسرائيل موسى، وآخرهم عيسى. وأوَّل النَّبِيِّينَ آدم، وآخرهم نبيُّك.

قلت: يا رسول الله: كم كتاباً أنزل الله؟

قال: مائة كتاب وأربعة كتب. أنزل الله على شيث خمسين صحيفة، وعلى خنوخ ثلاثين صحيفة، وعلى إبراهيم عشر صحائف، وأنزل على موسى

من قبل التوراة عشر صحائف والإنجيل، والزبور، والفرقان[1] .

ثم قال ابن كثير: وقد روى هذا الحديث بطوله الحافظ أبو حاتم بن حِبَّان البُستي في كتابه «الأنواع والتقاسيم» وقد وسَمه بالصحّة، وخالفه أبو الفرج ابن الجوزي، فذكر هذا الحديث في كتابه «الموضوعات»، واتَّهم به إبراهيم بن هشام هذا، ولا شكّ أنّه تكلّم فيه غير واحد من أئِمة الجرح والتعديل من أجل هذا الحديث.

وكان يكفي لبطلان الحديث أن يجعله ابن الجوزي في كتابه «الموضوعات»، ولكننا سنُلقي بعض الأضواء على راوي الحديث الآحادي إبراهيم بن هشام، فماذا يقول عنه الإمام الذهبي في كتابه [ميزان الاعتدال في نقد الرجال] المجلد الأول [ص ٧٢ - ٧٣]:

إبراهيم بن هشام بن يحيى الغساني عن أبيه ومعروف الخيّاط. وعنه ابنه أحمد، ويعقوب الفَسَوي، والغريابي، وابن قتيبة، والحسن بن سفيان، وطائفة. . . وهو صاحب حديث أبي ذرّ الطويل، انفرد به عن أبيه عن جَدِّهِ. قال الطبراني: لم يروِ هذا عن يحيى إلاّ ولده، وهم ثقات. . . وقال أبو حاتم: فأظنُّه لم يطلب العلم، وهو كذّاب. قال عبد الرحمن ابن أبي حاتم: فذكرت بعض هذا لعليّ بن الجنيد، فقال: صدق أبو حاتم، ينبغي ألاّ يحدّث عنه. وقال ابن الجوزي: قال أبو زرعة: كذّاب.

وفي لسان الميزان [جـ ١ ص ١١٢]: « . . . وقال تمام: حدّثنا محمد بن سليمان، حدّثنا محمد بن العيض، قال: أدركت من شيوخنا بدمشق من يزيغ بعليّ بن أبي طالب فذكر جماعة منهم، منهم إبراهيم هذا، فقال أبو العرب عن أبي الطاهر المقدسي قال: إبراهيم بن هشام بن يحيى الغسّاني، دمشقي

---

(١) تفسير ابن كثير جـ ٢ ص ٤٥٠ - ٤٥١ - دار الأندلس - بيروت.

ضعيف، وسيأتي في ترجمة يحيى بن سعيد القرشي قول الذهلي إن إبراهيم هذا متروك.

ثم قال ابن كثير: وقد رُوي هذا الحديث من وجه آخر عن صحابي آخر، فقال ابن أبي حاتم: حدَّثنا محمد بن عوف، حدَّثنا أبو المغيرة، حدَّثنا معان بن رفاعة عن علي بن يزيد عن القاسم، عن أبي أُمامة، قال: قلت: يا نبيَّ اللهِ، كَم الأنبياء؟ قال: مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً، من ذلك ثلاثمائة وخمسة عشر جمّاً غفيراً».

ثم قال ابن كثير: معان بن رفاعة السلامي، ضعيف، وعلي بن يزيد، ضعيف، والقاسم أبو عبد الرحمن ضعيف أيضاً.

وقال الحافظ أبو يعلى الموصلي: حدَّثنا أحمد بن إسحاق أبو عبد الله الجوهري البَصْرِيّ، حدَّثنا عليّ بن إبراهيم، حدَّثنا موسى بن عبيدة الربذي عن يزيد الرقاشي، عن أنس، قال: قال رسول الله ﷺ: «بَعَثَ الله ثمانية آلاف نبيّ، أربعة آلاف إلى بني إسرائيل، وأربعة آلاف إلى سائر الناس» وهذا أيضاً إسنادٌ ضعيف، فيه الربذي ضعيف، وشيخه الرقاشي أضعف منه.

وقال أبو يعلى: حدَّثنا أبو الربيع، حدَّثنا محمد بن ثابت العبدي، حدَّثنا معبد بن خالد الأنصاري عن يزيد الرقاشي، عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «كان فيمَن خلا من إخواني مِنَ الأنبياء، ثمانية آلاف نبيّ، ثُمَّ كان عيسى بن مريم، ثم كنت أنا».

وقال الحافظ أبو بكر البزار: حدَّثنا عمرو بن علي، حدَّثنا يحيى بن سعيد، حدّثنا مجالد عن الشعبي، عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «إنِّي لخاتم ألف نبيّ أو أكثر، وإنَّه ليس منهم نبيّ إلاَّ وقد أنذر قومه الدَّجَّال، وإنِّي قد بُيِّنَ لي ما لم يبيَّن لأحدٍ منهم، وإنَّه أعور، وإنَّ ربَّكم ليس بأعور» [تفسير ابن كثير جـ ٢ ص ٤٥٤].

* . * . *

وتعليقنا على هذه الأحاديث، وخاصّة حديث أبي ذرّ الطويل، نقول: إن حديث أبي ذرّ الطويل فيه أخطاء لا يمكن أن تُنسب إلى رسول الله ﷺ الذي قال عنه القرآن الكريم: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الهَوَى، إنْ هُوَ إلاَّ وَحْيٌ يُوحى ﴾[1].

أولاً: هذه الأحاديث يقول بعضها إنَّ عدد الأنبياء ١٢٤ ألف نبيّ، وبعضها يقول ثمانية آلاف نبيّ، منهم ٤٠٠٠ إلى بني إسرائيل و٤٠٠٠ إلى سائر الناس، ومنهم مَن يجعل العدد ٨٠٠٢ نبيّ، وحديث جابر ألف نبّي أو أكثر!

على كُلِّ حال، الَّذِي يهمّنا هو حديث أبي ذرّ الطويل، وهو يفرّق بين الأنبياء والرُّسل، ويثبت نُبُوَّة ورسالة آدم، ويتحدَّث عن جنسية أربعة من الأنبياء بأنَّهم سريان، وأربعة من العرب ليس فيهم أبو العرب إسماعيل عليه السلام، فهل نسي محمد ﷺ جدّه إسماعيل عليه السلام؟ وهل هناك شكّ في عروبته وهو أوّل مَن سكن مكة المكرّمة، وأجرى الله على يديه ماء زمزم؟ ويقول الحديث بأنَّ أوَّل أنبياء بني إسرائيل موسى وآخرهم عيسى، ومعنى ذلك أنَّ محمداً ﷺ قد نسي يوسف عليه السلام كما نسي إسماعيل، ومن المعلوم أنّ يوسف عليه السلام هو ابن يعقوب عليه السلام، ويعقوب هو إسرائيل، فيوسف أول أنبياء بني إسرائيل من بعد أبيه يعقوب وليس موسى، فهل يريدون إثبات نبوّة ورسالة آدم على حساب نبوّة ورسالة إسماعيل ويعقوب ويوسف عليهم السلام؟!.

وهل يعقل أن يسمّي محمد ﷺ إدريس خنوخ أو أخنوخ، بعد أن سمَّاه الله سبحانه في كتابه إدريس: ﴿ واذكر في الكتاب إدريس إنه كان صدِّيقاً نبياً ﴾[2] أليست هذه التسمية من التوراة؟

* . * . *

---

(١) النجم: ٣ ـ ٤.

(٢) مريم: ٥٦.

٢ ـ حديث أبي سعيد الخدري:

وكما استدلّ بعض العلماء على نبوّة آدم من حديث أبي ذرّ الموضوع، استدلّ البعض الآخر بالحديث الذي رواه الترمذي في سُننه، وهو برقم ٣٦١٥، ونصّه كما يلي:

حدّثنا ابن أبي عمر، حدّثنا سفيان، عن ابن جدعان، عن أبي نضرة، عن أبي سعيد، قال: قال رسول الله (ﷺ): «أنا سيّد ولد آدم يوم القيامة، وبيدي لواء الحمد ولا فخر، وما من نبيّ آدم فمَن سواه إلّا تحت لوائي، وأنا أول مَن تنشقّ عنه الأرض ولا فخر».

وقد وسَمَ الترمذي هذا الحديث بقوله: وهذا حديث حسن صحيح.

وتعليقنا على هذا الحديث يجب أن يكون واضحاً ومعلوماً لكل مسلم أن صحة أيّ حديث تتوقف على صحة سَنده بالإضافة إلى صحة متنه. وإذا نظرنا إلى إسناد هذا الحديث، نجد أن من رُواته ابن أبي عمر، فمَن هو هذا الراوي؟

جاء في كتاب تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني ـ الجزء التاسع [ص ٥١٨ ـ ٥٢٠]:

١ ـ ابن أبي عمر:

محمد بن يحيىٰ بن أبي عمر العدني، أبو عبد الله الحافظ، نزيل مكة، وقد ينسب إلى جدّه، روى عنه مسلم والترمذي وابن ماجه، وروى النسائي عن محمد بن حاتم بن نعيم الأزدي.. قال ابن أبي حاتم عن أبيه: كان رجلاً صالحاً، وكان به غفلة، ورأيت عنده حديثاً موضوعاً، حدّث به عن ابن عيينة، وكان صدوقاً، وقال البخاري: مات في ذي الحجة سنة ثلاث وأربعين ومائتين.. وقد روى البخاري له حديثاً في صحيحه تعليقاً.

٢ ـ سفيان:

والراوي الثاني هو سفيان، فمَن هو سفيان؟

جاء في تهذيب التهذيب - [الجزء الرابع، ص ١٠٧]:

سفيان بن حسين بن الحسن، أبو محمد، ويقال أبو الحسن الواسطي.

وقال يعقوب بن شيبة: صدوق، ثقة، وفي حديثه ضعف.

وقال النسائي: ليس به بأس إلاّ في الزهري.

وقال عثمان بن أبي شيبة: كان ثقة، إلاّ أنه كان مضطرباً في الحديث قليلاً.

وقال ابن سعد: ثقة، يخطىء في حديثه كثيراً.

٣ ـ ابن جدعـــان:

أما الراوي الثالث ابن جدعان، فقد جاء عنه في تهذيب التهذيب - [الجزء السابع ص ٣٢٢]:

علي بن زيد بن عبد الله بن أبي مُليكة زهير بن عبد الله بن جدعان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرّة التيمي، أبو الحسن البصري، أصله من مكة.

روى عن أنس بن مالك وسعيد بن المسيب. .والحمّادين . . والسفيانين، وسفيان بن حسين. . وآخرون.

قال ابن سعد: ولد وهو أعمى، وكان كثير الحديث وفيه ضعف، ولا يحتجّ به.

وقال صالح بن أحمد عن أبيه: ليس بالقويّ، وقد روى عنه الناس.

وقال عبد الله بن أحمد: سئل أبي: سمع الحسن من سُراقة؟ فقال: لا، هذا علي بن زيد يعني يرويه كأنه لم يقنع به.

وقال أحمد: ليس بشيء.

وقال عبد الله بن أحمد عن أبيه: ضعيف الحديث.

وقال عثمان الدارمي عن يحيى: ليس بذاك القويّ.

وقال ابن أبي خيثمة عن يحيى: ضعيف في كل شيء...

وقال الجوزجاني: واهي الحديث، ضعيف، وفيه ميل عن القصد، لا يحتجّ بحديثــه..

وقال الترمذي: صدوق، إلّا أنه ربما رفع الشيء الذي يوقفه غيره.

وقال النسائي: ضعيف.

وقال ابن خزيمة: لا أحتجّ به لسوء حفظه.

وقال أبو الوليد وغيره عن شعبة: حدّثنـا علـي بـن زيـد، وكان رفّاعاً.

وقال سليمان بن حرب عن حماد بن زيد: حدّثنا علي بن زيد، وكان يقلب الأحاديث، وفي رواية: كان يحدّثنا اليوم، ثم يحدّثنا غداً، فكأنّه ليس ذلك.

وقال ابن حبّان: يهم ويخطىء، فكثر ذلك منه، فاستحقّ الترك.

فكيف يصحّ الاحتجاج بحديث رواته قال فيهم رجال الجرح والتعديل هذا الكلام؟!

* .* .*

٣ ـ حديث أبي أمامة الباهلي:

أما ثالث الأحاديث التي يستند إليها الذين يقولون بنبوّة آدم فهو حديث أبي أمامة الباهلي الذي يقول: إن رجلاً قال: يا رسول الله: [أنبياً كان آدم؟ قال: نعم معلّم مكلّم].. وقد أشار إليه ابن كثير في تفسيره بقوله:

وقد روي هذا الحديث من وجه آخر عن صحابي آخر ـ يقصد بالحديث الأول ـ حديث أبي ذرّ الطويل ـ فقال ابن أبي حاتم:

حدَّثنا محمد بن عوف، حدَّثنا المغيرة، حدَّثنا معان بن رفاعة عن علي بن يزيد، عن القاسم، عن أبي أُمامة قال:

قلت يا نبيّ الله، كم الأنبياء؟

قال: «مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً، من ذلك ثلاثمائة وخمسة عشر جمًّاً غفيراً إلخ. ثم قال ابن كثير:

معان بن رفاعة السلامي: ضعيف.

وعلي بن يزيد، ضعيف.

القاسم بن عبد الرحمن، ضعيف أيضاً.

ونحن هنا نرى لزاماً علينا أن نُلقي مزيداً من الأضواء على رواة هذا الحديث، فمَن هم هؤلاء الرّواة؟

١ ـ معان بن رفاعة السلامي: أبو محمد الدمشقي ويقال الحمصي.

روى عن إبراهيم بن عبد الرحمن العذري وعبد الوهاب بن بخت وعطاء الخراساني وعلي بن يزيد الألهاني وغيرهم..

قال محمد بن عوف: لم يكن به بأس.

وقال علي بن المديني: ثقة.

وقال أبو حاتم: شيخ حمصي، يكتب حديثه ولا يحتجّ به.

وقال الدوري عن ابن معين: ضعيف.

وقال الجوزجاني: ليس بحجّة.

وقال ابن حبّان: منكر الحديث، يروي مراسيل كثيرة، ويحدِّث عن أقوام مجاهيل، لا يشبه حديثه حديث الأثبات، فلما صار الغالب في رواياته ما ينكره القلب، استحقّ ترك الاحتجاج به!

[تهذيب التهذيب لابن حجر: جـ ١ ص ٢٠١].

وجاء في تهذيب التهذيب لابن حجر عن الراوي الثاني، علي بن يزيد: [جـ ٧ ص ٣٩٦]:

٢ ـ علي بن يزيد، أبي هلال الإلهاني، ويقال الهلالي، أبو عبد الملك،

ويقال أبو الحسن الدمشقي. روى عن القاسم بن عبد الرحمن صاحب أبي أُمامة، نسخة كبيرة، وعن مكحول الشامي.

وروى عنه عبيد الله بن زحر، وعثمان بن أبي عاتكة، والوليد بن سليمان بن أبي السائب، ومعان بن رفاعة السلمي.. وآخرون.

قال حرب عن أحمد: هو دمشقي، كأنَّه ضعّفه.

وقال محمد بن عمر، قال يحيٰى بن معين: علي بن يزيد، عن القاسم، عن أبي أُمامة، ضعاف كلها.

وقال يعقوب: علي بن يزيد، واهي الحديث، كثير المنكرات.

وقال أبو زرعة: ليس بالقويّ.

وقال ابن أبي حاتم: سألت أبي عنه، فقال: ضعيف الحديث، أحاديثه منكرة.

وقال محمد بن إبراهيم الكناني الأصبهاني: قلت لأبي حاتم: ما تقول في أحاديث علي بن يزيد عن القاسم عن أبي أمامة؟

قال: ليست بالقوية، هي ضعاف.

وقال البخاري: منكر الحديث، ضعيف.

وقال النسائي: ليس بثقة، وقال في موضع آخر: متروك الحديث.

وقال أبو نعيم الأصبهاني: منكر الحديث.

وجاء في كتاب [الكشف الحثيث عمّن روي بوضع الحديث]، تأليف برهان الدين الحلبي - تحقيق وتعليق - صبحي السامرائي - نشر وزارة الأوقاف والشؤون الدينية - الجمهورية العراقية، [ص ٣٠٧]:

علي بن يزيد الإلهاني:

قال الدّارقطني: متروك، وفيه كلام غير ذلك.

وقال ابن حبّان: وإذا اجتمع في إسناد خبر عُبيد الله يعني ابن زحر، وعلي بن يزيد، والقاسم أبو عبد الرحمن، لم يكن ذلك إلّا مِمّا عملته أيديهم اهـ.

أما الراوي الثالث فقد جاء في تهذيب التهذيب:

٣ ـ **القاسم بن عبد الرحمن الشامي،** أبو عبد الرحمن الدمشقي، مولى آل أُبيّ بن حرب الأموي.

روى عن علي وابن مسعود وتميم الداري وعدي بن حاتم وعقبة بن عامر ومعاوية وأبي أيوب وأبي أُمامة. . وغيرهم. .

وقيل: لم يسمع من أحد من الصحابة إلّا من أبي أُمامة.

روى عنه علي بن يزيد الألهاني. . .

وقال ابن سعد: له حديث كثير، قال بعض الشاميين: إنه أدرك أربعين بدرياً.

وقال البخاري: سمع عليّاً وابن مسعود وأبا أُمامة. . وأما مَن يتكلم فيه مثل جعفر بن الزبير، وبشر بن نمير، وعلي بن يزيد، وغيرهم، ففي حديثهم عنه مناكير واضطراب.

وقال الأثرم: سمعت أحمد، حمل على القاسم، وقال: يروي عنه لعلي بن يزيد أعاجيب، وتكلم فيها، وقال: ما أرى هذا إلّا من قبل القاسم.

وقال جعفر بن محمد أبان الحرّاني: سمعت أحمد بن حنبل يقول: ما أرى البلاء إلّا من القاسم!

وفي التاريخ الكبير للبخاري الجزء السادس [ص ٣٠١] رقم ٢٤٧:

علي بن يزيد عبد الملك الألهاني الدمشقي: منكر الحديث عن القاسم بن عبد الرحمن.

[تهذيب التهذيب، جـ ٨ ص ٣٢٢].

جـ ـ استدلال الذين يقولون بنبوّة آدم
على خطاب الله سبحانه لآدم بدون واسطة:

وجوابنا على ذلك أن الجمهور لا يجعلون كل وحي نبوّة، كما يقول الإمام محمد رشيد رضا، ونشير أيضاً بأن الله خاطب إبليس أيضاً ﴿قال: ما منعك ألّا تسجد إذْ أمرتك﴾[1].

كما خاطب حوّاء أيضاً بقوله: ﴿وناداهما ربّهما: ألم أنْهَكما عن تِلكما الشجرة وأقل لكما إنّ الشيطان لكما عدوّ مبين﴾[2].

قال الشهيد سيّد قطب في تفسيره لهذه الآية:

«وسمعا (آدم وزوجه) هذا العتاب من ربِّهما على هذه المعصية، وعلى إغفال النصيحة.. أمّا كيف كان النداء، وكيف سمعاه، فهو كما خاطبهما أول مرّة، وكما خاطب الملائكة، وكما خاطب إبليس، كلها غيب لا ندري عنه إلاّ أنه وقع، وأنّ الله يفعل ما يشاء».

ومعنى ذلك أن استدلال بعضهم على نبوّة آدم، بأنّ الله خاطبه بلا واسطة، ليس دليلاً أكيداً على نبوّته، وإلاّ اضطررنا لإثبات النبوّة لحوّاء عليها السلام، بل ولإبليس، وهذا لا يقول به عاقل.

كما أوحى إلى (سارة) زوج إبراهيم، وأوحى إلى مريم ابنة عمران وإلى أمِّ موسى: ﴿ولقد مننّا عليك مرّةً أُخرى، إذ أوحينا إلى أُمِّك ما

---

(١) الأعراف: ١٢.

(٢) الأعراف: ٢٢.

يوحى ﴾[٣]، ﴿ وأوحينا إلى أُمِّ موسى أن أرضعيه ﴾[٤]، بل إنّ الله سبحانه أوحى إلى الحواريين أيضاً: ﴿ وإذْ أوحيتُ إلى الحواريين أن آمنوا بي وبرسولي ﴾[٥]، كما أوحى إلى السماء وإلى النحل: ﴿ وأوحى في كل سماء أمرها ﴾[٦]، ﴿ وأوحى ربُّك إلى النحل أنِ اتَّخِذني من الجبال بيوتاً ومن الشجر وممّا يَعْرِشُون ﴾[٦].

د ـ : حول استدلال بعض العلماء بنبوّة آدم على الزعم بوجود ثلاثة أنبياء قبل نوح وهم آدم، وشيث، وإدريس!!

وجوابنا على هذا الادّعاء بأن البعض ذكر إجماع المؤرّخين على أن إدريس كان سابقاً على نوح وأن نوحاً أبوه لمك، ولمك هو ابن متوشلخ، ومتوشلخ هو ابن أخنوخ، وهو إدريس عليه السلام!

ونحن نحترم جميع العلماء والأئمة والمجتهدين القدامى والمعاصرين ولا نقدِّسهم، ونحن نأخذ بالصالح من أقوالهم وآرائهم الصائبة، وليس هناك معصوم من هذه الأمة إلّا المعصوم ﷺ ونحن نؤمن بنبوّة ورسالة إدريس عليه السلام، ولكننا لا نقول بأنَّ إدريس كان قبل نوح، لأنّ القرآن الكريم لم يُشِر إلى ذلك، **ونحن نؤمن بإدريس عليه السلام ولا نؤمن بأخنوخ** الذي ورد في التوراة، ولا بأقوال المؤرّخين الذين نقلوا عن التوراة، بعد أن قال الله لخاتم أنبيائه في ختام قصّة نوح في سورة هود: ﴿ تلك من أنباء الغيب نُوحيها إليك، ما

---

(٣) طه : ٣٧ ـ ٣٨.

(٤) القصص : ٧ .

(٥) المائدة : ١١١.

(٦) فصلت : ١٢

(٧) النحل : ٦٨.

كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا، فاصبر إنَّ العاقبة للمتّقين ﴾، فكيف حجب هذا الأمر عن الرسول وعلم به المؤرّخون!!.

يقول الشهيد سيد قطب في تفسيره لسورة نوح:

«ونوح عليه السلام كان أول هؤلاء الرُّسل ـ بعد آدم عليه السلام ـ وآدم لا يذكر القرآن له رسالة بعد مجيئه إلى هذه الأرض، وممارسته لهذه الحياة، **ولعلّه كان معلّماً لأبنائه وحفدته**، حتى إذا طال عليهم الأمد بعد وفاته ضلُّوا عن عبادة الله الواحد، واتخذوا أصناماً آلهة.. فأرسل إليهم نوحاً ليردّهم إلى التوحيد، ويصحّح لهم تصوّرهم عن الله وعن الحياة والوجود.

والكتب المقدسة السابقة تجعل إدريس ـ عليه السلام ـ سابقاً لنوح. ولكن ما ورد في هذه الكتب **لا يدخل في تكوين عقيدة المسلم، لشُبهة التحريف والتزيُّد والإضافة إلى تلك الكتب**».

هـ ـ أدلّة الذين يقولون بنبوّة آدم بإجماع علماء المسلمين على هذه النبوّة:

استند الذين يقولون بنبوّة آدم على ما زعمه البغدادي في كتابه (أصول الدين) بأن المسلمين وأهل الكتاب قد أجمعوا على نبوّة آدم.

ويُحسن بنا أن نثبت ما كتبه فضيلة الشيخ محمود شلتوت في كتابه الإسلام عقيدة وشريعة تحت عنوان [الإجماع.. وثبوت العقيدة]، حيث قال:

«لا أكاد أعرف شيئاً اشْتُهِرَ بين الناس بأنَّه أصلٌ من أُصول التشريع في الإسلام، ثُمَّ تناولته الآراء واختلفت فيه المذاهب من جميع جهاته، كهذا الأصل الذي يُسَمُّونه «الإجماع»، فقد اختلفوا في حقيقته: فمنهم: مَن رأى أنَّه «اتفاق جميع المجتهدين من أُمَّة محمد ﷺ في عصر من العصور على حُكمٍ

شرعي»، ومنهم: «مَن رأى أنَّه اتفاق أكثر المجتهدين فحسب» ومنهم: مَن ذهب «إلى أنَّه اتفاق طائفة معيَّنة»، فلا يعدّ اتفاق غيرها إجماعاً. ثُمَّ اختلف هؤلاء في هذه الطائفة مَن هي؟ فقيل: (الصحابة) وقيل: (أهل المدينة)، وقيل: (أهل البيت) وقيل: (الشيخان: أبو بكر وعمر) وقيل: (الأئمّة الأربعة)إلخ.

واختلف الذين قالوا بالجميع: هل الإجماع بهذا المعنى ممكن متصوّر الوقوع، أو هو غير ممكن، لأنَّ الاجتهاد ليس له مقياس بارز متفق عليه بين العلماء، ولِأنَّ المجتهدين غير محصورين في بلد واحد أو إقليم واحد.

واختلف الذين قالوا بإمكانه وتصوُّر وقوعه: هل يمكن معرفته والاطِّلاع عليه أم لا؟ ومِمَّن رُوي عنه المنع الإمام أحمد رضي الله عنه، إذ يقول في إحدى روايتين عنه: مَن ادعَّى وجود الإجماع فهو كاذب.

واختلف الذين قالوا بإمكان معرفته والاطّلاع عليه: هل هو حُجَّة شرعية فيجب العمل به على كل مسلم أو ليس حجَّة شرعية فلا يجب العمل به؟

واختلف الذين قالوا: إنَّه حُجَّة شرعية: هل ثبتت حجِّيته بدليل قطعي يكفّر مُنكِره، أو بدليل ظَنِّي فَلا يُكَفَّر؟ وهل يشترط في وجوب العمل به أن يُنقل إلينا بالتواتر، أو يكفي أن يُنقل ولو بالآحاد؟ وهل يشترط أن يبلغ المجمعون عدد التواتر أو لا يشترط؟ وهل يشترط أن يصرِّح الجميع بالحكم مشافهةً أو كتابةً، أو لا يشترط؟ فيكفي تصريح بعضهم وسماع الباقين مع سكوتهم؟ إلخ.

وكما اختلفوا في حقيقته وفي حجِّيته، اختلفوا فيما يكون فيه من أحكام: فقال قوم: إنَّه حجّة في العلميات والعمليات جميعاً، وقال غيرهم: إنَّه حجّة في العمليات فقط. ومن ذلك كلّه يتبيّن أن حِجِّية الإجماع في ذاتها غير معلومة بدليل قطعي، فضلاً عن أن يكون الحكم الذي يثبت به معلوماً بدليل قطعي، فيكفَّر منكره.

شيوع حكاية الإجماع في المسائل الخلافية:

ولعلَّ اختلاف العلماء في الإجماع على هذا النحو يفسِّر لنا ظاهرة منتشرة في كتب القوم، وهي حكاية الإجماع في كثير من المسائل التي ثبت أنَّها محلّ خلاف بين العلماء وذلك من جهة أن كل مَن حكى الإجماع في مسألة هي محل خلاف قد بنى حكايته على ما يفهمه هو أو يفهمه إمامه أوِ الطائفة التي ينتمي إليها في معنى الإجماع وما يكفي لتحقُّقه.

وعلى الرغم من ظهور السَّبب في تلك الظاهرة، فقد تأثَّر بها كثير من المتأخِّرين، فخضعوا لها، وتوسَّعوا فيها تأييداً لآرائهم في المسائل الخلافية: فتجدهم في علم الفروع يحكون الإجماع على إلزام الطلاق الثلاث بكلمة واحدة، وعلى تحريم لحم الخيل، وعلى حلِّ أكل الضَّبِّ، وغير ذلك. وتجدهم في علم أُصول الأحكام، يحكون الإجماع على العمل بخبر الواحد، وعلى تقديم الإجماع على النصِّ عند التعارض، وعلى العمل بالقياس. وتجدهم في علم الكلام يحكون الإجماع على رُؤْية اللهِ بالأبصار، وعلى ظهور المهدي، والدَّجال، ونزول عيسى، وما إلى ذلك من المسائل العلمية والعملية التي ثبت فيها الخلاف، ولم تكن محل قطعٍ وإجماع.

ولقد كان في وسعهم أن يقيِّدوا ذلك بالإجماع الطائفي أو المذهبي، ولكنهم قصدوا أن يرسلوا كلمة الإجماع ليسجِّلوا على المخالف لوازمها الشائعة بين الناس: من مخالفة سبيل المؤمنين، ومشاقَّةِ اللهِ ورسوله، وخرق اتِّفاق الأُمَّة، إلى غير ذلك ممّا يتحرَّجه المسلم ويخشى أن يُعرف به عند العامّة. وكثيراً ما نراهم يردفون حكايتهم للإجماع بقولهم: (ولا عبرة بمخالفة الشيعة والخوارج) أو (بمخالفة المعتزلة والجهمية) ونحو ذلك ممّا يُخيفون به، وبهذا امتنع كثير من العلماء عن إبداء رأيهم في كثير من المسائل التي هي محل

خلاف، ضنّاً بسمعتهم الدينية، فوقف العلم، وحرمت العقول لذّة البحث، وحِيلَ بين الأمّة وما ينفعها في حياتها العملية والعلمية.

وفي مثل هؤلاء الذين يحكون الإجماع في مواضع الخلاف يقول ابن حزم: (ويكفي في فساد ذلك أنّا نجدهم يتركون في كثير من مسائلهم ما ذكروا أنّه إجماع، وإنما نحوا إلى تسميته إجماعاً عناداً منهم وشغباً عند اضطرار الحجّة والبراهين إلى ترك اختياراتهم الفاسدة)[1].

الإجماع عند المحقّقين:

وقد كشف جهابذة العلماء عن حقيقة الإجماع التي تسمو عن الخلاف، والتي هي حجّة ملزمة عند الجميع، قال الشافعي: «ولست أقول، ولا واحد من أهل العلم: هذا مجمع عليه، إلاّ لما لا تلقى عالماً أبداً إلاّ قاله لك، وحكاه عمّن قبله، كالظهر أربع ركعات، وكتحريم الخمر، وما أشبه هذا»[2].

وقال ابن حزم: (وصفة الإجماع هو ما تُيقّن أنّه لا خلاف فيه بين أحد من علماء الإسلام، ونعلم ذلك من حيث علمنا الأخبار التي لا يتخالج فيها شكّ، مثل أنّ المسلمين خرجوا من الحجاز، واليمن،وفتحوا العراق، وخراسان، ومصر، والشام، وأن بني أُميّة ملكوا دهراً طويلاً، ثم ملك بنو العباس، وأنّه كانت موقعة صفّين والحرّة، وسائر ذلك ممّا يعلم بيقين وضرورة)[3].

ولا يخفى أنّ معنى ما ذكره الشافعي وابن حزم أن الإجماع لا يكون إلاّ فيما هو معلوم من الدِّين بالضرورة، وفيما كان طريق العلم به هو التواتر الذي يفيد قطعية الورود وانتفاء الريب، فهذا هو الإجماع الذي تتمّ به الحُجّة ولا

---

(١) مراتب الإجماع.

(٢) رسالة الشافعي.

(٣) مراتب الإجماع.

يصحُّ أن يُخالف، ولا ريب أنَّ العمل في مثل هذا لا يكون عملاً بالإجماع من حيث هو إجماع، وإنَّما هو عمل بما تَلَقَّتْهُ الكافَّة عن الكافَّة، مما لا شُبهة في ثبوته عن صاحب الشرع، وأنَّ الإجماع فيه لم يكن إلَّا أثراً من آثار الثبوت على هذا الوجه، فلا يكون مصدراً له ولا أصلاً في ثبوته.

ومن هنا قرَّر العلماء أنَّ منكر حِجيّة الإجماع لا يُكَفَّر، في حين أنَّهم حكموا بالكفر على مَن أنكر المجمع عليه.

هذا وقد رأى الباحثون أنَّ الإجماع الذي كان يُرجع إليه ويجري على الألسنة في الصَّدر الأول حيث لا نصّ هو إجماع بمعنى آخر، غير هذا الإجماع الذي اصطلح عليه الأُصوليون، واشْتُهِرَ بين النَّاس أنّه حُجَّة شرعية، واعتمدت عليه عصور التقليد في سدِّ باب الاجتهاد، وعصور التعصُّب في الرمي بالتضليل والتفسيق والخروج عن سبيل المؤمنين[1]

ثم قال الشيخ محمود شلتوت: «نعود بعد هذا فنقول: إنَّ الذين ذهبوا إلى حجّية الإجماع لم يتَّفقوا على شيءٍ يحتجّ به فيه سوى الأحكام الشرعية العملية، أمَّا الحِسِّيَّات المستقبلة من أشراط الساعة وأُمور الآخرة، فقد قالوا: (إنَّ الإجماع عليها لا يعتبر من حيث هو إجماع لأنَّ المُجمِعين لا يعلمون الغيب، بل يعتبر من حيث هو منقول عمَّن يطلعه الله على الغيب، فهو راجع إلى الإخبارات، فيأخذ حكمها، وليس من الإجماع المخصوص بأُمَّة محمد ﷺ، لأنَّ الحسّي المستقبل لا مدخل للاجتهاد فيه، فإن ورد به نصّ فهو ثابت به ولا احتياج إلى الإجماع، وإن لم يرد به نصّ فلا مساغ للاجتهاد فيه)[2]، وعلى هذا تخضع جميع الأخبار التي تتحدَّث عن أشراط الساعة، ومن بينها نزول عيسى،

---

(١) يراجع ما كتبه صاحب تفسير المنار عند آية ﴿ يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأُولي الأمر منكم ﴾ من سورة النساء - الجزء الخامس.

(٢) التحرير.

إلى مبدأ القطعية والظَّنِّية في الورود والدلالة، وقد سلف ذلك في موضوع (السُّنَّة وثبوت العقيدة)».

إجماع الأصوليين:

ثم تحدَّث الشيخ محمود شلتوت في الباب الرابع من كتابه (الإسلام عقيدة وشريعة) عن إجماع الأصوليين، فقال:

«أمَّا الإجماع الذي يصوّر بأنه: اتّفاق جميع الأُمَّة، مجتهديها، خاصِّها وعامِّها، فليس هو الإجماع الذي يعتبر مصدراً من مصادر التشريع، وإنَّما هو إجماع على العلم بما أجمعت الأُمَّة عليه، لثبوته بالتشريع المقطوع به، الذي ليس محلاً للنظر والاجتهاد، والذي يجب أن يستوي في العلم به جميع المسلمين، ولا يصحُّ لمسلم أن يجهله. وهذا شيءٌ آخر غير الإجماع الذي يعرفه الإسلام مصدراً للتشريع بعد القرآن والسُّنَّة»[1].

---

(١) الإسلام عقيدة وشريعة: ص ٥٤٤.

الفصـــل السابــع

أدلـة الذين لم يقتنعوا بنبوة آدم ورسالتــه. . . .
نظراً لإيمانهم بأولية هذه النبوّة والرسالـة:
لنـوح عليه السلام . . لا لآدم أبي البشـــر!

١ ــ تمهيــد: ماذا كان بين آدم ونوح عليهما السلام من أجيال وقرون؟

٢ ــ الأدلَّة القرآنية القطعية على نبوّة ورسالة الأنبياء:

من نوح عليه السلام. . إلى محمد عليه الصلاة والسلام

٣ ــ من هــو النبـــيّ الأول؟

٤ ــ عرض لأقوال العلماء والمفسرين القدامى والمعاصرين في أولية نبوّة نوح ورسالته في شرحهم لآية النساء : ١٦٣ .

٥ ــ دلائل وإشارات على أوليـة نبوّة نـوح ورسـالتـه كمـا جـاءت في سـورة المؤمنون. . . والأعــراف.

٦ ــ آراء العلماء والمفسرين المؤكدة لأولية نبوّة نوح ورسالته في شرحهم للآية ٥٩ من سورة الأعــراف.

٧ــ أقوال العلماء والمفسرين بأولية نبوّة نوح ورسالته في شرحهم لبعض الآيات القرآنيــة:

١ ــ الإمام ابن كثير وتفسيره لآية البقرة : ٢١٣.

٢ ــ الإمام محمد مصطفى المراغي وتفسيره لآية الحديد : ٢٦.

٣ ــ الشهيـد سيد قطب وتفسيـره لســورة نوح.

٨ــ التناقض والاضطراب في أقوال بعض العلماء والمفسرين حول أولية نبوّة نوح ورسالته. . وأولية نبوّة آدم ورسالته.

٩ ــ أولية نبوّة نوح ورسالته من السنّة النبوية الصحيحة.

ــ تراجم رواة أحاديث الشفاعـة.

تمهيـــد:

ماذا كان بين آدم ونــوح عليهما الســلام من أجيــال وقــــرون؟

رأي العلّامـة الأستاذ البهي الخولي:

كتب الأستاذ البهيّ الخولي، الكـاتب الإسلامي المعـروف، مؤلف كتاب [تذكرة الـدعاة] و[المـرأة بين البيت والمجتمع] و[الإسـلام لا شيوعيـة ولا رأسمالية ـ العمل والعمال]، عـدة مقالات في مجلة المسلمون القاهـرية في أوائـل الخمسينات عن آدم عليـه السلام، ثم نشـرت هذه المقـالات في كتاب بعنوان: [آدم عليه السلام. . فلسفة تقويم الإنسان وخـلافته]، ويقـع الكتاب في ١٩٠ صفحـة، دون أن يتحـدث الكـاتب عن آدم عليـه الســلام بـوصف النبوة والرسالة،

بعد ذلــك بدأ بكتابة قصـة نوح عليـه السلام، نشـرت الحلقة الأولى من قصـة نوح في العـدد السادس ـ السنـة الثـانيـة ص ٥٢٧ ـ شعبـان ١٣٧٢ هـ ـ أبـريل ١٩٥٣، والحلقـة الثانيـة في العدد السـابـع رمضـان ١٣٧٢ هـ ـ مـايـو ١٩٥٣، ثم حالت ظروف قـاهرة دون إتمـام الكتابـة في قصص القرآن إلى أن توفي رحمه الله. وقـد رأينا أن نقتـطف بعض ما جـاء في هاتين الحلقتين مِمَّـا لـه صلّة بموضـوع **آدم عليه السـلام وقصّـة ابني آدم. . ونـوح عليـه السـلام** أول رسل الله إلى أهل الأرض. .

فقد جاء في الحلقة الأولى تحت عنوان [تمهيـــد]:

ماذا كان بين آدم ونوح عليهما السلام من أجيالٍ وقرون؟

لا يعلم ذلـك إلَّا الله سبحانـه. . ولكنَّها على كـلِّ حـال مـدَّة كـافيـة لأن يتطوّر الإنسان خـلالها، وينتقـل من حال البـدائية الفـردية إلى حـال المجتمع المستقرّ، المتميِّز بكل خصائص القومية الأصيلة. . فـإنَّ أبناء آدم درجـوا على هـذه الأرض ومـارسـوا فيهـا - بـالتـدريـج - ضـروب كسب العيش. . وشَعَـرَ أفرادهم - مَعَ الزمن وتعــدُّدِ الاحتياجات - بعجز كلٍّ منهم - منفرداً - عن الوفاء بكـل ما يحتـاج إليه، وأحسَّ مـع هـذا العجـز بحـاجتـه إلى أخيـه، وضـرورة التعاون معه. . فأخذوا يجتمعون ويخرجون من حال البداءة الفرديـة إلى حالـة التعاون الجماعي المعهود في كلٍّ مجتمع مستقـر. . . .

ولسنـا نعني بـالفـرديـة البـدائيـة لـونـاً من همجيـة الـوحش في القيعــان والأجمــات، بــل نعني تلك الحــالــة الـتي كــان فـيهــا الإنـســان قليــل «الاحتيــاجـات» ، **ولم يكن لأحــدٍ عليــه من سلطان إلا سلطان وجـدانـه الخاص، إذْ لا حكومـة تضبط سلوكه، ولا جمـاعة تـنـظِّم له حُـرِّيَّته في نـطاق خاص**. . أمَّا طور الجماعة فهو طور الاحتياجات الكثيرة، والتعـاون المتبادل، والحيـاة المتشابكـة، وفيها يغـدو المرء محكـوماً بسلطان جـديـد - إلى جـانب سلطان وجـدانـه الخـاص - **هـو سلطان الجمـاعـة** الـذي يضـطره إلى كبـح جماحـه، وضبط كثيرٍ من ميوله، وتنسيق مصالحه مع مصالح غيـره. . . .

ولقـد قـصّ القرآن نَبَأَ ابني آدم بالحقِّ. . . وفي هـذا النبـأ نلمـح تقلُّب الإنسان في طور البدائية الفردية ، فقد تنافس هـذان الابنان - هـابيـل وقـابيل - أمراً مرغوباً فيـه من كلٍّ منهمـا، فقرّبـا قربـانـاً فَتُقُبِّـلَ من هابيـل ولم يُتَقَبَّلْ من قـابيل، فقـال: ﴿لأقتلنَّك﴾، فـأجاب هـابيل: ﴿إنَّمـا يتقبَّـلُ الله مِنَ المتَّقين . .

لئن بسطتَ إليَّ يَدَكَ لتقتلني ما أنا بباسطٍ يَدِيَ إليكَ لأقتلك، إنِّي أخافُ الله ربَّ العالمين﴾، ولكن قابيل لم يتأثَّر بهذا النهج السلمي السامي، ولم يُطِق أن يُحال بينه وبين ما يشتهي، ﴿فَطوَّعت له نَفْسُه قَتْل أخيه فقتله﴾ الخ . . .

أيـن وازع الحكومـة؟

أيـن سلطـان الجماعـة؟

لا حكـومة في هـذا الطور، ولا سلطان يهيمن على المرء غير سلطان وجدانه الخاص. . .

والمعروف أنَّ هبوط آدم إلى الأرض كان بدء حياة العقيدة الصالحة فيها، وظهور آثار الوجدان المهذّب، أمَّا الخِبرة بالحياة، والدِرْبة على شؤونها، والصيرورة إلى الخصائص النفسية والواقعية لكلِّ مجتمع مستقر، **فذلك ما لا بدَّ له من التجارب الطويلة والدهور الممتدة المتعاقبة.**

ولسنا بصدد التحليل الديني لقصة ابني آدم عليه السلام، **بل بصدد استخراج بعض ما فيها من سمات الحياة البدائية الساذجة، وقوله تعالى: ﴿فَبَعَثَ اللهُ غُراباً يبحث في الأرض لِيُرِيَهُ كيف يواري سوأة أخيه. . . .﴾** الآية ، **واضح الدلالة على تلك البدائية**: بدائية التجارب، وبدائية التفكير في المعاني الاجتماعية.

ثم قال :

فإذا نقلتَ النظر إلى قصة نوح عليه السلام، لا تجد البدائية الواضحة، ولا الفردية المستعلنة،بل تجد المجتمع المستكمل لكل صفات الجماعة المستقرة. . .

ونعني بالمجتمع الفريق من الناس الذي استقرَّ في بقعة من الأرض كبيرة أو صغيرة. . . وربطت بينهم أواصر النسب القريبة أو البعيدة. .

ونظمتهم قوانين البيئة والوراثة القومية في مشابه نفسية عامَّة متجانسة . .
وواشجت بينهم المصالح المختلفة ووحدة الهدف العام . . وسلكتهم فطرة
المجتمع بحسب حِرَفِهم وصناعاتهم طوائف متعاونة . . وتَألَّف منهم على
الزمن **خاصّة وعامّة . . وقادة وشعب . . .**

والمتأمِّل في قِصَّة نوحٍ عليه السلام يرى **أن الله سبحانه قد بثّ في
ثناياها خصائص المجتمع الذي نعنيه :**

فنوح عليه السلام من هؤلاء القوم . . . . وهم منه، عشيرته الأقربون
والأبعدون، وهو يوجه اليهم الخطاب ـ فيما يحكيه القرآن الكريم عنه ـ
بقوله : ﴿أَوَ عَجِبْتُم أن جاءكم ذِكْرٌ من ربِّكم **على رجل منكم**
لِيُنْذِرَكُم . . . .﴾ الآية . . . .

والإشارة إلى تفرُّقهم طوائفَ متفاوتة بحسب ما لكلٍّ من حرفة أو صناعة
أو عمل، تراها في مثل قوله تعالى ـ حكاية عنهم وهم يجادلون نبيَّهم : ﴿وما
نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إلَّا الذين هم أراذِلُنَا بادي الرأي﴾ [هود : ٢٧]، فالمراد
بالأراذل ـ في زعمهم ـ كما يقول المفسرون، هم الفقراء والباعة الصغار،
والحاكة، وسائر أرباب الحرف الصغيرة .

والإشارة إلى انتظامهم **عامّة وخاصّة . . . . أو شعباً وقادة**،تلوح لك في
مثل قول نوح عليه السلام : ﴿ربِّ إنَّهم عَصَوْني، واتَّبَعُوا من لم يَزِدْهُ مالُهُ
وولَدُهُ إلَّا خساراً﴾، ففي هذا القول **تابعون ومتبوعون . .** .والمتبوعون هم
من أرباب الثروة والجاه . . . .

**** . . ** . . ****

ثُمَّ قال :

**وعلى هذا فقصَّة نوح عليه السلام، هي قِصَّة المجتمع الأول، أو
أول مجتمع يجعل الله سبحانه أمره موضعاً للعظة والاعتبار .**

وقد قال فريق من العلماء: إنَّ إدريس عليه السلام كانَ قبل نوح، ولكِنَّ آخرين ردُّوا هذا القول وعارضوه بأدِلَّةٍ لا ضرورة لذكرها.

وليس من قصدنا في هذا المقام ترجيح أحد القولين على الآخر، بل بيان ما لهذا القول من معارضة... **وعلى فرض صحَّة الرأي القائل بسبق إدريس لنوح عليه السلام فإنه لا يبطل ما قلناه من أنّ قصّة نوح هي قصَّة المجتمع الأول أو أول مجتمع ضربه الله سبحانه مثلاً للعظة والاعتبار،** فإن كل ما جاء في القرآن الكريم عن إدريس لا يعدو أن يكونَ ثناءً طيِّباً جمعه الله جلَّ ثناؤه في قوله الكريم: ﴿واذْكُرْ في الكتابِ إدريس، إنَّه كانَ صِدِّيقاً نبيّاً، ورفعناه مكاناً عليّاً﴾ [مريم: ٥٧]، أمَّا **قومه وما كان بينهم وبينه من تجاوب أو معارضة فلم يرد عنه شيء.**

فإذا كانت قصَّة آدم هي قِصّة تكوين البشر الأول، ومبدأ تقلّبه في المعصية والرشد، فِقِصَّة نوح عليه السلام هي قِصَّة المجتمع الأول ـ وقصة كل مجتمع ـ **وما له من تقلّب في الغواية والرشد..**

....**

وقال البهي الخولي في الحلقة الثانية **من** قصة نوح عليه السلام:

قِدَم عبادة الأوثان:

وعبادة التماثيل ظاهرة دينية قديمة، لازمت الناس في كثير من البيئات على تعاقب الدهور، ولا يزال لها إلى اليوم طقوس وشعائر تؤدَّى في بعض جهات الأرض.

ولا يستطيع باحث أن يحدِّد لنا على سبيل اليقين متى وأين بدأت عبادة التماثيل. ولكنّا نستطيع أن نقول: **إنها بدأت في عمران مستقرّ ذي حضارة،**

يـزدهـر فيهـا فنّ النّحت والتصـويـر، ويغلب على حياة أهلهـا الخضـوع لمقتضيات فطـرة التديُّن.

وازدهار فَنَّي النَّحْتِ والتصوير، لا تبلغه الإنسـانية إلّا بعـد أن تكون قـد قـطعت من عمرهـا أزماناً متطاولـة، ومـرّت في مـدارج تجـاربهـا بمـراحـل بطيئة.. متعاقبـة، وهذا ما يدعونا إلى القول بأنَّ عبادة التماثيل نشأت بعد آدم بـدهور **طويلة لا يعلمها إلا الله، وأن بيـن آدم ونـوح عليهما السـلام من الأزمنـة البعيدة أكثر مما جاء في التوراة، ونقله عنهـا بعض المسلمين، مِمَّـا لم يتـأيّـد بنصٍّ من كتـاب الله سبحـانـه، أو سُنَّةٍ صحيحـة عن رسـول الله** ﷺ... وإذا كـان قوم نـوح يقولـون له في التـوحيد الـذي يدعـوهم إليـه(*)، ﴿مـا سمعنا بهـذا في آبـائِنـا الأولين﴾ فمعنـاه أنَّهم لم يبتـدعـوا تلك الـوثنيـة ابتداعاً، بل ورثوها عن آبائهم الأولين منذ أجيالٍ مـوغلة في القدم.. **أجيـال تتّسع بها الشُّقَّة الزمنية بين آدم ونوح إلى أكثر مما تصـوَّره كاتب التـوراة عن ظنٍّ ضيِّقٍ وتخمين سـاذج...** فإنـه قَـدَّر مـا بين خلق آدم وولادة نـوح بـألفٍ سنة وخمسين عاماً.. وهي مدَّة لا تكفي لقيـام حضارة مستقـرة يزدهـر فيها فنّ النحت ليؤدي بفـطرة التـديُّن بعض مـا يقـرّ بـه أصحـابهـا من المـطالب... فكيف والقـوم قـد عـرفـوا التمـاثيـل وعبـدوها قبـل ولادة نـوحٍ بـأجيـال كثيـرة؟....

(*) ليس فقط عن التـوحيد بـل عن نُبُوَّة نـوح عليه السـلام ورسالتـه: ﴿فقال المَـلأُ الـذين كفروا من قومـه: ما هـذا إلَّا بشر مثلكم يـريد أن يتفضّـل عليكم، ولو شـاء الله لأنزل مـلائكـة، مـا سمعنـا بهـذا في آبـائنـا الأولين﴾ [المؤمنـون :٢٤] ، أي مـا سمعنـا بـإرسال نبيٍّ ورسـول من البشـر.... ولـو كـان سبقـه بـالنبوة والـرسـالـة آدم وشيث وإدريس، لبيَّن لهم نوح عليه السلام!.. [**المؤلـف**].

الأدلــة القرآنيـة القطعيــة

على نبوّة ورسالة الأنبياء عليهم السلام
من نــوح عليه السلام. . إلى محمد ﷺ

﴿ إنّا أوحينا إليك كما أوحينا إلى
نوح والنبيين من بعده﴾ .
[النساء : ١٦٣].

١ ـ نوح عليه السلام:

﴿لقد أرسلنا نوحاً إلى قومه﴾ [الأعراف: ٥٩].

٢ ـ هود عليه السلام: ﴿ وإلى عاد أخاهم هوداً﴾ [الأعراف : ٦٥].

٣ ـ صالح عليه السلام:

﴿ وإلى ثمود أخاهم صالحاً﴾ [الأعراف : ٦٣].

٤ ـ إبراهيم عليه السلام:

﴿ واذكر في الكتاب إبراهيم إنّه كان صدّيقاً نبيّاً﴾ [مريم: ٤١].

٥ ـ لوط عليه السلام: ﴿ ولوطاً إذ قال لقومه : أتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين﴾ [الأعراف: ٨٠].

﴿وإن لوطاً لمن المرسلين﴾ [الصّافات: ١٣٣].

٦ ـ **إسماعيل عليه السلام:** ﴿واذكر في الكتاب **إسماعيل**، إنَّه كان صادق الوعد، وكان **رسولاً نبيًّا**﴾ [مريم: ٥٤].

٧ ـ ٨ **إسحاق ويعقوب عليهما السلام:**

﴿ووهبنا له **إسحاق ويعقوب، وكلًّا جعلنا نبيًّا**﴾ [مريم : ٤٩].

٩ ـ **يوسف عليه السلام:** ﴿ولقد جاءكم **يوسف** من قبل بالبيِّنات، فما زلتم في شكٍّ مما جاءكم به، حتى إذا هلك قلتم: لن يبعث الله من بعده رسولاً﴾ [غافر : ٣٤].

١٠ ـ **شعيب عليه السلام:** ﴿وإلى مدين أخاهم **شعيباً**﴾
[الأعراف :٨٥].

١١ ـ و١٢ ـ **موسى وهارون عليهما السلام:** ﴿واذكر في الكتاب **موسى**، إنّه كان **مخلصاً**، وكان **رسولاً نبيّاً**، وناديناه من جانب الطور الأيمن وقرّبناه نجيّاً، ووهبنا له من رحمتنا، أخاه **هارون نبياً**﴾.
[مريم: ٥١ ـ ٥٤].

١٣ ـ **إدريس عليه السلام:** ﴿ واذكر في الكتاب **إدريس**، إنّه كان صدِّيقاً نبيّاً، ورفعناه مكاناً عليّاً﴾ . [مريم : ٥٦ ـ ٥٧].

١٤ ـ **ذو الكفل عليه السلام:** ﴿وإسماعيل وإدريس **وذا الكفل**، كل من الصابرين﴾ [الأنبياء : ٨٥].

١٥ ـ **اليسع عليه السلام:** ﴿واذكر إسماعيل **واليسع** وذا الكفل، وكل من الأخيار﴾ [سورة ص : ٤٨].

١٦ ـ **أيوب عليه السلام:** ﴿واذكر عبدنا **أيوب** إذ نادى ربَّه أنِّي مسّنيَ الشيطان بنصب وعذاب. اركض برجلك، هذا مغتسل بارد وشراب، ووهبنا له أهله ومثلهم معهم رحمةً مِنّا وذكرى لأولي الألباب، وخذ بيدك ضغثاً فاضرب به ولا تحنث **إنّا وجدناه صابراً، نعم العبد إنّه أوّاب**﴾
[سورة ص : ٤١ ـ ٤٤].

١٧ ــ **داود عليه السلام:** ﴿ اصبر على ما يقولون، واذكر **عبدنا داود ذا الأيد، إنَّه أوّاب**، إنّا سخّرنا الجبال معه يسبِّحن بالعشيِّ والإشراق، والطير محشورةً كلّ له أوّاب، وشددنا ملكه، **وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب**﴾ [سورة ص : ١٧ ـ ٢٠].

﴿ وآتينا **داود** زبوراً ﴾ [النساء: ١٦٣].

١٨ ــ **سليمان عليه السلام:**

﴿ووهبنا لداود سليمان، نعم العبد،إنه **أوّاب**﴾ **[سورة ص : ٣٠]**.

﴿ **وداود وسليمان إذ يحكمان في الحرث، إذ نفشت فيه غنم القوم، وكنّا لحكمهم شاهدين، ففهّمناها سليمان، وكلًّا آتينا حكماً وعلماً**﴾ [**الأنبياء**: ٧٨ ـ ٧٩].

١٩ ــ **يونس عليه السلام:**

﴿وإن **يونس** لمن المرسلين﴾ [الصافات : ١٣٩].

٢٠ ــ **الياس عليه السلام:**

﴿وإن **الياس** لمن المرسلين﴾ [الصافات : ١٢٣].

٢١ ــ ٢٢ ــ **زكريا ويحيى عليهما السلام:** ﴿**يا زكريا إنّا نبشرك بغلام** اسمه **يحيى**، لم نجعل له من قبل سمياً﴾ [مريم : ٧].

﴿يا**يحيى** خذ الكتاب بقوّة، وآتيناه الحكم صبيّاً﴾ [مريم: ١٢].

٢٣ ــ **عيسى عليه السلام:** ﴿قال إنِّي عبد الله، آتاني الكتاب، وجعلني نبياً، وجعلني مباركاً أينما كنت، وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيّاً﴾ [مريم: ٣٠ ـ ٣١]. ﴿**ورسولاً** إلى بني إسرائيل﴾ [آل عمران: ٤٩].

٢٤ ــ **محمد** ﷺ : ﴿ يّس والقرآن الحكيم، **إنّك لمن المرسلين على صراط مستقيم**﴾ [يّس: ١ ـ ٤].

﴿ما كان محمد أبا أحد من رجالكم، **ولكن رسول الله وخاتم النبيين**، وكان الله بكل شيء عليماً﴾ [الأحزاب: ٤٠].

مــن هــو النبيّ الأول؟

لقــد تحــدّث القــرآن الكــريم عن خاتم النّبيّين،فقــال في[ســورة الأحـزاب : ٤٠]: ﴿ما كـان محمدٌ أبـا أحدٍ من رجـالكم، ولكن رسـول الله **وخـاتم النَّبيِّين**، وكـان الله بكـلِّ شيءٍ عليمـاً﴾، فَمَنِ ادَّعى النُّبُـوَّة أو الرسالة بعد محمد عليه السـلام فهو كـاذب، ومن اعْتَقَدَ بـالنُّبُوَّة والـرسالـة لبشر بعد محمد **فهو كافر مرتدّ، لأنَّهخالف صريح القرآن**.

وإذا كـان القرآن الكـريم قد نصّ على **خـاتم النَّبيِّين،فهل أغفـل القرآن الكريم النَّصّ على أوَّل النَّبيِّين؟**

ـ من هو النَّبيُّ الأوَّل الذي أرسله الله لهداية قومــه؟

ـ هل هو آدم عليه السلام، كما يقول بعض العلمــاء؟

ـ أم هو إدريس ـ أو خنوخ أو أخنوخ ـ كما يدّعي البعض الآخر؟

ـ أم هو نوح عليه السلام، كمـا يرى جمهـرة من علماء التفسيـر القدامى والمعاصرين؟

القـرآن الكـريم **نصَّ على الـرسـول الأول في** عــدَّة آيات من القــرآن الكـريم، ونصَّ على أن الوحي بـالنبوة والـرسالـة **ابتدأ بنـوح عليـه السـلام، وانتهى بمحمد عليه الصلاة والسلام**:

﴿إنّــا أوحينــا إليــك كمــا أوحينــا إلى نــوحٍ والنَّبيِّين مـن بعــده﴾ [النساء : ١٦٣].

ولو كان آدم نبيًّا لكان نصّ الآية: [إنّا أوحينا إليك كما أوحينا **إلى آدم** والنَّبيِّين من بعده]، ومعنى ذلك أنَّ القرآن الكريم أثْبَتَ **أنَّ نوحاً عليه السلام هو أوَّل نبيٍّ ورسول**، وليس آدم، ونفى وجود رسل أو أنبياء قبله، **بل أثبت الوحي إليه وإلى النَّبِيِّين من بعده**، وَسَكَتَ عن قبل نوح كما سكت القرآن الكريم عن إباحة زواج أهل الكتاب من المحصنات المؤمنات، بعد أن أباح للمؤمنين الزواج من المحصنات المؤمنات والمحصنات من أهل الكتاب، واشترط العفيفات دون المتَّخِذاتِ أخْدَان مع اشتراط المهر، ففي سورة المائدة الآية: ٤ : ﴿ اليوم أُحِلَّ لَكُمُ الطيِّبات، **وطعام الذين أُوتوا الكتاب حلّ لكم** وطعامكم حلّ لهم، والمحصنات من المؤمنات، **والمحصنات من الذين أُوتوا الكتاب من قبلكم إذا** آتيتموهن أُجورهن، محصنين غير مسافحين ولا متّخذي أخدان، ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله وهو في الآخرة من الخاسرين﴾.

فمن يستطيع الزعم بأنَّ الله أباح لأهل الكتاب الزواج من المحصنات المؤمنات؟.

والقرآن الكريم استعمل كلمة من **قبل** ومن **بعد**، للدلالة على أنَّ الأمر يشمل **قبله** كما يشمل **بعده**.

ففي سورة الروم:

﴿ألم * غُلِبَتِ الرُّوم * في أدنى الأرض، وهم من بعد غلبهم سيغلبون * في بضع سنين، لله **الأمر من قبل ومن بعد**، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله، ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم﴾.

وفي سورة [الأعراف: ١٢٩] يشير سبحانه إلى خطاب بني إسرائيل لموسى:

﴿قالوا أُوذينا من قبل أن تأْتِيَنَا، ومن بَعْدِ ما جئتنا﴾.

وفي سـورة[النـور: ٥٨] يحـدِّد المـولى عـزّ وجـل مـواقيت الاستئـذان داخــل البيوت:

﴿يا أيُّها الَّـذِين آمنوا لِيَسْتَـئْـذِنْكُمُ الَّذِين ملكت أيْمـانُكُمْ والَّذِين لم يَبْلُغُـوا الحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ: مِّن **قَبْلِ صَلاَة الفَجْرِ**، وحين تَضَعُونَ ثِيَـابَكُمْ مِّنَ الـظَّهِيرةِ، **ومِن بَعْـدِ صــلاة العِشَـاءِ**، ثَلاَثُ عَـوْراتٍ لَّكُمْ، لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلاَ عليهم جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ، طَـوَّافُونَ عليكم بَعْضُكُم عَلَى بَعْضٍ، كـذَلِك يبيِّنُ الله لَكُمُ الآياتِ، والله عليمٌ حكيم﴾.

وحين تحدَّثت آيات القـرآن الكريم عن **قَبْـل**، قُصِدَ بهـا **من قبل**، دون **من بعـد**: ﴿كـذَّبت **قبلهم** قـومُ نـوح وعـادٌ وفـرعـونُ ذو الأوتـاد * وثمــودُ وأصحابُ الأيْكة، أُولئـك الأحزاب * إنْ كُـلٌّ إلاَّ كذّب الـرُّسل فحقَّ عقـاب﴾ [سـورة ص : ١٢ ـ ١٤]، كما أشـار القـرآن الكـريم إلى ادِّعـاء اليهـود بـأنَّ إبـراهيم كان يهـودياً، وإلى ادِّعـاء النصارى بـأنَّ إبراهيم كـان نصـرانيـاً، فـردَّ عليهم القرآن الكريم: ﴿ما كانَ إبراهيم يهودياً ولا نصرانيـاً، ولكن كان حنيفـاً مسلماً، وما كـان من المشركين﴾،[1] ثُمَّ دلَّـل على استحالـة أن يكون إبـراهيم كمـا ادَّعى اليهود والنصـارى، لأنَّ التوراة والإنجيـل **نزلتـا بعد إبـراهيم**: ﴿يا أهْـلَ الكتاب لِمَ تُحَـاجُّونَ في إبـراهيم، وما أُنْـزِلَتِ التوراة والإنجيـل **إلاّ من بعده**، أفلا تعقلون﴾؟ [2]

وحينمـا تحدَّثت آيـات القرآن عن التـوبة والمغفـرة، اشتـرطت أن يتـوبَ العبـدُ من المعصيـة حتَّى يتـوب الله عليـه ويغفـر لـه: ﴿فمن تـاب **من بعـد ظلمه وأصلح** فإنَّ الله يتـوب عليه إنَّ الله غفـور رحيم﴾ [المائـدة: ٣٩] ﴿ثُمَّ إنَّ ربَّك للذين عَمِلوا السُّوءَ بجهـالة، ثم تـابوا **من بعـد ذلك وأصلحـوا** إنَّ ربَّك **مِن بعدها** لغفورٌ رحيم﴾ [النحل : ١٩].

---

(١) آل عمــران : ٦٧ . (٢) آل عمــران : ٦٦ .

٢ ـ وشريعة الله ودينه بدآ بنوح عليه السلام، وانتهيا بمحمد ﷺ:
﴿شَرَعَ لكم من الدِّين ما وصَّى به نوحاً والذي أوحينا إليك، وما وصّينا به إبراهيم وموسى وعيسى: أن أقيموا الدِّينَ ولا تتفرَّقوا فيه، كَبُرَ على المشركين ما تدعوهم إليه، اللهُ يجتبي إليه من يشاء، ويهدي إليه من يُنيب﴾
[الشورى : ١٣].

٣ ـ والنُّبُوَّة والرسالة بدأت بذرِّية آدم، وليس بآدم، ففي سورة [الأعراف : ٣٥ ـ ٣٦]: ﴿يا بني آدم إمَّا يأْتينَّكم رُسُلٌ منكم، يقصُّون عليكم آياتي، فَمَنِ اتَّقى، وأَصْلَحَ فلا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون﴾، وفي سورة مريم: ﴿أُولئك الذين أنعم الله عليهم من النَّبِيِّين من ذُرِّية آدم ومِمَّن حملنا مع نوح، ومن ذُرِّية إبراهيم وإسرائيل ومِمَّن هدينا واجتبينا، إذا تتلى عليهم آياتُ الرحمن خرُّوا سُجَّداً وبكيّاً﴾ [مريم : ٥٨]. وفي سورة الحديد: ﴿ولقد أرسلنا نوحاً وإبراهيم، وجعلنا في ذريتهما النبُوَّة والكتاب﴾ [الحديد: ٢٦].

٤ ـ وميثاق النّبِيِّين بدأ بنوح عليه السلام، وانتهى بمحمد عليه الصلاة والسلام:

﴿وإذْ أخذنا مِنَ النَّبِيِّينَ ميثَاقَهُمْ ومِنْكَ ومِن نُوحٍ وإبراهيم وموسى وعيسى بن مريم، وأَخَذْنَا مِنهم ميثاقاً غليظاً﴾ [الأحزاب: ٧].

٥ ـ وتكذيب الرسل بَدَأَ بقوم نوحٍ وليس بأبناء آدم: ففي سورة غافر:
﴿كذَّبت قبلهم قَوْمُ نوح، والأحزابُ من بعدهم،
وهمَّت كُلُّ أُمَّةٍ برسولهم لِيَأْخُذُوهُ،
وجادلوا بالباطل لِيُدْحِضُوا بِهِ الحَقَّ، فَأَخَذْتُهُم، فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾
[غافر: ٥].

وفي سورة [ص]: ﴿كَذَّبت قبلهم قومُ نوحٍ وعادُ وفرعونُ ذُو الأوتاد * وثمود وقومُ لوطٍ وأصحابُ الأيْكَةِ، أُولئِكَ الأحْزابُ * إن كُلٌّ إلَّا كذَّب الرُّسُل فَحَقَّ عِقَابِ﴾ [ص : ١٢ - ١٤].

وفي سورة [ق]: ﴿كذّبت قبلهم قومُ نوحٍ ، وأصحاب الرَّسِّ وثمودُ.
وعادٌ وفرعونُ وإخْوانُ لُوطٍ،
وأصحاب الأيْكَةِ، وقَومُ تُبَّعٍ ،
كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وعيدِ﴾ [ق : ١٢ - ١٤].

وفي سورة الحج : ﴿وإن يُكَذِّبُوكَ، فقد كَذَّبت قبلهم قومُ نوحٍ ، وعادُ وثمودُ، وقومُ إبراهيمَ وقَوْمُ لُوطٍ، وأَصْحابُ مَدْيَنَ، وَكُذِّبَ موسى ،
فَأَمْلَيْتُ للكافرين، ثُمَّ أَخَذْتُهُم، فكيفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ [الحج : ٤٢ - ٤٤].

وفي سورة الإسراء: ﴿وكم أهلكنا من القرون من بعد نوحٍ ، وكفى بِربِّكَ بذنوب عباده خبيراً بصيراً﴾ [الإسراء: ١٧].

٦ ـ وكان التذكير من الدعاة والرسل بعاقبة التكذيب لأقوامهم وأخذ العبرة قبل وقوع الهلاك.

وهذا شعيب عليه السلام يحذّر قومه :

﴿ويا قوم لا يجرمنَّكم شقاقي أن يصيبكم مِثْلُ ما أَصَابَ قَوْمَ نُوح أو قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ ، وما قَوْمُ لُوطٍ مِنكم بِبَعِيدٍ﴾ [هود : ٨٩].

وهذا مؤمن آل فرعون ينصح قومه :

﴿ وقال الذي آمَنَ يا قوم إنّي أخافُ عليكم مِثْلَ يَوْم الأحْزَاب ،
مِثْلَ دَأْبِ قَوم نُوحٍ وعَادٍ وثَمُودَ والَّذِين من بعدهم، وما الله يريدُ ظُلْماً للعبادِ﴾ [غافر : ٣١ - ٣٢].

وهذا تحذير ربّ العالمين لأُمّة محمّدٍ ﷺ :

﴿أَلَمْ يَـأْتِهِم نَبَـأُ الَّـذِين **من قَبْلِهِم، قَـوم نُـوحٍ** وعـادٍ وثمـودَ، وقَـوْمِ إبـراهيمَ، وَأَصْحابِ مَـدْيَنَ، والمُؤْتَفِكَاتِ، أَتَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِـالبَيِّنَاتِ، فَمَـا كَـانَ اللهُ لِيَظْلِمَهُمْ، ولكن كانـوا أَنْفُسَهُمْ يظلمون﴾. [التوبة : ٧٠].

وفي سـورة إبراهيم: ﴿**أَلَمْ يَـأْتِكُمْ نَبَأُ الَّـذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُـوحٍ** وعـادٍ وثَمُـودَ، **والَّذين من بَعْدِهِمْ،** لا يَعْلَمُهُم إلاَّ اللهُ، جَـاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِـالبَيِّنـاتِ، فَـرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ في أَفْـوَاهِهِمْ، وَقَالـوا إنا كَفَـرْنَا بِمـا أُرْسِلْتُمْ بِهِ، وَإِنَّـا لفي شـكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إليـه مريب﴾. [إبراهيم : ٩].

٧ ــ والقـرآن الكريم حينمـا ذكر مجمـوعة من رسـل الله في بعض سوره لم يذكر آدم عليه السلام من بين أُولئك الرسـل، ففي سورة الأنعـام جاء ذكـر ثمانية عشر رسولاً، ليس فيهم آدم:

﴿وتلك حُجَّتنا آتيناها **إبراهيم** على قـومه، نـرفع درجـات من نشاء، إنَّ ربَّك حكيم عليم. . .

ووهبنا له [لإبراهيم] **إسحاق ويعقـوب**، كُلاًّ هـدينا، **ونـوحاً** هـدينا من قبل، ومن ذريته **داود وسليمـان وأيّوب ويـوسف وموسى وهـارون**، وكذلـك نجزي المحسنين.

وزكريا ويحيى وعيسى وإلياس، كلّ من الصالحين.

وإسماعيل واليَسَعَ ويُونُسَ ولوطاً، وكُلاًّ فَضّلنا على العالمين.

ومن **آبـائهم وذرّيـاتهم وإخـوانهم، واجتبيناهم وهـديناهم إلى صـراط** مستقيم.

ذلك هدى الله، يهـدي به من يشـاء من عباده، ولـو أشركـوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون.

أُولئك الذين آتيناهم الكتابَ والحُكْمَ والنُّبُوَّة، فإن يَكْفُرْ بها هؤلاء، فقد وكَّلنا بها قوماً ليسوا بها بكافرين.

أُولئك الذين هدى الله، فبهداهم اقتده﴾ [الأنعام: ٨٣ - ٩٠].

وفي سورة الأنبياء جاء ذكر ستة عشر رسولاً ليس فيهم آدم عليه السلام، وهم:

١ - موسى، ٢ - هارون، ٣ - إبراهيم، ٤ - لوط، ٥ - إسحاق، ٦ - يعقوب، ٧ - نوح، ٨ - داود، ٩ - سليمان، ١٠ - أيوب، ١١ - إسماعيل، ١٢ - إدريس، ١٣ - ذو الكفل، ١٤ - يونس، ١٥ - زكريا، ١٦ - يحيى. عليهم جميعاً صلوات الله وسلامه.

وفي سورة مريم، جاء ذكر عشرة رسل، ليس فيهم آدم أبو البشر عليه السلام، وهم:

١ - زكريا، ٢ - يحيى، ٣ - عيسى، ٤ - إبراهيم، ٥ - إسحاق، ٦ - يعقوب، ٧ - موسى، ٨ - هارون، ٩ - إسماعيل، ١٠ - إدريس.

عليهم جميعاً صلوات الله وسلامه.

٨ - والقرآن الكريم يشير إلى رسالة الأنبياء بتعابير وأساليب مختلفة، منها:

﴿وإلى عاد أخاهم هودا﴾

﴿وإلى ثمود أخاهم صالحاً﴾

﴿وإلى مدين أخاهم شعيباً﴾.

أو يستعمل أسلوب:

﴿واذكر في الكتاب إبراهيم، إنّه كان صدِّيقاً نبيّاً﴾.

﴿واذكر في الكتاب موسى، إنّه كان مُخْلَصاً، وكان رسولاً نبيًّاً﴾.

﴿واذكر في الكتاب إسماعيل، إنه كان صادق الوعد، وكان رسولاً نبيًّاً﴾.

﴿واذكر في الكتاب إدريس، إنه كان صدّيقاً نبيًّاً، ورفعناهُ مكاناً عليّاً﴾.

أو يستعمل أسلوب:

﴿وإنَّ إلياسَ لَمِنَ المُرسلين﴾.

﴿وإنَّ لوطاً لَمِنَ المُرسلين﴾.

﴿وإنَّ يُونُسَ لَمِنَ المُرسلين﴾.

﴿يَسٓ * والقرآن الحكيم * إنَّكَ لَمِنَ المرسلين﴾.

مع العلم أنه لم يرد في القرآن الكريم أية إشارة إلى نبوة ورسالة آدم عليه السلام، بل وردت إشارات إلى موانع النُّبُوة مثل قوله سبحانه: ﴿وعصى آدم رَبَّه فغوى﴾ وأن آدم عليه السلام كان مفتقراً إلى أهم خصائص النبوة والرسالة (العزيمة) وقد أشار إلى ذلك المولى عز وجل: ﴿ولقد عهدنا إلى آدم من قبلُ، فَنَسِيَ، ولم نجد له عزماً﴾. [صدق الله العظيم].

** .. ** .. **

أقوال العلماء
والمفسرين القدامى والمعاصرين
في أولية نبوّة نوح عليه السلام ورسالته

في شرحهم للآية ١٦٣، من سورة النساء، وهو قوله عزّ وجل: ﴿إنّا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنّبيّين من بعده﴾.

** .. **

١ ـ رووا عن **قتادة** رضي الله عنه ـ وهو من كبار التابعين في التفسير والحديث، توفي سنة ١١٧ هـ ، أنه قال: ذُكِرَ لنا أنّه كان بين آدم ونوح عشرة قرون، كلهم على الهدى وعلى شريعة من الحقّ، ثم اختلفوا بعد ذلك، **فبعث الله نوحاً**، وكان أول رسول أرسله الله إلى الأرض، **وبُعِثَ عند الاختلاف من الناس**، فبعث الله رسله وأنزل كتابه يحتج به على خلقه.

[من الدر المنثور]

٢ ـ وقال الإمام **البغوي** في تفسيره المسمّى [معالم التنزيل]: وبدأ بذكر نوح عليه السلام، لأنه كان أبا البشر مثل آدم عليه السلام. . **ولأنه أول نبي من أنبياء الشريعة**.

٣ ـ وقال الإمام **فخر الدين الرازي** في التفسير الكبير: **وإنما بدأ بذكر نوح، لأنه أول نبي شرع الله تعالى على لسانه الشرائع والأحكام**.

٤ ـ وقال الإمام القرطبي في تفسيره [الجامع لأحكام القرآن]: (إلى نوح) قدّمه **لأنَّه أول نبي شُرعت على لسانه الشرائع**.

٥ ــ وقال الإمام **أبي السعود** في تفسيره المسمّى (تفسير أبي السعود)، وإنما بدئ بذكر **نوح لأنه أبو البشر، وأول نبي شرع الله على لسانه الشرائع والأحكام**.

٦ ــ وقال العلامة علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي المعروف **بالخازن** في تفسيره المسمّى [لباب التأويل في معاني التنزيل] قال المفسرون: وإنّما بدأ الله عز وجلّ بذكر نوح عليه السلام **لأنه أول نبي بُعِثَ بشريعة، وأول نذير على الشرك، وأنزل الله عليه عشر صحائف**، وكان أول من عذّبت أُمَّته لردّهم دعوته.

٧ ــ وقال الشيخ **الخطيب الشربيني** في تفسيره المسمى [السراج المنير]، **وبدأ بذكر نوح** عليه السلام، لأنه كان أبا البشر مثل آدم، **ولأنه أول نبي من أنبياء الشريعة**.

٨ ــ وقال العلامة الشيخ **إسماعيل حقي** البرسوي في تفسيره المسمّى [روح البيان]، بدأ بذكر نوح لأنه أبو البشر، وأول نبي **عذّبت أمته لردّهم** دعوته، وأشار إلى حديث أبي ذر الطويل في عدد الأنبياء، ثم قال: **وخبر الواحد لا يفيد اليقين، ولا عبرة بالظن في الاعتقاديات**.

٩ ــ وقال الإمام **الآلوسي** في تفسيره المسمى [روح المعاني]: وبدأ سبحانه **بنوح** عليه السلام **لأنّه أول نبي عوقب قومه**، وقيل: **لأنه أول من شرع الله تعالى على لسانه الشرائع والأحكام**، وتعقب بالمنع. وقال الشيخ محمد رضيد رضا: ولم يذكر لهذا المنع سنداً.

١٠ ــ وقال الدكتور **محمد محمود حجازي** في تفسيره المسمى [التفسير الواضح]: ﴿إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنّبيِّين من بعده﴾ أي كما أوحينا إلى المشهورين من الأنبياء قبلك كـ«نوح»، **وخصّ بالذكر أولاً لأنه أقدم نبيٍّ مرسل**،.

١١ ـ وقال الشيخ **محمود شلتوت** شيخ الأزهر الأسبق ـ تغمده الله برحمته ـ في كتابه [الإسلام عقيدة وشريعة] صفحة ١٨ : ومن هنا وجب الإيمان بجميع رسله الذين قصّهم علينا **من نوح عليه السلام إلى محمد عليه الصلاة والسلام**.

١٢ ـ وقال الشهيد **سيد قطب** في كتابه [في ظلال القرآن]: إنَّ الوحي للرسول ليس بدعاً وليس غريباً، فهو سُنّة الله في إرسال الرسل **من نوح عليه السلام إلى محمد عليه السلام**.

١٣ ـ وقال العلامة الشيخ **أحمد مصطفى المراغي** في تفسيره: وقد بدأ بذكر **نوح لأنه أقدم الأنبياء**..

١٤ ـ ويقول فضيلة العلامة الجليل الشيخ **عبد الله بن زيد آل محمود**، رئيس المحاكم الشرعية في قطر في رسالته [إتحاف الأحفياء برسالة الأنبياء] صفحة ٧ : ومثله قوله في آدم وأنه هو أول الرسل ـ يشير إلى حديث أبي ذر الطويل الذي رواه ابن مردويه ـ فيقول الشيخ عبد الله بن زيد آل محمود: **والصحيح أن أول الرسل نوح عليه السلام**، مستشهداً بقوله سبحانه: ﴿إنَّا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنَّبيين من بعده﴾.

ثم قال في رسالته [الإيمان بالأنبياء بجملتهم، وضعف حديث أبي ذر في عددهم]، (. . . **لأن القرآن لا يثبت لآدم نبوة ولا رسالة**، وما كان ربُّك نسيّاً، وإنما هو أبو البشر، يُذنب فيتوب، يقول الله تعالى: ﴿وعصى آدم ربَّه فغوى، ثم اجتباه ربُّه فتاب عليه وهدى﴾[1].ثم قال: وأصح وأصرح ما ورد بفضله (آدم)، هو قوله سبحانه: ﴿إن الله اصطفى آدم

---

(١) طه : ١٢١ ـ ١٢٢ .

ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين﴾[٢]، **وليس فيها ما يدل على نبوّته بالصراحة**، لكون الاصطفاء افتعال من الصفوة، **ولا يلزم أن تكون نبوّة**، يقول الله تعالى: ﴿وإذ قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك وطهّرك واصطفاك على نساء العالمين﴾[٣] ومن المعلوم أن مريم ليست بنبية، وإنما هي امرأة صالحة من صفوة نساء العالمين، **والصحيح أن أول الرسل نوح وآخرهم محمد ﷺ، وحتّى آدم نفسه يعترف بأن أول الرسل نوح، كما في** حديث الشفاعة الذي رواه أنس، وأنه يجتمع المؤمنون يوم القيامة، فيلهمون ذلك، فيقولون: لو استشفعنا إلى ربّنا، فأراحنا من مكاننا هذا، فيأتون آدم، فيقولون: يا آدم، أنت أبو البشر، خلقك الله بيده، وأسجد لك ملائكته، وعلّمك أسماء كل شيء، فاشفع لنا إلى ربّك، حتى يريحنا من مكاننا هذا. فيقول لهم آدم: لست هناكم، ويذكر ذنبه الذي أصاب، فيستحي من ربّه عز وجل، **ويقول: ولكن ائتوا نوحاً، فإنه أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض**. رواه البخاري. **وهذا الحديث قاطع للنزاع، ويعيد الخلاف إلى مواقع الاجماع. ثم إن القائلين بنبوة آدم، ليس عندهم دليل سوى محض الظن والتخمين**. ا هـ.

١٥ ــ وقال الإمام السيد **محمد رشيد رضا** في تفسير المنار: بدأ الله تعالى بذكر نوح **لأنه أول نبي مرسل**.

١٦ ــ **وفي تفسير [البحر المحيط] لأبي حيّان قال** في شرحه للآية ١٦٣، من سورة النساء: (وقدّم نوحاً، وجرّده منهم في الذكر، لأنّه الأب الثاني **وأول الرسل**).

---

(٢) آل عمران : ٣٣ .

(٣) آل عمران : ٤٢ .

١٧ ــ وفي تفسير [فتح القدير المسمّى الجامع بين فنّي الرواية والدراية من علم التفسير] للإمام محمد بن علي بن محمد **الشوكاني** الذي قال في شرحه للآية ١٦٣ من سورة النساء:

(وخصّ **نوحاً لكونه أول نبيٍّ** شرعت على لسانه الشرائع).

١٨ ــ وفي تفسير [الميزان في تفسير القرآن] للعلامة السيد محمد حسين الطباطبائي في شرحه للآية ١٦٣ من سورة النساء: «**ونوحُ أول نبيٍّ** جاء بكتاب وشريعة».

** . . **

دلائل وإشارات على أولية نبوّة نوح ورسالته
كما جاءت في سورة المؤمنون.. وسورة الأعراف

ففي سورة المؤمنـــون:

﴿ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه، فقال: يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إلهٍ غيره، أفلا تتّقون * فقال الملأ الذين كفروا من قومه: ما هذا إلّا بشرٌ مثلكم، يريد أن يتفضل عليكم، ولو شاء الله لأنزل ملائكةً، **مَا سَمِعْنَا بهذا في آبائنا الأولين** * إن هُوَ إلاَّ رَجُلٌ بِهِ جِنَّة، فتربَّصوا بِهِ حتَّى حين قال: ربِّ انصرني بما كَذَّبُونِ﴾ [المؤمنون: ٢٣ ـ ٢٦].

فلو كان هناك أنبياء **سبقوا نوحاً، لكان على نوح أن يرد على الملأ الذين كفروا من قومه بالإشارة إلى من سبقه بالنُّبُوَّة كآدم وشيث وإدريس جدّ نوح ـ** كما يقول النَّسَّابة ـ أو كما تشير ـ بالأصح ـ التوراة المحرَّفة.

** .. ** .. **

وبعد سورة المؤمنون، ننتقل إلى سورة الأعـراف:

﴿لقد أرسلنا نوحاً إلى قومه، فقال يا قوم اعبدوا الله، ما لكم من إلهٍ غيره، إنّي أخاف عليكم عذاب يوم عظيم *

فقال الملأُ من قومه: إنّا لنراك في ضلال مبين *

قال: يا قومِ ليس بي ضلالة، ولكني رسولٌ من ربِّ العالمين * أُبلِّغُكُمْ رسالات ربِّي، وأنصح لكم، وأعلمُ مِنَ الله ما لا تعلمون * أوَ عجبتم

أن جـاءَكُم ذِكْـرٌ مِن ربِّكم على رَجُـلٍ منكم لِيُنْـذِرَكُمْ، ولتَتَّقُـوا، ولعلَّكم تُرحمون ؟؟

فكـذَّبـوهُ،

فأنجينـاهُ والذين معه في الفُلـكِ،

وأغرقنا الذين كذّبـوا بآياتنا، إنَّهم كانوا قوماً عمين﴾.

** .. ** .. **

﴿وإلى عادٍ أخاهم هوداً،

قال : يا قوم اعبدوا الله، ما لكم من إلهٍ غيره، أفلا تتقون؟

قال الملأ الذين كفروا من قومه: إنّـا لنراكَ في سفـاهة، وإنّـا لنظنُّـكَ مِنَ الكاذبين.

قال : يا قوم ليس بي سفاهـة، ولكنِّي رسولٌ مِن ربِّ العـالمين * أُبلغكم رسـالاتِ ربِّي، وأنا لَكُم نـاصـحٌ أمين * أوَ عجبتم أن جـاءكم ذِكْـرٌ مِن ربِّكم على رَجُلٍ منكم لِيُنْذِرَكُمْ، **واذكُـروا إذْ جعلكم خلفـاءَ من بعـد قـومِ نـوح**، وزادكـم فـي الـخَـلْقِ بسـطة، فـاذكـروا آلاءَ الله لـعـلَّكـم تُـفـلحـون﴾ [الأعراف: ٥٩ ـ ٦٩].

وفي السياق القرآني علمنا:

١ ـ إنَّ هـوداً جاء بعـد نوح: **﴿واذكـروا إذ جعلكم خلفاء من بعـد قـوم نوح﴾** في حين أن نوحاً ما قال لقومه: (واذكروا إذْ جعلكم خلفاء من بعد قوم آدم أو شيث أو إدريس) **أليس ذلـك دليلاً على أوليـة نبوة ورسـالة نـوح عليه السلام؟**

٢ ـ ثم جاء من بعد هود عليه السلام نبيّ الله ورسوله صالح عليه السلام الـذي قـال بـدوره لقـومـه: **﴿واذكـروا إذْ جعلكم خلفـاءَ مِنْ بَعْدِ عـاد﴾ [الأعراف: ٧٤]**.

آراء العلماء والمفسرين المؤكدة لأولية نبوّة نوح ورسالته في شرحهم للآية ٥٩ من سورة الأعـراف

١ ـ قال العلامة الإمام محمد بن علي بن محمد **الشوكاني في** تفسيره للآيـة ٥٩ من سورة الأعراف: ﴿لقد أرسلنا نوحاً إلى قومه﴾ «**وهـو أول الرسـل إلى أهل الأرض**»، ثم قال: وما قيل من أنّ إدريس كان قبل نوح فقال ابن العربي: إنّه وهم.

٢ ـ وقال العلامة الإمام **السيوطي** في شرحه للآية ٥٩ من سورة الأعراف:
«أخرج ابن أبي حاتم وأبو الشيخ وابن عساكر عن أنس رضي الله عنـه أنّ النبيّ ﷺ قـال: «أول نبيٍّ أُرسل نوح».

٣ ـ وقال العلامة السيد **محمـد حسين الطبـاطبائي** في تفسيـره [**الميزان في تفسير القرآن**]، في شرحه للآية ٥٩ من سورة الأعراف:

«بدأ الله سبحانه بقصَّته، **وهو أول رسول** يذكر الله سبحانه تفصيـل قصته في القرآن، كما سيأتي تفصيل قصته في سورة هود.

٤ ـ وقـال الدكتـور **محمـد محمـود حجـازي في تفسيـره المسمّى [التفسيـر الواضح]**، في تفسيره للآية ٥٩ من سورة الأعراف:
«**ونـوحٌ هو النبيُّ الأول** الـذي أرسـل إلى قـومـه، كمـا **ثبت في حـديث الشفاعة**».

٥ ــ وقال العلامة الشيخ **أحمد مصطفى المراغي في** تفسيره للآية ٥٩ من سورة الأعراف:

«**ونوح أول رسول** أرسله الله إلى المشركين، كما هو رأي كثير من المحققين، **كما ثبت في حديث الشفاعة وغيره**.

٦ ــ وقال الإمام السيد محمد رشيد رضا في تفسير المنار في شرحه للآية ٥٩ من سورة الأعراف:

﴿لقد أرسلنا نوحاً إلى قومه﴾:

«**ونوح أول رسول** أرسله الله تعالى إلى قوم مشركين، هم قومه، **كما ثبت في حديث الشفاعة وغيره**».

** .. ** .. **

أقوال العلماء والمفسرين
في شرحهم لبعض الآيات القرآنية

١ ـ الإمام ابن كثير وتفسيره لآية البقرة : ٢١٣ :

﴿كان الناس أمة واحدة، فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين، وأنزل معهم الكتاب بالحقِّ ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه، وما اختلف فيه إلّا الذين أُوتوه من بعد ما جاءتهم البيِّنات بغياً بينهم، فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق، بإذنه، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم﴾.

**. . **

قال الإمام ابن كثير في تفسيره لهذه الآيـــة :

قال ابن جرير: حدثنا محمد بن بشّار، حدّثنا أبو داود، أخبرنا همّام عن قتادة، عن عكرمة، **عن ابن عباس**: قال:

كان بين نوح وآدم عشرة قرون، كلهم على شريعة من الحقِّ، فاختلفوا، **فبعث الله** النبيين مبشرين ومنذرين، قال: وكذلك هي في قراءة عبد الله: ﴿كان الناس أُمَّة واحدة **فاختلفوا**. . .﴾ وكذا روى أبو جعفر الرازي عن أبي العالية عن أبيّ بن كعب أنه كان يقرؤها: ﴿كان الناس أمة واحدة، **فاختلفوا**، **فبعث الله** النبيين مبشرين ومنذرين﴾.

وقال عبد الرزاق: أخبرنا معمر عن قتادة في قوله: ﴿كان الناس أُمّة واحدة﴾، قال: كانوا على الهدى جميعاً، ﴿فاختلفوا، فبعث الله النبيين﴾، **فكان أول من بُعث نوحاً**. وهكذا قال مجاهد، كما قال ابن عباس أولاً.

وقال العوفي عن ابن عباس: ﴿كان الناس أمة واحدة﴾ يقول: وكانوا كفّاراً ﴿فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين﴾، والقول الأول عن ابن عباس أصحّ سنداً ومعنى، لأنّ الناس كانوا على ملة آدم حتى عبدوا الأصنام، **فبعث الله إليهم نوحاً، فكان أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض.**

٢ ــ الإمام الشيخ محمد مصطفى المراغي

وتفسيره لسورة الحديد : ٢٦ :

﴿ولقد أرسلنا **نوحاً** وإبراهيم، **وجعلنا في ذرِّيتهما** النُّبوَّة والكتاب، فمنهم مهتد، وكثير منهم فاسقون﴾.

يقول الإمام الشيخ محمد مصطفى المراغي في تفسيره لهذه الآيـــة:

نوحٌ أول الرسل إلى الأرض؛وإبراهيمقد انتسب إليه أكثر الأنبياء،وعظِّم في كل الأديان، ومن ذرِّيته الأنبياء الذين جاءوا بالكتب الأربعة: التوراة، والإنجيل، والزبور، والفرقان؛ وهو من ذرِّية نوح أيضاً، **فالنبوّة والكتاب لا تخرج عن ذرِّيتهما**، ولذلك خُصّا بالذكر».

** .. **

٣ ــ الشهيد سيد قطب وتفسيره لسورة نوح :

﴿إنّا أرسلنا نوحاً إلى قومــه﴾

يقول الشهيد في تفسيره لهذه السورة:

هذه القصّة كلها تقصّ قصّة نوح عليه السلام مع قومه، وتصف تجربة من تجارب الدعوة في الأرض، وتمثل دورة من دورات العلاج الدائم الثابت المتكرر للبشرية، وشوطاً من أشواط المعركة الخالدة بين الخير والشر، والهدى والضلال، والحق والباطل.

ثــم قــال:

تبدأ السورة بتقرير مصدر الرسالة والعقيدة وتوكيده: ﴿**إنّا أرسلنا نوحاً إلى قومه**﴾.. فهذا هو المصدر الذي يتلقى منه الرسل التكليف، كما يتلقون حقيقة العقيدة... وهو المصدر الذي صدر منه الوجود كله، وصدرت منه الحياة. وهو الله الذي خلق البشر وأودع فطرتهم الاستعداد لأن تعرفه وتعبده، فلما انحرفوا عنها وزاغوا أرسل إليهم رسله، يردّونهم إليه. **ونوح عليه السلام كان أول هؤلاء الرسل** - بعد آدم عليه السلام - وآدم لا يذكر القرآن له رسالة بعد مجيئه إلى هذه الأرض، وممارسته لهذه الحياة؛ **ولعله كان معلماً لأبنائه وحفدته**، حتى إذا طال عليهم الأمد بعد وفاته ضلّوا عن عبادة الله الواحد، واتخذوا لهم أصناماً آلهة . اتخذوها في أول الأمر أنصاباً ترمز إلى قوى قدّسوها. قوى غيبية أو مشهورة. ثم نسوا الرمز وعبدوا الأصنام! وأشهر تلك الخمسة التي سيرد ذكرها في السورة. فأرسل الله إليهم نوحاً ليردهم إلى التوحيد، ويصحح لهم تصوّرهم عن الله وعن الحياة والوجود. **والكتب المقدسة السابقة تجعل إدريس** - عليه السلام - **سابقاً لنوح**. **ولكن ما ورد في هذه الكتب لا يدخل في تكوين** عقيدة المسلم. لشبهة التحريف والتزيُّد والإضافة إلى تلك الكتب.

** .. ** .. **

التناقـض والاضـطراب
في أقوال بعض العلماء والمفسرين
حول أولية نبوّة نوح ورسالتـه . .
وأولية نبوّة آدم ورسالتـه !

يقول الله سبحانه عن القاعدة القرآنية الأصولية :

﴿أفـلا يتدبـرون القرآن، ولـو كان من عنـد غير الله لـوجدوا فيـه اختلافـاً كثيراً﴾[1] كما أن القاعدة الفقهية الأصولية تقـول: [لا حجّة مـع التناقض] أي لا تعتبر الحجّة ولا يعمل بها مع قيام التناقض فيها أو في دعوى المدعي .

ولا بـدّ لنـا من شـرح السبب الـذي يجعـل بعض العلمـاء والمفســرين يتخبطون في الجمع بين نبوّة آدم وبين أولية نبوّة نوح عليه السلام . . .

ذلـك أن عالم التفسيـر يبدأ أولاً بتفسيـر القـرآن من فـاتحـة الكتـاب، ثم البقـرة، ثم آل عمران، ثم النسـاء، ثم المـائـدة، ثم الأنعـام، ثم الأعـراف، وهكـذا إلى آخر سـور القرآن. وحينمـا يصـل المفسـر إلى آل عمـران ـ بعـد الفاتحة والبقرة ـ يجد قوله تعالى : ﴿إنَّ الله اصطفى آدم ونـوحاً وآل إبـراهيم وآل عمران على العالمين﴾، فيقـول: **بما أنَّ نـوحاً عليـه السلام ثبتت نبـوته ورسالته، فـلا بد أن يكـون آدم نبيّاً. ولكنـه يغفل أن معنى الاصـطفاء إمّـا أن ينسحب على الجميـع وعلى آل إبـراهيم ووالـد إبـراهيم الكـافـر لأنـه من آل إبراهيم**، وآل عمران وفيهم عمران والد مـريم عليها السـلام، فيذكـر نبوّتـه . .

---

(١) النســاء : ٨٢

وإما أن ينتبه إلى أن معنى الاصطفاء هو الاختيار، أو أن المقصود هو اصطفاء الدِّين، كما في قول إبراهيم لبنيه ويعقوب عليهما السلام: ﴿يا بَنِيَّ إنَّ الله اصطفى لكم الدِّين فلا تموتُنَّ إلّا وأنتم مُسلمون﴾ أو أن ينتبه المفسِّر إلى السياق القرآني في قصص القرآن، **وأن هدف هذا القصص جاء لإثبات بشرية عيسى لا من أجل إثبات النُّبوَّة لآدم عليه السلام**. . ﴿إنَّ الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين. **ذرِّية بعضها من بعض، والله سميع عليم**﴾، **وأن هدف القصة ﴿إن مَثَلَ عيسى عند الله كَمَثَلِ آدَمَ، خَلَقَهُ من تُراب، ثُمَّ قال له: كن فيكون﴾**.

ثم يستمر المفسر في التفسير وينتهي من آل عمران ويبدأ في سورة النساء، وحينما يصل إلى الآية ١٦٣ : ﴿إنّا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح **والنّبيِّين من بعده**﴾ يقرأ ما كتبه قبله من المفسرين من أنَّ نوحاً عليه السلام هو أول نبيٍّ بعثه الله إلى أهل الأرض يقول في تفسيره لهذه الآية: (وبدأ بذكر نوح عليه السلام، لأنه كان أبا البشر مثل آدم عليه السلام. . **ولأنه أوّل نبيٍّ من أنبياء الشريعة**)، هذا ما قاله الإمام البغوي.

ثم يأتي من بعده الإمام فخر الدين الرازي فيقول:

(**وإنما بدأ بذكر نوح لأنه أول نبي شرع الله تعالى على لسانه الشرائع والأحكام**).

ومن بعده جاء تفسير أبي السعود، وقال صاحبه:

(**وإنما بدىء بذكر نوح** لأنه أبو البشر، **وأول نبيٍّ شرع الله على لسانه الشرائع والأحكام**)

وهكذا ينقل علماء التفسير بعضهم عن بعض، وقد يزيد بعضهم في الشرح أو يعدِّل في الصيغة كالخازن الذي قال:

(**وإنما بدأ الله بذكر نوح عليه السلام لأنه أول نبي بُعِثَ بشريعة**، وأول

نـذير على الشـرك، وأنزل الله عليـه عشـر صحـائف ـ ولا أدري من أين أتى **بالمقطع الأخير** ـ ويزيد، وكان أول من عُذِّبت أُمّته لردِّهم دعوته).

ثم جاء الشيخ إسماعيل حقي البرسوي وقال:

(بدأ بذكر **نوح لأنه أبـو البشر، وأول نبيٍّ عُذِّبت أُمَّتـه لـردِّهـم دعوتـه**، ويلاحظ أن المقطع الأخير أخذه عن الخـازن، ثم قال مشيـراً إلى حديث أبي ذر الطويل **في** عدد الأنبياء: **وخبـر الواحد لا يفيد اليقين، ولا عبرة بالـظن في الاعتقاديات)**.

في حين أن الشيـخ الخطيب الشربيني اكتفى بالقول:

(**وبدأ بذكر نوح عليه السلام**، لأنه كان أبـا البشر مثـل آدم، **ولأنّه** أول **نبيٍّ من أنبياء الشريعة**).

ثم جاء الآلوسي فقال:

وبدأ سبحانه بنوح عليه السلام لأنه أول نبي عوقب قومه، وقيـل لأنه أول من شرع الله تعالى على لسانه الشـرائع والأحكـام)، ثم قال: وتُعُقِّب بـالمنع، وقال الشيخ محمد رشيد رضا: ولم يذكر لهذا المنع سنداً.

ثم جاء الدكتور محمد محمود حجازي في [التفسير الواضح] فقال:

(﴿إنّا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوحٍ والنَّبيِّين من بعده﴾ أي كما أوحينـا إلى المشهـورين من الأنبياء قبلك كنـوح، **وخصّ بالـذكـر أولاً لأنـه أقـدم نبيٍّ مرسل**).

وحينما وصل في تفسيره إلى سورة الأعـراف قال في شـرحه لـلآية ٥٩ :

﴿لقد أرسلنا نوحاً إلى قومه﴾:

(**ونوح هو النّبيُّ الأول الذي أرسل إلى قومه**، كما ثبت في حديث الشفاعة).

وتبعه أحمد مصطفى المراغي الذي قال: (**وقد بدأ بذكر نوح لأنه أقدم الأنبياء**)، ثم قال في شرحه للآية ٥٩ من الأعراف: (**ونوح أول رسول أرسله الله إلى المشركين، كما هو** رأيُ كثير من المحققين **كما ثبت في حديث الشفاعة وغيره**).

ثم جاء الإمام محمد رشيد رضا.. وحينما وصل إلى سورة آل عمران قال في آية الإصطفاء:

(**أي اختارهم وجعلهم صفوة العالمين وخيارهم بجعل النبوة والرسالة فيهم** (وهنا ظهرت شبهة اعتراف بنبوة آدم)، وأضاف: **فآدم أول البشر ارتقاء إلى هذه المرتبة**، فإنَّه بعدما تنقَّل في الأطوار إلى مرتبة التوبة والإنابة، اصطفاه تعالى واجتباه كما قال في سورة طه: ﴿ثُمَّ اجتباهُ ربُّهُ **فتاب عليه وهدى**﴾، **فكان هادياً مهدياً**..)، ثم قال **عن نوح**: (وأمَّا نوح عليه السلام فقد حدث في عهده ذلك الطوفان العظيم، فانقرض من السلائل البشرية مَنِ انقرض، ونجا هو وأهله في الفُلك، فكان بذلك أباً ثانياً للجمِّ الغفير من البشر، **وكان هو نبياً مرسلاً**).

أرأيت إلى وصف الإمام محمد رشيد رضا لآدم: **فكان هادياً مهدياً**، وإلى وصفه لنوح: **وكان هو نبياً مرسلاً!**

وحينما وصل الإمام محمد رشيد رضا في تفسيره إلى الآية ١٦٣ من سورة النساء قال:

(**بدأ الله تعالى بذكر نوح لأنه أول نبيٍّ مرسل**).

ولما وصل إلى سورة الأنعام، ووجد ذكر (١٨) رسولاً ليس من بينهم آدم كتب بحثه القيم: [تحقيق مسألة الإيمان بالرسل إجمالاً وتفصيلاً وعدد الرسل المذكورين في القرآن]، وهو يقع في عشر صفحات من الفولسكاب، وكان أول دراسة مفصلّة عن آدم والرسل، قال فيه:

(.... **وليس في القرآن نصّ قطعي صريح في رسالة آدم عليه السلام**، بل

مفهوم قوله تعالى في سورة النساء الآية ١٦٣ :﴿ إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنّبيِّين من بعده﴾ ، أن **نوحاً أول نبي مرسل، أوحى الله إليه رسالته وشرعه**، ويؤيده في الجملة هذه الآيات التي نفسرها وما في معناها كقوله تعالى في سورة الحديد، الآية ٢٦ : ﴿**ولقد أرسلنا نوحاً وإبراهيم وجعلنا في ذرّيّتهما النّبوة والكتاب**﴾، ثم استشهد بحديث الشفاعة من رواية أبي هريرة وأنس بن مالك الذي يقول: « **ولكن ائتوا نوحاً أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض**»، ولكنه لم ينتبه إلى الحديث الآخر في كتاب التوحيد من صحيح البخاري، كما لم ينتبه أي عالم ومفسِّر إليه في حدود علمي والذي يقول فيه: «**ولكن ائتوا نوحاً أول نبي بعثه الله إلى أهل الأرض**»، **ولو أنه اطلع عليه لأشار إليه ولقطع يقيناً بعدم نبوَّة آدم عليه السلام**.

ثم انتهى الإمام السيد محمد رشيد رضا إلى أن عدد الرسل المجمع على وجوب الإيمان برسالتهم ـ **لأن نصّ القرآن فيها قطعي ـ ثلاثة وعشرون رسولاً فقط !**

ثم قال عن الأحاديث: (**وأمّا الأحاديث فليس فيها نصٌ قطعي الرواية والدلالة على رسالة آدم، وقال عن حديث أبي ذر الطويل: فالحديث اختلف** الحفاظ فيه، **فجزم ابن الجوزي بأنه موضوع وحقق السيوطي في [مختصر الموضوعات] أنه ضعيف**، وذكر ذلك في [الدُّرِّ المنثور] واتفقوا على انتقاد ابن حِبّان لذكره إيَّاه في صحيحه، كما صرَّح بذلك الحافظ ابن كثير في تفسيره، وقال عن حديث أبي ذر: (وقد علمت أن حديث أبي ذر الذي نصّ على ذلك في سياق عدد الأنبياء والرسل لا يحتجّ به في الأحكام العملية **التي يكتفى فيها بالدليل الظني، بله هذه المسألة الاعتقادية التي يطلب فيها اليقين، لأن أهون ما قيل فيه إنه ضعيف، وقيل إنه موضوع، ولو وجدوا حديثاً صحيحاً أو حَسَناً في إثبات رسالة آدم لما لجأوا إلى ذكره!**).

ثم قال الإمام محمد رشيد رضا:

(**وأما مسألة نبوته** وهو كونه موحى إليه من الله تعالى ففيها حديث آحادي رواه البيهقي وغيره عن أبي أمامة، قال: إن رجلاً قال: يا رسول الله أنبياً كان آدم؟ قال: نعم معلّم مكلّم، وقد فُسِّرَ المعلّم في كتب غريب الحديث بالملهم للخير والصواب... ثم قال السيد محمد رشيد رضا: (**ولكن دلالة ما ذكر على نُبُوَّته غير قطعية**.، فإن الجمهور لا يجعلون كل وحي نبوة..) ثم قال: (**ثم إنه يحتمل أن يكون خطاب آدم في قصة خلقه من خطاب التكوين لا التكليف**،، كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً، قالتا: أتينا طائعين﴾، وقد قال الشاذلي من كبار العلماء والصوفية: **وَهَبْ لَنَا التلقِّي منك كتلقِّي آدم منك الكلمات**، ليكون قدوة لولده في الأعمال الصالحات. **ولو كان التلقِّي نصّاً قطعياً في نبوَّته لما طلبه هذا العالم العارف باللغة وأساليبها**).

ثم استشهد الإمام محمد رشيد رضا بحديث عياض بن حماد المجاشعي المرفوع عند محمد ابن اسحاق الذي ذكر فيه آدم فقال ﷺ: «**إنَّ الله خلق آدم وبنيه حنفاء مسلمين، وأعطاهم المال حلالاً لا حرام فيه، فجعلوا ما أعطاهم الله حراماً وحلالاً**»، وفي معناه آثار. والمراد من ذلك في مسألتنا **أن الله تعالى فطر آدم على معرفته وتوحيده وشكره وعبادته، وزاده هدى بما كان يلهمه إياه من الأقوال والأفعال وبما يصل إليه من اجتهاده كما قيل في عبادة النبي ﷺ في الغار قبل البعثة**، وقد يزاد على ذلك إرشاد الملائكة له ولأولاده، فقد كانوا بطهارة فطرتهم يرون الملائكة، كما ورد في تعليمهم إياهم تجهيز أبيهم ودفنه حين توفي، ولسنا بصدد تمحيص أمثال هذه الروايات، ولكن مجموعها يؤيد الحديث المصرّح بنبوة آدم.

ثم قال: (**فبهذا التفصيل يُعلم وجه ما اشْتُهِرَ على ألسنة العلماء من القول بنبوة آدم ورسالته، مع عدم وجود النصّ القاطع، بل مع وجود النص**

المعارض)، أي النافي للنبوة والرسالة. ولذلك كان رأيه النهائي حينما وصل إلى سورة الأعراف قال في شرحه للآية: ٥٩ : ﴿**لقد أرسلنا نوحاً إلى قومه**﴾:

(ونوحٌ هو النَّبِيُّ الأول الذي أُرسل إلى قومه كما ثبت في حديث الشفاعة).

والأمور مرهونة بخواتيمها، والرأي الأخير هو الرأي النهائي (١) المعتمد، **وأن اقرار الإمام الشيخ محمد رشيد رضا بأنَّ نوحاً هو النَّبيُّ الأول فيه النفي الصريح لنبوة آدم وإلا قال بالتناقض** والقاعدة الأصولية الفقهية تقول: **(لا حجَّة مع التناقض)**.

**** .. ** .. ****

وما يقال عن الإمام السيد محمد رشيد رضا يقال عن الشهيد سيد قطب صاحب الظلال الذي قال في تفسيره لآية الاصطفاء: (ويبدأ هذا القصص ببيان من اصطفاهم الله من عباده واختارهم لحمل الرسالة)، وهو يقصد قِصَّة عيسى عليه السلام لا قصة آدم ولا نوح. والسياق القرآني جاء ليقرر أن عيسى ليس ابناً لله ولكنه ينحدر من ذرِّيَّةٍ بشرية تنتهي إلى المصطفى الأول آدم عليه السلام: ﴿إنَّ الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين . **ذرّية بعضها من بعض، والله** سميع عليم﴾، أي ذرية بشرية تنتهي إلى أبي البشر آدم عليه السلام الذي تشابه قصته قصة عيسى عليه السلام: ﴿إنَّ مَثَلَ عيسى عند الله كَمَثَلِ آدَمَ خلقه من تراب، ثُمَّ قال له: كن فيكون﴾ [آل عمران : ٥٩]

---

(١) كان خالد بن الوليد في أول أمره مشركاً يحارب الرسول وأصحابه، وكان على رأس المشركين الذين **قاتلوا** في غزوة أحد ثم دخل في الإسلام وأصبح خالد سيف الله المسلول، والأمور مرهونة بخواتيمها. [**المؤلف**]

وحينما وصل الشهيد سيد قطب في تفسيره إلى الآية ١٦٣ من سورة النساء قال في شرحه لهذه الآية: (إنَّ الوحي للرسول ليس بدعاً وليس غريباً، **فهو سُنَّة الله في إرسال الرسل من عهد نوح إلى عهد محمد عليه السلام**).

ولما وصل في تفسيره إلى سورة الأعراف قال في شرحه للآية ٥٩: ﴿لقد أرسلنا نوحاً إلى قومه﴾:

(إنَّ كل رسول من الرسل صلوات الله عليهم جميعاً، قد جاء إلى قومه بعد انحرافهم عن التوحيد الذي تركهم عليه رسولهم الذي سبقه.. **فبنو آدم الأوائل نشأوا موحِّدين لربِّ العالمين ـ كما كانت عقيدة آدم وزوجه ـ** ثم انحرفوا بفعل العوامل التي أسلفنا ـ **حتى إذا جاء نوح عليه السلام دعاهم إلى توحيد ربّ العالمين مرة أخرى**. ثم جاء الطوفان فهلك المكذبون ونجا المؤمنون. وعمرت الأرض بهؤلاء الموحدين لربِّ العالمين ـ كما علّمهم نوح ـ وبذراريهم. حتى إذا طال عليهم الأمد انحرفوا إلى الجاهلية كما انحرف من كان قبلهم.. حتى إذا جاء «هود» أُهْلِكَ المكذِّبون بالريح العقيم.. ثم تكررت القصة.. وهكذا...).

وحينما وصل في تفسيره لسورة الحديد، قال:

﴿ولقد أرسلنا نوحاً وإبراهيم، وجعلنا في ذريتهما النبوّة والكتاب﴾، **فهي شجرة واحدة باسقة، متشابكة الفروع، فيها النُبوّة والكتاب، ممتدَّة من فجر البشرية منذ نوح**، حتى إذا انتهت إلى إبراهيم تفرّعت وامتدت وانبثقت النبوات من ذلك الفرع الكبير الذي صار أصلاً باسقاً ممتداً إلى آخر الرسالات).

ولما وصل في نهاية المطاف إلى تفسيره لسورة نوح، قال:

(**ونوح عليه السلام كان أول هؤلاء الرسل** ـ بعد آدم عليه السلام ـ وآدم

لا يذكر القرآن له رسالة بعد مجيئه إلى هذه الأرض، ومما رسته لهذه الحياة، **ولعله كان معلماً لأبنائه وحفدته**). وهذا هو رأي الشهيد سيد قطب النهائي بالنسبة لنبوة آدم عليه السلام في أواخر سور القرآن.

إذن، فالرأي النهائي للمفسِّر هو المعوَّل عليه لا الرأي الأول، كما أن إيمان خالد بن الوليد الأخير هو المعتبر، ولم يعد من الجائز أن نقول: كان خالد بن الوليد مشركاً يقاتل رسول الله والمؤمنين في معركة أحد، **فالإسلام يجبُّ ما قبله**.

وهكذا يكون رأي بقية المفسرين الذين قالوا رأيهم النهائي في أولية نبوة نوح ورسالته عليه السلام في سورة النساء والأعراف، لا في سورة آل عمران عند آية الاصطفاء...

**.. ** .. **

التناقض والاضطراب في أقوال العلماء والمفسرين:

نقل الإمام الطبري شيخ المفسرين عن قتادة في تفسيره لآية الاصطفاء قوله: (رجلان نبيَّان اصطفاهما الله على العالمين)، وهذا الكلام المنسوب لقتادة الذي روى حديث أولية نبوّة نوح في حديث الشفاعة الذي يقول فيه آدم: **ائتوا نوحاً أول نبيٍّ بعثه الله إلى أهل الأرض**،

والسؤال الآن:

ـ ألا يجوز أن يكون أحد الرواة وهم وَنَسَب إليه قولاً لم يقله قتادة؟

ـ أم قد يكون ما نُسِبَ إلى قتادة صحيحاً **ووهم ونسي** كما ينسى كثير من العلماء والمفسرين **فيقولون كلاماً متناقضاً مضطرباً**، كما نذكر أمثلة من هذا التناقض والاضطراب لبعض العلماء.

فهذا الإمام العلامة محمد بن علي بن محمد الشوكاني في تفسيره المسمّى [الجامع بين فنيّ الرواية والدراية من علم التفسير) يقول في شرحه للآية ١٦٣ من سورة النساء:

(وخصّ نوحاً لكونه أول نبيٍّ شرعت على لسانه الشرائع والأحكام)، وقال في شرحه للآية ٥٩ من سورة الأعراف: ﴿لقد أرسلنا نوحاً إلى قومه﴾: . . وهو أول الرسل إلى أهل الأرض بعد آدم، **وما قيل من أن إدريس كان قبل نوح فقال ابن العربي: إنه وهم . . .**

ثم قال في سورة الأنعام: (. . وإلياس، قال الضحاك: هو من ولد إسماعيل، وقال القعنبي: هو من سبط يوشع بن نون. وقيل: الياس هو إدريس، وهذا غير صحيح، **لأن إدريس جدّ نوح**، وإلياس من ذريته، وقيل: الياس هو الخضر! . .)

فكيف يجمع الشوكاني: بين قول ابن العربي من أن إدريس كان قبل نوح بأنه وهم، وبين قوله: (وإلياس هو إدريس، وهذا غير صحيح لأن إدريس جدّ نوح)؟!.

اللهم ليس هناك من تفسير إلا التناقض والاضطراب في أقوال بعض العلماء والمفسرين.

** . . ** . . **

وهذا العلامة الإمام **القرطبي** يقول في تفسيره لآية الاصطفاء:

(اصطفى): اختار، ثم قال: والتقدير: إن الله اصطفى دينهم، وهو دين الإسلام، فحذف المضاف. ثم قال (ونوحاً): وهو شيخ المرسلين، وأول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض، بعد آدم . . .

ثم **قال**: ومن قال: إن إدريس كان قبله ـ من المؤرخين ـ **فقد وهم**، على ما يأتي بيانه في الأعراف (راجع جـ ٧ ص ٢٣٢).

وفي سورة الأعراف قال:

(. . . ونوح أول الرسل إلى أهل الأرض ـ بعد آدم عليه السلام ـ بتحريم البنات والأخوات والعمّات والخالات. **قال ابن العربي**: ومن قال إن إدريس كان قبله ـ من المؤرخين ـ **فقد وهم**. والدليل على صحة وهمه الحديث الصحيح في الإسراء، حين لقي النبي ﷺ آدم وإدريس فقال له آدم: مرحباً بالنبي الصالح **والابن الصالح**. وقال له إدريس: مرحباً بالنبي الصالح **والأخ الصالح، فلو كان إدريس أباً لنوح** لقال: **مرحباً بالنبي الصالح والابن الصالح**. فلما قال له: والأخ الصالح دلّ ذلك على أنه يجمع معه في نوح صلوات الله عليهم جميعاً، **ولا كلام لمنصف بعد هذا**. ثم قال: وجاء الآباء ههنا كنوح (*)، وإبراهيم وآدم: **مرحباً بالابن الصالح**.

ثم قال القرطبي في سورة الأنعام:

(. . وتوهّم قوم أنّ اليسع (هو) إلياس، وليس كذلك لأنّ الله تعالى أفرد كل واحد بالذكر وقال وهب: اليسع (هو) صاحب إدريس، وكانا قبل زكريا ويحيى وعيسى، وقيل: إلياس هو إدريس ـ **وهذا غير صحيح ـ لأن إدريس جدّ نوح**، وإلياس من ذريته (أي من ذرية نوح)، وقيل: إلياس هو الخضر! وقيل: اليسع هو الخضر! (جـ ٧ ص ٣٣) .

فكيف يجمع القرطبي بين قوله: ومن قال: إن إدريس كان قبله ـ من المؤرخين ـ فقد وهم ، وبين قوله: وقيل: إلياس هو إدريس ـ وهذا غير صحيح ـ **لأن إدريس جدّ نوح !؟**

اللهم لا شيء إلا التناقض والاضطراب في أقوال بعض المفسرين!!

** . . ** . . **

(*) مع العلم أنه لم يرد في حديث الإسراء أن النبي ﷺ رأى نوحاً في السماء[**المؤلف**].

وقال الإمام القرطبي في الجزء الثاني ص ١٣٥ :

(ولقد اصطفيناه ـ إبراهيم ـ في الدنيا) أي اخترناه للرسالة، فجعلناه صافياً من الأدناس، واللفظ مشترك من الصِّفوة، ومعناه تخيُّر الأصفى. ثم قال: وبنو إبراهيم: إسماعيل وأمه هاجر.. **وهو الذبيح في قول، وإسحاق أُمُّه سارة...** **وهو الذبيح في قول آخر، وهو الأصحّ**، على ما يأتي بيانه في سورة الصّافّات إن شاء الله!

كيف يقع هذا الإمام الكبير في خطأ كبير كهذا، فيقول عن إسحاق: وهو الذبيح في قول آخر، وهو الأصح على ما يأتي بيانه في سورة الصافات إن شاء الله، وكل الأدلة من كتاب الله ومن شهادة خاتم النبيين: «أنا ابن الذبيحين»، والتاريخ والواقع وجمهرة كبيرة من صحابة رسول الله، منهم علي وابن عمر وأبو هريرة ومن التابعين سعيد بن جبير ومجاهد والشعبي والحسن البصري وسعيد بن المسيب وغيرهم، ونحن سنكتفي بنصوص القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه كما جاء في سورة الصافّات: ﴿وقال إني ذاهبٌ إلى ربِّي سيهدين * ربِّ هبْ لي مِنَ الصالحين * **فبشَّرناه بغلام حليم** * فلما بَلَغَ معه السعي قال: يا بُنَيَّ إني أرى في المنام أنِّي أَذْبَحُكَ فانظُرْ ماذا تَرَى ؟ قال: يا أبتِ افعلْ ما تُؤمر، **ستجدني إن شاء الله من الصابرين** *، فلمَّا أسلما وتلَّه للجبين * وناديناه أن يا إبراهيم * قد صدَّقت الرؤيا إنّا كذلك نجزي المحسنين * إنَّ هذا لَهُوَ البلاءُ المبين * وفديناه بذبح عظيم * وتركنا عليه في الآخرين * سلام على إبراهيم * كذلك نجزي المحسنين * إنه من عبادنا المؤمنين * **وبشرّناه بإسحاق نبياً من الصالحين**﴾ [الصّافّات : ٩٩ ـ ١١٢].

كيف يكون الذبيح إسحاق والبشارة بإسحاق كانت بعد قصة الذبيح إسماعيل؟

اللهم لا شيء إلا التناقض والاضطراب وعدم الدقة في فهم النصوص في تفسير بعض المفسرين؟!.

أولية نبوّة نوح ورسالتـه
من السُنّة النبوية الصحيحة

الحديث الأول من صحيح البخاري: الجزء السادس ص ١٠٥ ـ ١٠٦ :

حدَّثنا محمد بنُ مقاتل، أخبرنا عبد الله، أخبرنا أبـو حيَّان التيميُّ عن أبي زرعة بنِ عمرو بن جرير **عن أبي هريرة** رضي الله عنه قال:

أُتيَ رسولُ الله (ﷺ) بلحم، فرفع إليه الذراع وكانت تعجبـه، فنهس منها نهسةً، ثم **قال**: أنـا سيِّد الناس يوم القيـامة، وهـل تدرون ممّ ذلـك؟ يُجمَعُ النّـاسُ الأولين والآخرين في صعيـد واحد، يُسْمِعُهُمُ الـداعي وينفذهم البصـرُ وتدنو الشمسُ، فيبلغ النَّـاسَ من الهم والكرب مـا لا يطيقـون، ولا يحتملون، فيقول الناس: ألا ترون ما قـد بلغكم، ألاَ تنظرون من يشفـع لكم إلى ربِّكم؟ فيقول بعض الناس لبعض: عليكم بآدم، فيأتون آدم عليه السلام فيقولون له: **أنت أبو البشر**، خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأمر الملائكة فسجدوا لك، اشفع لنا إلى ربّك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ ألا ترى إلى ما قد بلغنـا؟ فيقـول آدمُ: إنّ ربِّي قد غضب اليـوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يَغْضَب بعده مثله، **وإنّه نهاني عن الشجرة فعصيتـه**، نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى نوح، فيأتون نوحاً فيقولون: **يا نوح إنّك أنت أوّل الرُّسُلِ إلى أهل الأرض**، وقد سمّاك الله عبداً شكوراً، اشفع لنـا إلى ربِّك، ألا تـرى إلى ما نحن فيه ؟ الخ . . . [رواه البخاري ومسلم والترمذي].

الحديث الثاني من صحيح البخاري: الجزء الثامن ص ١٤٤ ـ ١٤٥ :

حدثنا مسدّد حدثنا أبو عوانة عن قتادة عن أنس رضي الله عنه قال:

قال رسول الله (ﷺ) «يجمع الله الناس يوم القيامة فيقولون: لو استشفعنا على ربّنا حتى يريحنا من مكاننا، فيأتون آدم فيقولون: أنت الذي خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأمر الملائكة فسجدوا لك فاشفع لنا عند ربّنا، فيقول: لست هناكم، ويذكر خطيئته، ويقول: **ائتوا نوحاً أول رسول بعثه الله، فيأتونه**» . . الخ .

الحديث الثالث من صحيح البخاري: الجزء التاسع ص ١٤٩ :

حدثني معاذ بن فضالة، حدثنا هشام عن قتادة عن أنس: أنَّ النّبيّ (ﷺ) قال:

«يجمع الله المؤمنين يوم القيامة كذلك فيقولون: لو استشفعنا إلى ربّنا حتّى يريحنا من مكاننا هذا، فيأتون آدَمَ فيقولون: **يا آدم** أما ترى الناس، خلقك الله بيده، وأسجد لك ملائكته، وعلّمك أسماءَ كلّ شيء، اشفع لنا إلى ربّنا حتى يُريحَنَا من مكاننا هذا، فيقول: لست هُناك، ويذكر لهم خطيئته التي أصاب، **ولكن ائتوا نوحاً، فإنه أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض**، فيأتون نوحاً. . . . الخ .

الحديث الرابع من صحيح البخاري: الجزء التاسع ص ١٦٠ ـ ١٦١ :

وقال حجّاج بنُ منهال: حدثنا همّام بن يحيى، حدّثنا قتادةُ عن أنس رضي الله عنه أنّ النبي (ﷺ) قال:

«يُحبسُ المؤمنون يوم القيامة حتى يُهِمُّوا بذلك فيقولون لو استشفعنا إلى ربّنا فيريحُنا من مكاننا، فيأتون آدم فيقولون: **أنتَ آدمُ أبو الناس**، خلقك الله

بيده، وأسكنك جنَّته، وأسجد لك ملائكته، وعلّمك أسماء كل شيء، اشفع لنا عند ربك حتى يريحنا من مكاننا هذا فيقول: لست هناكم، قال: ويذكر خطيئته التي أصاب أكله من الشجرة وقد نُهي عنها، ولكن ائتوا نوحاً أوّل نبيٍّ بعثه الله إلى أهل الأرض، فيأتون نوحاً.... الخ».

** . . **

وقد رأينا ـ حتى يزداد اطمئنان القارىء الكريم إلى صحة أحاديث الشفاعة التي تثبت أولية النبوة والرسالة لنوح عليه السلام على لسان آدم أبي البشر ـ أن نثبت تراجم رواة هذه الأحاديث وآراء علماء الجرح والتعديل في هؤلاء الرواة الثقات:

تراجم رواة أحاديث الشفاعة

١ ـ مسدد بن مسرهد

مسدد بن مسرهد: بن مسربل البصري الأسدي أبو الحسن الحافظ.

روى عن عبد الله بن يحيى بن أبي كثير.. وفضيل بن عياض.. وحماد بن زيد.. **وأبي عوانة.. روى عنه البخاري وأبو داود**، وروى له أبو داود والترمذي والنسائي بواسطة محمد بن محمد بن خلاد الباهلي.. وأبو زرعة وأبو حاتم الرازيان، وغيرهم.

قال يحيى بن معين بن سعيد القطان : لو أتيت مسدداً فحدّثته في بيته لكان يستاهل. **وقال أبو زرعة**: قال لي أحمد بن حنبل: **مسدد صدوق** فيما كتبت عنه فلا تعده.

وقال الميموني: سألت أبا عبد الله الكتاب إلى مسدد، فكتب لي إليه، وقال: نعم الشيخ عافاه الله تعالى.

وقال جعفر بن أبي عثمان: **قلت لابن معين عن من أكتب بالبصرة؟ فقال: اكتب عن مسدد فإنه ثقة ثقة**. وقال النسائي: **ثقة**. وقال العجلي: مسدد بن مسرهد ابن مسربل بن مستورد الأسدي البصري **ثقة**، كان يملي عليّ حتى أضجر، قال يا أبا الحسين: اكتب، فيملي عليّ بعد ضجري خمسين حديثاً.

وقال ابن أبي حاتم عن أبيه: ثقة.

وقال أبو عمرو بن حكيم، قال أبو حاتم الرازي: في حديث مسدد عن يحيى بن سعيد عن عقبة أيضاً عن نافع عن ابن عمر كأنها الدنانير، ثم قال: كأنك سمعتها من في النبيّ ﷺ. وقال البخاري وغير واحد: مات سنة ثمان وعشرين ومائتين.

وقال ابن عدي: إنه أول من صنف المسند بالبصرة، وذكره ابن حبّان في الثقات.

[تهذيب التهذيب لابن حجر: جـ ١٠ ص ١٠٧].

** .. ** .. **

٢ ـ أبو عوانة الواسطي

الوضاح ابن عبد الله اليشكري مولى يزيد بن عطاء أبو عوانة الواسطي البزار، كان من سبي جرجان.

رأى الحسن وابن سيرين، وسمع من معاوية بن قَرّة حديثاً واحداً، وروى عن أشعث بن أبي الشعثاء والأسود بن قيس وقتادة.. وخلق كثير.

روى عنه شعبة ومات قبله، وابن علية وأبو داود، وأبو الوليد الطيالسيان.. وعبد الرحمن بن مهدي.. وحجّاج بن منهال ومسدد وآخرون.

قال أبو حاتم: سمعت هشام بن عبد الله الرازي يقول: سألت ابن المبارك: من أروى الناس أو اضمن الناس حديثاً عن مغيرة؟ قال: أبو عوانة.

وقال أحمد بن سنان: سمعت ابن مهدي يقول: كتاب أبي عوانة أثبت من حفظ هشيم. وقال مسدد: سمعت يحيى القطّان يقول: ما أشبه حديثه بحديثهما، يعني أبو عوانة وشعبة وسفيان.

وقال عفّان: كان أبو عوانة صحيح الكتاب كثير الحجم والنقط، وكان ثبتاً، وأبو عوانة في جميع حاله أصح حديثاً عندنا من شعبة.

وقال أحمد ويحيى: ما أشبه حديث أبي عوانة بحديث الثوري وشعبة، قال: وكان أميناً وثقة.

وقال محمد بن محبوب: مات في ربيع الأول سنة ستّ وسبعين ومائة وذكره ابن حبان في الثقات.

[تهذيب التهذيب: جـ ١١ ص ١١٦].

٣ ـ معاذ بن فضالة

معاذ بن فضالة الزهراني، ويقال الطفاوي، ويقال مولى قريش أبو زيد البصري.

روى عن **هشام الدستوائي**، وأبي حفص بن ميسرة الصنعاني، وسفيان الثوري وعمر ابن قيس سندي وعبد الرحمن بن شريح ويحيى بن أيوب وغيرهم.

وعنه **البخاري** والذهلي وأبو حاتم وأحمد بن منصور الرمادي ويعقوب بن سفيان وغيرهم. وحدّث عنه ابن وهب وهو أكبر منه. **قال أبو حاتم: ثقة صدوق.**.

وذكره ابن حبّان في الثقات.

قال ابن يونس: مات بعد سنة مائتيـــن.

قلت: قرأت بخط الذهبي: مات سنة بضع عشرة ومائتين.

[تهذيب التهذيب لابن حجر: جـ ١٠ ص ١٩٣].

** .. ** .. **

٤ ـ هشام بن أبي عبد الله الدستوائي

هشام بن أبي عبد الله الدستوائي المصـري.. كان يبيـع الثياب التي تجلب من دستواء، فنسب إليها، وربما قيل له: الدستوائي.

روى عن **قتادة** ويوسف الاسكاف وغيرهم.

وعنه ابناه عبد الله ومعاذ وشعبة بن الحجاج، وهو من أقرانه، **وابن المبارك** وعبد الوارث بن سعيد **وابن مهدي** ويحيى القطان.. ويزيد بن زريع ويزيد بن هارون وأبو داود وأبو الوليد الطيالسيان، **ومعاذ بن فضالة** وآخرون.

قال يزيد بن زريع: كان أيوب قبل الطاعون يأمرنا بهشام والأخذ عنـه.

وقال أمية بن خالد عن شعبة: ما من الناس أحد، **أقول إنه طلب الحديث يريد به وجه الله تعالى إلّا هشام**. وكان يقول: ليتنا ننجو منه كفافاً، قال شعبة: فإذا كان هشام يقول هذا فكيف نحن؟

وقال علي بن الجعد: سمعت شعبة يقول: **كان هشام أحفظ مني عن قتادة**. وقال أيضاً: كان أعلم بحديث قتادة مني، وذكره ابن علية **في حفّاظ البصـرة**.

وقال أبو هشام الرفاعي عن وكيع: **حدّثنا هشام وكان ثبتاً**.

وقال يحيى بن معين : كان يحيى بن سعيد إذا سمع الحديث من هشام لا يبالي أن لا يسمعه من غيــره.

وقال أبو داود الطيالسي : هشام الدستوائي أمير المؤمنين في الحديث.
وذكره ابن حبان في الثقات.
[تهذيب التهذيب لابن حجر ، جـ ١١ ص ٤٣].

٥ ـ حجّاج بن المنهــال

حجاج بن المنهال الأنماطي، أبو محمد السلمي، وقيل البرساني مولاهم البصري.

روى عن جرير بن حازم والحمادين وشعبة وعبد العزيز الماجشون وهمّام ويزيد بن إبراهيم التستري وغيرهم. وعنه البخاري. روى له الباقون بواسطة الدارمي.. وروى عنه أبو مسعود وابن وارة الرازيان ويعقوب بن شيبة ويعقوب بن سفيان وغيرهم.
وقال أحمد : ثقة ما أرى به بأساً.

وقال أبو حاتم: ثقة فاضل. وقال العجلي : ثقة، رجل صالح. وقال النسائي : ثقة. وقال ابن سعد: كان ثقة كثيــر الحديث.

مات في شوال سنة ٢١٧، وذكره ابن حبان في الثقات.
[تهذيب التهذيب: جـ ص٢ ص ٢٠٦].

** .. ** .. **

٦ ـ همّام بن يحيى

همام بن يحيى بن دينار الأسدي العوذي المحلمي، مولاهم أبو عبد الله، ويقال أبو بكر البصري، روى عن عطاء بن رباح وإسحاق بن أبي طلحة ويزيد بن أسلم وأبي جمرة الضبعي وقتادة ونافع مولى ابن عمر ويحيى بن أبي كثير وغيرهم. وعنه الثوري وهو من أقرانه، وابن المبارك وابن علية ووكيع وابن مهدي، وأبو داود، وأبو الوليد الطيالسيان وعمرو بن عاصم وحجاج بن منهال.. وآخرون.
قال عمر بن شيبة عن عفان:

كان يحيى بن سعيد يعترض على همّام في كثير من حديثه، فلما قدم معاذ نظرنا في كتبه فوجدناه يوافق همّاماً في كثير مما كان يحيى ينكره، فكفّ يحيى بعد عنه.
وقال أحمد بن سنان عن يزيد بن هارون: كان همّام قوياً في الحديث.

وقال صالح بن أحمد عن أبيه: **همّام ثبت في كل المشائخ**.

وقال أبو حاتم عن أحمد: سمعت ابن مهدي يقول: **همّام عندي في الصدق**، مثل ابن أبي عروبة.

وقال ابن محرز عن أحمد: **همّام ثقة**، وهو أثبت من أبان العطار في يحيى بن أبي كثير.

وقال الحسين بن الحسن الرازي عن ابن معين: **ثقة صالح**، وهو أحب إليّ في **قتادة** من حمّاد بن سلمة.

وقال ابن أبي خيثمة عن ابن معين: **همّام في قتادة أحبّ إلي من أبي عوانة**.

وقال ابن المبارك: **همّام ثبت في قتادة**.

قال محمد بن محبوب: مات سنة ثلاث وستين ومائة. وذكره ابن حبّان في **الثقات**.

[**تهذيب التهذيب** : جـ ١١ ص ٦٧].

□.□.□

الفصـــل الثامـــن
حـــوار ونقـــاش
حـــول نبوة آدم ورسالتـــه

١ ـ بدايـة الحـــوار.

٢ ـ حوار ونقاش حول نبوة آدم ورسالتـــه.

٣ ـ شبهـــات.... وردود:

ا ـ الأوليـة النسبية... والأولية المطلقـة!

ب ـ أولية نبوّة نوح عليه السلام.. ومفهـوم المخالفـة!

جـ ـ الرِدّة المزعومـة ... وانقلاب النكاح إلى سفـاح!.

** .. ** .. **

بدايـــة الحـــوار

قبل عِدَّة سنوات كنت في محلة البسطة الفوقا في بيروت، وحان موعد صلاة الجمعة، فذهبت إلى مسجد تلك الناحية، واستمعتُ إلى خُطبة الجمعة قبل الصلاة، ويظهر أنَّ الخطيب ليس من المشايخ الذين تنتدبهم مديرية الأوقاف، بل كان أحد المتطوعين الذين يدرسون عند أحد الشيوخ، وكان موضوع الخطبة عن «نبوّة آدم»، وكان مما قاله الخطيب: «إن إحدى المدارس تدرِّس تلاميذها كتاباً دينياً لا يشير إلى نُبُوَّةِ آدم، وقال: إنَّ من لا يُؤمِنُ بنبوَّة آدم فقد خرج من عداد المسلمين. وبعد انتهاء الخُطبة والصلاة، سلَّمت على الخطيب وقلت له: لقد فوجئت بهذه الخطبة عن نُبُوَّةِ آدم، وفوجئت بتكفيرك من لم يرَ أو يقول بِنُبُوَّةِ آدم، وحرصاً مني على البقاء في حظيرة الإيمان والمؤمنين، أرجو أن تبيِّن لي دليل نبوَّة آدم من كتاب الله أو من حديث الرسول الصادق الأمين ﷺ.

فأجاب: بأنَّ نُبُوَّة آدم، أشار إليها القرآن الكريم في قوله في سورة آل عمران: ﴿إِنَّ اللهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحاً وآلَ إبْراهِيمَ وآلَ عِمْرَانَ عَلَى العَالَمِينَ﴾ (١).

---

(١) آل عمران: ٣٣.

فقلتُ له: وهل كلمة [اصطفاء] تدلُّ على النُّبُوَّة؟

قــال: نعــم.

قلــت: إذن، فإن مريم ابنةَ عِمْرَان عليهـا السلام نبيَّـة لِأَنَّ اللهَ سبحانـه وتعـالى قال عنهـا في نفس السورة: ﴿وإذْ قَـالَتِ المَـلاَئِكَـةُ يَـا مَـريم إنَّ الله **اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ واصْطَفَاكِ** عَلَى نِسَاءِ العالمين﴾ (٢).

قَال: بعض العلماء يَقُولُونَ بِنُبُوَّةِ مريم.

قلـت: ولكنَّ القرآن الكريم نَصَّ على ذكـورية الأنبيـاء في ثلاث آيـات من كتابه الكريم، ففي سورة النحل: ﴿وَمَا أرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إلَّا **رجالاً** نُـوحي إليهم﴾(٣) وفي سـورة الأنبيـاء: ﴿ومـا أرسلنـا قبلك إلَّا **رجــالاً** نـوحي إليهم فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إن كنتم لاتعلمون﴾ (٤)، وفي سورة يـوسف: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَـا مِن قَبْلِكَ **إلَّا رجالاً** نُوحي إليهم من أَهْلِ القُرَى﴾(٥).

وقلـت لــه: هل لديك دليل آخر على نُبُوَّةِ آدم من كتـاب الله أو من سنّة رسول الله ﷺ؟

قــال: لا، وسأراجع شيخي في ذلك.

وقد سررت منـه حينما عجـز عن الحُجَّة، فلم يكـابر، ولم تـأخذه العـزّة بالاثم، بل طلب مهلة لمراجعة شيخه والإتيان بالدليـل، وهذه فضيلة أُسجِّلهـا لــه.

ومنذ ذلك الحين بدأتُ أفكِّرُ بهذا الموضوع.

** .. ** .. **

---

(٢) آل عمران: ٤٢.

(٣) النحــل: ٤٣.

(٤) الأنبيـاء: ٧.

(٥) يوسـف: ١٠٩.

حــوار ونقــاش
حول نبوّة آدم عليه السلام ورسالتـه

قال لي صديقـي :

كنـا في اجتماع مـع بعض الأصدقـاء، وجاءت قصـة آدم أثناء المنـاقشة، وتطوّر الحوار حول نبوّة آدم، فردّ أنصار نبـوَّة ورسالـة آدم عليه السـلام إلى أنَّ نبـوة آدم ثابتـة في **حـديث المعـراج**، حيث أنَّ رسـول الله ﷺ رأى آدم في السمـاء الأولى، كما رأى **عيسى ويحيى** عليهمـا السلام في السمـاء الثـانيـة، وفي السماء الثالثة رأى **يوسف** عليه السلام، وفي **الرابعة إدريس** وفي الخامسة **هارون**، وفي السادسـة **موسى**، وفي السـابعة **إبـراهيم**، عليهم جميعاً صلوات الله وسـلامـه، وكلهم أنبيـاء، وأضـاف: **أليس هـذا دليـلاً على نُبُـوَّة آدم عليـه السلام؟**

قلـت لـه: وأنـا أسأل بـدوري: هل كـلُّ من رأى الـرسـول الكـريم في رحلة المعـراج من خَلْقِ الله، كـانـوا من الأنبيـاء؟ لقـد رأى رسـول الله قـومـاً يـزرعون في يـوم ويحصدون في يـوم، وكلما حصـدوا عاد كمـا كـان. فسـأل الرسول عنهم جبريل عليه السلام، فكان جواب جبريل: **إنَّهم المجاهدون في سبيل الله، تضاعف لهم الحسنة بسبعمائة.**

ورأى رسـول الله ﷺ قومـاً تُرْضَـخُ رؤوسهم بـالحجـارة، وكلمـا رُضِخَتْ

عادت كما كانت، فسأل: من هؤلاء يا جبريل ؟ فأجاب جبريل: **إنّهم أُولئك الذين تتثاقل رؤوسهم عن الصلاة المكتوبة.**

ويرى الرسول قوماً بين أيديهم لحم نضيج في قِدر، ولحم آخر نيء قذر خبيث، فجعلوا يأكلون من اللحم النِّيء الخبيث ويَدَعُونَ النضيج الطيِّب، فيسأل الرسولُ جبريلَ: **من هؤلاء يا جبريل؟** فيقول جبريل: **هذا الرجل من أُمَّتك تكون عنده المرأة الحلال الطيِّبة، فيأتي امرأة خبيثةً فيبيتُ عندها حتى يصبح، والمرأةُ تقوم من عند زوجها حلالاً طيِّباً فتأتي رجلاً خبيثاً فتبيت معه حتى تُصبح.**

وتتوالى الأسئلة من الرسول الكريم وتتوالى الأجوبة من جبريل:

.. ثُمَّ أتى على جُحْرٍ صغير يخرج منه ثورٌ عظيم، فجعل الثور يريد أن يرجع من حيث خَرَجَ فلا يستطيع. فقال الرسول: ما هذا يا جبريل؟ فيرد جبريل:

* **هذا الرجل يتكلَّم بالكلمة العظيمة ثم يندم عليها فلا يستطيع أن يردّها.**

ــ ويرى الرسول أقواماً بطونهم كأمثال البيوت، كلما نهض أحدهم خرّ، فيسأل رسول الله عنهم فيجيب جبريل:

* **إنَّهم ﴿الذين يأكلون الربا لا يقومون إلّا كما يقوم الذي يتخبّطه الشيطانُ من المسِّ﴾.**

ــ ويرى خاتم النبيين أقواماً مشافرهم كمشافر الإبل، تُفتح أفواههم فَيُلْقَمُونَ كراتٍ من نار، ثم تخرج من أسافلهم. فيسأل عنهم الرسول الكريم جبريل عليه السلام، فيجيب جبريل عليه السلام:

* **إنَّهم: ﴿الذين يأكلون أموال اليتامى ظُلماً، إنَّما يأكلون في بطونهم ناراً وَسَيَصْلَوْنَ سعيراً﴾.**

فهل الذين تتثاقل رؤوسهم عن الصلاة، والزُّناةِ، والذين يأكلون الربا من **الأنبيـــاء؟**

وسؤالي الثاني يا صاحبي:

لقد رأى رسول الله في رحلة المعراج بعض الأنبياء، ولكنه لم ير كُلّ الأنبياء، فلم ير نوحاً عليه السلام أول رُسُلِ اللهِ إلى أهل الأرض، ولم ير هوداً أو صالحاً أو شعيباً أو لوطاً، ولم ير إسحاق ويعقوب عليهما السلام، ولم ير داود عليه السلام صاحب الزبور، أو سليمان الحكيم عليه السلام، ولم يَرَ أيوب ويونس وإلياس وبقية الأنبياء. فهل هذا يعدُّ دليلاً على عدم نبوَّة هؤلاء الأنبياء البررة يا صاحبي؟ وعلى كل حال، فرواية البخاري تقول: حينما عرج بالرسول إلى السماء الأولى. . .(**ففتح لنا، فلما خلصت، فإذا فيها آدم فقال جبريل: هذا أبوكَ آدم، فسلِّم عليه. فسلَّمت عليه، فردَّ السلام، ثمّ قال: مرحباً بالابن الصالح والنبيِّ الصالح**). **ولميقل** جبريل: هذا نبيّ الله آدم أو هذا أوَّل أنبياء الله ورسله فسلِّم عليه!

ثم جاءني صديقي في اليوم الثاني، فقال:

لقد استأنفنا اليوم المناقشة حول نبوة آدم، ونقلتُ للمشاركين حوارك معي بالأمس، فانبرى بعضهم للدلالة على نبوَّة آدم بأنَّ ابنيْ آدم قابيل وهابيل اختلفا، فقدَّم كلُّ واحدٍ منهما قرباناً، ﴿**فَتُقُبِّلَ من أحدهما ولم يُتَقَبَّل مِنَ الآخر**﴾، **فقال** قابيل: ﴿**لأقتلنَّك**﴾، فردَّ هابيل: ﴿**إنَّما يتقبَّلُ اللهُ مِنَ المُتَّقين**﴾. وأضاف هابيل: ﴿لئن بَسَطْتَ إليّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي ما أنا بباسطٍ يَدِيَ إليكَ لأقْتُلَكَ، إنيّ أخافُ الله ربَّ العالمين﴾. فمن أين عَلِمَ هابيلُ معنى **التقوى ومخافة الله؟**، لا بدَّ أن يكون آدم عليه السلام أخبرهما بالتقوى ومخافة الله، **أليس هذا دليلاً على نبوَّة آدم عليه السلام؟**

فأجبتـــه : ليس هذا بدليل يا صاحبي.

فقــال : ولمــــاذا؟

فقلت : لأنَّ الله عـزَّ وجـل حينمـا خَلَقَ آدم، وقبـل أن يَـأْمُـرَ المــلائكـة بـالسجـود إليـه، علَّم اللهُ آدَمَ الأسمـاء كُلَّهـا، منهـا أسمـاء الأشيـاء، **والجنّة والشجـرة**، والطاعـة، والمعصية، والعـدالة، **والـظلم والتقى** والجحـود الـخ، ولذلك خاطب الله آدم وزوجه: ﴿وقلنا يا آدم اسْكُن أنتَ وَزَوْجُكَ **الجَنَّةَ فَكُـلاَ مِنْهَا رَغداً حيثُ شِئْتُمَا**، وَلاَ تَقْرَبَا هذِهِ **الشَّجَرَةَ**، فَتَكُونَا مِنَ **الظَّالِمين** * فأزلَّهما الشيطان عنها، فأخرجهمـا مِمَّا كـانا فيـه، وقلنا اهْبِـطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ، ولكن في الأرض مستقرٌّ ومتاع إلى حين *

فتلقّى آدمُ من ربِّه كلماتٍ، فتاب عليه، إنّه هو التوّاب الرحيم *
قلنا اهبطوا منها جميعاً.

فـإمَّـا يـأْتِيَنَّكُم مِنِّي هُـدَىً، فَمَن تَبِـعَ هُـدَايَ، فَـلاَ خَـوْفٌ عليهم ولا هم يحزنون *

والذين كفروا وكـذَّبوا بـآياتنـا، أُولئك أصحـاب النَّار هم فيهـا خالـدون﴾ [البقرة : ٣٥ - ٣٩].

وفي سورة الأعــراف :

﴿ويـا آدم اسكُن أنتَ وزوجُكَ **الجَنَّـة**، فَكُلاَ مِنَ حَيْثُ شِئْتُمَـا، وَلاَ تَقْرَبَـا هذِهِ الشَّجَرَةَ، فَتكونا مِنَ الظالمين﴾.

وبعد أن أكلا مِنَ الشجرة:

﴿قـالا : رَبَّنـا **ظَلَمْنَـا أَنْفُسَنَـا**، **وإن** لم تَغْفِـر لَنَـا وَتَـرْحَمْنَـا لَنَكُـونَنَّ مِنَ الخَاسِرِين﴾.

حينئذ خاطبهم المولى عز وجـــل :

﴿قال اهبطوا بعضكم لبعض عدوّ، ولكم في الأرضِ مستقرٌّ ومتاعٌ إلى حين *
قال فيها تَحْيَوْنَ، وفيها تَمُوتُونَ، وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾.

ثُمَّ كان الخطاب لبني آدم:

﴿يا بني آدم قد أَنـزَلْنَا عليكم لباساً يواري سوءاتِكُمْ وَرِيشاً، وَلِبَاسُ التَّقْوَى، ذَلْكَ خَيْر، ذلِكَ مِن آياتِ اللهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾

وكان التحذير لبني آدم ألّا يكرِّروا غلطة أبويهم:

﴿**يا بني آدم**، لا يفتننّكم الشيطان كما أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الجَنَّةِ، يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَا، إنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِن حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ، إنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أولياء لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

وكان التوجيه لهم أيضاً:

﴿يا بني آدم، خُذُوا زينتكم عند كُلِّ مَسْجِد،
وكُلُوا واشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا، إنَّه لَا يُحِبُّ المُسْرِفِين﴾.

وكانت الوصية والتنبيه لاستقبال الرسل من ذريّة آدم دون الاشارة إلى آدم:

﴿**يا بني آدم إمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ منكم**، يَقُصُّون عليكم آيَاتِي، فَمَنِ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فلا خوفٌ عليهم وَلَا هم يحزنون * والذين كذَّبوا بآياتنا واستكبروا عنها، أُولئك أصحاب النَّارِ هُمْ فيها خالدون * **فمن أظلم مِمَّنِ افترى عَلَى اللهِ كَذِباً أو كَذَّبَ بآياته**﴾.

ومعنى ذلك يا صاحبي، أنَّ القرآن الكريم أثبت أنَّ الرسل سيأْتُونَ من ذُرِّيَّة آدم وليس آدم، ومعنى ذلك أيضاً أنَّ الله سبحانه سوَّى بين من يُنْكر نُبُوَّة

نَبِيٍّ وبين من يفتري على الله الكذب فيدَّعي نُبُوَّةً لم يقل بِهَا القرآن الكريم أو الرسول الصادق الأميـــن

وبدأت الرسالة بنوح عليه السلام، وهو من ذرية آدم، وجاءت الرسل بعده من ذرِّيته: ﴿ولقد أرسلنا نوحاً وإبراهيم، وجعلنا في ذرِّيتهما النُّبوَّة والكتاب﴾ [الحديد: ٢٦].

ولذلك قال الإمام الشيخ محمد مصطفى المراغي في تفسيره: لهذه الآية:

«**نوح أول الرسل إلى الأرض**؛ وإبراهيم قد انتسب إليه أكثر الأنبياء، وعظِّم في كل الأديان، ومن ذرِّيته الأنبياء الذين جاءوا بالكتب الأربعة: التوراة، والإنجيل، والزبور، والفرقان؛ **وهو من ذرِّية نوح أيضاً**، فالنبوّة والكتاب لا تخرج عن ذرِّيتهما، ولذلك خُصَّا بالذكر».

** .. ** .. **

وفي اليوم الثالث جاءني وفد يريد مناقشتي في أدِلَّة نبوّة آدم، فقال أحدهم:

ألا تؤمن بنبوَّة إدريس عليه السلام؟

قلت: ومن يستطيع إنكار نُبُوَّة إدريس، وقد قال الله سبحانه في سورة مريم: ﴿واذْكُر في الكتاب إدريس، إنَّه كان صدّيقاً نبيّاً﴾.

قال: وقد ثبت أنَّ إدريس عليه السلام كان قبل نوح. بل ثبت أنَّ نبي الله «شيث» كان من أبناء آدم، وقد نزلت عليه خمسون صحيفة، فكيف تزعم أنَّ نوحاً عليه السلام هو أوَّلُ رُسُلِ اللهِ إلى أهل الأرض؟

قلت: يا صاحبي: ومن أخبرك أنَّ إدريسَ عليه السلام كان قبل نوح، هل كتاب الله نصّ على ذلك؟

قال: بل كُتَّابُ التاريخ يقولون هذا!

قلـــت : والأصحّ أن تقـول إنَّ هــذه المعلومـات جــاءت من التَّـوراة المحـرَّفـة، وليس من أهـل التـاريـخ، لأن أهـل التـاريـخ نقلوا عن التــوراة، والصحيح أنَّ القرآن الكريم لم يتحدَّث عن إرسال إدريس قبل نـوح، ولا عن نبيِّ اللهِ «شيث» ولـم يعـدّ علماء المسلمين «شيثـاً» مـن الأنبياء الـذين يجب الإيمان بهم تفصيلاً،

يقول صاحب كتاب [في ظلال القرآن] في شرحه لقولـه تعالى : ﴿واذكـر في الكتاب إدريس، إنَّه كان صديقاً نبيًّا، ورفعناه مكاناً عليّاً﴾ :

«ولا نملك نحن تحـديـد زمن إدريس، ولكن الأرجــح أنّـه ســابق على إبـراهيم، وليس من أنبياء بني إسـرائيـل، فلم يـرد ذكـره في كتبهم. والقـرآن يصفه بأنه كان صدِّيقاً نبيّاً، ويسجِّل له أنَّ الله رفعه مكاناً عليّـاً. **فأعلى قـدره، ورفع ذكره.**

وهنـاك رأي نذكـره لمجرد الاستئنـاس به، ولا نقـرره ولا ننفيه، يقـول به بعض الباحثين في الآثار المصرية، وهـو أنَّ إدريس تعريب لكلمـة «أُوزريس» المصرية القديمة، كمـا أنّ يحيى تعريب لكلمـة يوحنـا. وكلمة اليَسَـعَ تعريب لكلمة إليشع . . وأنّه هو الذي صيغت حوله أساطير كثيرة».

**. . ** . . **

وجاء ذكر إدريس في سورة الأنبيـاء :

﴿وإسمـاعيل وإدريس وذا الكفـل، كلّ من الصـابـرين . وأدخلنـاهم في رحمتنا، إنَّهم من الصالحيـــن﴾ .

وقال سيد قطب في شرحــه :

. . . . **وأمّا إدريس، فقد سبق القول إن زمانه مجهول ومكانه مجهول . .**

** . . ** . . **

فقــال آخــر: وعلى كـلِّ حال، فهنـاك أنبياء، وهنـاك رُسُلٌ، وقـد فـرّق العلماء بين **النبيِّ والرســول**، وآدم نبيّ وليس برسـول، وعلى ذلك فيكـون آدم عليه السلام أوّل الأنبياء.

فـأجبتـــه: أنـا لا أُفـرِّق بين النَّبِيِّ والـرسـول، وأنـا أقــول: **النَّبيُّ هـو الرسول، والرسول هو النَّبِيّ**، ومن زعم غير ذلـك فعليه بـالدليـل، وقد دللتُ على ذلك في الحديث الذي نشرتـه الرسـالة الإسـلامية في العـدد ٨١ تاريـخ شباط (فبراير) ١٩٨٧. ومع ذلك يا صاحبي إذا كنت تعتقد أنَّ هنـاك فرقـاً بين النَّبِيِّ والرسول، أعـطني قائمـة**بالأنبيـاء**، وقائمـة **بالـرُّسل**، وبعـد ذلك نكمـل نقاشنا، فهل لديك الآن قائمة بالأنبياء وقائمة بالرسل؟ قـال: لا، قلت: إذن، نتوقف عن النقاش الآن لحين مجيئكم بالقائمتين.

وذهبوا على أن يعودوا، ولم يعودوا...

....**

وجاءني أحدهم في اليوم الرابع يقول:

لماذا تنكر نبوَّة آدم التي أجمع عليهـا علماء المسلمين؟ ألا تعلم أنَّ كُـلّ من شكَّ في نُبُوَّةِ آدم عليه السلام فقد كفر؟

قلــت: إسمع يا صديقي، أرجو أن تصحِّح كلامك، أنا لم **أُنكـر** نبوَّة آدم، ولكنني **لم اقتنع بنبوَّته**، فعليك أولاً إثبات نبوَّته، وبعد إثباتها لي يمكنـك أن تقول لي: لماذا أنكرتَ نبوَّة آدم، **فالبيِّنة على مَنِ ادّعى أولاً**

قـــال: أليس إجماع المسلمين دليـلاً على النُّبــوة؟

قلـــت: يا صديقي، أنت تُؤمن بنبوَّة خاتم الأنبياء والمرسلين لأنّ علمـاء المسلمين أجمعوا عليها، أم لأنَّ القرآن الكريم أثبتها؟ وهل يحتـاج محمد ﷺ لإجمـاع علماء المسلمين حتّى تثبت نبـوّته؟ لقـد ثبتت نبـوّة محمـد ورسـالتـه

بالقرآن الكـريم يا صـديقي، كما ثبتت نبـوة ورسالـة بقية الأنبيـاء والمرسلين. **ونبـوَّتهم ورسالتهم ليست ثـابتة بـإجماع علمـاء المسلمين فقط، بل بـإجمـاع المسلمين قاطبـة.**

ثم قلت له: هل قرأت شيئاً عن تعريف الإجماع يا صاحبي؟

قـــال: نعم،

قلـت: أيـــن؟

قـال: في كتاب الغزالي،

قلـــت: اذهب، وائتني به، هل قـرأت عن الإجماع في كتـاب [الإسلام عقيدة وشريعة] لمحمود شلتوت؟

قـــال: لا،

قلـــت: أَحْضِـر كتاب «الغـزالي» في الزيـارة القادمـة، وسأُحضـر كتـاب «محمود شلتوت» لنستكمل نقاشنا على هدىً وبصيـــرة.....

** .. ** .. **

وجاءني أحدهم في اليوم الخامس قائلاً: أريد أن أُثبت لَكَ نبوَّة آدم.

قلـت: أرجـوك أن تدلّني على نبوَّتـه وأنا لَـكَ مِنَ الشاكريـن، ولكن أُريـد إثباتها من كتاب الله العزيز أو من سنّة الرسول الكريم.

فقـال: سأثبتها من طريق آخـر،

قلـــت: نبـــوَّة آدم من غيب الله، وأنت لا تملك الغيب، وليس لاجتهـاد علماء المسلمين نصيب في الغيبيات، وعلماء الأصول يقولون: لا اجتهـادَ مع النص، فعليك بالدليل من كتاب الله أو من حديث رسول الله الصادق الأمين.

قـال: اسمح لي أولاً بـالكلام، ثم آتيـك فيما بعـد بالـدليل من الكتـاب والسُّنَّة.

وأضــاف: لمــاذا لا تؤمن أنت بنبــوَّة آدم التي أجمــع عليهــا علمــاء المسلمين؟

قلـت: دَعْـكَ من حكايـة إجماع العلمـاء، وهاتِ الـدّليل رأسـاً من النبع الصافي لا من السواقي العكرة، وأنا لم أر دليـلاً على نبوَّة آدم من كتـاب الله، بل قرأت في كتاب الله عزّ وجل: ﴿وعصى آدم ربَّهفغوى﴾[1]، وقرأتُقول ربِّ العـزة في سورة طـه: : ﴿ولقد عهـدنـا إلى آدم من قبـل فنسي، ولم نجـد لـه عزمــاً﴾ [2]

قــال: المعصية ليست بمانعة من النبوة.

قلـت : كيــف؟

قــال: إذا كان آدم **عصى، فمحمد عصى!**

قلــت : أعـوذ بالله، لقـد وقعنا الآن في الكفر؟هـل تريـد إثبات نبـوَّة آدم باتِّهام محمد بالمعصية؟

قــال : أليس الله سبحانه قال: ﴿واستغفر لذنبك﴾[3]، والذنب معصية.

قلــت : محمـد لم يعص الله، والله سبحانـه قال: ﴿قـل إنِّي أخـافُ إن عَصَيتُ ربِّي عـذاب يـوم عـظيم﴾[4] محمدﷺ اجتهد في بعض المـواقف في مسائل لم ينـزل بها وحي من السمـاء، وجاء القـرآن الكريم يصوِّب للرسول: ﴿مـا كان لنبيٍّ أن يكـون له أَسْـرَى حَتّى يُثْخِنَ فِي الأرض﴾[5]، واجتهدﷺ في قضية المعتذرين عن المشاركة في الجهاد، فقبل منهم علانيتهم ووكل إلى الله سرائرهم، فجاء عفو الله يسبق العتاب الرقيق: ﴿عَفَـا اللهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لهم،

---

(١) طـه : ١٢١ .

(٢) طـه : ١١٥ .

(٣) غافــر : ٥٥.

(٤) الأنعــام : ١٥ .

(٥) الأنفــال : ٦٧ .

حتَّى يتبيَّنَ لَكَ الذين صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الكاذبين﴾[٦] .

وعـاتب ربُّ العزة رسـوله ومصـطفاه في قضيـة الأعمى، وكـان النَّبيُّ ﷺ مشغولاً بأمر جماعة من كبراء قريش يدعـوهم إلى الإسلام حينمـا جاءه ابن أم مكتوم الرجل الأعمى الفقير ـ وهو لا يعلم أنَّه مشغـول بأمـر القوم ـ يـطلب منه أن يعلِّمه مِمَّا علّمه اللهُ، فكره رسول الله ﷺ هذا، وعبس وجهه وأعرض عنه، فنـزل القرآن الكـريم يعاتب الـرسول عتـاباً شـديداً: ﴿عَبَسَ وَتَـولَّى، أن جاءه الأعمى، وما يدريـكَ لعلَّه يَزَّكَّى، أَو يـذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكـرى، أمّا مَنِ استغنى، فـأنتَ له تصـدَّى، وما عليـك ألاَّ يَزَّكَّى؟ وأَمَّـا مَن جَـاءَكَ يَسْعَى وهـو يَخْشَى، فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى . كَلاَّ، إنَّها تَـذْكِرَة، فمن شـاءَ ذَكَرَه﴾[٧]، جاء هذا العتـاب من ربِّ العـالمين لمحمد الـرسول الأمين لأنَّ الله سبحـانه يـريد أن يكـون محمداً مثالاً للكمال الإنساني، ولذلك استحق محمد ﷺ وسـامَ ربِّ العِزَّة: ﴿وإنَّـك لَعَلَى خُلُقٍ عظيم﴾[٨]

ثـم طلبت من زائري إقفال باب المناقشة في هذا الموضوع .

وجاءنـي آخر، فاعتذرت عن الخوض في موضوع آدم، وقلت لـه سأنشـر بحثـاً وأُوزِّعه على المسلمين وعلى علمـاء المسلمين خاصـة، وأترك المجـال مفتوحاً للسادة العلماء، وأنا على استعداد لتقبُّل كُلِّ نقد بنَّاءٍ أو تصحيـحٍ أو حجّةٍ أو دليل، وأنـا على استعداد للعـودة عن رأْيِي إذا ثبت لي خطأ اجتهـادي وجاءوني بالدليل، ولي الشرف عندئذ أن أعود عن رأْيي لِأنَّ العـودة عن الخطأ فضيلة. وإذا لم أقتنـع بوجهـة نظر العلمـاء الأجلاّء فـأنا على استعـدادٍ لإثبات وجهة نظرهم في كتابي لكي يطَّلع على الرأْيَيْنِ كُلّ ذي عقل راجح، ثُمَّ يختار ما يهديه إليه عقله وعلمـه.

---

(٦) التوبـة : ٤٣.

(٧) سـورة عَبَسَ : ١ ـ ١٢.

(٨) القلـم : ٤ .

شبهـــات. . . . وردود

أ ــ الأولية النسبية. . والأولية المطلقة!

ب ــ أولية نبوّة نوح عليه السلام. . ومفهوم المخالفة!

جـ ــ الردّة المزعومة. . وانقلاب النكاح إلى سفاح!

أ ــ الأوليــة النسبية. . والأولية المطلقـة

جاءني بعض الأصدقاء ذات يوم مع شباب لا أعرفهم يريدون التباحث معي في مسألة أولية نبوَّة نوح ورسالته، فسألوني عن دليلي في أولية نبوة نوح ورسالته فأجبتهم:

دليلي من كتاب الله سبحانه، ومن حديث رسوله الخاتم الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يُوحى.

أمّا الدليل من كتاب الله فهو الآية ١٦٣ من سورة النساء: ﴿إنّا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيِّين من بعده﴾

ففي هذه الآية تحديد الأولية لنوح عليه السلام والنبيِّين من بعده، ولو كان آدم من الأنبياء أو لو كان هناك أنبياء قبل نوح لكان نصّ الآية (إنّا أوحينا إليك كما أوحينا إلى آدم والنبيِّين من بعده)، وهذا النّص أكثر دقة في حال ثبوت نبوّة آدم أو يمكن أن يكون نصّ الآية في حال وجود أنبياء قبل نوح:

«إنّــا أوحينا إليك كما أوحينـا إلى نوح والنبيِّين من قبله ومن بعـده». أما وقـد سكت القرآن عن قبل نوح فلا نستطيع القول على الله بغير علم ونقول: «والنبيين من قبله ومن بعـده».

وقد عززنا هذا الفهم بحديث الشفاعة الذي رواه البخاري في صحيحه عن أنس بن مالك وقول آدم عليه السلام لأهل الموقف:

«ولكن ائتوا نوحاً أول نبيٍّ بعثه الله إلى أهل الأرض»، ولايمكن أن يكون آدم أول نبي ونوح أول نبي.. وإلّا وقع التناقض، والقرآن الكريم يقول:

﴿أفلا يتدبرون القرآن؟ ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً﴾ [صدق الله العظيم].

ثم خرجوا من عندي والدهشة تعلو وجوههم..

وبعد يومين طرقوا باب منزلي.. وقد جاءوا بمعلومات استقوها من بعض المشايخ الذين راجعوهم ونقلوا إليهم وجهة نظري.. يقولون: إن الأولية المذكورة في حديث الشفاعة **هي أولية نسبية.. وليست أولية مطلقة، ونوح هو** النبيّ الأول بعد الطوفان.. وقد سبقه بالنبوة إدريس عليه السلام، وعززوا وجهة نظرهم أو وجهة نظر مشايخهم بقوله تعالى: ﴿**وأُمرت** لأن أكون أول المسلمين﴾ وقوله عز وجل: ﴿وبذلك **أُمرت** وأنا أول المسلمين﴾، فهل معنى هذه الآيات أن خاتم النبيين هو المسلم الأول؟

وقد أجبتهم على أدلتهم قائلاً:

١ ــ هل نصَّ القرآن الكريم في الآية المثبتة لنبوّة إدريس ﴿واذكر في الكتاب إدريس، إنّه كان صدِّيقاً نبياً﴾. أنَّ إدريس عليه السلام أُرْسِلَ قبل نوح عليه السلام، وهل معنى قوله تعالى صدّيقاً تعني إرساله قبل نوح؟

٢ ــ هل فهم أحد من خَلْقِ الله أنَّ قوله تعالى لخاتم الأنبياء: ﴿وأُمِرْتُ لأن أكون أول المسلمين﴾ أنَّ محمداً عليه السلام أول مسلم على وجه الأرض، **أم أنَّ الجاهل والعالم فهما أنَّ محمداً عليه السلام أُمرَ أن يكون أول المسلمين من هذه الأُمّة؟!**

الحقيقة التي لا تغيب عن مسلم من أهل الأرض أنَّ رسل الله جميعاً كانوا مسلمين **من نوح عليه السلام إلى محمَّد عليه السلام**، وهذا نوح يقول لقومه: ﴿فإن تولَّيتم فما سألتكم عليه من أجر، إنْ أَجْرِيَ إلاَّ على الله، وأُمِرْتُ أن أكون مِنَ المسلمين﴾. [يونس: ٧٢].

وهذا موسى عليه السلام يقول بأنَّه أول المؤمنين بعد أن أفاق من الصعقة: ﴿ولمَّا جاء موسى لميقاتنا وكلَّمه ربُّهُ قال: ربِّ أرني أنظُر إليك، قال: لن تراني ولكن انظرْ إلى الجبل، فإنِ استقرَّ مكانَه فسوف تراني، فلمَّا تجلَّى ربُّه للجبل جعله دكًّا، **وَخَرَّ موسى صَعِقاً**، فلمَّا أفاق قال سبحانك إنِّي تُبتُ إليك **وأنا أوَّلُ المؤمنين**﴾ [الأعراف: ١٤٣].

وقد سبق موسى إبراهيم الذي قال له ربُّهُ ﴿أَسْلِمْ، قال: أسلمتُ لربِّ العالمين﴾، ولذلك يقول الله عزَّ وجل لخاتم أنبيائه: ﴿ قل إنَّني هداني ربِّي إلى صراط مستقيم، ديناً قِيَماً، مِلَّة إبراهيم حنيفاً، وما كان من المشركين. قُل إنَّ صلاتي ونُسُكِي ومحيايَ ومماتِي لله ربِّ العالمين، لا شريك له، **وبذلك أُمرتُ وأنا أوَّلُ المسلمين**﴾ [الأنعام: ١٦١ - ١٦٣].

والقرآن الكريم يأمر محمداً بإعلان أوَّلية إسلامه كما جاء في سورة الزمر ١١ - ١٢:

﴿قل إنِّي أُمِرْتُ أن أَعْبُدَ اللهَ مُخْلِصاً له الدِّين. وأُمرتُ لأنْ أكونَ أوَّلَ المسلمين﴾أي من هذه الأُمَّة.

والخشية كل الخشية أن يأتيَ يومٌ يقول قومٌ **بالنسبية**، فيقولون عن أوَّلية الله سبحانه: ﴿**هو الأوَّل والآخرُ**، والظاهرُ والباطن، وهو بكلِّ شيءٍ عليم﴾ [الحديد: ٣]، **بأنَّها أوَّلية نسبية وليست مطلقة!!** ثم يقولون: إن خَتْمَ النُّبُوَّة بمحمد ﷺ **ليست ختمة مطلقة ولكنَّها نسبية**، أو يزعم الزاعمون أن محمداً ﷺ هو خاتم النبيِّين، وليس خاتماً للرسل كما زعمت القاديانية!!.

ب ـ أولية نبوّة نوح عليه السلام.. ومفهوم المخالفة!

في الزيارة الثانية للأصدقاء مع بعض الشباب.. قال الشباب:

لقد راجعنا مشايخنا وقالوا لنا:

إنّ مفهومي لآية النساء ١٦٣: ﴿إنّا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح **والنبيِّين من بعده**﴾ خاطىء، واستدلالي بهذه الآية على عدم وجود أنبياء قبل نوح يعود إلى أخذي **(بمفهوم المخالفة)** الذي لا يأخذ به الأحناف.. هذا التفسير للآية مبني على ما يسميه الأصوليون **(دلالة المفهوم)**،أي ما يستدل به من مفهوم النّص، وهو يقابل **(دلالة المنطوق)**، وهي ما يؤخذ من النّص مباشرة.. وأنّ هذه الطريقة في استنباط الحكم من النصوص ليست موضع اتفاق بين العلماء وخاصة الأحناف الذين لا يعتبرون **(مفهوم المخالفة)** طريقاً صحيحاً لاستنباط الأحكام من النصوص.. ولذلك فإنهم يعتبرون أن قوله تعالى: ﴿**والنبيِّين من بعده**﴾، لا تعني عدم وجود أنبياء قبل نوح.. ثم ضربوا مثلاً للدلالة على مبدأ **(مفهوم المخالفة)** بآية القصاص: ﴿كُتِبَ عليكم القصاصُ في القتلى: الحُرُّ بالحُرِّ، والعبدُ بالعبدِ، والأُنثى بالأنثى﴾ [1]، وأضافوا: فلو أردنا تطبيق **(مفهوم المخالفة)** هنا لكان معناه أنَّ الذكر لا يُقتل بالانثى، وأنَّ الانثى لا تُقتل بالذكر، ولكن هناك نصّ آخر في هذا المجال

---

(١) البقــرة: ١٧٨.

وهو قوله تعالى: ﴿وكتبنا عليهم فيها أنَّ النفس بالنفس﴾[2] . لذلك يمتنع هنا العمل بمفهوم المخالفة..

وضربوا مثالاً آخر بآية الأشهر الحُرُم من سورة التوبة: ﴿إنّ عدّة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله يوم خلق السماوات والأرض، منها أربعة حُرُم، ذلك الدِّين القيِّم، فلا تظلموا فيهن أنفسكم﴾ [3]، وتطبيقاً لهذه القاعدة يمكن أن تفهموا من نصّ هذه الآية بأنَّ الله ينهى عن الظلم في الأشهر الحُرُم.. **وأن الظلم غير منهي عنه في بقية الأشهر!**

وقد أجبتهم على ذلك قائلاً:

إنّ معنى قوله تعالى: ﴿الحُرُّ بالحُرِّ والعبد بالعبد، والانثى بالأنثى﴾، ليس معناه أنّ الذَّكر لا يُقتل بالأنثى، وأنّ الانثى لا تُقتل بالذكر، بل الصحيح أن الإسلام يقرر قاعدة القصاص الشاملة: ﴿وكتبنا عليهم فيها أنّ النفس بالنفس﴾[4]،وعليه يُقتل الحُرُّ بالعبد،والعبدُ بالحُرِّ، والذكرُ بالأنثى، والأنثى بالذكر، والذِّمي بالمسلم، والمسلم بالذمي، والولد بالوالد، والوالد بالولد، **فالكلُّ نفس محرّمة،** ولوليّها بنص القرآن حقّ القصاص.

قال الشيخ محمود شلتوت في كتابه [الإسلام عقيدة وشريعة] صفحة ٣٦٩:

قوله تعالى: ﴿الحُرُّ بالحُرِّ، والعبدُ بالعبدِ، والأُنثى بالأنثى﴾.

نعم، خصّصت الآية التي معنا، بعض الجزئيات بالذكر، فقالت: الحُرُّ

---

(٢) المائدة: ٤٥.

(٣) التوبة: ٣٦.

(٤) المائدة: ٤٥.

بالحُرِّ، والعبدُ بالعبدِ، والأُنثى بالأنثى **تأكيداً لإبطال ما كانوا عليه في الجاهلية وعدم الاكتفاء بقتل القاتل، خاصة،** وليس هذا التخصيص بياناً لمعنى القصاص في القتلى، فإنه واضح لا يحتاج إلى بيان، كما أنه ليس لاتخاذ هذه الأوصاف أساساً لوجوب القصاص.

قال البيضاوي، وهو ممن يعتبرون المفهوم في النصوص:

(كان في الجاهلية بين حيَّين من أحياء العرب دماء، وكان لأحدهما طَوْل على الآخر، **فاقسموا: لنقتلنَّ الحُرّ منكم بالعبد، والذَّكَرَ بالأنثى** ، فلما جاء الإسلام تحاكموا إلى الرسول ﷺ، فنزلت آية القصاص وأمرهم أن يتباروؤا، **ولا تدلُّ على ألَّا يقتل الحر بالعبد، والذكر بالأنثى، كما لا تدل على عكسه، فإن** المفهوم يعتبر حيث لم يظهر للتخصيص بالذكر غرض سوى اختصاص الحكم) . اهـ .

أما جوابنا على الآية الثانية (آية الأشهر الحرم):

إن كل مسلم يعلم **بأنّ الله حرّم الظلم من يوم** أن خلق السماوات والأرض، وسيظلّ الظلم محرّماً إلى يوم القيامة إلى أن يَرِثَ اللهُ الأرضَ ومن عليها، **والظلم حرام في كل زمان ومكان**، ولكن الله جعل الظلم في الأشهر الحُرُم أشدّ حرمة من بقية الأشهر، وأنّ الله عز وجل سيعاقب من ظَلَمَ في الأشهر الحُرُم أكثر من عقابه من ظَلَمَ في غير الأشهر الحرم.

** .. ** .. **

ثم قالوا :

إن الشافعية ـ وهم أصحاب القول بمفهوم المخالفة ـ وأكثر من يعتمد عليه لم يأخذوا به في هذه الآية. وأضافوا: إنَّ كلمة [**من بعده**] ، وردت في القرآن الكريم دون أن تعني [**ما قبلها**] بحيث لا يمكن الأخذ عندها (**بمفهوم المخالفة**)، **مثال ذلك**، قال تعالى :

﴿ولقد آتينا موسى الكتاب وقفّينا**من بعده** بالرسل﴾[٥]، فهل يمكن هنا القول (بمفهوم المخالفة) الذي يؤدي إلى نفي وجود الرسل قبل موسى عليه السلام؟ وقال تعالى: ﴿اقتلوا يُوسُفَ أو اطْرِحُوهُ أرضاً يَخْلُ لكم وَجْهُ أبيكم، وتكونوا **من بعده** قوماً صالحين﴾[٦]، والكلام هنا على لسان إخوة يوسف، فهل يمكن هنا الأخذ (بمفهوم المخالفة)، ومعناه أنَّ إخوة يوسف يعتبرون أنفسهم قبل قتله غير صالحين؟

وأجبتهم قائلاً:

إنَّ الكلمة الواحدة لها عدَّة معان، ولا يفهم المعنى الحقيقي للكلمة، إلاّ من خلال السياق القرآني، ولذلك فإن قوله تعالى: ﴿ ولقد آتينا موسى الكتاب، **وقفّينا من بعده بالرسل**﴾، لا يعني عدم وجود رسل قبل موسى، بل يعني أن الله سبحانه قد أرسل رسلاً بعد موسى، ولم يتوقف إرسال الرسل عند موسى عليه السلام، وكلُّ مسلم يعلم أن موسى من أنبياء بني إسرائيل وقد سبقه كثير من رُسُلِ الله كنوحٍ وهودٍ وصالح وإبراهيم ولوط وإسماعيل وإسحاق ويعقوب ويوسف وشعيب عليهم جميعاً صلوات الله وسلامه، وتبعه الرسل من بني إسرائيل حتَّى كان خاتمهم عيسى عليه السلام، ثم جاء خاتم الجميع محمد ﷺ. **فسياق الآية جاء يؤكد استمرار النبوة بعد موسى وليس توقف الرسالة عند موسى عليه السلام! أو بدء الرسالة بموسى عليه السلام!**

أما استشهادكم بقوله تعالى: ﴿اقتلوا يُوسُفَ أِو اطرحوه أرضاً يَخْلُ لكم وجه أبيكم وتكونوا من بعده قوماً صالحين﴾ وتعليقكم على هذه الآية بالقول: (**فهل يمكن هنا الأخذ بمفهوم المخالفة** ومعناه أنّ إخوة يوسف يعتبرون أنفسهم قبل قتله غير صالحين)!!

---

(٥) البقرة: ٨٧.

(٦) يوسف: ٩.

فجوابنا على ذلك: أن إشارة القرآن تدلُّ على أن إخوة يوسف لم يكونوا صالحين قبل أن يفكِّروا بقتل يوسف، ولم يكونوا صالحين بعد أن عدلوا عن قتله إلى طرحه في غيابة الجبّ: ﴿فلمَّا ذهبوا به وأجمعوا أن يجعلوه في غيابة الجبّ﴾(7) **كيف أجمعوا على طرح يوسف في غيابة الجب ويظن عاقل أنهم صالحون**؟ كيف يمكن أن يجتمع الصلاح والفساد في وقت واحد؟؟ **كيف يمكن أن يكونوا صالحين، وقد قالوا عن أبيهم: ﴿إنّ أبانا لفي ضلال مبين﴾**(8)!؟.

والقرآن الكريم استعمل كلمة (**من قبل**) و(**من بعد**)، للدلالة على أن الأمر يشمل (**قبله**) كما يشمل (**بعده**).

ففي سورة الروم: ﴿لله الأمرُ **من قَبْلُ ومن بَعْدُ**﴾ [الروم: ٤].

وفي سورة الأعراف: ﴿قالوا أُوذينا **من قَبْلِ** أن تأْتِيَنَا **ومن بَعْدِ** ما جِئْتَنَا﴾ [الأعراف: ١٢٩].

وفي سورة النور: ﴿يا أيُّها الذين آمنوا لِيَسْتَأْذِنْكُمُ الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحُلُم منكم ثلاث مرات، **من قبل صلاة الفجر**، وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة، **ومن بعد صلاة العشاء**، ثلاثُ عورات لكم، **ليس عليكم ولا عليهم جُناح بعدهنّ**، طوّافون عليكم بعضكم على بعض، كذلك يبيِّن الله لكم الآيات، والله عليم حكيم﴾ [النور: ٥٨].

وفي سورة الفتح: ﴿إنّا فتحنا لك فتحاً مبيناً، لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ **ما تقدَّمَ من ذنبك وما تأخَّر**، ويتمَّ نِعْمته عليكَ ويهديَكَ صِراطاً مستقيماً﴾ [الفتح: ١ - ٢].

وفي سورة غافر: ﴿كذَّبت **قبلهم** قوم نوح **والأحزاب من بعدهم**،

---

(7) يوسف: ١٥. (8) يوسف: ٨.

وهمّت كُلُّ أُمَّةٍ برسولهم ليأخذوه، وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحقّ فأخذتهم، فكيف كان عقاب﴾ [غافر : ٥].

وهناك آيات قرآنية قصد بها (من بعد) دون (من قبل) كقوله تعالى في سورة آل عمران:

﴿يا أهل الكتاب لِمَ تُحَاجُّونَ في إبراهيمَ، وما أُنزلتِ التوراةُ والإنجيلُ **إلاّ من بعده**، أفلا تعقلون؟﴾ [آل عمران: ٦٥].

فمن يستطيع الزعم أن التوراة والإنجيل نزلتا قبل إبراهيم؟

وقوله تعالى: ﴿**فمن تاب من بعد ظلمه وأصلح**، فإن الله يتوب عليه، إنَّ الله غفور رحيم﴾ [المائدة : ٣٩]. أي فلا بد أن تكون التوبة والإصلاح **من بعد الظلم لا قبله!**

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ إنَّ ربَّكَ للذين عملوا السُّوءَ بجهالة، **ثم تابوا من بعد ذلك وأصلحوا، إنّ ربَّكَ من بعدها لغفور رحيم**﴾ [النحل: ١١٩]، أي أن المغفرة والتوبة سيكونان **بعد التوبة والإصلاح لا قبلهما!**

والقرآن الكريم حين أباح للمسلمين الزواج من المحصنات من أهل الكتاب **سكت عن السماح لأهل الكتاب الزواج من المحصنات المؤمنات**: ﴿اليومَ أُحِلَّ لَكُمُ الطيِّبات، وطعامُ الذين أُوتوا الكتاب حلٌّ لكم، وطعامكم حلّ لهم **والمحصنــات** من المؤمنات **والمحصنات من الذين أُوتوا الكتاب من قبلكم**، إذا آتيتموهن أجورهن - أي مهورهن - محصنين غير مسافحين ولا متّخذي أخدان، ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله وهو في الآخرة من الخاسرين﴾ [المائدة: ٥]. فعلى رأي حضراتكم **إنَّ الأخذ هنا بمفهوم المخالفة لا يدل على عدم السماح لأهل الكتاب بالزواج من المحصنات المؤمنات!!**

ولذلك فإنَّ قوله تعالى: ﴿إنّا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح **والنبيِّين من بعده**﴾ هذه الآية **حدّدت النَّبيَّ الأول، وحدَّدت خاتم النّبيين، وتحدَّثت**

عن أنبياء جاءوا بعد نوح عليه السلام، وقبل محمد عليه السلام، وليس قبل نوح عليه السلام نبيّ، وليس بعد محمد صلى الله عليه وسلم نبيّ.

ثم جاءت أحاديث الشفاعة تؤكد هذه الحقيقة القرآنية على لسان آدم أبي البشر: «ائتُوا نوحاً أول نبيٍّ بعثه الله إلى أهل الأرض». وحسم الرسول الكريم هذه المشكلة على لسان آدم عليه السلام، والحمد لله ربّ العالمين.

وهذه آيات من القرآن الكريم دلَّت على (القبلية)دون (البعدية):

﴿ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدّق لما معهم، وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا، فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به، فلعنة الله على الكافرين﴾ [البقرة: ٨٩].

﴿قُل فَلِمَ تقتلون أنبياءَ الله من قبل إن كنتم مؤمنين﴾ [البقرة : ٩١].

﴿كلُّ الطعام كان حِلاً لبني إسرائيل إلاّ ما حرّم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزّل التوراة، قل فأْتُوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين﴾ [آل عمران : ٩٣].

﴿قال يا أيها الملأ أيُّكم يأْتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين﴾ [النمل : ٣٨].

﴿والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا، فتحرير رقبة من قبل أن يتماسّا﴾ [المجادلة : ٨].

﴿وما محمد إلاّ رسول قد خلت من قبله الرسل﴾ [آل عمران : ١٤٤].

وبحسب مفهوم حضراتكم أو حضرات علمائكم إنَّ هذه الآية الأخيرة لا تعني عدم وجود رسل بعد محمد ﷺ، سيما أنها تقول بالأولية النسبية، والخوف كل الخوف أن يأتي قوم بعد ذلك ويقولون (بالقبلية) النسبية

و(البعدية) النسبية، ويقولون بأن ختم النبوة بمحمد ﷺ ليست ختمة مطلقة، بل إنَّها ختمة نسبية! ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وبعد أن تحدَّثنا عن الآيات القرآنية التي دلَّت على (القبلية) دون (البعدية) يحسن بنا أن نشير إلى بعض الآيات التي دلَّت على (البعدية) دون (القبلية).

(كذّبت قبلهم قومُ نوح والأحزاب من بعدهم﴾ [الزمر: ٥].

﴿ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون﴾ [البقرة: ٥٢].

﴿ولئن اتّبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من البيّنات إنك إذاً لمن الظالمين﴾[البقرة : ١٤٥].

﴿وتاللهِ لأكيدنَّ أصنامكم بعد أن تُولُّوا مدبرين﴾ [الأنبياء: ٥٧].

﴿والأرض بعد ذلك دحاها﴾ [النازعات : ٣٠].

﴿وما تفرَّق الذين أُوتوا الكتاب إلّا من بعد ما جاءتهم البيّنة﴾ [البيِّنة: ٤].

﴿يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظّ الأنثيين،
فإن كُنَّ نساءً فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك،
وإن كانت واحدة فلها النصف، ولأبويه لكل واحد منهما السدس مِمّا ترك إن كان له ولد، فإن لم يكن له ولد وورثه أبواه فلأمه الثلث،

فإن كان له إخوة فلأمه السدس - من بعد وصيّةٍ يوصي بها أو دين - آباؤكم وأبناؤكم، لا تدرون أيُّهُم أقربُ لكم نفعاً. فريضةً من الله، إنَّ الله كان عليماً حكيماً.

ولكم نِصْفُ ما تَرَكَ أزواجكم إن لم يكن لهنَّ ولد،

فإن كان لهُنَّ ولد فلكم الرُّبُعُ مما تركن ـ **من بعد وصيّةٍ يوصين بها أو دَيْن** ـ ولهــنَّ الرُّبع ممّا تركتم إن لم يكن لكم ولد،

فإن كان لكم ولد فلهن الثُّمُنُ ممَّا تركتم ـ **من بعد وصيـةٍ تُوصُـونَ بها أو دَيْن** ـ وإن كان رَجُلٌ يورثُ كلالة أو امرأة وله أخ أو أخت فلكلٍّ واحدٍ منهما السدس، فإن كـانوا أكثر من ذلك فهم شـركـاء في الثلث ـ **من بعـد وصية يـوصى بهـا أو دَيْن** ـ غيـر مضـارّ، وصيّـة مـن الله، والله عليـم حكـيم﴾ [النساء: ١١ ـ ١٢].

ومعنى ذلك أنه لا يجـوز توزيـع التركـة ـ إلا بعد إخـراج مقدار الـوصية والدَّين لا قبلهما، فهل تقولـون: إن القرآن الكـريم أخذ بمفهـوم المخالفـة، وأن النّص على عـدم توزيـع التركـة لا يعني عدم جـواز توزيـع التـركـة قبـل استقطاع حصة الوصية والدَّين!!

وصدق الله العظيم: ﴿إنّـا أوحينا إليـك كما أوحينـا إلى نـوح **والنبيِّين من بعده**﴾

وصـدق رسـول الله الـذي قـال على لسـان أهـل المـوقف في حـديث الشفاعة: (**يا نوح أنت أول رسل الله إلى أهل الأرض**)، وصدق آدم أبي البشر الذي قال لأهل الموقف: (**ائتوا نوحـاً أول نبي بعثه الله إلـى أهـل الأرض**) وليس بعد قضاء الله سبحـانه وقضـاء رسولـه ﷺ قضاء: ﴿ومـا كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكـون لهم الخِيَرَةُ من أمـرهم، ومن يَعْصِ الله ورسوله فقد ضلّ ضلالاً مبيناً﴾ [الأحزاب : ٣٦].

وأخيـراً نقـول لكم: إننـا نؤمن (بمفهـوم **الموافقـة**) ولا نؤمن (بمفهـوم **المخالفـة**)، ومفهوم الموافقـة كما عـرفه علمـاء أصول الفقـه: (وهو أن يكـون حكم غيـر المذكـور موافقـاً لحكم المذكـور، وقد يكـون غيـر المـذكـور أولى بالحكم من المذكور، وقد يكون مساوياً له)، مثالـه:

ـ تحريم ضرب الوالدين الدّال عليه قوله تعالى: ﴿فلا تقل لهما أفٍّ ولا تنهرهما﴾[1] فعلم من حال التأفف وهو **محل النطق** (حال الضرب) وهو محل **غير النطق** مع الاتفاق وهو إثبات الحرمة بينهما.

فإذن.. مفهوم الموافقة.. هو غير مفهوم المخالفة!!

ونحن نؤمن بالأول.. ولا نؤمن بالثاني!

** .. ** .. **

---

(١) الإسراء: ٢٣.

جـ ـ الردّة المزعومـة . . وانقلاب النكاح إلى سفاح !

قبل أكثر من ستين عاماً كتب العلاّمة الشيخ عبد الوهاب النجار في كتابه [قصص الأنبياء] تحت عنوان:

هل آدم نبيّ ورسول؟

والجـــواب : أنَّ نبوّة آدم قد أخذت دوراً مهماً من عدَّة سنوات، إذ ظهر بمـدينة «دمنهـور» رجل أنكـر أن يكـون آدم نبيَّـاً، وقـد رفعت عليـه الـدعـوى بالمحكمة الشرعية، وصدر الحكم عليه بالتفريق بينه وبين زوجته **لِرِدَّته بذلك الإنكار** ولمّا استأنف الحكم إلى محكمة الإسكندرية كان كلامه أمامها: «**إنّه لم ير لفظاً في القرآن يذكر آدم بالنبوّة، وإنه يعتقد بنبوّته**».

ولعلّ القارىء الكريم يدرك التناقض في قول المدعى عليه المستأنف الذي قال: «**إنّه لم ير لفظاً في القرآن يذكـر آدم بالنبـوّة**»، والمنطق يقـول في غياب الـدليل على نبـوّة آدم غياب اعتقـاده بهذه النبـوّة، ولكن المفـاجـأة في تعقيب المدّعى عليه «**وأنه يعتقد بنبوّته**»، وهذا **الاعتقاد المزعوم** هو خلاف المنـطق الأول.

واستنتـج العلماء من هـذا التنـاقض . . أن محـامي المـدعى عليـه أقنعـه للتخلص من هذه الورطة أن يقول قولاً يرضي في الشّقّ الأول ضميـره وقناعتـه بقوله: **إنه لم ير لفظاً في القرآن يـذكر آدم بـالنبوّة**، ويـرضي المحكمة بـالشقّ الثاني باعترافه المزعوم: «**وأنه يعتقد بنبوته**».

ورضيت المحكمة بهذه الصيغة، ومكّنتها من إصدار حكمها بإلغاء الحكم الأول **وأُعيدت إليه زوجته!**

وعقّب الشيخ النجار على هذه القضية بقولـه:

أقول أيضـاً: إنَّ القرآن الكريم لم يذكر لفظ النبوة بإزاء آدم كما ذكر ذلك بإزاء غيره من الأنبياء كإسماعيل وإبراهيم وموسى وعيسى وغيرهم، ولكن ذكر أنه خاطبه بلا واسطة، وشرع له في ذلك الخطاب، فأمره ونهاه، وأحلّ له وحرّم عليه بدون أن يرسل إليه رسولاً، وهذا هو كل معاني النبوّة، **فمن هذه النـاحية نقول إنّه نبي**، وتطمئن أنفسنا بذلك، **وأضاف**:

وأما رسالته فالأمر فيها مختلف فيه، وشأننا أن نفوِّض علم ذلـك إلى الله تعالى؛ على أنّي رأيت في حديث الشفاعة الوارد في صحيح مسلم أن النـاس يذهبون إلى نوح ويقولون له: **أنت أول رسل الله إلى الأرض**؛ ثم قال معقّباً:

فلو كان آدم رسولاً لما ساغ هذا القول[1]، والعلماء القائلون برسالة آدم يؤولون ذلك بأنه أول رسول بعد الطوفان، وهو تأويل متكلف، ثم قال:

«**إذا كان آدم نبياً فكيف عصى، والأنبياء معصومون من المعصية؟**»، وقد رد على من قال من العلماء: أن ذلـك كان قبـل النبوّة المستلزمـة للعصمة من المعصية، بقوله: **وهو جواب حسن، لولا أنّه وقع بعد صدور الأمر والنهي إليه بلا واسطة وهو ما جعلناه من أمارات نبوّته.**

** . . ** . . **

---

(١) لأنَّ القاعدة القرآنية تقول: ﴿أفلا يتدبرون القرآن. . ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً﴾ [النساء: ٨٢]، ولأن القـاعدة الفقهيـة تقول: (لا حجَّـة مع التنـاقض). [**المؤلـــف**].

ومرّت الأيام. . والعلماء المحققون فهموا من هذه القِصَّة **ظنية نبوّة آدم**. . ولم تتكرر قصة دمنهور بعد ذلك وبقي المسلمون يتعلمون في مدارسهم أنّ آدم نبي. . وأخذ المؤلفون في الكتب المدرسية يذكرون في كتبهم أن عدد الأنبياء (٢٥) أولهم آدم. . وآخرهم محمد ﷺ.

ولكن بعض العلماء أصرّ على أن نبوّة آدم **يقينية. . لا ظنية** حتى زعم بعضهم الإجماع على هذه النبوّة والرسالة مستشهدين بما جاء في كتاب «أصول الدين» للبغدادي:

« **أجمع المسلمون وأهل الكتاب على أن أول من أرسل من الناس آدم عليه السلام**»، وقال البعض الآخر: «**آدم عليه السلام نبيّ بالقطع واليقين**»، وزعم آخرون حتمية الإيمان بنبوّة آدم قائلين: «**إما إيمان بنبوّة آدم. . فنجاة. . وإمّا إنكارٌ لها فوقوعٌ في الكفر البواح!!** حتى كانت قمّة المغالاة ادّعاء البعض: «**بأن من لم يعترف بنبوّة آدم فهو كافر مرتد، وهو يعيش مع زوجه في سفاح وليس في نكاح!!**».

** . . ** . . **

فهل القضية كما يقولون ويزعمون: أن من لم يعترف بنبوّة آدم أو على الأصحّ لم يقتنع بها فهو كافر مرتد يعيش مع زوجه في سفاح وليس في نكاح؟

ومن أين استقوا هذا الحكم الشرعي؟

هل قال ذلك كتاب الله الذي أباح للمسلمين الزواج من أهل الكتاب كما جاء في سورة المائدة:

﴿اليوم أُحِلّ لكم الطيِّباتُ، وطعامُ الذين أُوتوا الكتاب حلٌّ لكم، وطعامكم حِلٌّ لهم، والمحصنات من المؤمنات، **والمحصناتُ من الذين أُوتوا الكتاب من قبلكم، إذا آتيتموهن أجورهن** (مهورهن) محصنين غير مسافحين ولا متخذي

أَخْدَان ومن يكفر بـالإيمان فقـد حبط عمله، وهو في الآخـرة من الخاسـرين﴾ [المائدة : ٤].

والقرآن الكريم قال عن أهل الكتاب النصارى:

﴿لقد كفر الذين قالوا إنَّ الله هو المسيح بن مريم﴾ [المائدة: ٧٢].

﴿لقد كفر الذين قالوا إنَّ الله ثالث ثلاثة﴾ [المائدة : ٧٣].

فكفر أحد الزوجين لا يقلب الزوجية من النكاح إلى السفـاح بنصّ القرآن ولهذا أباح القرآن للمسلم أن يتزوج من الكتابية التي تقول إن الله هو المسيح بن مريم أو تقول: إنَّ الله ثالث ثلاثة!

الـزواج رباط مقـدّس لا ينقضه خـلاف فقهي أو نبـوَّة ظنيـة، والتحليـل والتحريم ليس من حقّ أحد سوى كتاب الله وسنّة رسوله الصحيحة المتـواترة، والله سبحانه وتعالى يقول:

﴿ولا تقولوا لما تَصِفُ ألسنتكم الكذب هذا حلال. . وهذا حرام. . لتفتروا على الله الكذب، إنَّ الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون * متاع قليل، ولهم عذابٌ أليم﴾ [النحل : ١١٦ ـ ١١٧].

الزواج رباط مقدس. . وقد جعله الله من آياته البيِّنات:

﴿ومن آياته أن خَلَقَ لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليهـا، وجعل بينكم مودّة ورحمة، إنَّ في ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾ [الروم : ٢١].

الزواج رباط مقدس وميثاق غليظ:

﴿وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج، وآتيتم إحداهن قنطاراً، فلا تأخذوا منه شيئاً، أتأخذونه بهتاناً وإثماً مبيناً * وكيف تأخذونه، وقد أفضى بعضكم إلى بعض **وأخذن منكم ميثاقاً غليظاً**﴾ [النساء : ٢١ ـ ٢٢].

وعن محمود بن لبيد رضي الله عنه قال:

«أُخبر رسول الله (ﷺ) عن رجل طلّق امرأته ثلاث تطليقات جميعاً، فقام غضبان، ثم قال: «**أيلعب بكتاب الله وأنا بين أظهركم**»، حتى قام رجلٌ، فقال: يا رسول الله ألا أقتله؟ » [رواه النسائي، ورواته موثقون].

إن القول على الله بغير علم من أكبر الكبائر، وإن القول بتحريم ما أحلّه الله من أكبر الكبائر،

وإن هدم الأسر وقطع ما أمر الله به أن يوصل إفساد في الأرض، كما جاء في القرآن الكريم:

﴿فهل عسيتم إن تولّيتم **أن تفسدوا في الأرض، وتقطّعوا أرحامكم**، أولئك الذين لعنهم الله **فأصمّهم** وأعمى أبصارهم * أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها﴾ [محمد : ٢٢ ـ ٢٤]

كيف يحكمون على من فهم أولية نبوّة نوح ورسالته بقول الله سبحانه في الآية : ١٦٣ من سورة النساء: ﴿إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيِّين من بعده﴾ بأنه كافر أومرتد ؟ .

كيف يحكمون على من صدّق محمداً صلى الله عليه وسلم في حديث الشفاعة وصدّق آدم عليه السلام حين قال لأهل الموقف: «**ائتوا نوحاً أول نبيٍّ بعثه الله إلى أهل الأرض**»بادعائهم، بأنّ من لم يعترف بنبوّة آدم فهو:

ـ فاسق . . أو كافر مرتد. . أو أنه يعيش مع زوجه في سفاح وليس في نكاح؟!!!.

ألا يعلمون أنهم يكذّبون محمداً ﷺ. . ويكذبون آدم عليه السلام ويكذبون أهل الموقف الذين ذهبوا إلى نوح وقالوا له: **يا نوح أنت أول الرسل إلى أهل الأرض**؟ ويكذّبون ويكفرّون العلماء والمفسرين الذين قالوا بأولية نبوّة نوح عليه السلام ورسالته؟

ولنا عتاب رقيق على بعض العلماء الأفاضل الذين رفضوا الخوض في هذا الموضوع وعدم الرّدّ على التهم التي ذكرناها آنفاً على من لم يقتنع بأولية نبوّة آدم عليه السلام ورسالته. . نظراً لإيمانهم بهذه الأولية بالنبوّة والرسالة لنوح عليه السلام. . لا لآدم أبي البشر!

وقد رفضوا الخوض في هذا الموضوع بحجج واهية، منها:

«أنَّ بحث مثل هذا الأمر في هذا الوقت العصيب والمرحلة التاريخية من حياة الأمة الإسلامية التي تواجه الشدائد والمحن واعتداء المعتدين عليها أمر **لا ينبغي أن يثار بين المسلمين، ولا ينبغي أن تُستنزف فيها جهود العلماء، وتضيع فيها أوقاتهم الثمينة**، حتى لا تؤدي إلى تفريق كلمة المسلمين وإضعاف صفوفهم وشغلهم عن قضاياهم الأساسية !!».

يقولون ذلك بكل بساطة متناسين مهمتهم التي حدّدها القرآن الكريم **بالبيان. . وعدم الكتمان**:

﴿وإذ أخذ الله ميثاق الذين أُوتوا الكتاب لتبيِّننّه للناس **ولا تكتمونه**﴾

والعلماء هم ورثة الأنبياء . . . ومهمة الأنبياء:

﴿وما أنزلنا عليك الكتاب **إلاّ لتبيِّين لهم الذين اختلفوا فيه**، وهدى ورحمة لقومٍ يؤمنون﴾ [النحل : ٦٤].

﴿وأنزلنا إليك الذِّكْرَ لتبيِّن **للناس** ما نُزِّل إليهم، ولعلهم يتفكرون﴾ [النحل : ٤٤].

والله جعل مهمة العلماء مستمرة على مرِّ العصور والدهور:

﴿ومن قوم موسى **أُمّةٌ** يهدون بالحق، وبه يعدلون﴾ [الأعراف : ١٥٩].

﴿**وممّن خلقنا أُمّةٌ** يهدون بالحق، وبه يعدلون﴾ [الأعراف: ١٨١].

﴿ولتكن منكم **أُمّةٌ** يدعون إلى الخير، ويأمرون بـالمعروف، وينهـون عن المنكر، وأولئك هم المفلحون﴾ [آل عمران : ١٠٤].

والعلم شهادة. . والله سبحانه وتعالى يقول:

﴿ولا تكتموا الشهادة، ومن يكتمها فإنه آثم قلبه﴾ [البقرة : ٢٨٣].

﴿**إنَّ الذين يكتمون ما أنزلنا من البيِّنات والهدى من بعد ما بيَّناه للناس في الكتـاب** أولئك يلعنهم الله، ويلعنهم الـلاعنون * **إلّا الـذين تابـوا وأصلحـوا وبيَّنوا**، فأولئك أتوب عليهم، وأنا التوّاب الرحيم﴾ [البقـرة : ١٥٩ - ١٦٠].

[صدق الله العظيم]

** . . ** . . ** . . **

الفصـــل التاســع

حرِّيـة التفكيـر . . . والاجتهـاد . .
لا حرِّيــة التكفير . . . والتفسيـق ! !

******

بين حرية التفكير وحرية التكفيـــر

من المبادىء الأساسية التي جاءت بها الشريعة الإسلاميـة **مبدأ الحـرية**، فقـد أعلنت الشريعـة «**الحُرِّيَّـة**» وقرَّرتهـا في أروع مظاهـرها، فقـرَّرت **حرِّيَّـة التفكيـر، وحريـة الاعتقـاد، وحـريـة القـول**، وسنتكلم عن هـذه الحـريـات واحدة بعد أُخرى:

١ ـ حريــة التفكيـــر:

جاءت الشريعة الإسلامية معلنة حرية التفكيـر، محرِّرة العقـل من الأوهـام والخـرافات والتقـاليد والعـادات، داعيةً إلى نبـذ كُلِّ مـا لا يقبله العقل. فهي تحثُّ على التفكيـر في كل شيء، وعـرضه على العقـل، فـإن آمن بـه العقـل كـان محل إيمـان، وإن كفـر بـه كـان محـل كُفـران. **فـلا تسمـح الشـريعـة الإسلامية لـلإنسان أن يؤمن بشيءٍ إلاّ بعـد أن يفكِّر فيـه ويعقله، ولا تبيح لـه أن يقــول مقـالاً أو يفعــل فعـلاً إلاَّ بعــد أن يفكّـر فيمــا يقـول ويفعــل ويعقلــه:**

ونصوص القرآن التي تحضُّ على استخـدام العقل وتحـرير الفكـر لا تعدُّ كثرةً، منهـــا:

﴿قُلِ انظروا ماذا في السماوات والأرض﴾ [يونس: ١٠١].

﴿فلينــظر الإنســان مِمَّ خُلِقَ * خُلِقَ من مــاء دافق * يَـخْـرُجُ من بـين الصُّلْبِ والترائب﴾ [الطارق: ٥ ـ ٧].

﴿أفـلا ينـظرون إلى الإبـل كيف خُلِقَتْ ؟ وإلى السمـاء كيف رُفِعَتْ ؟ وإلـى الـجـبـالِ كـيـف نُـصِـبَـتْ ؟ وإلـى الأرض كـيـف سُـطِـحَـتْ﴾ [الغاشية : ١٧ ـ ٢٠].

﴿إنَّ في ذلـك لذكـرى لمن كـان لـه قلب أو ألقى السمـع وهـو شهيـد﴾ [سورة ق : ٣٧].

ويعيب القرآن على الناس أن يُلغـوا عقولهم، ويعـطِّلُوا تفكيرهم، ويقلِّدوا غيـرهم، ويؤمنوا بـالخرافـات والأوهام، ويتمسكـوا بـالعـادات والتقـاليـد دون تفكير فيما يتركون أو يَدَعُون: ﴿وإذا قيـل لهم اتَّبِعُوا مـا أَنْزَلَ اللهُ، قَـالوا: بـل نَتَّبِـع ما ألفينـا عليه آبـاءنـا، أولـو كَـانَ آباؤُهـم لا يعقلون شيئاً ولا يهتـدون﴾ [البقرة: ١٧٠].

﴿أفلم يسيـروا في الأرض فتكـونَ لـهم قـلوبٌ يعـقلون بـهـا، أو آذانٌ يسمعـون بهـا، فـإنهـا لا تعمى الأبصـارُ، ولكن تعمى القلوبُ الـتي فـي الصدور﴾ [الحج : ٤٦].

﴿ولقد ذَرَأْنَا لجهنم كثيـراً من الجِنِّ والإنس، لهم قلوبٌ لا يفقهون بهـا، ولهم أعين لا يُبْصِرُونَ بها، ولهم آذانٌ لا يسمعـون بها، أُولئِـكَ كالأنعـام، بل هم أضلّ،أولئك هم الغافلون﴾ [الأعراف: ١٧٩].

٢ ـ حريـــة الاعتقـــاد:

والشـريعة الإسـلامية هي أول شـريعة أبـاحت حـرِّيَّـة الاعتقـاد، وعملت على صيانة هـذه الحريـة وحمايتهـا إلى آخر الحـدود، فلكلٍّ إنسـان أن يعتنق من العقـائـد مـا شـاء، وليس لأحـدٍ أن يحمله على تـرك عقيـدتـه أو اعتنـاق غيـرها، أو يمنعـه من إظهار عقيـدته. واقـرأْ ما شئتَ هـذه المعـاني صـريحـة واضحة في قول الله لرسولـه:

﴿وَقُلِ الحقُّ من ربِّكم، فمن شاءَ فليؤْمن، ومن شاء فليكفر﴾
[الكهف: ٢٩].

﴿لا إكْراهَ في الدِّين، قد تبيَّن الرُّشْدُ من الغيِّ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

﴿ولو شاءَ ربُّكَ لآمَنَ مَنْ في الأرض كُلُّهم جميعاً، أفأنتَ تُكرِهُ النَّاسَ حتى يكونوا مؤمنين﴾ [يونس: ٩٩].

﴿فذكِّرْ إنَّما أنتَ مذكِّر، لستَ عليهم بمسيطر، إلَّا من تولَّى وكفر، فيعذِّبه الله العذابَ الأكبر، إنَّ إلينا إيابهم، ثُمَّ إنَّ علينا حسابهم﴾
[الغاشية: ٢١ ـ ٢٦].

﴿فإنَّما عليكَ البلاغُ، وعلينا الحساب﴾ [الرعد: ٤٠].

﴿وما على الرسول إلَّا البلاغُ المبين﴾ [النور: ٥٤].

٣ ـ حرِّيَّة القول:

أباحت الشريعة حرِّيَّة القول، وجعلتها حقّاً لكلِّ إنسان، بل جعلت القول واجباً على الإنسان في كلِّ ما يمسُّ الأخلاق والمصالح العامة، والنظام العام، وفي كلِّ ما تعتبره الشريعة منكراً، وذلك قوله تعالى: ﴿ولتكن منكم أُمَّةٌ يدعونَ إلى الخيرِ، ويأْمرونَ بالمعروفِ وينهونَ عَنِ المنكر﴾
[آل عمران: ١٠٤].

وإذا كان لكلِّ إنسان أن يقول ما يعتقد أنَّه الحق، **ويدافع بلسانه وقلمه عن عقيدته،** فإن حرِّيَّة القول ليست مطلقة، بل هي مقيَّدة بأن لا يكون ما يكتب أو يقال خارجاً عن حدود الآداب العامة والأخلاق الفاضلة، **أو مخالفاً لنصوص الشريعة.**

وقد قيَّدت الشريعة **حرِّيَّة القول** من يوم نزولها، وقيَّدت في الوقت نفسه هذه الحرية بالقيود التي تمنع من العدوان وإساءة الاستعمال، وكان

أول من قيِّدت حريته في القول محمد ﷺ، وهو رسول الله الذي جاء معلناً للحرية، مبشِّراً بها وداعياً إليها، ليكون قوله وعمله مثلاً يُحْتذى، وليعلم النَّاس أنه لا يمكن أن يُعفى أحد من هذه القيود إذا كان رسول الله ﷺ أوّل من قيِّد بها، مع ما وصفه ربُّه من قوله: ﴿وإنَّك لعلى خُلُقٍ عظيم﴾ [القلم : ٤].

ولقد أمر الله رسوله أن يبلِّغ رسالته للناس، وأن يدعو الناس جميعاً إلى الإيمان بالله والرسالة، وأن يحاجّ الكفَّار والمكذِّبين، ويخاطب عقولهم وقلوبهم، ولكن الله جلّ شأنه لم يترك لرسوله حرية القول على إطلاقها، فرسم له طريق الدعوة، وبيَّن له منهاج القول والحجاج، وأوجب عليه أن يعتمد في دعوته على الحكمة والموعظة الحسنة، وأن يجادل بالتي هي أحسن، وأن يعرض عن الجاهلين، وأن لا يجهر بالسوء من القول، وأن لا يسبَّ الذين يدعون من دون الله، فرسم الله لرسوله حدود حرية القول، وبيَّن لنا أن الحريَّة ليست مطلقة، وإنما هي حرية مقيَّدة بعدم العدوان عليها وعدم إساءة الاستعمال.

ويمكننا بعد ذلك أن نقول: إنَّ الشريعة الإسلامية تبيحُ لكلِّ إنسان أن يقول ما يشاء دون عدوان، **فلا يكون شتّاماً ولا عيّاباً، ولا قاذفاً، ولا كاذباً، ولا مكفِّراً مُسلماً** من أهل التوحيد والإيمان لاجتهاد من هذا المسلم في رأي، سيما إذا كان ما يقول به يستند إلى نصٍّ من كتاب الله عزَّ وجل، أو حديثٍ صحيح عن رسول الله ﷺ.

عن ابن عمر رضي الله عنه أنَّ النبي ﷺ قال:

«إذا قال الرجل لأخيه: يا كافر، فقد باء به أحدهما، إن كان الذي قيل له كافر، فهو كافر، وإلاّ رجع إلى من قال». (منحة المعبود جـ ١ ص ٢٩٦].

الفهم الإنساني في الإسلام ليس ديناً يلتزم:

قال الإمام محمود شلتوت في كتابه (الإسلام عقيدة وشريعة) صفحة ٨ :

«وقد اتَّصلت بالقرآن ـ بعد أن التحق محمد بربِّه ـ أفهام العلماء والأئمة فيما لم يكن من آياته نصّاً في معنى واحد[١]، ومن هذا الجانب اتَّسع ميدان الفكر الإنساني، وكثرت الآراء والمذاهب في النظريات والعمليات، **لا على أنَّها دينٌ يُلتزم، وإنما هي آراء وأفهام فيما هو من القرآن محتمل للآراء والأفهام**، يردّ فيها كل ذي رأي منها رأيه في الدلالة التي فهمها هو من النص القرآني، **بمعونة ما صحّ عنده من أقوال الرسول أو أفعاله، أو من القواعد العامة** التي ترمي إليها روح الدين عامَّةً، وهذا الصنيع لم يكن من هؤلاء الأئمة وفي معتقدهم إلَّا اجتهاداً فردياً، لا يوجب واحد منهم على أحدٍ من الناس أن يتَّبعه، بل تركوا لغيرهم مِمَّن له أهلية الفهم **حرِّيَّة التفكير والنظر**».

ثمَّ تحدث عن العقيدة في الصفحة ٩ ـ ١٠، فقال:

« والعقيدة: هي الجانب النظري الذي يُطلب الإيمان به أولاً وقبل كل شيء، **إيماناً لا يرقى إليه شكّ، ولا تؤثّر فيه شبهة**، ومن طبيعتها: تضافر النصوص الواضحة على تقريرها، **وإجماع المسلمين عليها** من يوم أنِ ابتدأت الدعوة، مع ما حدث بينهم من اختلاف بعد ذلك فيما وراءها، وهي أول ما دعا إليها الرسول، وطلب من الناس الإيمان به في المرحلة الأولى من مراحل الدعوة[٢]، وهي دعوة كل رسول جاءَ من قِبَلِ الله، كما

(١) وكان المسلمون في حياة الرسول ﷺ في غنى عن هذا برجوعهم إليه، وتعرُّفهم المراد منه ﷺ.

(٢) هي المرحلة التي قام بها من مبدأ الرسالة إلى نهاية وجوده في مكة، وتتجلى عناصر تلك الدعوة في السور المكية كلها، وقد عنيت السور المكية ببيان ذلك كله، وأصبحت هي المصدر الأول للعلم والإيمان.

دلَّ على ذلك القرآن في حديثه عن الأنبياء والمرسلين.

ثـــم قـــــال:

أمَّـا العقائـد الأصليـة كـالإيمـان بـالله واليـوم الآخـر، وأصـول الشـريعـة كوجوب الصلاة والزكاة وحرمة النفس والعرض والمال، فإن نصـوصها جـاءت في القرآن بيِّنة واضحة، لا تحتمل اجتهاداً ولا أفهاماً. صفحة ٨ ــ ٩ .

وأضـــــاف : ومن هنـا كثـرت الآراء والمـذاهب فيمـا يتَّصـل بـالفــروع التـابعة (٣) للعقـائد الأصليـة، وفيمـا يتصـل بـالعمليـات التـابعـة (٤) لأصـول الشرائع والأحكام.

ثم تحدَّث الشيخ محمود شلتوت عن سماحة الإسلام فقـــال:

وإذا دلَّت طبيعة الإسلام هـذه على شيءٍ، فإنمـا تدلُّ على أنـه دين يتَّسـع للحـرية الفكـرية العـاقلة، وأنه لا يقف ـ فيمـا وراء عقائـده الأصليـة وأُصـول تشـريعه ـ على لـون واحد من التفكيـر، أو منهـج واحـد من التشـريـع، وقـد كان ـ بتلك الحرية ـ ديناً يساير جميع أنواع الثقافات الصحيحة، والحضارات النـافعة التي يتفتق عنهـا العقل البشـري في صلاح البشـرية وتقـدّمهـا، مهمـا ارتقى العقل ونمت الحياة. (صفحة : ٩) .

** .. ** .. ** .. **

أما ظاهـرة التكفيـــر التي تورَّط فيهـا كثير من رجـال العلم أو أدعيائـه، أو الجـاهلين بهـذا الـدين، والـذين لم يفـرّقـوا بين **التفكيـر والتكفيـر**، ولم يـرجعوا في اتّهـامهم للناس بـالرِّدَّةِ إلى تعـريف الرِّدَّة من صـاحب الشرع ومن

(٣) مثل زيادة صفات الله عن ذاته، وخلق العبد لأفعاله الاختيارية، ورؤية الله بالبصر في الآخرة، ووجوب الصلاح والأصلح على الله، ونحوها.

(٤) مثل الفروع الاجتهادية، كمسح ربع الرأس أو كله في الوضوء.

رسول الشريعة، بل استمدوا مفهوم التكفير والرِّدَّة من عقولهم القاصرة أو من بعض العلماء الذين تورَّطوا في تكفير غيرهم نتيجة فهم غير سليم للنصوص وعدم ضبط للموضوع كما يقول الصنعاني في كتابه: (العدة على أحكام الاحكام ـ جـ ٤ ص ٢٨٠).

وقال الأستاذ نعمان عبد الرزاق السامرائي، المعيد في كلية الشريعة والمحاضر في كلية الدراسات الإسلامية ـ بغداد ـ في كتابه (أحكام المرتد في الشريعة الإسلامية) ص ١٠ :

«وقد اضطربت فيه أفكار الأئمة وعباراتهم، وزلّت فيه أقدام كثيرين، ولخطر أمره وحكمه كان حقيقاً بالإفراد في تأليف. . . .».

** . . ** . . **

الردة والمرتد في شريعة الإسلام لغةً وشرعاً:

وقد عرَّف المؤلف الرِدَّة والمرتدّ في كتابه (منهاج الصالحين من أحاديث وسُنَّة خاتم الأنبياء والمرسلين) صفحة ١٠٢ ـ ١٠٤ بقوله:

وقد اتَّفقت معاجم اللغة على تعريف المرتد **بأنَّه الراجع عن الإسلام**.
وجاء تعريف الرِّدَّة في جمهرة اللغة لابن دريد الأزدي جـ ١ص ٧٢ :

«والرِّدَّة: الرجوع عن الشيء، ومنه الرِّدَّة عن الإسلام»، وكذلك جاء في لسان العرب لابن منظور جـ ٤ ص ١٥٣ ـ ١٥٥ (مادة ردّ): «ومنه الردة عن الإسلام، أي الرجوع عنه، وارتد فلان عن دينه إذا كفر بعد إسلامه».

ثم قال : وقد جاء ذكر «الرِّدَّة» في القرآن صراحةً بقوله تعالى: ﴿ومن يرتددْ منكم عن دينه فَيَمُتْ وهو كافر فأُولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة، وأُولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾ [البقرة: ٢١٧]. ووردت في القرآن الكريم أيضاً في [سورة المائدة : ٥٤]: ﴿يا أيُّها الذين

آمنـوا من يرتـدَّ منكم عن دينه فسـوف يأتي الله بقـومٍ يحبُّهم ويحبُّـونـه، أذِلَّـة على المؤمنين، أعِـزَّة على الكافـرين، يجاهـدون في سبيل الله، ولا يخـافون لومة لائم، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله واسع عليم﴾.

ووردت في القرآن بالمعنى دون اللفظ في مثـل قولـه تعالى: ﴿إنَّ الـذين كفـروا بعد إيمـانهم ثـم ازدادوا كفراً لن تُقْبَـلَ توبتهم وأُولئـك هم الضَّـالُّـون﴾ [آل عمران : ١٠]، وفي قولـه تعالى: ﴿إنَّ الـذين آمنوا ثُمّ كفـروا، ثم آمنوا ثم كفـروا، ثم ازدادوا كفـروا، لم يَكُنِ اللهُ لِيَغْفِـرَ لهم ولا لِيَهْـدِيَهُمْ سبيـلاً﴾ [النساء : ١٢٧].

ووردت لفظة «الرِّدَّة» في السُّنَّة كثيراً، أحياناً بمعنـاها الاصـطلاحي، وهو (الكفر بعد الإيمان)، وأحياناً بمعناها اللغوي، كمـا وردت بلفظ (التبديـل) أو بوصف صاحبها (تاركاً لدينه مفارقاً لجماعته).

وقد ورد في منحة المعبـود للبنا جـ ١ ص ٢٩٦، حـديث رسول الله ﷺ: «لا يحـلُّ دم امـرىء مسلم إلَّا بـإحـدى ثـلاث: الثَّيِّبُ الـزاني، والنَّفْسُ بالنَّفْسِ، والتَّارِكُ لدينه المفارقُ للجماعـة»، كما ورد الحـديث في مكان آخـر بهذا اللفظ عن عثمان بن عفَّان قال: سمعت رسـول الله ﷺ يقول: «لا يحـلُّ دمُ امرىءٍ مسلم إلّا بإحدى ثلاث: رَجُلٌ زنى بعد إحصـان، فعليه الرجم، أو قتـل عمداً فعليـه القَوَدُ، أوِ ارتـدَّ بعد إسـلامه فعليـه القتل» (سنن الترمـذي، شرح السيوطي جـ ٧ ص ١٠٢).

ويـذكر الفقهـاء بأنَّـه لا يكون المسلم مـرتداً إلا إذا تـوفَّرت فيـه شـروط، وهي: البلوغ، والعقـل، والاختيار، وقـال الشافعي وزُفَـر عن إسـلام الصبي: «لا يصـحُّ إسلامـه حتَّى يبلغ، لقول النبي ﷺ: «رُفِـعَ القَلَمُ عن ثـلاث.... وعن الصبيِّ حتى يبلغ» ويقولون: **لا رِدَّة من غير إسلام سابـق**.

**** .. ** .. ****

هذا هو تعريف الرِّدَّة في القرآن والسُّنَّة الصحيحة ومعاجم اللغة، ومعنى ذلك فإن القرآن الكريم والسُّنَّة النبوية الصحيحة لا يقرَّانِ الزعم بأنَّ من خالف غيره في فهم آيةٍ أو حديث يعتبر كافراً مرتداً يستوجب فسخ عقد نكاحه.

والمرتدّ بنص القرآن وتعريف الفقهاء ومعاجم اللغة هو الراجع عن دين الإسلام، أو من كذّب صريح القرآن، أو من كذب حديثاً صحيحاً متواتراً من أحاديث خاتم الأنبياء.

ويقول صاحب كتاب (أحكام المرتد في الشريعة الإسلامية) صفحة ٨٠ :

الفــرع الثاني: ما يوجب الرِّدَّة من الاعتقاد في القرآن:

«ومن المعروف أنَّه يكفَّر من جحد القرآن كله أو بعضه، وحدَّد بعضهم الكفر ولو بجحود كلمة، وبعضهم قال: بحرف واحد، **كما يكون الكفر باعتقاد تناقضه واختلافه، أو الشكّ** بإعجازه والقدرة على مثله، أو إسقاط حرمته، أو الزيادة فيه.

ثم قال : «**أما تفسيره وتأويله، فلا يكفَّر جاحده ولا رادُّه، لأنَّه أمر اجتهادي من فعل بشرٍ يُخطئون ويُصيبون**».

ثم قال في صفحة ٨١ : (الفرع الثالث، فيما يوجب اعتقاده ردّة):

يعتبر كافراً مرتدّاً مَنِ اعتقد كذب النبي ﷺ في بعض ما جاء به (من السُّنَّة الصحيحة)، ومن اعتقد حلّ شيء مجمع على تحريمه كالزنا وشرب الخمر.

وقال في صفحة ١٠٩ (**الفرع الرابع : سبُّ الأنبياء ردّة**):

من الأنبياء من هم محل اتفاق بين العلماء، فمن سبَّهم فكأنما سبَّ نبيّنا ﷺ، وسابُّ الرسول كافر، **فكذا كلُّ نبيٍّ مقطوع بنبوَّته**».

ثم قال في صفحة ١١٠:

«إلا أنه يمكن فهم القيد (القطع بالنبوة) وإن لم ينصّ عليه، لأنَّ من سبّ نبيّاً **غير مقطوع بنبوَّتِهِ لا يمكن قتله، لوجود شبهة أن لا يكون نبيّاً**».

رأي العلامة الفقيه السيد سابق في الرِّدَّةِ والمرتد:

يقول صاحب كتاب (فقه السُنَّة) جـ ٢ ص ٤٥٣ :

«.. فإذا صدر من المسلم لفظٌ يدل على الكفر لم يقصد إلى معناه، أو فعلٍ ظاهرٍ مكفِّرٍ لم يرد به فاعله تغيير إسلامه، لم يُحكم عليه بالكفر.

ومهما تورط المسلم في المآثم واقترف من جرائم، فهو مسلم لا يجوز اتّهامه بالردّة.

روى البخاري أن رسول الله ﷺ قال:

«منْ شهد أن لا إله إلا الله، واستقبل قبلتنا، وصلَّى صلاتنا، وأكل ذبيحتنا، فهو المسلم، له ما للمسلم، وعليه ما على المسلم».

وقد حذّر رسول الله ﷺ المسلمين من أن يقذف بعضهم بعضاً بالكفر، لعظم خطر هذه الجناية، فقال فيما رواه مسلم عن ابن عمر:

«إذا كفّر الرجل أخاه، فقد باء بها أحدهما».

إنَّ المسلم لا يكون خارجاً عن الإسلام، ولا يُحكم عليه بالرِّدَّة إلاَّ إذا انشرح صدره بالكفر واطمأَنَّ قلبه به، ودخل فيه بالفعل، لقوله تعالى: ﴿ولكن مَن شَرَحَ بالكفر صدراً﴾ [النحل: ١٠٦]، ويقول الرسول ﷺ: «إنَّما الأعمال بالنِّيَّات، وإنَّما لكلِّ امرىءٍ ما نوى».

ولما كان ما في القلب غيباً من الغيوب التي لا يعلمها إلا الله، **كان لا بد من صدور ما يدلُّ على كفره دلالة قطعية لا تحتمل التأويل، حتَّى نُسِبَ إلى الإمام مالك أنه قال: «من صدر عنه ما يحتمل الكفر من تسعة وتسعين وجهاً، ويحتمل الإيمان من وجه، حُمِلَ أَمْرُهُ على الإيمان»**.

رأي الإمام محمود شلتوت عن الرِّدَّة والمرتدّ:

تحت عنوان: [عقوبة الاعتداء على الدِّين بالرِّدَّة] قال فضيلته في كتابه (الإسلام عقيدة وشريعة) صفحة ٢٨٠ ـ ٢٨١، ما يلي:

الاعتداءُ على الدِّين بالردة يكون **بإنكار ما عُلِمَ مِنَ الدِّين بالضرورة**، أو ارتكاب ما يدلُّ على الاستخفاف والتكذيب. والذي جاء في القرآن عن هذه الجريمة هو قوله تعالى: ﴿ومن يرتددْ منكم عن دينه فيمت وهو كافر، فأولئك حبطت أعمالهم في الدُّنيا والآخرة، وأُولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾ [البقرة: ٢١٧]، ثم قال: **والآية كما ترى لا تتضمن أكثر من حكم بحبوط العمل، والجزاء الأخروي بالخلود في النار**.

أما العقاب الدنيوي لهذه الجناية، وهو القتل، فيثبته الفقهاء بحديث عن ابن عباس رضي الله عنه: قال: قال رسول الله ﷺ: «من بدّل دينه فاقتلوه».

وقد تناول العلماء هذا الحديث بالبحث من جهات:

ـ هل المراد من بدَّل دينه من المسلمين فقط، أم هو يشمل من تنصَّر بعد أن كان يهودياً.

ـ وهل يشمل هذا العموم الرجل والمرأة، فَتُقْتَلُ إذا ارتدّت كما يقتل إذا ارتد، أو هو خاص بالرجل، والمرأة لا تُقتل بالرِّدَّة؟

ـ وهل يقتل المرتد فوراً، أو يستتاب؟

ـ وهل للاستتابة أجل، أو لا أجل لها، فيستتاب أبداً؟

ثم قال: وقد يتغيَّر وجه النظر في هذه المسألة إذا لوحظ أن كثيراً **من العلماء يرى أن الحدود لا تثبت بحديث الآحاد، وأن الكفر بنفسه ليس مبيحاً للدم، وإنما المبيح للدم هو محاربة المسلمين، والعدوان عليهم، ومحاولة فتنتهم عن دينهم**، وأن ظواهر القرآن الكريم في كثير من الآيات تأبى الإكراه في الدِّين، فقال تعالى: ﴿لا إكراه في الدين﴾ [البقرة : ٢٥]، وقال سبحانه : ﴿أفأنتَ تُكْرِهُ النَّاس حتى يكونوا مؤمنين ؟ ﴾ [يونس : ٩٩].

**.. ** .. **

أما ظاهرة التكفير، فقد تورط فيها ـ كما أشرنا ـ كثير من رجال العلم أو أدعيائه أو الجاهلين بسماحة هذا الدين، والذين لم يفرِّقوا بين التفكير والتكفير، ولم يرجعوا إلى تعريف الردة من صاحب الشرع ومن رسوله الصادق الأمين، وهي ظاهرة قديمة وليست جديدة.

فقد نادى المعتزلة قديماً بفكرة (أن القرآن مخلوق) والخطأ الذي ارتكبه المعتزلة أنهم أرادوا فرض فكرتهم على الناس وعلى العلماء، وقد امتحن الإمام أحمد بن حنبل بفكرة خلق القرآن، وسُجِنَ وعذِّبَ لرفضه هذه الفكرة، وحجَّة الإمام أحمد بن حنبل عدم وجود نص أو دليل على ذلك من القرآن الكريم أو من السُّنَّة النبوية الصحيحة.

وصمد الإمام أحمد بن حنبل كالطود الشامخ، حتى أذِنَ الله بانحسار هذه المحنة بعد أن قيَّض الله لدينه علماء عاملين لا يخافون في الله لومة لائم، فناظروا بِشْراً المرِّيسي المعتزلي في حضرة الخليفة المأمون، واستطاع الشيخ الإمام عبد العزيز بن يحيى بن مسلم الكناني المكي المتوفى عام ٢٤٠ هـ، أن ينتصر على «بشر المريسي» ويتغلب عليه بالحجَّة

والبرهان، ويقرُّه الخليفة المأمون، ويأمر له بعشرة آلاف درهم كما جاء في كتاب (الحيدة - أو المناظرة الكبرى في محنة خلق القرآن)(*).

وفي لسان الميزان جـ ٥ ص ١٠٩، ذكر قصة رواها المهتدي ابن الواثق أنَّه لما أُحضر عبد الله وهو خليفة، فأُتِيَ برجل من أهل الحديث، أحضره ابن أبي دواد المعتزلي، فذكر القصة عن امتحانه بخلق القرآن وقوله لابن أبي دواد: هل علم هذه المقالة رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر بن الخطاب، أم لا؟ فإن قلت علموها، قلت لك: فهل دَعَوُا الناس إليها أم لا، إلى آخر القصة وفيها قول الواثق: **يسعنا ما وسع الصحابة**، وأمر بالإحسان إلى الرجل.

** .. ** .. **

ويمتحن الإمام الجليل شيخ الإسلام ابن تيمية في بعض آرائه وفي مسألة التوسُّل، وفي اجتهاده بأن الطلاق الثلاث بكلمة واحدة لا تحسب إلا واحدة، ويسجن الإمام ويتهم باتهامات مختلفة ويحكم عليه بالكفر، إلى أن يأتي القرن العشرون ليكرِّم الإمام ابن تيمية ويردّ إليه اعتباره في مصر الأزهر، ويأخذوا باجتهاده بأنَّ الطلاق الثلاث بكلمة واحدة لا تُحسب إلا طلقة واحدة.

** .. ** .. **

وقد تمادى نهج المكفِّرين، حتى صرَّح بعضهم بقوله: إنَّ المسلم يكفر ويرتد وينفسخ عقد نكاحه بواحدة من هذه المذكورات، منها:

١ - إذا قيل له: إلحس أصابعك بعد الطعام، فإنَّه سُنَّة نبيك، فقال: هذا مستقذر.

٢ - أو قال له الكافر: لقِّني كلمة الإسلام، فأخَّرَ القول.

٣ - أو قال عن المؤذِّن: يكـذب.

(*) منشورات دار الفتح للطباعة والنشر - بيروت.

٤ ـ أو قال : أعطني صُوفاً، وخذ مني خروفاً ، استهزاء.

٥ ـ أو أُمر بحضور مجلس العلم، فقال: أي شيء اعمل بمجلس العلم.

٦ ـ أو ألقى فتوى عالم على الأرض. . الخ.

فيكفر بواحدة من هذه المذكورات (راجع كتاب الكفاية لذوي العناية لعبد الباسط فاخوري ـ فصل أحكام الردة والعياذ بالله) [ص ١٥٤ ـ ١٥٨].

** . . ** . . **

والعلماء ـ أخذاً من سماحة الإسلام وآدابه ـ كان الواحد منهم يستدرك على غيره، ويخالف بعضهم بعضاً بالحجَّة والبرهان والدليل، دون أن يتَّهِمَ بعضهم بعضاً بالكفر والرِّدَّة، بل كان الواحد منهم يحسن الظنّ بأخيه ويخاطبه بكل احترام، ويناقش الفكرة بالفكرة والرأي بالرأي ـ ضمن إطار الحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن.

استدراك السيدة عائشة على بعض الصحابة:

وقد استدركت السيدة عائشة أُم المؤمنين رضي الله عنها على بعض الصحابة، كما ذكر الإمام بدر الدين الزركشي في كتابه (الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة)[1]، فقد جاء في الصفحة ٦٧ :

حينما علمت السيدة عائشة أن ابن عمر رضي الله عنه يحدِّث أن رسول الله ﷺ قال: «إنَّ الميت ليعذَّب ببكاء أهله عليه» ـ وقد كان عمر بن الخطاب يقول بذلك أيضاً ـ قالت عائشة:

يرحم الله عمر. . . لا والله ما حدّث رسول الله ﷺ: إنّ الله يعذّب

---

(١) عنى بتحقيقه الأستاذ سعيد الأفغاني، ونشره المكتب الإسلامي في بيروت.

المؤمن ببكاء أحد، ولكن قال: «إنَّ الله يزيد الكافر عذاباً ببكاء أهله عليه، ثم قالت: حسبكم القرآن: ﴿ولا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخرى﴾. وفي رواية: **رحم الله عمر، ما كذب، ولكنه أخطأ أو نسي.**

ولما علمت أن عبد الله بن عمر يقول بذلك أيضاً قالت عائشة رضي الله عنها:

«إنَّكم لتحدِّثوني عن غير كاذبين ولا مكذِّبين، ولكن السمع يخطىء».

استدراكها على ابن عباس:

وقد استدركت السيدة عائشة على ابن عباس في قوله: «رأى محمد ربّه»، فقالت: من زعم أنّ محمداً رأى ربّه فقد أعظم، ولكن قد رأى جبريل في صورته وخَلْقِهِ سادّاً ما بين الأُفق.

وفي الصحيحين من حديث «مسروق» قلت لعائشة:

يا أمتاه: هل رأى محمد ربَّه؟

فقالت: لقد قفّ شعري مِمّا قلت: من حدّثك أنَّ محمداً رأى ربَّه فقد كذب، ثم قرأت ﴿لا تُدركه الأبصارُ وهو يدرك الأبصارَ، وهو اللطيف الخبير﴾ [الأنعام: ١٠٣]، ولكنه رأى جبريل في صورته مرتين.

فقلت؟: يا أُم المؤمنين أنظريني ولا تعجليني، ألم يقل الله عز وجل: ﴿ولقد رآه بالأُفق المبين﴾ ﴿ولقد رآه نزلة أُخرى﴾؟ [النجم: ٧ ، ١٣].

فقالت: أنا أول هذه الأمَّة سأل عن ذلك رسول الله، فقال: إنما هو جبريل، لم أره على صورته التي خُلِقَ عليها غير هاتين المرتين، رأيته منهبطاً مِنَ السماء سادّاً عظم خلقه ما بين السماء والأرض، وقالت: أو لم تسمع أن الله عز وجل يقول: ﴿وما كان لِبشرٍ أن يُكَلِّمه الله إلاّ وحياً، أو

من وراءِ حجـاب، أو يرسـل رسولاً فيـوحي بإذنـه ما يشـاء، إنَّه عليّ حكيم﴾ [الشورى: ٤٢].

استدراكها على أبي هريرة:

قال أبو داود الطيالسي في مسنده:

حـدّثنا محمـد بن راشد عن مكحـول، قال: قيـل لعائشـة: إن أبا هـريرة يقول: قال رسول الله ﷺ: «الشُّؤْمُ في ثلاثـة: في الدار، والمـرأة، والفرس، فقالت عائشة: **لم يحفظ أبو هريرة**، إنَّه دخل ورسـول الله ﷺ يقول: «**قـاتل الله اليهـود يقولـون**: الشؤم في ثلاثـة: في الـدار والمـرأة والفـرس»، **فسمـع آخر الحديث ولم يسمع أوله**» ص ١٠٣.

وفي رواية كما في مسنـد أحمد: أنَّ رجلين دخـلا على عائشـة فقالا: إن أبا هريـرة يحدِّث أنَّ نبيَّ الله ﷺ كـان يقول: «إنَّمـا الطيـرة في المرأة والـدّابّة والـدار»، قال: فـطارت شقّة منهـا في السمـاء وشقّـة منهـا في الأرض (وهـذا مبالغة في التعبير عن الغضب والغيظ) وقالت: «والـذي أنزل القـرآن على أبي القـاسم، مـا هكـذا كـان يقـول، ولكن كـان نبيّ الله ﷺ يقـول: كـان أهـل الجاهلية يقـولون: الـطيرة في المـرأة والدّابّـة والدار، ثم قـرأت عائشـة: ﴿ما أصـاب من مصيبـة في الأرض ولا في أنفسكم إلاّ في كتـاب مـن قبـل أن نبرأها﴾ [الآية ٢٢ ، من سورة الحديد].

وفي الصفحـة ١٠٧ من كتاب (الإجـابة لإيـراد ما استـدركته عـائشة على الصحابة):

عن عروة قال: بلغ عائشة رضي الله عنهـا أن أبا هـريرة يقـول: إن رسول الله ﷺ قـال: «لأن أُقنِّـع بسـوط في سبيـل الله أحبّ إليّ من أن أعتق ولـد الزنى»، وأن رسول الله ﷺ قال: «ولد الزنى شرّ الثلاثة» و«إن الميِّت ليعذّب

ببكاء الحي»، فقالت عائشة: «**رحم الله أبا هريرة، أساء سمعاً فأساء إجابة**»، أمّا قوله: لأن أقنّع بسوط في سبيل الله أحبّ إليّ من أن أعتق ولد الزنى، فإنها لمّا نزلت: ﴿فلا اقتحم العقبة، وما أدراك ما العقبة، فكّ رقبة﴾، قيل: يا رسول الله، ما عندنا ما نعتق، إلا أن أحدنا له الجارية السوداء تخدمه وتسعى إليه، فلو أمرناهن فزنين فجئن بأولاد فأعتقناهم؟ فقال رسول الله: لأن أقنّع في سبيل الله أحبّ إليّ من أن آمر بالزنى ثم أُعتق الولد.

وأما قوله: «ولد الزنى شرُّ الثلاثة، فلم يكن الحديث على هذا، إنما كان رجل من المنافقين يؤذي رسول الله، فقال: من يعذرني من فلان؟ قيل: يا رسول الله، إنّه مع ما به ولد زنى، فقال هو شرُّ الثلاثة. والله تعالى يقول: ﴿ولا تَزِرُ وازرةٌ وِزْرَ أُخرى﴾.

وأما قوله: إنَّ الميّت ليعذب ببكاء الحيّ، فلم يكن الحديث على هذا، ولكن رسول الله ﷺ مرَّ بدار رجل من اليهود قد مات وأهله يبكون عليه، فقال: إنَّهم ليبكون عليه وإنّه ليعذّب»، والله يقول: ﴿لا يكلِّف الله نفساً إلّا وسعها﴾ [البقرة: ٢٨٦]، قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرّجاه.

** .. ** .. **

هذا هو أدب الإسلام في تصحيح الأحاديث دون الحطِّ من كرامة الراوي أو الحكم بتكفيره وتفسيقه، وتمعنوا في قول عائشة: «**رَحِمَ الله أبا هريرة أساءَ سمعاً فأساءَ إجابة**».

ونحن بدورنا نقول: رحم الله من أساءَ إلينا.

** .. ** .. **

وقبـل أن نتحدَّث عن اجتهاد الصحـابة، والاجتهـاد يكون فيمـا لا نصّ فيـه، أو إذا كان الأمـر غامضـاً ويحتمل التـأويل يمكن الاجتهـاد. فإن أصـاب المجتهد في اجتهاده فله أجران، وإن أخطأ فله أجر واحــد.

أما الاجتهاد مع وجود الأمر الصريـح الذي لا شبهـة فيه، فليس لأحـد أن يجتهد فيه:

يقول صاحب الظلال في تفسيره لسورة الأعــراف:

﴿قال: ما منعك ألّا تسجُدَ إذْ أمرتــك؟
قال: أنا خيرٌ منه، خلقتني من نار، وخَلَقْتَهُ من طين﴾. [الأعراف: ١٢].

يقــول سيد قطب في شرحه لهذه الآيـــة:

لقـد جعل إبليس لـه رأياً مـع النّص، وجعـل لنفسـه حقّـاً في أن يحكم نفسـه وفق ما يـرى هو من سبب وعِلَّة مـع وجود الأمـر.. وحين يُـوجـد **النص القـاطع والأمـر الجازم ينقـطع النظر**، ويبـطل التفكُّر، وتتعيَّن الـطاعة، ويتمّ التنفيــذ...

** **

والاجتهــاد ـ كمـا قلنا ـ لا يكـون فيما نصّ فيـه، بل فيمـا لا نصّ فيه، بل قد يكون الاجتهاد إذا كان الأمر غامضاً ويحتمل التأويــل.

ولكل إنسان بَلَغَ مرتبة الاجتهـاد أن يجتهد في دين الله فيمـا لا نصّ فيه، أو إذا كـان النّصُّ يحتمل أكثـر من معنى، وقد تحـدَّث الإمام محمـود شلتوت في كتابه (الإسلام عقيدة وشريعة) البـاب الثالث عن «أسبـاب اختلاف الأئمـة في فقه القرآن والسنة»، فقــال:

وقـد اتفقوا جميعـاً على أنّ الأصـل الـذي لا يعـدل عنـه في التشـريـع، ويقضي على كلٍّ ما سـواه متى وُجِدَ، هـو كتاب الله ثُمَّ سنَّـة الرسـول ﷺ، أو

هما معاً، وعلى الرغم من هذا وقع بين الأئمة اختلاف كثير في استنباط الأحكام من هذين المصدرين، ثم ضرب أمثلةً من هذا الاختلاف فقال:

المثال الأول: فمن أمثلة الاشتراك في اللفظة المفردة كلمة (قُرْء) الواردة في قوله تعالى بياناً لعدّة المطلقات ذوات الحيض: ﴿والمطلَّقات يتربَّصْنَ بأنفسهن ثلاثة قُرُوء﴾ [البقرة : ٢٢٨]، فإنها مشتركة بين الحيض والطهر، وثبت ورودها في كلام العرب لهما على حدٍّ سواء، ولا خلاف بين العلماء في ذلك، كما لا خلاف بينهم في أنّ المراد منها هو أحد المعنيين لا مجموعهما، وإنما اختلفوا في المراد منها في الآية.

فذهب جماعة من الفقهاء، ومنهم مالك والشافعي إلى أن المعنى هو **الطهر، وعليه فإنَّ عدَّة المطلَّقة المذكورة تُحسب بالأطهار**، أعني الأزمنة التي تقع بين الدمين، وتنتهي العدّة بانتهاء الطهر الثالث، فلا يكون للزوج عليها رجعة، ويحلُّ لها أن تتزوج بغيره.

وذهب جمهور آخرون، ومنهم أبو حنيفة **إلى أن المراد هو الحيض**، وعليه فعدَّة المطلَّقة المذكورة تُحسب بالحيض، ولا تنتهي العدة عندهم إلا بانقضاء الحيضة الثالثة. (يراجع التفاصيل وأمثلة أخرى وأدِلة كلّ فريق من الكتاب صفحة ٥٠٧ ـ ٥٠٨).

ونحن نذكر هنا مثالاً آخر بالنسبة لاجتهاد الفقهاء في مسألة (أكثر مدة الحمل):

فمن المعروف طبياً وعلمياً وواقعياً وشرعياً أنّ مدة الحمل تسعة أشهر، والبعض منهم جعل أقصاها سنة كاملة، كما جاء في المادة ١٧ من القانون رقم ٢٥ سنة ١٩٢٩، المصري التي نصّت على أنه «لا تُسمع الدعوى لنفقة عدّة لمدةٍ تزيد على سنة من تاريخ الطلاق»، (راجع كتاب الأحوال الشخصية لعبد الوهاب خلاّف ـ الطبعة الثانية ص ١٧٩).

وقد أخطأت المذاهب الأربعة في تقديرها لحساب (أقصى مدة الحمل)، وهذا ما جاء في كتاب (الفقه على المذاهب الأربعة، تأليف عبد الرحمن الجزيري) جـ ٤ صفحة ٥٢١:

فالأحنـاف يقولون:

إن أقلّ مدة الحمل ستة أشهر كغيرهم من الأئمة الثلاثة، **وأكثرها سنتان،** ، خلافاً للجميع، كما ستعرفه من مذاهبهم.

أما المالكية فيقولون:

وإذا ارتابت المرأة في وجود الحمل بعد انقضاء عدَّتها، فإنه لا يحل لها أن تتزوج حتَّى تزول الريبة، **ولومكثت أقصى مدة الحمل وهي خمس سنين،** فإن تزوَّجت قبل مضيّ الخمس سنين بأربعة أشهر، وولدت لخمسة أشهر من وطء الثاني، فإن الولد لا يُنسب لواحد منهما.

أمَّا الأول، فلأنها ولدته بعد الخمس سنين بشهر،

وأمَّا الثاني، فلأنها ولدته لأقل مدة الحمل وهي ستة أشهر.

وحُدّت المرأة لأنَّها تكون زانية، وقد استشكل بعض العلماء هذا فقال: إن الخمس سنين ليست محددة بكتاب الله، خصوصاً أن بعضهم قال: **إن مدة الحمل قد تكون سبع سنين. وعلى هذا، فيُنسبالولد للأول ولا تُحدّ المرأة. !**

رأي الشافعيـة:

واعلم أنَّ أقل مدة الحمل عند الشافعية ستة أشهر كغيرهم، وأكثرها أربع سنين.

فإذا جاءت المرأة بولد بعد أربع سنين كان الولد ابناً للمطلّق.

رأي الحنابلـــة:

ثم اعلم أنّ أقـل مـدة الحمـل عنـد الحنـابلة ستـة أشهـر كغيـرهم، **أمـا أكثـرها فهي أربـع سنين**، وفاقـاً للشـافعيـة، **وخـلافـاً للحنفيـة القـائلين إنهـا سنتان، ؛ والمالكية القائلين أنها خمس سنين.** ص ٥٢٧

** . . ** . . **

وهكـذا، فقـد أخـطأ هؤلاء العلمـاء الجهـابـذة في تقـديـر أقصى مـدة الحمـل، مع أن القـرآن الكـريم، تكلَّم عن مـدة الـرضـاعـة فجعلهـا حـولين كـاملين: ﴿والـوالـدات يـرضعن أولادهن حـولين كـاملين لمن أرادَ أن يُتِمَّ الـرضاعـة﴾ [البقرة : ٢٣٣] ﴿وَفِصَـالُـهُ في عـامين﴾ [لقمـان : ١٤]، ثُمَّ جمع مدّة الحمل والرضاعة في آية [سورة الأحقـاف: ١٥]، فجعلها ثـلاثون شهراً: ﴿ووصَّينا الإنسان بوالديه إحسـاناً، حملتـه أُمُّه كُـرْهاً ووضعتـه كُرْهـا، وحمله وفصـاله ثـلاثون شهـراً﴾، فاستنتـج الفقهاء من هـذه الآية أنَّ أقـل مدَّة الحمـل ستة أشهـر، وقد أجمعـوا على ذلك، وكـان عليهم الرجـوع إلى هـذه الآية لاستنتاج ومعـرفة أقصى مـدَّة الحمل، ولكنهم أخـطأوا ـ غَفَرَ الله لهم ـ، ونحن لسنـا ملزمين بـالأخـذ بـاجتهـادهم الخـاطىء، ولكننـا لا نكفِّـرهم، ولا نسيءُ الـظَّنَّ بهم، بل نقـول: إنهم اجتهدوا فـأخطأوا في اجتهـادهم، ورسـول الله ﷺ أعطاهم أجراً واحداً على اجتهادهم الخاطىء.

** . . ** . . **

ومن اجتهاد الفقهاء إلى اجتهاد الصحابـــة:

من المعلوم أن الصحـابة كـانـوا يجتهـدون في عصـر الـرسـول، حسب مفهـومهم لمعنى الأمـر النبـوي، فحينمـا أمـر رسـول الله ﷺ ـ في أعقـاب انسحـاب المشركين والأحـزاب من معركـة الخنـدق ـ مؤذِّنـاً في النـاس: (من **كان سامعاً مطيعـاً فلا يصلِّين العصـر إلَّا ببني قريـظة**)، وبادر المسلمـون إلى

امتثال أمره ونهضوا من فورهم، وتحركوا نحو بني قريظة، وأدركتهم العصر في الطريق فقال بعضهم: لا نصلِّيها إلاّ في بني قريظة كما أمرنا، حتّى أن رجالاً منهم صلُّوا العصر بعد العشاء الآخرة، وقال بعضهم: لم يرد منا ذلك، وإنما أراد سُرعة الخروج، فصلُّوها في الطريق، فلما بلغ الرسول ذلك لم يعنّف واحداً من الطائفتين، **لأن الأمر ظنّيّ الدلالة يحتمل المعنيين**.

وفي سيرة الرسول كذلك نقرأ أن رسول الله ﷺ **أرسل سرية، وأمَّر عليها قائداً**، وأوصى أفرادها بالسمع والطاعة للقيادة، ويظهر أن قائد السرية كان عصبياً، فأمر جنوده بجمع الحطب، وأوقد النار، ثم طلب من جنوده أن يدخلوا في النار. وهنا تردَّد أفراد السرية، فبعضهم همَّ بالدخول إليها، قياماً بحق السمع والطاعة، والبعض الآخر توقَّف في ذلك قائلاً: دخلنا في الإسلام هروباً من النار فكيف ندخلها، وهنا هدأت ثائرة القائد، وانطفأت النار، فصرف النظر عن تنفيذ هذا الأمر، ولما بلغ رسول الله هذه القضية قال كلمته الخالدة بالنسبة لمن همَّ بدخول النار وتنفيذ الأمر: إنَّما الطاعة في المعروف، ثم قال: والله لو دخلوها ما خرجوا منها. ولذلك كان من توجيه الرسول الكريم: (عليكم بالسمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره ـ ما لم تُؤمروا بمعصية ـ فمن أُمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة).

والمثال الثالث في اجتهاد الصحابة من غزوة بدر الكبرى:

والصحابة رضي الله عنهم كانوا يسألون ويتحرّون إذا كان الأمر أمر وحي أم أمر اجتهاد من الرسول، وفي غزوة بدر استفهم الصحابي الجليل «الحُباب بن المنذر» بعد سماعه أمر الرسول في نزول الصحابة في منطقة معينة:

يا رسول الله، أرأيتَ هـذا المنزل، أمنـزلاً أنزلكـه الله ليس لنا أن نتقـدَّمهُ ولا نتأخر عنه، أم هو الرأي والحرب والمكيـدة؟

فقـال الرسول : بل هو الرأي والحرب والمكيـدة

فقـال الحباب : يـا رسول الله ، فـإن هذا ليس بمنـزل، فانهض بـالنـاس حتَّى نـأتيَ أدنى ماءٍ من القـوم فننـزلـه، ثم نغـوِّر مـا وراءه من القُلُب (جميـع قليب أي بئر) ثم نبني عليه حـوضاً فنملؤه مـاءً، ثم نقاتـل القوم، فنشـربُ ولا يشربون.

فقـال رسول الله : لقـد أَشَرْتَ بـالرأي، ونـزل الرسـول القـائـد على رأي الجندي «الحُباب بن المنذر».

والمثال الرابع من اجتهاد الصحابة نأخذه من السيرة العطرة أيضاً:

وفي سيـرة الرسول الكريم ﷺ نقرأ:

أنّ حـاطب بن أبي بلتعة الصحـابي، كان رجـلاً من المهاجـرين، وكـان من أهـل بـدر أيضـاً، وكـان لـه بمكـة أولاد ومـال، ولم يكن من قـريش أنفسهم، بل كان حليفاً لعثمان. فلمـا عـزم رسـول الله ﷺ على فتح مكـة ـ لمّا نقض أهلهـا عهد الحـديبية ـ أمـر رسـول الله المسلمين بـالتجهيـز لغـزوهم، وقـال: «**اللهم عمِّ عليهم خَبَرَنـا**» وأخبر رسـول الله ﷺ جماعـة من أصحـابـه بـوجهته، كـان منهم «حاطب»، فعمـد حاطب فكتب كتـابـاً وبعثـه مـع امـرأة مشركة ـ قيل من مزينة ـ جاءت المدينة تسترفد ـ إلى أهـل مكة **يعلمهم بعـزم رسول الله ﷺ على غزوهم**، ليتَّخِذ بذلك عندهم يداً.

فأطلع الله تعالى رسـوله على ذلـك استجابـة لدعـائه، وإمضـاءً لقدره في فتح مكة، فبعث في أثر المرأة، فأخذ الكتاب منها.

وقد روى البخاري في المغازي عن عليٍّ رضي الله عنه قال:

بعثني رسول الله ﷺ - وأبا مرثد والزبير بن العوّام - وكلنا فارس، وقال: انطلقوا حتى تأْتُوا «روضة خاخ»، فإن بها امرأة من المشركين، معها كتاب من حاطب بن أبي بلتعة إلى المشركين»، فأدركناها تسير على بعير لها حيث قال رسول الله ﷺ، فقلنا: الكتاب؟ فقالت: ما معي كتاب. فأنخناها، فالتمسنا فلم نر كتاباً، فقلنا: ما كذب رسول الله ﷺ: لتخرجنّ الكتاب أو لنجرِّدنَّكِ. فلما رأت الجِدّ أهوت إلى حجزتها، وهي محتجزة بكساء، فأخرجته، فانطلقنا به إلى رسول الله ﷺ، فقال عمر: يا رسول الله، قد خان الله ورسوله والمؤمنين، فدعني فلأضربن عنقه. فقال النبي ﷺ:

«ما حملك على ما صنعت؟».

قال حاطب: والله ما بي إلّا أن أكون مؤمناً بالله ورسوله، أردتُ أن تكون لي عند القوم يد، يدفع الله بها عن أهلي ومالي، وليس أحد من أصحابك إلا له هناك من عشيرته من يدفع الله به عن أهله وماله.

فقال رسول الله : «صدق، لا تقولوا إلا خيراً».

فقال عمر: إنه قد خان الله ورسوله والمؤمنين، فدعني فلأضرب عُنُقه.

فقال : «أليس من أهل بدر؟ فقال: لعلّ الله اطلَّع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم، فقد وجبت لكم الجنّة، - أو - قد غفرت لكم».

فدمعت عينا عمر، وقال: الله ورسوله أعلم...

يقول صاحب الظلال:

يقف الإنسان أمام عظمة الرسول، وهو لا يعجل حتى يسأل: «ما

حملك على ما صنعت»، في سعة صدر وعطف على لحظة الضعف الطارئة في نفس صاحبه، وإدراك مُلهم بأنَّ الرجل قد صدق، ومن ثمّ يكفُّ الصحابة عنه «صدق، لا تقولوا إلا خيراً»، ليعينه وينهضه من عثرته، فلا يطارده بها، ولا يدع أحداً يطارده».

فعمر رضي الله عنه إنما ينظر إلى العثرة ذاتها، فيثور لها حِسّه الحاسم وإيمانه الجازم.

أمَّا رسول الله ﷺ، فينظر إليها من خلال إدراكه الواسع الشامل للنفس البشرية على حقيقتها، ومن كل جوانبها، مع العطف الكريم الملهم الذي تنشئه المعرفة الكلية، في موقف المربِّي الكريم العطوف **المتأنِّي الناظر إلى جميع الملابسات والظروف.**

ثم ينزل الوحي موجهاً المسلمين:

﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتّخذوا عدوّي وعدوّكم أولياء، تُلْقُونَ إليهم بالمودَّة، وقد كفروا بما جاءكم من الحقِّ، يُخْرِجُونَ الرسول وإيّاكم، أن تؤمنوا بالله ربِّكم، إن كنتم خرجتم جهاداً في سبيلي وابتغاء مرضاتي، تُسِرُّون إليهم بالمودَّة، وأنا أعلم بما أسررتم وما أعلنتم، ومن يَفْعَلْهُ منكم فقد ضلَّ سواء السبيل * إن يثقفوكم يكونوا لكم أعداءً، ويبسطوا إليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء، وودُّوا لو تكفرون﴾ [الممتحنة : ١-٢].

وهذا درس بليغ لأولئك الذين يحملون راية التكفير، سامحهم الله وهداهم ونوّر بصائرهم.

** .. ** .. **

وإلى الذين يستهينون بحرمة من قال لا إله إلا الله، محمد رسول الله، نسوق إليهم هذا الهدي النبوي الكريم من الصحيحين:

عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال:

بَعَثَنا رسول الله ﷺ إلى الحُرقة من جهينة، فصبَّحنا القوم على مياههم، ولحقتُ أنا ورجلٌ من الأنصار رجلاً منهم، **فلما غشيناه قال: لا إله إلا الله**، فكفَّ عنه الأنصاري وطعنته برمحي حتَّى قتلته، فلما قدمنا المدينة بلغ ذلك النَّبيَّ ﷺ، فقال لي:

يا أُسامة: **أقتلته بعد ما قال: لا إله إلا الله؟**

قلت: يا رسول الله: إنما كان متعوذاً.

فقال: **أقتلته بعدما قال لا إله إلا الله؟** فما زال يكررها عليَّ حتى تمنَّيت أنِّي لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم.

وفي رواية:

فقال رسول الله: **أقال لا إله إلا الله وقتلته؟**

قلت: يا رسول، إنما قالها خوفاً من السلاح.

قال: **أفلا شققتَ عن قلبه حتى تعلم أقالها أم لا؟**

وفي رواية:

قال رسول الله: أقتلته؟

قال: نعم.

قال: **فكيف تصنع بلا إله إلا الله إذا جاءت يوم القيامة؟**

قال: يا رسول الله، استغفر لي.

قال: **وكيف تصنع بلا إله إلا الله إذا جاءت يوم القيامة؟ فجعل لا يزيد على أن يقول:** كيف تصنع بلا إله إلا الله إذا جاءت يوم القيامة»

[رواه مسلم].

** .. ** .. **

وبعـــد أن تحدّثنا عن سماحة الإســلام وآدابه في استــدراك بعض العلماء على غيرهم، وضربنا الأمثلة من استدراك السيدة عائشة رضي الله عنها على بعض الصحابة، وتكلمنا عن اجتهاد إبليس مع وجود النَّصّ القاطع ، وعن أسباب اختلاف العلماء في فقه القرآن والسُّنَّة، وعن اجتهاد الأئمة الأربعة الخاطيء في تقدير (أقصى مدة الحمل)، ثم أمثلة من اجتهاد الصحابة رضي الله عنهم وأرضاهم، وعن خطأ اجتهاد الصحابي حاطب بن أبي بلتعة، وتقدير رسول الله ﷺ للظروف والملابسات التي حملته على إرسال الكتاب إلى قريش (وهذا التصرف من حاطب في العرف القانوني خيانة عظمى) ولكن الرسول نظر إلى الصحابي الجليل المجاهد وإلى إيمانه وهجرته وجهاده، بالإضافة إلى الملابسات والظروف، فلم يعاقب حاطباً وَحَكَمَ ببراءته وقال للصحابة: (صَدَقَ، لا تقولوا إلاّ خيراً)، يَحْسُنُ بنا الآن أن نتحدَّث عن الشريعة الإسلامية وقاعدتها العامة: (الحدود تُدرأ بالشبهات):

وقد تحدَّث العلامة الشهيد عبد القادر عودة في كتابه (التشريع الجنائي الإسلامي مقارناً بالقانون الوضعي) ج ١ ص ٢٠٧ ، عن هذه القاعدة تحت عنوان: «كلمة ختامية عن قواعد التفسير» ، فقـــال:

هذه هي القواعد العامة اللغوية والتشريعية التي وضعها الفقهاء للاهتداء بها في تفسير النصوص، على القاضي أن يستعين بها في تفهم النصوص، ومعرفة مراميها، وما يدخل تحتها، كما أن هذه القواعد تعينه على معرفة النّصّ الواجب التطبيق، ومدى سلطته في تفسير النص أو إعماله أو إبطاله، وإذا كان للقاضي المدني أن يطبِّق هذه القواعد بتوسُّع، وأن يجعل للقياس والعُرف والعدالة وغير ذلك من الاعتبارات مكاناً عند تفسير النَّصّ وتطبيقه، إلا أن القاضي الجنائي مقيَّد بأن يحصر اجتهاده في تفسير النصّ على

الواقعة المعروضة عليه، فليس له أن يخلق جريمة أو عقوبة من طريق القياس أو العرف والاستحسان، ولو كانت الواقعة المعروضة عليه مما ينفر منها الخُلُق الفاضل، **وليس للقاضي الجنائي أن يخالف النَّص الصريح مهما كانت الظروف والاعتبارات، وعليه أن يراعي في كل الأحوال مبدأين شرعيين أساسيين: أولهما: قول الرسول (ادرأوا الحدود بالشبهات)، وثانيهما:** قوله ﷺ: (**إن الإمام أن يخطىء في العفو خير من أن يخطىء في العقوبة**). ثم قال:

المبدأ الأول: درء الحدود بالشبهات:

القاعدة العامة في الشريعة أنَّ الحدود تُدرأ بالشبهات، والأصل في هذه القاعدة قول الرسول ﷺ: «ادرءوا الحُدُودَ بالشبهات» فعلى هذا الحديث الذي تلقته الأُمَّة بالقبول وأجمع عليه فقهاء الأمصار قامت القاعدة. وقد عمل الصحابة بها بعد وفاة الرسول، فروي عن عمر بن الخطاب أنه قال: «**لأن أعطِّل الحدود بالشبهات أحبُّ إليَّ من أن أُقيمها بالشبهات**».

وروي عن معاذ بن جبل وعبد الله بن مسعود وعقبة بن عامر أنهم قالوا: **إذا اشتبه عليك الحدّ فَادْرَأْهُ**. وليس في الفقهاء من ينكر قاعدة درء الحدود بالشبهات **إلاّ الظاهريون**، فإنهم يرون أنّ الحدّ لا يحلّ درؤه بالشبهة، ولا يسلِّمون بصحة ما روي عن الرسول والصحابة [1].

وبعد أن تحدَّث الشهيد عبد القادر عودة عن تعريف الشبهة: الشبهة هي ما يشبه الثابت وليس بثابت، ومن الأمثلة على الشبهة، شبهة الملك في سرقة الملك المشترك... قال:

ومن الأمثلة على الشبهة: **شبهة عدم الثبوت**، فمن أقرَّ بارتكابه جريمة

---

(١) شرح فتح القدير جـ ٤ ص ١٣٩.

من جـرائم الحدود، **ولم يكن دليـل إلاّ إقراره**، وجب عليـه الحدّ بـالإقـرار، فإذا عَدَلَ عن إقراره، كان العدول شبهة في عـدم الثبوت، لاحتمـال أن يكون إقراره غير صحيح، وترتَّب على قيام هذه الشبهـة درء الحد. ومثـل ذلك يقـال عن عدول الشهود إذا لم يكن دليل إلاّ الشهود.

ثم تحدّث عن (ما يترتب على درء الحدود بالشبهات) فقال:

تختلف النتـائـج التي تتـرتَّـب على الأخـذ بـقـاعـدة **(درء الحـدود بالشبهات)**، ، ففي بعض الأحيان يؤدي تطبيق القاعدة إلى درء عقـوبة الحـدّ، وتبـرئة المتّهم من الجـريمة المنسـوبة إليـه. وفي بعض الأحيـان يؤدي تـطبيق القاعدة إلى درءِ الحدّ، وإحلال عقوبة تعزيرية محلها . (ص ٢١٤).

ثم تكلَّم المؤلف عن المبدأ الثاني **(تفضيل الخطأ في العفو)** فقـال:

من المبـادىء العامّـة المقررة في الشـريعة أنّ الخـطأ في العفـو خيـر من الخطأ في العقوبة، وأصلُ هذا المبدأ قـول الرسـول عليه السـلام: «إن الإمام أن يخـطىء في العفو خيـر من أن يخطىء في العقـوبة»، ومعنى هـذا المبدأ: أنَّه لا يصح الحكم بالعقوبـة إلاّ بعد التثبُّت من أنّ الجـاني ارتكب الجريمـة، وأنّ النّص المحرم منطبق على الجـريمة، **فـإذا كان ثمَّـة شك في أن الجـاني ارتكب الجـريمـة، أو في انـطبـاق النَّص المحـرم على الفعـل المنسـوب للجـاني، وجب العفو عن الجـاني، أي الحكم ببراءتـه**، لأنَّ بـراءة المجـرم في حال الشّكّ خيـر للجماعـة، وأدعى إلى تحقيق العدالـة من عقاب البـريء مع الشك.

ومبدأ الخطأ في العفـو ينطبق على كـل أنواع الجـرائم، فهو ينـطبق على جرائم الحدود، وجرائم القصاص والدِّيَّة، وجرائم التعازير.

ويمكن القـول بأنّ مبـدأ **درء الحدود بـالشبهات**، على أهميتـه، يعتبـر

تطبيقاً لمبدأ **الخطأ في العفو**، على الأقل في الحالات التي يؤدي فيها درء الحد لتبرئة الجاني.

ثم تحدَّث المؤلف عن (القانون والشريعة) فقال:

وتأخذ القوانين الوضعية بصفة عامة بطريقة الشريعة في التفسير... والقاعدة في القانون **أن يُفسَّر كُلُّ شكّ لمصلحة المتَّهم**، وتطبيق هذه القاعدة قد يؤدي إلى تخفيف عقوبة الجاني، وقد يؤدي إلى تبرئة المتهم، فمثلاً إذا شكَّت المحكمة في توفُّر ركن (الإكراه) في السرقة بالإكراه، فَسِّر هذا الشَّكّ لمصلحة المتّهم، واعتبرت الواقعة سرقة عادية، وعوقب عليها بعقوبة الجنحة بدلاً من عقوبة الجناية. **وإذا شكَّت المحكمة في ثبوت الجريمة، أو في توفُّر ركن من أركانها، حُكِمَ ببراءة المتهم**. ويتبين من هذا أنَّ تفسير الشّكّ لمصلحة المتهم في القانون، يقابل في الشريعة درء الحد بالشبهات، وتفضيل الخطأ في العفو، ويؤدي إلى نفس نتائج هذين المبديأن (1).

** .. ** .. **

والجريمة لا تثبت إلَّا باليقين لا بالشبهات:

﴿والذين يرمون المحصنات، ثُمَّ لم يَأْتُوا بأربعةِ شهداء، فاجْلِدُوهُم ثمانين جلدة، ولا تقبلوا لهم شهادةً أبداً، وأُولئك هم الفاسقون﴾ [النور: ٤٠].

ولذلك كان مبدأ (ادرءوا الحدود بالشبهات).

---

(1) راجع التشريع الجنائي الإسلامي لعودة ص ٢١٧ ـ ٢١٨ ـ والقانون الجنائي لعلي بدوي ص ١٠٦ ـ ١١٠.

اجتهاد المحاكم الشرعية في قضايا الاتهام بالرِّدَّة:

وفي كتاب (المبادىء القضائية التي استقر عليها اجتهاد محكمة الاستئناف الشرعية في المملكة الأردنية الهاشمية)[1]، إثبات لقرار محكمة الاستئناف الشرعية رقم ٢٠٧٦٧ تاريخ ٢٧ / ٥ / ١٩٧٩، كما جاء في الصفحة: ١٨١ :

ردّة ــ مجرد سبِّ الدِّين لا يوجب الردّة:

أقام الزوج على زوجته دعوى يطلب التفريق للنزاع والشقاق، وقد شهد في هذه الدعوى شاهدان **بأنَّها سبَّت دينه**، فرأت المحكمة الابتدائية أنّ في الشهادة ادِّعاء بما يُوجب ردَّة الزوجة، فعيَّنت رئيس قلم المحكمة مدّعياً باسم الحقِّ العام الشرعي، وسألت الزوج عمّا ورد في شهادة الشاهدين، فأيَّد شهادتيهما بأنَّها على أثر خلاف وزعل بينهما سبَّت دينه بقولها (يلعن دينك)، وأنكرت الزوجة ذلك، وأصرَّت على الإنكار، فرأت المحكمة أنَّ إقرار الزوج بالسبّ على الوجه المذكور كافٍ في ثبوت رِدّة الزوجة وانفساخ عقد الزواج القائم بينهما، وحكمت بذلك. **فاستأنف الزوج هذا الحكم!**.

ولدى نظر محكمة الاستئناف الشرعية في هذا الإدِّعاء، تجد أنَّه لا ريب أنَّ الردّة توجب انفساخ عقد الزواج وبذات الرِدَّة دون حاجة إلى حكم حاكم. وذلك وفق الراجح من مذهب أبي حنيفة، والعمل في هذه المحكمة على الراجح من المذهب المذكور، وفقاً للمادة ١٨٣ من قانون الأحوال

---

(١) المجموعة الثانية من ١ / ٧ / ١٩٧٣ إلى ٣٠ / ٦ / ١٩٨٣، لمؤلفه محمد حمزة العربي، المحامي الشرعي ـ نشر دار الفرقان ـ عمان ـ الأردن.

الشخصية رقم ٦١ لسنة ١٩٧٦ والمادة ٣٠٣ من الأحكام الشرعية وشرحها للأبياني. ومحكمة الاستئناف الشرعية توافق المحكمة الابتدائية إلى هذا القدر، من اجتهادها، **ولكن هل ثَبَتَتِ الرِّدَّة التي نُسبت إلى الزوجة؟**

يتبين لها أن ما اعتمدت عليه المحكمة الابتدائية في هذه الدعوى على ثبوت رِدَّة الزوجة إقرار الزوج المدَّعي بأنَّها قالت له (يلعن دينك)، وبناء على هذا الإقرار قررت ارتداد الزوجة وانفساخ عقد الزواج بينهما، **مع أن الإقرار حجَّة قاصرة على المُقِرِّ**، طبقاً للمادة ٧٨ من المجلة، وأن في قبول الإقرار على إطلاقه في مثل هذه الدعوى، **قبولٌ بمبدأ جواز الإقرار على الغير**، خلافاً للمادة ١٥٧٢، من المجلة، هذا من جهة، ومن جهة أُخرى على فرض كفاية هذا الاقرار في الاثبات، فهل قول الزوجة لزوجها (يلعن دينك) في حال مناقشة بينهما وزعل، وفي مثل بيئتهما وَطَبَقَتِهِما يوجب ردَّة الزوجة؟

لبيان ذلك، فقد أوردت محكمة الاستئناف الشرعية بعض النصوص الفقهية:

١ ــ **جاء في الفتاوى الصغرى**: (الكفر شيء عظيم، فلا أجعل المؤمن كافراً متى وجدت رواية أنه لا يكفر).

٢ ــ **وجاء في الجامع الأصغر**: (إذا أطلق الرجل كلمة الكفر عمداً، **ولكنه لم يعتقد الكفر** قال بعض أصحابنا **لا يكفر**، **لأن الكفر يتعلق بالضمير**، **ولم يعتقد الضمير الكفر**، وقال بعضهم يكفر وهو الصحيح، لأنّه استخفَّ بدينه).

٣ ــ **وجاء في الخلاصة**: (إذا كان في المسألة وجوه توجب التكفير، ووجه واحد يمنع التكفير فعلى المفتي أن يميل إلى الوجه الذي يمنع التكفير، تحسيناً للظنِّ بالمسلم).

ـ **زاد في البزازية** : (إلا أن يصرّ بإرادة موجب الكفر، فلا ينفعه التأويل حينئذ).

ـ **وفي التتارخانية**: (لا يكفّر بالمحتمل، لأن الكفر نهاية في العقوبة، فيستدعي نهاية في الجناية، **ومع الاحتمال لا نهاية**).

٤ ـ **وجاء في الانقروية** : (والحاصل أنه إذا تكلم بكلمة الكفر هازلاً أو لاعباً كَفَرَ عند الكل، ولا اعتبار باعتقاده لما صرّح به قاضيخان في فتاواه: **من تكلم بها مخطئاً أو مكرهاً لا يكفر عند الكل**، ومن تكلم بها عالماً عامداً كفر عند الكل. ومن تكلم بها اختياراً جاهلاً بأنّها كفر ففيه خلاف، والذي تحرر أنّه لا يفتى بتكفير مسلم أمكن حمل كلامه على محمل حسن، أو كان في كفره اختلاف **ولو رواية ضعيفة**. **فعلى هذا فأكثر** ألفاظ الكفر لا يُفتى بها بالكفر، ولقد ألزمتُ ـ والكلام لصاحب الأنقروية ـ أن لا أُفتي بشيء منها).

هذه بعض النصوص الفقهية والفتاوى في الموضوع، ويمكن أن يتبين من هذه النصوص واقعة الحال في هذه الدعوى وحكمها، مع ملاحظة إنكار الزوجة للسبِّ المنسوب إليها، وعدم بيان الشاهدين لصيغة السبّ، وما ذكره الزوج في المحضر وكرّره في لائحته الاستئنافية أن الزوجة لم تقصد بالسَّبِّ الدين الإسلامي.

من ذلك كله، ومن وقائع هذه الدعوى وبيئة الزوجين ووسطهما وطبقتهما، وعلى ضوء النصوص الفقهية والفتاوى، **لا يمكن الجزم بأنّ الزوجة أصبحت مرتدَّة، لأن معتنق الدين الإسلامي لا يخرج منه إلاّ إذا أنكر ما من أجله كان مقتنعاً له.**

لهذا كله، **فقد كان الحكم بانفساخ عقد الزواج بين الزوجين على الوجه المذكور غير صحيح، ومخالفاً للوجه الشرعي، فقررت فسخه،**

ولعدم توفُّر الأسباب ردَّت الادعاء بردّة الزوجة، وإعادة الأوراق إلى المحكمة الابتدائية للسير في الدعوى الأصلية (الحكم المستأنف صادر عن محكمة اربد الشرعية).

** . . ** . . **

ونختتم هذا البحث ببيان ما قرره الإمام محمود شلتوت في كتابه (الإسلام عقيدة وشريعة) ص ٥٤ ـ ٥٧ ، من أنّ النظريات الخلافية **فيما لا قاطع فيه يمنع التأثيم**، فيقول:

هذا هو شأن العقائد وطريق ثبوتها، ولا بد أن يعمَّ العِلْمُ بها جميع الناس، ولا يختصّ بطائفة دون أُخرى، لأنَّها أساس الدين، وبها يكون المرء مؤمناً، فكيف يتصور في مؤمن أن يجهلها؟ **ومن مقتضيات هذا العلم ألّا يقع خلاف بين العلماء في ثبوتها ونفيها.**

النظريــــات الخلافيــــة :

ومن هنا نستطيع أن نقرر **أن العلميات التي لم ترد بطريق قطعي، أو وردت عن طريق قطعي، ولكن لابسها احتمال في الدلالة، فاختلف فيها العلماء، ليست من العقائد التي يكلفنا بها الدين، والتي تعتبر حدّاً فاصلاً بين الذين يؤمنون، والذين لا يؤمنون** [1] .

ثم قال : وإنك لتجد كثيراً من هذا النوع في كتب التوحيد إلى جانب العقائد التي كلَّفنا الله أن نؤمن بها، فهي تذكر إلى جانب وجود الله ووحدانيته والرسل واليوم الآخر **مسائل**: رُؤْية الله بالأبصار، وزيادة

---

(١) يراجع فتوى فضيلة الشيخ محمد الغزالي، وفتوى لجنة الفتوى بالأزهر الشريف في الفصل العاشر من هذا الكتاب.

الصفات عن الذات، ومرتكب الكبيرة، وما يكون آخر الزمان من ظهور المهدي والدَّجَّال والدُّخان، ونزول عيسى، وما إلى ذلك مِمّا يذكر في مثل (خريدة الدردير) و(جوهرة اللقاني)، وغيرهما.

والتاريخ العلمي يدلّ على أن هذه مسائل جرَّ إليها البحث في العقائد حين تعدَّدت الفرق وكثرت الآراء والمذاهب الكلامية، فكانت محلّ اجتهاد بين العلماء، كُلٌّ يرى رأيه فيها، ويدلي بحجَّتِه على ما يرى، ملتمساً الوصول إلى ما يلائم في نظره العقيدة المتفق عليها.

وأمثلة ذلك كثيرة:

منها، أنّ المسلمين جميعاً قد اتفقوا على أن الله تعالى منزَّه عن كلِّ نقص، متَّصِف بكلِّ كمال، **فهذه عقيدة قاطعة يعلمها كل مؤمن، ولا يختلف فيها عالم عن عالم**، ولكن البحث جرَّ إلى مسائل تتصل بها:

ـ هل يجب على الله أن يفعل الأصلح لعباده؟

ـ هل العبد خالق لأفعال نفسه الاختيارية؟

ـ هل المعاصي التي فعلها العباد مرادة لله؟

فاختلف العلماء في هذه المسألة:

رأي المعتزلة: أن ترك الأصلح، وتعذيب العبد على شيء لم يفعله، وإرادة القبيح، نقصٌ لا يليق بجلال الله وكماله، فذهبوا إلى وجوب الأصلح على الله، وإلى أنّ العبد خالقٌ لأفعال نفسه، وإلى أنه تعالى لا يريد المعاصي.

ورأى غيرهم: أنَّ إيجاب شيء على الله، وعجزه عن خلق ما يفعله العبد، وحصول ما لا يريد في ملكه، نقص لا يليق بجلال الله وكماله،

فذهبوا إلى أن الله لا يجب عليه فعل الأصلح، وإلى أنه خالق أفعال العباد، وأنّه يريد المعاصي.

فأنتَ ترى أن هؤلاء جميعاً لم يختلفوا في الأصل الذي كَلَّفنا الله الإيمان به، وهو تنزيه الله تعالى عن النقص ووصفه بالكمال، ولكنهم اختلفوا في أشياء: هل هي نَقْصٌ فلا يتّصف الله بها، أو ليست بنقصٍ فيتّصف بها، وقد ذكرت كتب التوحيد ما اتفقوا عليه وما اختلفوا فيه، وأوردت الأدلة النقلية التي استدلّ بها كلٌّ على ما يرى.

الاختلاف فيما لا قاطع فيه يمنع التأثيم:

على هذا النحو جرى الخلاف بين الفرق الإسلامية في المسائل التي جرّ إليها البحث في العقائد وهو خلاف كخلاف الفقهاء في أحكام الفروع التي لم يرد فيها نصّ قاطع محكم، خلافٌ لا يصحُّ أن يُرمى أحد فيه بأنّه حاد عن الصراط المستقيم، أو ضلَّ، أو فَسَقَ، أو أَنْكَرَ مسألة من مسائل الدين.... الخ [1]، ولكن عصور التعصُّب المذهبي العنيف، حملت للمسلمين تراثاً بغيضاً من التراشق بالتُّهم، والترامي بالفسوق والضلال، فتبادل الفقهاء ـ أصحاب الفروع ـ نوعاً من التهم، وتبادل المتكلِّمون ـ أصحاب العقائد ـ مثل ذلك، وتلقَّف المخدوعون من الخلف هذه التهم، وملأوا بها كتبهم، وأسرفوا في الاعتداد بها حتّى جعلوها مقياس ما يُقبل من الآراء أو يُرفض.

من هذا كله يتضح :

١ ـ أنّه لا بد في العقيدة من أن يكون دليلها قطعياً في وروده، وفي دلالته.

---

(١) انظر الملل والنحل لابن حزم، و(القواعد الكبرى)، للعز بن عبد السلام، وغيرهما من كتب الأصول والكلام.

٢ ـ وأنّ ما لم يكن دليله قطعياً، فاختلف فيه العلماء، لا يصحُّ أن يعدّ من العقائد، ولا أن يكون رأي طائفة معيَّنة فيه هو الحقّ دون سواه.

٣ ـ وأنَّ كتب التوحيد لم تقتصر على ذكر العقائد التي كلَّفنا بها الشرع، وإنما ذكرت بجانبها بعض النظريات العلمية التي تعارضت فيها النصوص، فكانت محلّ اجتهاد بين العلماء.

ونتيجة هذا كله: إنّ القول بأن كذا عقيدة يجب الإيمان بها، لأنَّ ظاهر الآية أو المروي من الحديث يدلُّ عليه، أو لأنه مذكور في كتب التوحيد ـ كُلُّ ذلك قول من لا يفهم معنى (العقيدة)، ولا يعرف أساسها الذي تُبنى عليه [انتهى كلام الشيخ محمود شلتوت].

والخلاصة التي نستنتجها من أدلة هذا البحث:

١ ـ أنَّ الإسلام أعطى للإنسان الحريات الثلاث: **حرية التفكير، وحرية الاعتقاد، وحرية القول ـ دون حرِّيَّة التكفير** ـ وأنَّ حرِّيَّة القول بميزان الشريعة الإسلامية تبيح لكل إنسان أن يقول ما يشاء دون عدوان، **فلا يكون شتّاماً، ولا عيّاباً،، ولا قاذفاً، ولا كاذباً، ولا مكفّراً مسلماً من أهل التوحيد والإيمان.**

٢ ـ أنَّ الفهم الإنساني في الإسلام ليس ديناً يُلتزم، **وإنما هي آراء وأفهام فيما هو من القرآن محتمل للآراء والافهام.**

٣ ـ **أنَّ تفسير القرآن وتأويلَهُ لا يكفَّر جاحِدُهُ ولا رادُّهُ، لأنَّه أمرٌ اجتهادي من فعل بشر يُخطئون وَيُصيبون.**

٤ ـ أنَّ اتهام المسلم بالرِّدَّة، **لا يثبت إلاَّ بدليل قطعي،** ولمَّا كان ما في القلب غيباً من الغيوب، أي لا يعلمها إلا الله، **كان لا بدّ من صدور ما يدلُّ على كفره دلالة قطعية لا تحتمل التأويل، حتَّى قال**

الإمـام مالـك رضي الله عنه: مـن صَـدَرَ عنه مـا يحتمل الكفـر من تسعـة وتسعين وجهاً، ويحتمل الإيمان من وجه، حُمِلَ أمره على الإيمان.

٥ ـ أنَّ علماء الإسلام يـرون أنَّ الحدود تُـدرأ بالشبهـات، ولا تثبت بحديث الآحـاد، وأنَّ الكفـر بنفسـه ليس مبيحـاً للدم، وإنَّمـا المبيح للدم هـو محاربة المسلمين والعدوان عليهم ومحاولة فتنتهم عن دينهم.

٦ ـ أنَّ الإسـلام أبـاح الاجتهـاد فيمـا لا نصّ فيـه، أو في النَّصِّ الـظَّنِّي الـدلالـة، أو مـا احتمـل أكثـر من معنى، وأنَّ الإسـلام لا يبيـح اتِّهـام المجتهـد المخـطىء بـالكفـر والـرِّدَّة، بـل إنَّ الإسـلام أعـطى المجتهـد المخطىء أجراً واحداً على اجتهاده الخاطىء

٧ ـ أنَّ المسلم كمـا عـرَّفـه رسـول الإسـلام: من شَهِـدَ أن لا إلـه إلا الله، واستقبل قبلتنا، وأكل ذبيحتنا.

٨ ـ ليس للقاضي الجنائي أن يخـالف النَّص الصريـح، وعليه أن يـراعي في كـل الأحوال مبـدأين شرعيين أسـاسيين، أولُهمـا: قـول الـرسـول ﷺ: (إدرأوا الحدود بالشبهات) ثانيهمـا: (إن الإمام أن يخـطىء في العفو خيـر من أن يخطىء في العقوبة).

٩ ـ إن اجتهاد محكمة الاستئنـاف الشرعيـة فـي المملكة الأردنيـة الهاشميـة نقضت الحكـم بـالرِّدَّة لعـدم ثبوت الـرِّدَّة، ولأن النصوص الفقهيـة تقول: والـذي تحرَّر أنَّـه لا يُفتى بتكفير مسلم أمكن حمـل كـلامـه على محمـل حسن، أو كان في كفره اختلاف ولو رواية ضعيفة.

١٠ ـ أنَّ العلميـات التي لم ترد بـطريق قطعي، أو وردت عن طـريق قطعي ولكن لابسهـا احتمـال في الـدلالـة، فـاختلف فيهـا العلمـاء، ليست من العقائد التي يكلِّفنا بها الدِّين، والتي تعتبر حدّاً فاصـلاً بين الذين يُؤمنـون والذين لا يُؤْمنون.

الفصـــل العاشـــر

فتاوى العلماء والمفتين حول نبوّة آدم ورسالته

تمهيـــد:

١ ـ **في تحـريم الإفتـاء في دين الله بـالـرأي المتضمن لمخـالفـة النصـوص،** والرأي الذي لم تشهد له النصوص بالقبول. [للإمام ابن قيم الجوزية].

٢ ـ **في تحـريم الإفتاء والحكم في دين الله بمـا يخالف النصـوص، وسقـوط** الاجتهـاد والتقليد عنـد ظهور النّصّ، وذكـر إجمـاع العلمـاء على ذلـك. [للإمام ابن قيم الجوزية].

٣ ـ **في أنــوع الــرأي الباطل.** [للإمام ابن قيّم الجوزية].

البحـوث والفـتاوى

١ ـ تحقيق مسألة الإيمان بالرسل إجمالاً وتفصيلاً . .
وعدد الرسل المذكورين في القرآن [للإمام محمد رشيد رضا].
[استفتاء المؤلف إلى العلماء والمفتين].

٢ ـ فتوى فضيلة الدكتور عبد الله المشـدّ :
[رئيس لجنةالفتوى بالأزهــر]

٣ ـ فتوى فضيلة الشيخ محمد الغزالي : [الـداعية الإسـلامي الكبير]

٤ ـ فتوى فضيلة الدكتور عبد المنعم النمر :
[وكيل الأزهر ووزير الأوقاف السابق]

** .. ** .. **

فصـــــل
في تحريم الإفتاء في دين الله بالرأي المتضمن لمخالفة النصوص والرأي الذي لم تشهد له النصوص بالقبول (*)

قال الله سبحانه: ﴿فإن لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتّبعون أهواءهم، ومن أضلّ ممن اتّبع هواه بغير هدىً مِن الله؟ إن الله لا يهدي القوم الظالمين﴾[1]؛ **فقسم الأمر إلى أمرين لا ثالث لهما، إمَّا الاستجابة لله والرسول وما جاء به، وإمَّا اتّباع الهوى، فكل ما لم يأت به الرسول فهو من الهوى.**

وقال تعالى: ﴿يا داود إنَّا جعلناك خليفة في الأرض، فاحكم بين الناس بالحق، ولا تتّبع الهوى فيضِلّك عن سبيل الله، إنَّ الذين يضلُّون عن سبيل الله لهم عذابٌ شديد بما نَسُوا يوم الحساب﴾[2]، **فقسم سبحانه طريق الحكم بين الناس إلى الحق وهو الوحي الذي أنزله الله على رسوله، وإلى الهوى وهو ما خالفه.**

وقال تعالى لنبيه ﷺ: ﴿ثُمّ جعلناك على شريعةٍ من الأمر فاتّبعها ولا تتّبع أهواء الذين لا يعلمون* إنَّهم لن يُغْنُوا عنك من الله شيئاً، وإنَّ الظالمين بعضهم أولياء بعض، والله وليُّ المتقين﴾[3]؛ **فقسم الأمر بين الشريعة التي جعله**

(*) إعلام الموقعين للإمام ابن قيم الجوزية، جـ ١، ص ٤٧ - ٥٢.

(١) القصص: ٥٠. (٢) سورة ص: ٢٦. (٣) الجاثية: ١٨ - ١٩

هـو سبحانـه عليها وأوحى إليـه العمل بهـا وأمر الأمـة بها، وبين اتّبـاع أهواء الذين لا يعلمون؛ فأمر بالأول، ونهى عن الثاني.

وقال تعالى: ﴿اتَّبِعُوا ما أُنْـزِلَ إليكم من ربِّكم، ولا تتَّبعوا من دونـه أولياء قليلًا ما تذكَّرون﴾(٤)؛فأمر باتِّباع المنـزَّل منه خـاصة، وأعلم أن من اتَّبـع غيره فقد اتَّبع من دونه أولياء.

وقال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأُولي الأمـر منكم، فـإن تنازعتم في شيءٍ فـردُّوه إلى الله والـرسـول إن كنتم تؤمنـون بـالله واليوم الآخر،ذلكخير وأحسن تأويلًا﴾(٥)؛ فأمر تعـالى بطاعتـه وطاعـة رسولـه وأعاد الفعل إعلاماً بأن طاعة الرسول تجب استقلالاً من غيـر عرض ما أمـر به على الكتاب، بل إذا أمر وجبت طاعته مطلقاً، سواء كان ما أمر به في الكتاب أو لم يكن فيـه، فإنـه أُوتي الكتاب ومثله معـه، ولم يأمـر بطاعـة أُولي الأمـر استقلالاً، بل حذف الفعل وجعل طاعتهم في ضمن طاعة الرسول؛ إيذاناً بأنهم إنما يُطاعون تبعاً لطاعة الرسول، فمن أمر منهم بطاعة الرسول وجبت طاعته، ومن أمر بخلاف ما جاء به الرسول فلا سمع له ولا طاعة، كمـا صح عنـه ﷺ أنـه قال: «لا طـاعة لمخلوق في معصيـة الخالق»، وقـال: «إنما الـطاعـة في المعروف»، وقال في ولاة الأمور: «من أمركم منهم بمعصيـة الله فلا سمـع له ولا طـاعة»، وقـد أخبر ﷺ عن الـذين أرادوا دخول النـار لمّا أمـرهم أميرهم بدخولها: «إنهم لو دخلوا لما خرجـوا منها»، مـع أنهم إنما كـانوا يـدخلونها طـاعة لأميـرهم، وظناً أن ذلـك واجب عليهم، ولكن لما قصَّـروا في الاجتهاد وبادروا إلى طاعة من أمر بمعصية الله وحملوا عموم الأمر بالـطاعة بمـا لم يرده الأمر ﷺ، وما قد عُلم من دينه إرادة خـلافه، فقصـروا في الاجتهاد وأقـدموا على تعذيب أنفسهم وإهلاكها من غير تثبّت وتبيّن: هل ذلك طـاعة لله ورسـوله

(٤) الأعـراف: ٣.   (٥) النساء: ٥٩

أم لا ، فما الظن بمن أطاع غيره في صريح مخالفة ما بعث الله به رسوله ؟ ثم أمر تعالى بردِّ ما تنازع فيه المؤمنون إلى الله ورسوله إن كانوا مؤمنين، وأخبرهم أن ذلك خير لهمْ في العاجل وأحسن تأويلاً في العاقبة.

المؤمنون لا يخرجهم تنازعهم عن الإيمان:

والمقصود أن أهل الإيمان لا يخرجهم تنازعهم في بعض مسائل الأحكام عن حقيقة الإيمان إذا ردُّوا ما تنازعوا فيه إلى الله ورسوله كما شرطه الله عليهم بقوله: «فردُّوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر»، ولا ريب أن الحكم المعلق على شرط ينتفي عند انتفائه.

الرد إلى الله ورسوله دليل على أن كل الأحكام في القرآن والسُنَّة:

ومنها : أن قوله: ﴿فإن تنازعتم في شيء﴾ نكرة في سياق الشرط تعم كلَّ ما تنازع فيه المؤمنون من مسائل الدين دِقِّه وجِلّه، جَلِيِّه وَخَفِيِّه، **ولو لم يكن في كتاب الله ورسوله بيان حكم ما تَنَازعوا فيه ولم يكن كافياً لم يأمر بالرد إليه؛ إذ من الممتنع أن يأمر تعالى بالردّ عند النزاع إلى من لا يوجَد عنده فصل النزاع.**

ومنها : أن الناس أجمعوا أن الرد إلى الله سبحانه هو الرد إلى كتابه، والرد إلى الرسول ﷺ هو الرّدّ إليه نفسه في حياته وإلى سنَّته بعد وفاته.

انتفاء الإيمان بانتفاء الرد:

ومنها: **أنه جعل هذا الرد من موجبات الإيمان ولوازمه، فإذا انتفى هذا الرد انتفى الإيمان، ضرورة انتفاء الملزوم لانتفاء لازمه،** ولا سيما التلازم بين هذين الأمرين فإنه من الطرفين، وكل منهما ينتفي بانتفاء الآخر، ثم أخبرهم أن هذا الرد خير لهم، وأن عاقبته أحسن عاقبة، ثم أخبر سبحانه أن من تحاكم أو حاكم إلى غير ما جاء به الرسول فقد حكَّم الطاغوت وتحاكم

إليه، والطاغـوت: كل مـا تجاوز بـه العبد حدّه من معبود أو متبـوع أو مطاع، فطاغوت كل قوم من يتحاكمون إليه غير الله ورسوله، أو يعبدونه من دون الله، أو يتبعونه على غير بصيرة من الله، أو يطيعونـه فيما لا يعلمـون أنه طـاعة لله؛ فهذه طواغيت العالم، إذا تأملتها وتأملت أحوال الناس معهـا رأيت أكثرهـم من عبـادة الله إلى عبادة الـطاغوت (*)، **وعن التحـاكم إلى الله وإلى الرسـول إلى التحاكم إلى الطاغوت**، وعن طاعتـه ومتابعـة رسولـه إلى الطاغـوت ومتابعتـه، وهؤلاء لم يسلكوا طريق الناجين الفائـزين من هذه الأمـة ـ وهم الصحابـة ومن تبعهم ـ ولا قصدوا قصدهم، بل خالفوهم في الطريق والقصد معاً، **ثم أخبـر تعـالى عن هؤلاء بأنهم إذا قيـل لهم تعـالـوا إلى مـا أنـزل الله وإلى الـرسـول أعرضوا عن ذلـك**، ولم يستجيبوا للداعي، ورضـوا بحكم غيره، ثم تـوعَّدهم بأنهم إذا أصابتهم مصيبـة في عقولهم وأديـانهم وبصائـرهم وأبدانهم وأمـوالهم بسبب إعراضهم عما جـاء به الـرسول وتحكيم غيـره والتحاكم إليـه ـ كما قـال تعالى: ﴿فإن تولوا فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم﴾[٦] ـ اعتذروا بـأنهم إنما قصـدوا الإحسان والتـوفيق، أي بفعل مـا يرضـي الفـريقين ويـوفق بينهمـا، كما يفعله من يـروم التوفيق بين مـا جاء بـه الرسـول وبين ما خـالفه، ويزعم أنه بذلك محسن قاصد الإصلاح والتوفيق، **والإيمـان إنما يقتضي إلقـاء الحرب بين ما جاء به الرسول وبين كل ما خـالفه من طـريقة وحقيقـة وعقيدة وسيـاسـة ورأي**، فمحض الإيمـان في هـذا الحـرب لا في التـوفيق، وبـالله التوفيــق.

ثم أقسم سبحانه بنفسه على نفي الإيمان عن العباد حتى يحكّموا رسـوله

(*) كذا في الأصل، ولعل صواب الجملة: «رأيت أكثرهم عدلـوا عن عبادة الله إلى عبـادة الطاغوت».

(٦) المائـدة: ٤٩

في كل ما شجر بينهم من الدقيق والجليل، ولم يكتف في إيمانهم بهذا التحكيم بمجرده حتى ينتفي عن صدورهم الحرج والضيق عن قضائه وحكمه، ولم يكتف منهم أيضاً بذلك حتى يسلِّموا تسليماً، وينقادوا انقياداً. قال تعالى: ﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم﴾(٧)، **فأخبر سبحانه أنه ليس لمؤمن أن يختار بعد قضائه وقضاء رسوله، ومن تخيَّر بعد ذلك فقد ضلّ ضلالاً مبيناً.**

النهي عن التقدم بين يدي الله ورسوله:

وقال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقدِّموا بين يَدي الله ورسوله، واتقوا الله، إن الله سميع عليم﴾(٨)، **أي لا تقولوا حتى يقول، ولا تأمروا حتى يأمر، ولا تفتوا حتَّى يفتي، ولا تقطعوا أمراً حتى يكون هو الذي يحكم فيه ويمضيه.** روى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما: لا تقولوا خلاف الكتاب والسُنّة، وروى العوفي عنه قال: نُهوا أن يتكلموا بين يدي كلامه.

والقول الجامع في معنى الآية: لا تعجلوا بقول ولا فعل قبل أن يقول رسول الله ﷺ أو يفعل.

وقال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي، ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض، أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون﴾(٩)، **فإذا كان رفع أصواتهم فوق صوته سبباً لحبوط أعمالهم، فكيف تقديم آرائهم وعقولهم وأذواقهم وسياستهم ومعارفهم على ما جاء به ورفعها عليه؟! أليس هذا أولى أن يكون محبطاً لأعمالهم؟!.**

وقال تعالى: ﴿إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله وإذا كانوا معه على

---

(٧) الأحزاب: ٣٦.
(٨) الحجرات: ١.
(٩) الحجرات: ٢.

أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه﴾[10] فإذا جعل من لوازم الإيمان أنهم لا يذهبون مذهباً إذا كانوا معه إلا باستئذانه فأولى أن يكون من لوازمه أن لا يذهبوا إلى قول ولا مذهب علمي إلّا بعد استئذانه، وإذنه يُعرف بدلالة ما جاء به على أنه أذن فيه.

** .. ** .. **

---

(١٠) النور : ٦٢.

فصـــل
في تحريم الإفتاء والحكم في دين الله بما يخالف النصوص، وسقوط الاجتهاد والتقليد عند ظهور النّص وذكر إجماع العلماء على ذلك(*)

لا حكم بما يخالف النصوص:

قال الله تعالى: ﴿**وما كَانَ لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسولُهُ أمراً أن يكون لَهُمُ الخيرة من أمرهم**، ومن يَعْصِ الله ورسوله فقد ضلَّ ضلالاً مبيناً﴾ [(١)]، وقال تعالى: ﴿يا أيُّها الذين آمنوا **لا تقدِّموا بين يَدي الله ورسوله**، واتَّقُوا الله، إنَّ الله سميع عليم﴾ [(٢)]، وقال تعالى: ﴿إنما كان قولَ المؤمنين إذا دُعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم **أن يقولوا سمعنا وأطعنا**، وأولئك هم المفلحون﴾ [(٣)]. وقال تعالى: ﴿إنَّا أنزلنا إليك الكتاب **لتحكم بين الناس بما أراك الله**، ولا تكن للخائنين خصيماً﴾ [(٤)]، وقال تعالى: ﴿**اتبِّعوا ما أُنزل إليكم من ربِّكم، ولا تتّبعوا من دونه أولياء**، قليلاً ما

(*) إعلام الموقعين لابن قيم الجوزية: جـ ٢، ص ٢٧٩ - ٢٨٥.

(١) الأحزاب: ٣٦،

(٢) الحجرات: ١.

(٣) النور: ٥١.

(٤) النساء: ١٠٥،

تذكّرون﴾ [٥]، وقال تعالى: ﴿ وأنَّ هـذا صراطي مستقيماً فاتَّبعوه، ولا تتَّبعوا السُّبُل فتفرَّق بكم عن سبيله، ذلكم وصّاكـم به، لعلَّكم تتَّقـون﴾ [٦]، وقال تعـالى: ﴿إنِ الحُكْمُ إلاَّ لله، يقصُّ الحقَّ وهـو خيـر الفـاصلين﴾ [٧]، وقـال تعالى: ﴿له غيبُ السماوات والأرض، أبصر بـه وأَسْمِعْ، مـا لهم من دونه من وليٍّ، ولا يشـركُ في حكمه أحـداً﴾ [٨]، وقال تعـالى: ﴿ ومن لم يحكم بمـا أنزل الله فأولئك هم الكافرون﴾ [٩]، ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئـك هم الـظالمـون﴾ [١٠] .، ﴿ومن لم يحكـم بمـا أنـزل الله فـأولئـك هـم الفاسقون﴾ [١١] .

فأكّد هذا التأكيـد، وكرَّر هـذا التقريـر في موضـع واحد، لعـظم مفسدة الحكم بغير ما أنزله، وعموم مضرّته، وبليَّة الأمَّـة به، وقـال: ﴿قل إنّمـا حرّم ربِّيَ الفواحش ما ظهر منها ومـا بطن، والإثم والبغي بغيـر الحقِّ، وأن تشركـوا بالله ما لم ينزِّل به سلطاناً، وأن تقولـوا على الله ما لا تعلمـون﴾ [١٢]، وأنكر تعـالى على من حاجَّ في دينـه بمـا ليس لـه بـه علم، فقـال: ﴿هـا أنتم هٰؤلاء حاججتم فيما لكم به علم، فَلِمَ تحاجُّـون فيما ليس لكم بـه علم ؟ والله يعلم وأنتم لا تعلمـون﴾ [١٣]، ونهى أن يقول أحـد هذا حـلال وهذا حـرام لمـا لم يحرِّمه الله ورسوله نصَّاً، وأخبر أنَّ فـاعل ذلـك مُفْترٍ على الله الكـذب، فقال: ﴿ولا تقولوا لما تَصِفُ ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله

---

(٥) الأعـراف : ٣.

(٦) الأنعـام : ١٥٣ .

(٧) الأنعام : ٥٧.

(٨) الكهف : ٢٦ .

(٩) المائـدة : ٤٤ .

(١٠) المائدة : ٤٥،

(١١) المائدة: ٤٧ .

(١٢) الأعـراف : ٣٣.

(١٣) آل عمران : ٦٦ .

الكـذب، إنَّ الذين يفتـرون على الله الكذب لا يفلحـون، متـاعٌ قليـل، ولهم عذابٌ إليم﴾ [١٤]، والآيات في هذا المعنى كثيرة.

وأمَّا **السُّنَّة**، ففي الصحيحين من حديث ابن عباس أن هلال بن أُميّة قَذَفَ امرأته بشريك بن سحماء عنـد النبيّ (ﷺ)، فذكـر حديث اللعـان، وقول النبي (ﷺ): «أبصروها؛ فإن جاءت به أكحل العينين، سابغ الإليتين خَدَلَّجَ السـاقين فهو لشريك بن سحماء، وإن جاءت به كذا وكذا فهو لهـلال بن أُمية، فجـاءت به على النعت المكروه، فقال النبي (ﷺ): «لولا ما مضى من كتاب الله لكـان لي ولها شأن - يريد - والله ورسوله أعلم - بكتاب الله قوله تعالى: ﴿وَيَدْرَأُ عنها العذاب أن تشهد أربع شهادات بـالله﴾[١٥] ويريـد بالشـأن - والله أعلم - أنه كـان يحـدُّهـا لمشـابهـة ولـدهـا للرجـل الـذي رُميت بـه، **ولكن كتـاب الله فَصَلَ الحكومة، وأسقط كل قول وراءه، ولم يبق للاجتهاد بعده موقع**.

أقوال العلماء في العمـل بالنّص:

قـال الشـافعي: وأخبـرني من لا أتَّهم عن ابن أبي ذئب قـال: أخبـرني مخلد بن خفاف قال: ابتعت غـلاماً، فـاستغللته، ثم ظهـرت منه على عيب، فخـاصمت فيه إلى عمـر بن عبد العـزيز؛، فقضى لي بـردِّه، وقضى عليَّ بردِّ غلَّته، فأتيت عُروة فأخبرته، فقال: أروح إليه العشيّة فأخبره أنَّ عائشة أخبرتني أن رسول الله (ﷺ): «قضى في مثل هذا أن الخراج بالضمان»..

فعجلت إلى عمر، فأخبرته بما أخبرني به عروة عن عائشة عن رسـول الله (ﷺ) فقال عمر: فمـا أيسر هـذا عليّ من قضاء قضيتـه، اللهم إنك تعلم أني

---

(١٤) النحـل: ١١٦.

(١٥) النـور: ٨.

لم أرد فيه إلاّ الحقّ، **فبلغتني فيه سُنَّة عن رسول الله (ﷺ) فـأردّ قضاء عمـر،** **وأنفذ سنّة رسول الله (ﷺ)**، فراح إليـه عروة؛ فقضى لي أن آخذ الخراج من الذي قضى به عليّ له.

قـال الشافعي : وأخبـرني من لا أتّهم من أهل المـدينة عن ابن أبي ذئب قـال: قضى سعـد بن إبـراهيم على رجـل بقضيـة بـرأي ربيعـة بن أبي عبـد الرحمن، فأخبرته عن النبي (ﷺ) بخـلاف ما قضى بـه، فقال سعـد لربيعـة، هـذا ابن أبي ذئب، وهـو عنـدي ثقـة، يخبـرني عن النبي (ﷺ) بخـلاف مـا قضيت به، فقال له ربيعة: قد اجتهدت ومضى حكمك، فقال سعد: واعجباً! **أنفذ قضاء سعد بن أم سعد، وأردّ قضـاء رسول الله (ﷺ)**، بـل أردّ قضاء ابن أم سعد، وأنفذ قضـاء رسول الله (ﷺ)، **فـدعا بكتـاب القضية فشقّـه، وقضى للمقضي عليه**، فليوحشن المقلدون، ثم أوحش الله منهم!

وقال أبو النضـر هاشم بن القـاسم: حدَّثنـا محمد بن راشـد عن عبدة بن أبي لُبابـة عن هشـام بن يحيى المخـزومي أنَّ رجـلاً من ثقيف أتى عمـر بن الخطاب، فسأله عن امرأة حاضت وقد كانت زارت البيت يوم النحـر، ألها أن تنفـر؟ فقـال عمر: لا، فقـال له الثقفي: إن رسـول الله (ﷺ) أفتاني في مثـل هذه المرأة بغيـر ما أفتيتَ بـه، **فقام إليـه عمر يضـربه بـالدّرّة ويقـول له: لِمَ تستفتني في شيء قد أفتى فيه رسول الله (ﷺ)** ؟ [ورواه أبو داود بنحوه].

وقال أبو بكر بن أبي شيبـة: حدَّثنا صالح بن عبد الله، حـدّثنا سفيـان بن عامر عن عتاب بن منصور، قال: قال عمـر بن عبد العـزيز: **لا رأْيَ لأحـد مع سُنَّةٍ سنّها رسول الله (ﷺ)**.

وقـال الشافعي :أجمـع النـاس على أنَّ من استبانت له سنَّة عن رسـول الله (ﷺ) لم يكن له أن يدعهـا لقول أحـد من الناس، وتـواتر عنـه أنه قـال: **إذا**

صحّ الحديث **فاضربوا بقولي الحائط** وصحّ عنه أنّه قال: **إذا رويت عن رسول الله (ﷺ) حديثاً ولم آخذ به فاعلموا أن عقلي قد ذهب**، وصحّ عنه أنه قال: **لا قول لأحد مع سُنَّة رسول الله (ﷺ)**.

وفي صحيح مسلم، من حديث الليث عن يحيى بن سعيد عن سليمان ابن يسار أنَّ أبا هريرة وابن عباس وأبا سلمة بن عبد الرحمن تذاكروا في المتوفَّى عنها الحامِل تضع عند وفاة زوجها، فقال ابن عباس: **تعتدّ آخر الأجلين**، فقال أبو سلمة: **تحلّ حين تضع**، فقال أبو هريرة: وأنا مع ابن أخي، فأرسلوا إلى أُمِّ سلمة فقالت: قد وضعت سُبيعة(*) بعد وفاة زوجها بيسير، فأمرها رسول الله (ﷺ) أن تتزوّج.

فقال الأصم: وسمعت الربيع يقول: سمعت الشافعي يقول: إذا وجدتم في كتابي خلاف سنّة رسول الله (ﷺ) فقولوا بسنّة رسول الله (ﷺ) ودعوا ما قُلت، وقال أبو محمد الجارودي: سمعت الربيع يقول: سمعت الشافعي يقول: **إذا وجدتم سنَّة رسول الله (ﷺ) خلاف قولي، فخذوا بالسُّنة ودعوا قولي، فإني أقول بها**، وقال أحمد بن علي بن ماهان الرازي: سمعت الربيع يقول: سمعت الشافعي يقول: كل مسألة تكلمت فيها صحّ الخبر فيها عن رسول الله (ﷺ) عند أهل النقل بخلاف ما قلت، **فأنا راجع عنها في حياتي وبعد مماتي**..

** .. ** .. **

(*) سبيعة الأسلمية .

أنواع الرأي الباطل

قـال الإمـام ابن قيِّم الجـوزيّـة في كتـابـه [إعـلام المـوقعين] تحت عنوان : [**في أنواع الرأي الباطل**] :

«**والرأي الباطل أنواع :**

أحـدهـا : الرأي المخـالف للنّص، وهذا ممـا يُعلم بـالاضـطرار من دين الإسلام فساده وبطلانه، **ولا تحلّ الفتيا به ولا القضاء**.

النـوع الثانـي : هـو الكلام في الـدين **بالخـرص والظّنّ**، مـع التفـريط والتقصير في معرفة النصوص وفهمها، واستنباط الأحكام منها. فـإن من جهلها وقاس برأيه فيما سُئِلَ عنه بغير علم، بل لمجـرد قدر جـامع بين الشيئين ألحق أحدهما بالآخر، أو لمجرد قدر فارق بينهما، يفـرّق بينهما في الحكم من غيـر نظر إلى النصوص والآثار، **فقد وقع في الرأي المذموم الباطل**.

[**إعلام الموقعين : جـ ١ ص ٦٧ ـ ٦٨**].

بحـــــث

[تحقيق مسألة الإيمان بالرسل إجمالاً وتفصيـلاً]
وعدد الرسل المذكورين في القرآن الكريم

بقلم فضيلة الشيخ الإمام
محمد رشيد رضا
[صاحب تفسير المنار]

من أُصول العقائد الإسلامية: أنَّه يجب الإيمـان بأنَّ الله تعـالى أرسل في كُـلِّ الأُمم رُسُلاً، منهم من قصَّ على رسـولنـا، ومنهم من لم يقصص عليـه، وأنَّه يجب الإيمان بمن ذكر منهم في القرآن إيماناً تفصيلياً، أي تجب معرفتهم بـأسمائهم. وصـرَّح بعض العلماء بـأنَّ إنكار رسـالة أحـدٍ منهم كفر، وظـاهـر كـلامهم هـذا أنَّ معـرفتهم بـأسمـائهم من المجمـع عليــه المعلوم من الـدِّين بالضرورة، فـلا يعذر أحـدٌ بجهله ـ إلاّ من كان حـديث العهد بـالإسلام، ومن نشأ بعيداً عن بلاد المسلمين ـ فمن لم يعلم أنَّ اليَسَعَ رسول الله ـ مثلاً ـ كـان كـافراً. **ولـذلك يشتـرط العلماء في ذلـك أن يكون مجمعـاً عليه معلومـاً من الدِّين بالضرورة**، ويشترطون أن يكون المَكذِّب غير متأوِّل، إذ لا يتأوَّل أحـد إلاّ ما كان غير قطعي الدلالة عنده، ولهذا لم يكفِّر سلف الأمة من خالفهم في فهم آيات الصفات وغيـرها من فـرق المبتدعـة متأوِّلاً، ولكنَّ السلف والخلف يكفِّرون من يكذِّب الرسول (ﷺ) بشيءٍ يعتقد هوَ أنَّـه جاء بـه عن الله تعالى وإن لم يكن في الواقع قطعيّ الرواية والدلالة، إذ **مدار الكفر على التكذيب**.

وقد ذكروا في بعض كتب العقائد وغيرها أنَّ الأنبياء المرسلين الذين ذُكِرُوا في القرآن ويجب الإيمان بهم تفصيلاً **خمسة وعشرون**، هم الثمانية عشر الذين ذكرت أسماؤهم في هذه الآيات(*) التي لا نزال بصدد تفسيرها، والسبعة الآخرون **آدم أبو البشر**، وإدريس، ولوط، وأنبياء العرب هود وصالح وشعيب وخاتم الجميع محمد عليه وعليهم الصلاة والسلام، وزاد بعضهم **ذو الكفل** بذكره مع الأنبياء في سورة (ص)، ولكن اختلف في نبوّته لعدم التصريح بها، وإنما وُصِفَ مع من ذكر معهم بأنّهم من الأخيار.

وليس في القرآن نصّ قطعيّ صريح في رسالة آدم عليه السلام بل مفهوم قوله تعالى: [٤ : ١٦٣] ﴿إنَّا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوحٍ والنَّبِيِّين من بعده﴾ **أنّ نُوحاً أوَّل نبيٍّ مُرسل، أوحى الله إليه رسالته وشرعه.** ويؤيده في الجملة هذه الآيات التي نفسِّرها وما في معناها كقوله تعالى: [٥٧ : ٢٥] ﴿ولقد أرسلنا نوحاً وإبراهيم وجعلنا في ذرِّيتهما النُّبُوَّة والكتاب﴾ وعدم ذكره في السور التي سرد فيها ذكر الرسل المشهورين كـ «هود» و«مريم» و«الأنبياء» و«الشعراء» و«الصَّافات» و«ص» و«القمر». ويؤيده بالنصّ الصريح حديث الشفاعة المتَّفق عليه من حديث أنس بن مالك وأبي هريرة، والأول أصرح قال: قال رسول الله (ﷺ): «يجمع الله النَّاس يوم القيامة، فيهتمُّون لذلك، فيقولون لو استشفعنا على ربِّنا فأراحنا من مكاننا هذا! فيأتون آدم **فيقولون يا آدم أنت أبو البشر خلقك الله بيده**، وأسجد لك ملائكته، وعلَّمك أسماء كل شيء، فاشفع لنا إلى ربِّك حتى يريحنا من مكاننا هذا. فيقول لهم آدم: لست هناكم ـ ويذكر ذنبه الذي أصابه فيستحي ربَّه عز وجل ـ ، **ولكن ائتوا نوحاً أوَّل رسول بعثه الله إلى أهل الأرض**، فيأتون نوحاً» الخ، وفي حديث أبي هريرة أنهم يقولون له: «**يا نوح أنت أوَّل الرسل إلى أهل الأرض**» الحديث، وهو معروف مشهور، وفيه أنَّ كل رسول من أُولي العزم ـ

(*) الآيات: ٨٣ ـ ٨٦ من سورة الأنعام.

وهم على الراجح المشهور: نوح، وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد (ﷺ) - كان يدفعهم إلى من بعده حتى إذا انتهوا إلى الخاتم كان هو الشافع المشفّع .

وقد اضطربت أقوال العلماء في آية ﴿إنَّا أوحينا إليك﴾ وحديث الشفاعة. قال الرازي في تفسير الآية (المسألة الثالثة) قالوا إنما بدأ الله بذكر **نوح لأنه أول نبيّ شرع الله على لسانه الأحكام والحلال والحرام، ثم قال تعالى: ﴿والنَّبِيِّين من بعده﴾** ثم خصَّ بعض النبيين بالذكر لكونهم أفضل من غيرهم ا هـ ، وتبعه فيه النيسابوري وأبو السعود والخازن وغيرهم، وزادوا على ذلك خصائص لنوح. قال الخازن ما نصه: قال المفسرون: وإنما **بدأ الله بذكر نوح عليه السلام لأنَّه أوَّل نبيٍّ بُعِثَ بشريعة**، وأول نذير على الشرك، وأنزل الله عز وجل عليه عشر صحائف، **وكان أوَّل نبي عذِّبت أُمَّته لردِّهم دعوته**، وكان أبا البشر كآدم عليهما السلام ا هـ ، المراد منه، ومثله في **فتح البيان في مقاصد القرآن**، وذكر الآلوسي أن تعليل البدء بذكره بكونه أوَّل من شرع الله على لسانه الأحكام قد تعقب بالمنع، ولم يذكر لهذا المنع سنداً، ولا لقوله تعالى: **﴿والنَّبيين من بعده﴾** حكمة ولا نكتة. وقد سكت عن ذلك أكثر المفسرين الذين اطلعنا على كتبهم. فمفهوم تصريح هؤلاء المفسرين **الناقلين عن غيرهم من العلماء** أنَّ آدم لم يكن رسولاً، لأنَّ الآية تدلُّ عندهم على أنَّ أوَّل رسول شرع الله على لسانه الأحكام، هو نوح عليه السلام.

وأما حديث الشفاعة فقد تكلَّم فيه الحافظ ابن حجر في عدّة مواضع من شرح البخاري: قال في شرح حديث جابر من كتاب التيمم: **أُعطيت خمساً لم يُعْطهنَّ أحدٌ قبلي - إلى قوله - وكان النبيُّ يبعث إلى قومه خاصة، وبعثتُ إلى الناس عامة»**: وأما قول أهل الموقف لنوح كما صحَّ في حديث الشفاعة: **أنت أوَّل رسول إلى أهل الأرض** فليس المراد به عموم بعثته بل إثبات أولية إرساله ا هـ . **وهذا اعتراف بأنَّه أول الرسل** . ثم قال في شرح حديث أبي

هريرة من كتاب أحاديث الأنبياء: فأمّا كونه أوّل الرسل فقد استشكل بأنَّ آدم كان نبيًّا، وبالضرورة نعلم أنّه كان على شريعة من العبادة، وأن أولاده أخذوا ذلك عنه، فعلى هذا فهو رسول إليهم فيكون أوَّل رسول، فيحتمل أن تكون الأولية في قول أهل الموقف لنوح مقيدة بقولهم «إلى أهل الأرض» لأنه في زمن آدم لم يكن للأرض أهل، أو لأنَّ رسالة آدم إلى بنيه كانت كالتربية للأولاد، ويحتمل أن يكون المراد أنّه (أي نوحاً) أول رسول أُرسل إلى بنيه وغيرهم من الأمم الذين أُرسل إليهم مع تفرُّقهم في عدَّة بلاد، وآدم إنما أُرسل إلى بنيه وكانوا مجتمعين في بلدة واحدة. واستشكله بعضهم بإدريس، ولا يرد، لأنَّه اختلف في كونه جدّ نوح كما تقدم اهـ، أقول: ويلي شرحه لهذا الحديث شرحه لما أورده البخاري في إلياس عليه السلام، وفيه عن ابن مسعود وابن عباس أنَّ إلياس هو إدريس، وقال الحافظ عند الكلام على ترجمة الباب: وأنَّ المصنِّف ـ أي البخاري ـ رجَّح عنده كون إدريس ليس من أجداد نوح، فلذا ذكره بعده اهـ. وإنما ذكره بعد إلياس.

ثم قال في شرح حديث أنس من كتاب الرقاق ـ بعد ذكر الاستشكال بآدم وشيث وإدريس ـ: ومجمل الأجوبة عن الإشكال المذكور، أنَّ الأولية مقيدة بقوله: «إلى أهل الأرض» لأنَّ آدم ومن ذُكِرَ معه لم يرسلوا إلى أهل الأرض. ثم ذكر الإشكال بحديث جابر، والجواب عنه بأنَّ قوم نوح كانوا هم أهل الأرض، وبعثة نبينا لقومه ولغير قومه، ثم قال ـ أو الأولية مقيدة بكونه أهلك قومه أو أنَّ الثلاثة كانوا أنبياء ولم يكونوا رسلاً، وإلى هذا جَنَحَ ابن بطال في حقِّ آدم، وتعقَّبه عياض بما صحَّحه ابن حِبّان من حديث أبي ذر، فإنه كالصريح في أنَّه كان نبيًّا مرسلاً، وفيه التصريح بإنزال الصحف على «شيث» وهو من علامات الإرسال. وأمَّا «إدريس» فذهبت طائفة إلى أنَّه كان في بني إسرائيل، وهو «إلياس» وقد ذكر ذلك في أحاديث الأنبياء. ومن الأجوبة: أنَّ

رسـالة آدم كـانت إلى بنيه، وهم مـوحِّدون، ليعلِّمهم شـريعته، و«**نـوح**» **كانت رسالته إلى قوم كفّار يدعوهم إلى التوحيد** ا هـ .

وظاهر أن جواب ابن بطّال، وهو أحد شرّاح البخاري من فقهـاء المالكيـة الأندلسيين أبعد الأجوبة المـذكورين عن التّكلُّف **وأوَّلهـا باطـل** لأنَّ أولاد آدم وأحفـاده **كانـوا أهل الأرض لا السمـاء**، وباقيهـا لا يـزيـل الإشكـال. وتعقُّب القاضي عياض له بحديث أبي ذر **عجيب منه**، **وأعجب** منه سكوت الحافظ له عليه، فالحديث اختلف الحفَّاظ فيه. **فجزم ابن الجوزي بأنـه موضـوع** وحقَّق السيوطي في «مختصر الموضوعات» أنَّه ضعيف، وذكر ذلك في «الدّر المنثور» واتفقـوا على انتقاد «ابن حبَّـان» لذكـره إياه في صحيحـه، كما صـرَّح بـذلـك الحافظ ابن كثير في تفسيره. وقد قدّم القسطلاني جواب ابن بطال، غيـر معزوّ إليـه على غيره ممـا ذكر من تلك الأجـوبة في شـرحه لحـديث أنس من كتاب الرقاق في البخاري فقال عند قول آدم: «**ائتوا نوحاً أوَّل رسولٍ بعثه الله**»: **أي بعـد آدم وشيث وإدريس، أو الثلاثـة، كانـوا أنبياء ولم يكـونـوا رسـلاً**. الـخ، فالقسطلانـي يعدّ القول بعدم رسالة آدم جواباً مقبولاً.

** .. ** .. **

وقـال النووي في شـرح حديث أنس من صحيـح مسلم: قال الإمـام أبو عبد الله المازري: قد ذكر المؤرخون أنَّ إدريس جدّ نوح عليهما السـلام، فإن قـام دليل على أنَّ إدريس أُرسـل أيضاً لم يصـحّ قول النَّسـابين إنه قَبْـلَ نُـوحٍ لإخبار النَّبي (ﷺ) عن آدم أنَّ نوحاً أَوَّل رسولٍ بُعِثَ، وإن لم يقم دليل جاز ما قالوه، وصحَّ أن يحمل على أن إدريس كان نبيـاً غير مـرسل. قـال القاضي عياض: وقد **قيل إنَّ إدريس هو إليـاس، وأنه كـان نبياً في بني إسـرائيل** كمـا جاء في بعض الأخبار مع يوشع بن نون، فإن كان هكذا سقط الاعتراض. قال القاضي: وبمثل هذا يسقط الاعتراض بآدم وشيث ورسالتهمـا إلى من معهما،

وإن كانا رسولين، فإن آدم إنما أُرسل لبنيه ولم يكونوا كفَّاراً، بـل أُمِرَ بتعليمهم الإيمان، **وطاعة الله تعالى**، وكذلك خَلَفَهُ «شيث» بعده فيهم، بخـلاف رسالـة نـوح إلى كفَّار أهـل الأرض، **قال القـاضي** : وقد رأيتُ أبـا الحسن ابن بـطال ذهب إلى **أنَّ آدم ليس بـرسول**، ليسلم من هـذا الاعتـراض، وحـديث أبي ذر الـطويـل ينصُّ على أن آدم وإدريس رسـولان. هـذا آخـر كـلام القـاضي والله أعلم ا هـ .

فجملة هــذه النقـول عن كبــار المفسِّــرين والمحــدِّثين من المتكلمين والفقهاء أنَّ آدم مختلف في رسالته وأنَّ إدريس مختلف في رسالتـه وفي كونـه هو إلياس المذكور في آيات سورة الأنعام التي نفسِّرها أو غيره؟ **فيكـون عدد الرسل المجمع على وجوب الإيمان برسـالتهم ـ لأنَّ نصَّ القرآن فيهـا قطعي ـ ثلاثة وعشرون فقط. وأمَّا الأحـاديث فليس فيها نصّ قـطعي الروايـة والدلالـة على رسالة آدم**. وقد علمت أن حديث أبي ذر الذي نصَّ على ذلك في سيـاق عدد الأنبياء والرسل **لا يحتج به في الأحكـام العملية التي يكتفى فيهـا بالـدليل الظَّنِّي، بله هذه المسألة الاعتقادية التي يطلب فيها اليقين**، لأنَّ أهـون ما قيـل فيـه **أنَّه ضعيف وقيـل إنه مـوضوع، ولـو وجدوا حـديثاً صحيحـاً أو حسناً في إثبات رسالة آدم لما لجأوا إلى ذكره!**

وأمَّا مسألة نبوته وهو كونه مـوحى إليه من الله تعـالى ففيها حـديث آحادي رواه البيهقي وغيـره عن أبي أُمامـة قال إن رجـلاً قال: يـا رسول الله أنبيـاً كان آدم؟ قــال: «نعم معلّم مكلّم» وقـد فسّــر المعلم في كتب غـريب الحــديث **بالملهم للخير والصـواب**. وروي «نبيّ مكلَّم» والتكليم أنواع، أُصـولها ثـلاثة بينَّهـا الله تعالى بقـوله: ﴿ومـا كان لبشـرٍ أن يكلِّمـه الله إلاَّ وحيـاً، أو من وراءِ حجاب، أو يرسل رسولاً فيوحي بإذنه ما يشاء﴾[1] ومنها وحي الرسالة وما دونـه، ومنهـا الرؤيـا الصادقـة، كما ورد في التفسيـر المأثـور. وأما حجّتـه من القرآن

---

(١) الشورى : ٥١.

فيمكن أن تُؤخذ من **قِصَّة خلقه ومعصيته وتوبته**، إذ فيها أنَّ الله علَّمه الأسماء كلها، وأنه تلقَّى من ربِّه كلمات فتاب عليه وهداه. **ولكن دلالة ما ذكر على نبوّته غير قطعية فإن الجمهور لا يجعلون كلّ وحي نبوَّة** لا ما كان بخطاب الملك، ولا ما كان بالإلهام والنفث في الروع، ولذلك **لا يقولون بنبوّة مريم وأمّ موسى** (*)، ومن العلماء من قال بنبوَّتهما، ثُمَّ إنَّه يحتمل أن يكون خطاب آدم في قصة خلقه من خطاب التكوين لا التكليف كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ استوى إلى السماء وهي دُخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً، قالتا أتينا طائعين﴾(1) وقد قال الشاذلي من كبار العلماء والصوفية: «وَهَبْ **لنا التلقِّي منك كتلقِّي آدم منك الكلمات**، ليكون قدوة لولده في التوبة والأعمال الصالحات»، ولو كان هذا التلقي نصاً قطعياً في نبوَّته لما طلبه هذا العالم العارف باللغة وأساليبها.

وقد ادَّعى الحافظ ابن حجر أنَّ دليل رسالته أننا نعلم بالضرورة أنَّه كان على شريعة من العبادة، وأنَّ أولاده أخذوا ذلك عنه، فعلى هذا فهو رسول إليهم، فيكون هو أوَّل رسول. وقد يقال إن أخذ أولاده عنه لا يقتضي عقلاً أن يكون الله قد بعثه رسولاً إليهم يبلِّغهم عنه وجوب الإيمان بهذه الرسالة وما يترتب عليها من الإنذار والتبشير حتَّى يكون ذلك معارضاً لحديث الشفاعة، إذ يجوز أن يكون قد ربَّاهم مِنَ الصغر على ما هداه الله إليه من الإيمان والعمل الصالح كما تقدم عن بعض العلماء. ونزيد عليه: أنَّ في القرآن نصَّاً يدل على أنه كان يعلِّمهم العبادة وأحكام الحلال والحرام، وما يترتب عليها من الجزاء، وهو نبأ ابني آدم المفصَّل في سورة المائدة، **فمن العبادة فيه** تقريب القربان، ومن خبر الجزاء على الأعمال قول المعتدى عليه للمعتدي: ﴿إنِّي

(*) سبق أن بيَّنا أن الله سبحانه نصّ على ذكورية الأنبياء [**المؤلف**].

(1) فصِّلت: 11.

أريـد أن تبـوء بـإثمي وإثمك فتكـون من أصحـاب النـار وذلـك جـزاء الظالمين﴾ومن العجيب أن يغفل أولئك الحفَّاظ عن هذه الآيات، ويكتفوا من النقل بحديث أبي ذرٍّ الموضوع أو الضعيف وبدعوى الضرورة العقلية التي ادَّعاها الحافظ ابن حجر، هذا إن كانوا يفهمون منها أنها تدل على رسالة آدم دلالة قطعية، وإذا كانوا لا يفهمون ذلك فبم يستدلون؟

وجملـة القـول: أنَّ الثابت قطعـاً في المسألـة هو أن آدم عليـه السلام كان على هدى من الله يعمل به ويربِّي عليه أولاده، وأنَّ منـه عبادات وقربات يرغب فيها مبشِّراً بأنَّها يثاب عليهـا، ومحرَّمـات ينهى عنها منـذراً بأنَّهـا يعاقب عليها، وهذه الهداية هي من جنس هـداية الله للنبيين والمرسلين التي بلَّغوهـا أقوامهم، ولا ندري كيف هدى الله تعالى آدم إليها، فإن طرق الهدايـة والتبليغ الإلهي متعددة، وكان الظاهر المتبـادر أن ذلك كـان بوحي الـرسالـة لولا مـا عارضه من حديث الشفاعة وآية ﴿إنَّا أوحينا إليك﴾ وما يؤيده مما تقـدم، ومن احتمال أن ذلك من هـداية الفـطرة السليمة التي فُـطِرَ آدم عليها ونشـأت عليها ذريتـه إلى زمن نـوح، إذ اختلف النـاس وحـدثت فيهم الـوثنيـة، فبعث الله النَّبيين، وجعل منهم الرسل المبلغين عنه بـإذنه المؤيَّـدين منه بـالآيات لإقـامة الحجَّة على الكافرين، وذلك قـوله عـز وجل: [٢ : ٢١٢]﴿كـان الناس أُمَّـة واحـدة، فبعث الله النَّبيين مبشِّـرين ومنـذرين، وأنـزل معهم الكتـاب بـالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفـوا فيه﴾ الآيـة. فقد صـحَّ عن ابن عباس (رضي الله عنه) أنَّه فسَّر ذلك بأنَّهم كانوا على الإسلام، وفي رواية مفصَّلة عنه قـال: كان بين آدم ونوح عشرة قرون، كلهم على شريعةٍ من الحق، فـاختلفوا فبعث الله النَّبيين. قال الرواة وكـذلك هي في قـراءة عبد الله (أي ابن مسعـود) «كان الناس أُمَّة واحدة فاختلفوا» الخ، ورووا عن أُبيّ أنَّه كان يقرأها كـذلك أيضـاً، ويؤيد ذلك في المعنى آيات أُخرى. ورووا عن قتادة أنَّه قـال ذُكِرَ لنـا أنَّه كـان

بين آدم ونـوح عشرة قـرون، كلُّهم على الهـدى وعلى شـريعـة من الحق، ثم اختلفـوا بعد ذلـك، **فبعث الله نوحـاً وكـان أول رسـول أرسله الله إلى الأرض** وبُعِثَ عند الاختلاف من الناس فبعث إليهم رسله، وأنزل كتابه يحتـج به على خلقه ا هـ، من [الدر المنثور] ومنه يعلم المخـرجون لهـذه الروايـات. **فهذا قتـادة من كبار علمـاء التابعين** [1] **يقـول: بأنَّ نـوحاً أوَّل نبيٍّ مـرسل.** ويؤيـد الـروايـة عنـه مـع مـا تقـدم مـا ورد من التفسيـر المـأثـور في قـولـه تعـالى: [٣٠ : ٢٨] ﴿فأقم وَجْهَكَ للدِّين حنيفـاً، فطرة الله التي فَـطَرَ النَّاسَ عليهـا﴾ [الآيـة] ـ كحديث الصحيحين وغيـرهما النـاطق بأنَّ كُـلَّ مـولـود يولـد على الفطرة، فأبواه يهوِّدانه أو ينصِّرانه أو يمجِّسانه. وفي بعض رواياته: **يولـد على فـطرة الإسـلام** وفي بعضهـا على الملة، ومنهـا حـديث عيـاض ابن حمـاد المجاشعي المرفوع عند محمد بن إسحاق الذي ذكر فيه آدم فقال: (ﷺ) «**إنَّ الله خَلَقَ آدم وبنيـه حُنَفَاءَ مسلمين** وأعـطاهم الله المال حـلالاً لا حـرام فيـه، فجعلوا ما أعطاهم الله حراماً وحـلالاً»، وفي معناه آثـار. والمراد من ذلـك في مسألتنا أنَّ الله تعالى فطر آدم على معرفته وتوحيده وشكـره وعبادتـه وزاده هدى بما كان يلهمه إياه من الأقـوال والأعمال وبمـا يصل إليه اجتهاده كمـا قيل في عبادة النبي (ﷺ) في الغار قبل البعثة، وقد يزاد على ذلك إرشاد الملائكة له ولأولاده، فقد كانوا بطهارة فطرتهم يرون الملائكة كما ورد **في تعليمهم إيـاهم**

---

(١) قتادة من كبار أئمـة التابعين في التفسير والحديث والفقـه وقد قـال الإمام أحمـد فيه: قتادة أعلم بالتفسير وباختلاف العلماء، ووصفه بالحفظ والفقه وأطنب في ذكره وقال: قل من تجد أن يتقـدمه. ذكـر ذلك الحـافظ الذهبي في تـرجمته من طبقـات الحفاظ، وذكر عنه أيضاً أنه كـان لا يسمع شيئـاً إلا حفظه. ومثله في تهـذيب التهذيب للحـافظ ابن حجر وفيه أنه كان ثقة مأمـوناً حجـة في الحديث. وقـال الحافظ الـذهبي: ما تـأخر أحد عن الاحتجاج بحديثه. ولد سنة ٦١ وتوفي سنة ١١٧ او ١١٨.

تجهيز أبيهم ودفنه حين توفي، ولسنا بصدد تمحيص أمثال هذه الروايات، ولكن مجموعها يؤيد الحديث المصرح بنبوة آدم، **وإلا كان من الهداية والتعليم الإلهي ما هو أعلى من النُّبُوَّة** أو ما هو مساوٍ لها، فإن كثيراً من الأنبياء لم يؤت من ذلك مثل ما أُوتي آدم. **والأنبياء أفضل البشر بالإجماع.**

فبهذا التفصيل يُعلم وجه ما اشْتُهِرَ على ألسنة العلماء من القول بنبوة آدم ورسالته مع عدم وجود النصِّ القاطع، بل مع وجود النَّصِّ المعارض، فإن هدايته لذرِّيته من نوع هداية الرسل للمؤمنين من أتباعهم كما بيناه آنفاً من معنى الآيات فيه، ولذلك جعله الحافظ من قبيل الضروري، ولكنه لم يبين وجه الضرورة ولم يهتد إلى الجمع بينه وبين المعارض له والذي يتجه في الجمع بغير تكلف **هو التفرقة بين هداية من ولدوا على الفطرة وبين بعثة نوح ومن بعده من الرسل إلى من فسدت فطرتهم** واختلفوا في الدين الفطري أو في الكتاب الإلهي من المشركين والضالين من أتباع نبي سابق فأعرضوا عما دعاهم إليه، بأن تجعل هذه الهداية الأخيرة هي الرسالة الشرعية التي يسمى من جاءوا بها رُسُلاً دون الأولى. وبهذا يجمع بين عدة أجوبة مما نقل عن العلماء في رفع التعارض بتوضيح قليل كقول من قال إنما كانت رسالة آدم إلى بنيه المؤمنين، ورسالة نوح ومن بعده إلى الكافرين، ومن قال إنما كانت رسالة آدم إلى بنيه (المؤمنين) من قبيل تربية الوالد لأولاده، **وفيهما أن تسميتها رسالة شرعية بالمعنى المراد من الآيات هو الذي يحقق التعارض فكيف يجعل دافعاً له ؟** وأمَّا إذا أثبتنا ما ذكر لآدم ولم نسمه رسالة بالمعنى الشرعي المذكور فإن التعارض يندفع بغير تكلّف كما قلنا، وتصح الأقوال كلها، ويكون الخلاف أشبه باللفظي، فهو رسول بالمعنى المشهور عند المتكلمين، دون المعنى المتبادر من القرآن والحديث.

** .. ** .. **

استفتاء المؤلف العلماء والمفتين

حول أوليّة النبوّة والرسالة
لنوح عليه السلام.. أم لآدم عليه السلام

فضيلة الشيخ ..... حفظه الله.

السلام عليكم ورحمة الله.. وبعد،،

يسرنا أن نقدم لكم هذه الأسئلة حول نبوّة آدم ورسالته، راجين التكرم بإجابتنا عليها ولكم من الله الأجر الجزيل، ومنا الشكر ووافر الاحترام.

١ ـ **هل آدم أبو البشر نبيّ ورسول؟** وإذا كان كذلك فما هي أدلة نبوّته ورسالته من كتاب الله عز وجل ومن حديث رسول الله الصادق الأمين؟

٢ ـ هل آية الاصطفاء في سورة آل عمران: ﴿إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين﴾ تعني النبوة والرسالة لآدم عليه السلام، **وهل هي من قطعي الدلالة أم هي من ظنّي الدلالة؟**

٣ ـ لقد استدل كثير من علماء التفسير القدامى والمعاصرين **على أولية نبوة نوح عليه السلام** كالإمام الرازي والقرطبي والآلوسي، والشيخ محمود شلتوت وأحمد مصطفى المراغي ومحمد رشيد رضا والدكتور محمد محمود حجازي، استناداً إلى قوله تعالى في الآية ١٦٣ من سورة النساء: ﴿إنّا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح **والنبيّين من بعده**﴾ واستناداً إلى

حديث الشفاعة الذي رواه أبو هريرة في صحيح البخاري ومسلم والترمذي على لسان أهل الموقف: «**يا نوح أنت أول الرسل إلى أهل الأرض**»، وعلى الحديث الذي رواه أنس بن مالك في صحيح البخاري على لسان آدم أبي البشر بشهادة خاتم الأنبياء:

ـ ائتوا نوحاً أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض.

ـ ائتوا نوحاً أول نبي بعثه الله إلى أهل الأرض.

وسؤالنا الموجه إلى فضيلتكم: **هل يعتبر من اعتقد بأولية نبوّة ورسالة نوح عليه السلام كافراً ومرتداً يستوجب فسخ عقد الزوجية؟**

نرجو إجابتنا عن ذلك، والله يتولاكم برعايته وعنايته....

عز الدين بليق

مدير دار الفتح للطباعة والنشر

** .. ** .. **

فتوى الدكتور عبد الله المشدّ
[رئيس لجنة الفتوى بالأزهر الشريف]

بسم الله الرحمن الرحيم

السيد الأستاذ / مدير دار الفتح للطباعة والنشر ببيروت بلبنان،

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته (وبعد)،

فردّاً على الاستفتاء المقدم من سيادتكم بشأن الأسئلة حول نبوة آدم ورسالته وغيرها نفيد سيادتكم بالجواب:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد، فنفيد بأن الله سبحانه وتعالى يقول في كتابه الكريم: ﴿إنِ الحُكْمُ إلا لله ،يقصّ الحق وهو خير الفاصلين﴾.

وقد اتفق علماء أصول الفقه على أن الغيبيات والإيجاب والتحريم **لا تثبت إلا بدليل قطعي الثبوت والدلالة**. وقطعي الثبوت هو كتاب الله سبحانه وسنّة رسوله المتواترة فيما يرى الحنفية . **وقطعي الدلالة: هو ما لا يحتمل أكثر من معنى. فلا يثبت شيء من ذلك بدليل ظني من كتاب الله أو من سنّة رسوله الآحادية، لأن الظني ما احتمل أكثر من معنى واختلف فيه علماء الأمة.**

وعليه، فإذا نظرنا إلى الأدلة من كتاب الله عز وجل، وجدنا أن ما يتعلق بآدم جاء في قوله سبحانه: ﴿إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل

عمران على العالمين﴾ وقوله تعالى: ﴿وعلم آدم الأسماء كلها﴾، واستدلال بعضهم على نبوّة آدم من قوله عز وجل: ﴿وإن من أمة إلا خلا فيها نذير﴾، وجميع هذه الآيات قطعية الثبوت لأنها من كتاب الله، **ظنية الدلالة لأنها تحتمل أكثر من معنى، ولذلك اختلف العلماء فيما تدل عليه من حيث القول بنبوة آدم ورسالته، وعدم القول بالنبوة والرسالة، لعدم القطع بذلك في هذه النصوص.**

أما ما استدل به القائلون بنبوته من السنة فيما ورد عن حديث أبي ذر الطويل من قوله (قلت يا رسول الله: من كان أول الرسل؟ قال: آدم)، وما رواه الترمذي عن أبي سعيد الخدري: (أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وبيدي لواء الحمد ولا فخر وما من نبي، آدم فمن سواه إلا تحت لوائي)، وحديث أبي أُمامة الذي رواه البيهقي وغيره والذي يقول فيه: (إن رجلاً قال: يا رسول الله: أنبياً كان آدم؟ قال: نعم معلَّم مكلَّم).

وقد تحدث عن الحديث الأول الإمام ابن الجوزي **ووسمه بالوضع في كتابه (الموضوعات)** وتحدَّث عن راويه إبراهيم بن هشام الإمام ابن كثير في تفسيره، والإمام الذهبي في كتابه (ميزان الاعتدال في نقد الرجال)، المجلد الأول صفحة ٧٢ ـ ٧٣، وأشار إلى قول أبي زرعة عن **إبراهيم بن هشام بأنَّه كذَّاب.**

أما الحديث الثاني فقد تحدَّث **عن ضعف رواته** الإمام ابن حجر في كتابه (تهذيب التهذيب) .

ففي الجزء التاسع صفحة ٥١٨، تحدَّث عن الراوي الأول (ابن أبي عمر)، وفي الجزء الرابع صفحة ١٠٧، تحدَّث عن الراوي الثاني (سفيان)، وفي الجزء السابع صفحة ٣٢٢، تحدث عن الراوي الثالث (ابن جدعان)، وجميعهم من الضعفاء.

أما الحديث الثالث فقد قال الإمام ابن كثير في تفسيره عن رواتـــه:

ــ معان بن رفاعة السلامي : ضعيـــف.

ــ علي بن زيـد : ضعيـف.

ــ القاسم بن عبد الرحمن : ضعيـف أيضاً.

«**وإذا ثبت أن علماء أصول الفقه لا يستدلون على ما تقدم من إيجاب أو تحـريم أو غيبيات إلّا بـدليل قـطعي الثبوت، قـطعي الدلالـة،** وأنـه لا يجـوز الاستدلال على هذه الثـلاث (الغيبيات، ومنهـا نبوة آدم أو على الإيجـاب، أو التحريم)، بحديث حسن أو مشهور، **فأولى وأحق عدم جواز الاستـدلال على هذه الثلاثة بأحاديث موضوعة أو ضعيفة..**

أما استدلالهم على نبـوَّة آدم ورسالتـه **بالإجمـاع**. فإن الإجمـاع أولاً هو اتفـاق كلمة الخـاصّة من علمـاء المسلمين في عصـر من العصـور على حكم قضية دون أن يرجع أحد منهم عن رأيه حتى الموت، **ولم يثبت هـذا الإجماع لا من حيث أسمـاؤهم ولا من حيث عصـرهم ولا من حيث مكـانهم..** هـذا بالإضافة إلى أن الإجماع فيما ذكره علماء أُصول الفقـه **من الأدلَّة الـظنية وليس من الأدلة القطعية حتى يستدلّ به على أمر غيبي.**

هـذا بالإضـافة إلى أن (ابن قـدامة)، ذكـر في كتابـه (المغني) في فصـل المرتد (بأنَّ المرتد هو من أنكر شيئاً علم من الدين بالضرورة)، **ثم فسَّر ذلـك بأنه من استباح أو استحل تـرك واجب أو فعل محـرّم**، ومثَّل لـذلك بقـول الله تعالى في الأوامر والواجبات: ﴿وأقيموا الصلاة وآتـوا الزكـاة﴾، ﴿كُتِبَ عليكم الصيام كما كُتِبَ على الذين من قبلكم لعلَّكم تتَّقون﴾، ﴿ولله على الناس حِجّ البيت من استـطاع إليه سبيلًا﴾، ﴿وإذا قلتم: فاعـدلوا ولـو كان ذا قـربى﴾، ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى﴾، ﴿وبالوالدين إحسانا﴾.

وفي المنهيـات: قوله سبحانه: ﴿ولا تقربوا الـزنا﴾، ﴿إن الـذين يرمـون

المحصنات المؤمنات الغافلات لعنوا في الدنيا والآخرة﴾، ﴿إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان، فاجتنبوه لعلكم تفلحون﴾، ﴿ولا تقتلوا النفس التي حرَّم الله إلا بالحق﴾، ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل﴾، ﴿وأحلّ الله البيع وحرّم الربا﴾، وفي الحدود: ﴿والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاءاً بما كسبا نكالاً من الله﴾، ﴿الزانية والزاني فاجلدوا كلّ واحدٍ منهما مائة جلدة﴾، وفي القذف: ﴿فاجلدوهم ثمانين جلدة، ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً﴾، ﴿كُتِبَ عليكم القصاص في القتلى﴾، وفي حدّ الحرابة: ﴿ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم﴾.

فدلّ ذلك على أنّ المرتدّ،فيما عرّفه الفقهاءبأنّه من أنكر شيئاً عُلِمَمن الدين بالضرورة، وهو من أنكر أو استباح ترك الواجبات وفعل المحرّمات التي ثبتت بأدِلّة قطعية لا بأدِلّة ظنّية، والله تعالى أعلم،،،

٧ من صفر ١٤٠٨ هـ
٣٠ من سبتمبر ١٩٨٧م

رئيس لجنة الفتوى بالأزهر
الدكتور عبد الله المشدّ

**** .. ** .. ****

فتوى فضيلة العلامة
الشيخ محمد الغزالي

بسم الله الرحمن الرحيم

قضية نبوّة آدم أو رسالته ليست من أصول العقيدة ولا علاقة لها بكفر أو إيمان. ومسائل الصلة بين النبوة والرسالة هل هما مترادفان أو بينهماعموم وخصوص،تكلم فيها علماؤنا والخطأ والصواب في كلامهم لا يمس أصل الإيمان.

ورأيي أن هذه الأمور من فضول المعرفة لا من أصولها،وأن إثارتها الآن شغل للأمة الإسلامية عن شئون تمس حاضرها ومستقبلها في الصميم.. ومن حسن إيمان المرءتركه ما لا يعنيه، وخير لنا أن نحشد قوانا ونجمع صفوفنا لمواجهة العدو المغير علينا، مستعينين بالله وحده.. والناس إن لم يجمعهم الحق فرَّقهم الباطل...

الشيخ محمد الغزالي

** .. ** .. **

فتوى فضيلة الدكتور عبد المنعم النمر
[وكيل الأزهر ووزير الأوقاف المصري السابق]

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله وآله وأصحابه . .

وبعد

فبناء على الاستفسار المقدم لي من الأستاذ عز الدين بليق ـ دار الفتح للطباعة . بيروت حول ما إذا كانت الأولية في النبوة والرسالة لنوح عليه السلام، أو لآدم من قبله. وهل إذا رأى مسلم مما تفيده الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الصحيحة أن الأولية في النبوة والرسالة كانت لنوح . هل يعتبر كافراً مرتداً يستوجب الحال فسخ نكاحه؟ . . .

وجواباً عن هذا نقول. . . .

إن هذا الموضوع قد بحثه العلماء من قديم، وامتلأت به بطون الكتب عند شرح الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ـ وأن هؤلاء العلماء قد اختلفت وجهة نظرهم بناء على ما استعرضوه من أدلة . . هل أولية النبوة والرسالة لنوح أم لآدم من قبله؟

فليس في الموضوع ـ إذن ـ نص قاطع من القرآن والحديث يحسم

الخلاف، وإنما النصوص التي وردت سمحت عند النظر فيها بالاختلاف في فهم الحكم منها. . كما جاء في الكتب التي تحدثت في هذا، من كتب التفسير والحديث والكلام وغيرها. . .

فالمسألة ـ إذن ـ خلافية، وفيها قولان، أو رأيان.

ومن القواعد الشرعية الأصولية المُسلَّمة، في العمل بها، أن أي موضوع من موضوعات العقيدة أو الأحكام الشرعية. حصل بين الأئمة وعلماء الأمة خلاف حوله. بالجواز والصحة أو عدم الجواز والصحة، فإن المسلم الذي يتبع هؤلاء الأئمة والعلماء ويقدر لهم علمهم يجوز له أن يأخذ برأي من الرأيين أو من الآراء، ويترك الرأي الآخر. . ولا يُحاسَب ولا يلام إذا اتبع أحد الرأيين، ولا يجوز إجباره ديناً على الأخذ برأي معين، وترك الآخر. . كما لا يجوز تأنيبه أو تكفيره، ما دام الرأي والرأي الآخر قد قال بهما العلماء والأئمة اجتهاداً منهم في فهم الحكم من الأدلة المعتبرة شرعاً. . **لأن الاختلاف فتح للمتَّبعين باب الخيار في الأخذ بأي الحكمين أو الرأيين والمذهبين.**

فمثلاً: **رؤية الله تعالى:** اختلف حولها الأئمة والعلماء. فريق يرى استحالة ذلك، معتمداً على أدلة معتبرة من القرآن والسُنّة، وفريق يرى جواز ذلك معتمداً على أدلة له يراها أيضاً، بينما يرد على الآخر، ويفند حجته، ليسلَم له رأيه،وكتب التوحيد والتفسير والحديث مشحونة بما سجله العلماء من وجهات النظر المختلفة. وهذه مسألة غيبية تتصل بالعقيدة. .

وبذلك جاز لي، ولك أو لأي مسلم أن يأخذ ويعتنق واحداً من الرأيين، رأي استحالة الرؤية، أو جوازها. دون أن يكون خارجاً على الإسلام، ودون أن يؤنبه أو يكفِّره أحد، وهكذا في كل الأمور المختلف عليها مما يتصل بالعقيدة. . .

والأمـر كذلـك في الأحكام. فلم يصـادر أحد من الأئمة رأي الآخرين، ولم يتهمهم بـالكفر أو الفسـوق لمجرد أن رأوا رأيـاً غير رأيـه بنـاء على أدلـة لهم. بل كان قولهم: رأيي صواب يحتمل الخطأ، ورأي غيـري خطأ يحتمـل الصواب. وعلى هذا ساروا، واحترموا رأي الآخرين، وقـد وجدنـا أمامنـا أقوالاً منهم مختلفة في الموضوع الواحد. فأصبح من حقنا نحن المقلدين أن نختـار رأي أحد منهم ونسير عليه. دون أن يتجه أحد إلى لومنا، أو إلى إجبارنـا على رأي دون الآراء الأخرى. . .

ففي قراءة الفاتحة بالبسملة وراء الإمام أقوال عدة للأئمة:

○ قول بعدم أو كراهة قراءتها، بل على المأموم أن يسكت ويستمع لقراءة إمامه. .

○ وقول بوجوب وضرورة قراءتها مع البسملة، لأن البسملة جزء من آيات الفاتحة.

○ وقول بعدم قراءة البسملـة.

والمسلم المقلد لـه أن يتبـع رأيـاً من هـذه الآراء ويسيـر عليـه، دون أن يتوجه أحد إليه بلوم. .

وهكذا في كل الأمور التي اختلف الأئمة حولها. . فإن الاختلاف المعتبر يفتح باب الأختيار أمام المقلدين المتبعين، في اختيـار اعتناق أحـد الرأيين أو العمل به. . .

وهنا نأتي إلى مـوضوع السؤال: أوليـة نبوة ورسـالة نـوح، أو أولية نبـوة ورسالة آدم.

وقد عرفنا أنه حصل خلاف بين العلماء فيهما، ولكل منهم أدلته، كما هو معروف من المراجـع المعتمدة. . وإن كـانت أدلة القـائلين بأوليـة نبوة نـوح ورسالته عليه الصلاة والسلام، أقوى وأصرح من أدلة الآخرين، لكننا لا ننـظر

إلى هذا الآن. . بل نكتفي بأن نأخذ بالقاعدة الشرعية الأصولية التي جرى ويجري عليها العمل، ونقـــول:

إن لأي مسلم أن يقلد ويتبع أحد الرأيين، دون أن يتوجه إليه أصحاب الرأي الآخر بتعنيف أو تجريح له في دينه. فيقول: بأولية نبوة آدم ورسالته، دون أن يلومه أحد، **أو أولية نبوة نوح ورسالته دون أن يلومه أو يجرحه أحد في دينه كذلك. . .**

فالتمسك بأحد الرأيين والتعصب له. **إلى حد أن نتهم الرأي الآخر ومتبعيه بالخروج من الدين** أو حتى بارتكاب معصية فيه، **هو تحكم مرفوض ديناً وعقلاً. أعني لا يقره دين ولا عقل، ولا يقره أحد من الأئمة والعلماء السابقين وحتى الآن. . .** فإن العمل يجري على حرية المقلدين في اتباع أي رأي ومذهب. . دون أن يلومهم أحد، أو يلوموا هم أحداً غيرهم اختار غير الذي اختاروه. .

حتى حين يختار المقننون لأحكام الشريعة رأياً من آراء الأئمة ليجري العمل عليه في الدولة نجدهم يعللون ذلك بأنه الأوفق والأصلح للعمل به الآن، دون أن ينكروا الرأي الآخر أو يهاجموه ويهاجموا الذين اتبعوه ويتهموهم في دينهم.

فمبدأ حرية الاختيار للمسلم في أي الآراء والمذاهب يقلدها هو الأصل الذي قام عليه العمل منذ عهد الصحابة وحتى الآن. . .

ولذلك لما طلب الخليفة العباسي من الإمام مالك رضي الله عنه أن يحرر له الموطأ ويوطئه ويهيئه لكي يلزم المسلمين في شتى أقطار الدولة الإسلامية العمل به، رفض الإمام مالك ذلك، وعلل سبب رفضه بأن أصحاب رسول الله ﷺ قد تفرقوا في أقطار الدولة. ولهم فهمهم ووجهة نظرهم في كتاب الله وسُنّة رسوله، واستنباط الأحكام منهما، ولا يجب أن يعنت الناس ويلزمهم

برأيه، ويهدر آراء الآخرين.. لا سيما في الموضوعات القائمة على الاجتهاد في فهم النص أو القياس عليه، ما دام لا يوجد نص قاطع الثبوت قاطع الدلالة في الموضوع.

وبناء على هذا كله نقول: إنه لا يجوز لأحد من المسلمين ولا لعالم من علمائهم، أن يحكم بالكفر على من اعتنق أحد الرأيين في أولية نبوة نوح ورسالته أو أولية نبوة آدم ورسالته.. لأنه بحكمه بالكفر والارتداد على من اعتنق أحد الرأيين حكم على العلماء والأئمة الذين قالوا به بأنهم كفرة مرتدون، وهذا خروج على سلوك وعمل أسلافنا، **وخروج على القاعدة الشرعية الأصولية التي اعتمدها الصحابة** والأئمة والعلماء وساروا ويسيرون عليها حتى الآن. فوق أن حكمه هذا يفتح الباب لمن يعارضون رأيه لأن يتهموه كذلك بالكفر والارتداد **وهذه فتنة في الأرض وفساد كبير،** نشأ مِن أن معتنقاً لأحد الرأيين المختلفين أعطى نفسه حق الحكم على من يخالفون الرأي الذي أخذ به، بالكفر والارتداد.. فوضع بذلك مبدأ يرتد سلاحه إليه، ويتيح لمن يعارضه أن يستعمله ضده....

هذا ما أراه، والعصمة لله، وهو الموفق للصواب...

دكتور عبد المنعم أحمد النمر

وكيل الأزهر ووزير الأوقاف سابقاً
وعضو مجمع البحوث الإسلامية، وأكاديمية البحث العلمي، والمجلس الأعلى للثقافة والمجلس الأعلى للصحافة، ورئيس لجنة ترجمة معاني القرآن بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ورئيس لجنة الشئون الدينية والاجتماعية والأوقاف بمجلس الشعب والحاصل على جائزة الدولة التقديرية وعضو المجالس القومية المتخصصة

القاهرة في يوم السبت :
٢١ رمضان ١٤٠٨ هـ
٧ مايو ١٩٨٨ م

** .. ** .. **

فتوى الدكتور عبد المجيد مطلوب

[أستاذ ورئيس قسم الشريعة الإسلامية

بجامعة حقوق عين شمس]

بسم الله الرحمن الرحيم

أولاً : لا يوجد في كتاب الله عز وجل آيات يعارض بعضها بعضاً، فالله سبحانه وتعالى لا يمكن أن يصدر عنه آية تقتضي حكماً أو بياناً لواقعة ثم يصدر عنه في نفس الواقعة آية أخرى تقتضي حكماً أو بياناً خلاف الأول في وقت واحد،لأن ذلك يكون عبثاً، والله سبحانه وتعالى منزه عن العبث،تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

وما يوجد في القرآن مما يوهم ظاهره التعارض بين النصوص،فهذا ليس على حقيقته، وإنما يقع بالنسبة إلينا لعدم معرفتنا بالناسخ والمنسوخ، وأيضاً لعدم معرفتنا بالتاريخ الذي نزل فيه كل من النصين المتعارضين فلا نعرف المتقدم منهما. وقد يمكن الجمع بين النصين المتعارضين بأن يكون أحدهما مخصصاً لعموم الآخر، أو يحمل المقيّد على المطلق أو بتقديم الدلالات حسب ترتيبها فتقدم دلالة عبارة النص على ما يليها من الدلالات في الترتيب من دلالة الاشارة. ودلالة النص أو الفحوى ودلالة الاقتضاء، كما تقدم دلالة الاشارة عند جمهور الفقهاء على ما يليها في الترتيب من دلالة النص أو الفحوى، ودلالة الاقتضاء، كما تقدم دلالة النص أو الفحوى على دلالة الاقتضاء.

ثانيـــاً : لم يذكـر القرآن الكـريم لفظ النبوة بـإزاء أبينا آدم عليـه السلام كما ذكر ذلـك بإزاء غيـره من الأنبياء كنـوح وإبراهيم ومـوسى وعيسى وغيرهم عليهم السلام، ولكن ذكر أنه خاطبـه بلا واسـطة وشرع لـه في ذلك الخـطاب فأمره ونهاه، وأحل لـه بدون أن يـرسل إليـه رسولاً، كمـا أنه اصـطفاه واجتبـاه وهذا فيه ما فيه من معاني النبوة.

ثالثاً : إن نبوة أبينا آدم من الغيبيات التي لا تثبت إلا بدليل قطعي الثبوت وقطعي الدلالة، وذلك القرآن الكريم والسُّنّة النبوية المطهرة المتواتـرة، مما لا يحتمل أكثر من معنى في كليهما. فلا تثبت الغيبيات بدليل ظني من كتاب الله أو من سُنّـة رسول الله ﷺ لأن الـظني قد يحتمـل أكثـر من معنى وقـد اختلف العلماء في الظني.

ولما كانت نبوة أبينا آدم لم تثبت في مـدى علمي والله أعلم بدليـل قطعي الثبوت والدلالة حيث لم يذكـر لفظ النبوة صـراحة لا في القـرآن ولا في السُّنّة المتواترة، وإنما ما ذكر في القرآن مما يوحي بنبـوته عليـه السلام وخـاصة آيـة الاصـطفـاء فليست من قـطعي الـدلالـة ولكنهـا من ظني الـدلالـة، وكـذلـك الأحـاديث التي يستدل بهـا على نبوتـه فهي أحاديث ليست متـواترة فضـلاً عن الشك في صحتها.

وعلى ذلك فما دامت النبوة وهي من العقائد لم تثبت بدليل قطعي فيجب كما أرى أن نفوض الأمر في ذلك وعلم ذلك إلى الله تعالى، ولا نحكم بالكفر على من خـالف حكماً ظنيـاً، وهذا رأيي فـإن كان صـوابـاً فمن الله وأشكـره سبحانه وتعالى أن وفقني للصواب، وإن كان خطأ فمني ومن الشيطان،واستغفر الله العظيم.

ا . د عبد المجيد محمود مطلوب
أستاذ ورئيس قسم الشريعة الإسلامية
بحقوق عين شمس

فتوى سماحة الشيخ أحمد كفتارو
[مفتي الجمهورية العربية السورية]

بسم الله الرحمن الرحيم

السيد الأستاذ مدير دار الفتح للطباعة والنشر/ بيروت ــ لبنان.

سلام الله عليكم ورحمته وبركاتــه:

جـوابـاً على سؤالكم الـذي تقـدمتم بـه إلينـا حـول نبـوّة آدم ورسـالتـه وغيرهـا، فنقول:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد العالمين وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعـــد. ، فنفيدكم بالجواب التالي:

بعد اطلاعنا على الأحكام المتعلقة بهذا الموضوع، وعلى أقـوال مختلف الفقهـاء فيه، تبين أنّ القضيـة في رسالـة آدم أو عدم رسـالتـه، وأنـه هـو أول رسول أم أن نوحاً هو أول المرسلين ؟ هذه القضيـة ذهب فيها العلمـاء قديمـاً وحديثاً إلى قولين، والذي نراه أنه لا مرجح لأحد الرأيين، ولا يجوز الخوض فيها أكثر من ذلـك مخافـة الحطّ من قَدْرِ أحـد الفريقين من علمـائنا، ولكـلٍ وجهةُ نظر فيما ذهب إليه. وأنه يرجح لدينـا بأن من أخـذ بأحـد الرأيين فـإنما يكون قد استند إلى نتيجة قال بها صفوة من العلماء.

إن موضوع التكفير أو الارتداد عن الإسلام لمن قال بـالرأي هـذا أو ذاك فهذا غير وارد، إذ أن قولنا بذلك يكون كمن حكم على فريق منهما بالكفر أو

بالارتداد. بالإضافة إلى أن الخوض في هذه الأمور غير مجد ولا مفيد وخصوصاً في وقت يجدر بنا أن نصرف اهتمامنا فيه إلى جمع الكلمة والوقوف صفاً واحداً أمام ما يواجه هذه الأمة من أحداث جسام، ومن موجات الكفر والتضليل ومحاولات الصهيونية تقويض بناء عقيدتنا وتراثنا واستعبادنا واذلالنا ونهب خيراتنا، وإشاعة الفتنة والخلافات بين صفوفنا، وهذا ما يربأ به كل مسلم أن يكون على حذر من الأمر، لأن الأمر جسيم والخطب جليل، ولو أن كتب العقيدة التي بين أيدينا ترجح قول من ذهب إلى أن آدم عليه السلام نبي مرسل وأن عدد الأنبياء الذين وردت أسماؤهم في القرآن الكريم خمسة وعشرون نبياً، أولهم آدم، وآخرهم نبينا محمد عليهم الصلاة والسلام أجمعين.

والحمد لله رب العالمين.

دمشق ـ ١١/ ٥ / ١٤٠٩ هـ. — الشيخ أحمد كفتارو

الموافق ١٩/١٢/ ١٩٨٨م. — **المفتي العام للجمهورية العربية السورية**

** .. ** .. ** .. **

فتوى فضيلـة الشيخ محمد سيد طنطاوي
[مفتي جمهورية مصر العربيـة]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده،والصلاة والسلام على من لا نبـي بعـده.

اطلعنا على الاستفسار الوارد من السيد / عز الدين بليق ـ مدير دار الفتح للطباعة ببيروت، والذي يطلب فيه بيان الرأي الشرعي في رجل متـزوج يشك في نبـوة آدم وأن أول نبي إلى أهـل الأرض هـو نـوح ـ وفهم ذلـك من ظـاهـر الآيات القرآنية التي لم تنص صراحة على نبوة آدم ـ كما فهم ذلك من حـديث الشفاعة الوارد في كتاب صحيح البخاري «عندما يتوجه أهـل الموقف إلى آدم ليتشفع لهم ويقولوا له: (أنت الذي خلقك الله بيده ، ونفخ فيك من روحه، وأمر الملائكـة فسجدوا لـك فاشفـع لنا عنـد ربنا ـ فيقـول آدم: لست هناكم ـ ويذكر خطيئته ويقول ائتوا نوحاً أول رسول بعثه الله. . . . . . الحديث.

ويسأل السائل هل من يرى ويعتقد أن نوحاً هو أول نبي ورسول بنـاء على ما فهمه من الآيات القرآنيـة والأحاديث النبـوية يعتبـر كافـراً ومرتـداً ويستوجب ذلك فسخ عقد نكاحـه من زوجتـه؟.

الجـــــواب

لقد سبق أن بحثت دار الافتاء المصـرية هـذا الموضـوع في الجواب عن الاستفسـار الوارد من الشيـخ نـزار الحلبي رئيس جمعيـة المشـاريـع الخيـريـة

الإسلامية ببيروت بالطلب وقيد بـالسجلات تحت رقم ٢٤٠ /١٨٧، والفتـوى مسجلة تحت رقم ١٢١/١٥/٦ وانتهينـا فيها إلى أن نبـوة آدم ثابتـة بقـول الله تعالى: ﴿إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العـالمين﴾، فقـد جاء في تفسيـر هذه الآيـة: إن الله اصطفى أي اختـار للنبوة صفـوة خلقه منهم آدم أبا البشر ونوحاً شيخ المرسلين، وآل إبراهيم أي عشيرته وذوي قربـاه وهم إسمـاعيـل وإسحاق والأنبيـاء من أولادهمـا ومن جملتهم خـاتم الأنبيـاء والمـرسلين محمد ﷺ، وآل عمـران ومنهم عيسى بن مـريم خـاتم أنبيـاء بني إسرائيل قال القرطبي: وخص هؤلاء بالذكر من بين الأنبياء لأن الأنبياء والرسل جميعاً من نسلهم.

نعم إن القرآن الكريم لم يذكر لفظ النبوة بإزاء آدم كما ذكر بإزاء غيره من الأنبياء ولكن ذكر أن الله خاطبه بلا واسطة وشـرع له في ذلـك الخطاب فـأمره ونهـاه وأحل لـه وحرم عليـه بدون أن يـرسل إليـه رسولاً وهـذا هو كـل معاني النبوّة. والحديث الشريف الذي احتج به من أنكر نبوة آدم وهو حديث الشفاعة المشار إليه سـابقاً يثبت النبـوة لآدم ولـم ينفها عنـه، فقد ورد بـه قول آدم لست هنـاكم، ائتوا نـوحاً أول رسـول بعثه الله، **وأولية رسالة نوح لا تنفي أوليـة نبـوة آدم.**

وأما قوله تعالى: ﴿إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده، وأوحينـا إلى إبراهيم وإسمـاعيـل وإسحاق ويعقـوب والأسبـاط وعيسى وأيـوب ويونس وهارون وسليمان وآتينا داود زبوراً﴾. ١٦٣ ، من سورة النساء، ثم قال تعـالى بعد هـذه الآيـة: ﴿ورسـلاً قـد قصصنـاهم عليـك من قبـل ورسـلاً لم نقصصهم عليـك، أي قصصناهم عليـك من قبل هـذه الآية التي ذكـرت عدداً من الأنبيـاء والرسـل فقد قص الله ـ على رسـوله محمـد ﷺ رسلاً في الآيـات والسور المكية في قوله تعالى: ﴿وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومـه﴾...

الآيتان رقم ٨٣ ، ٨٤، من سورة الأنعام، وهي سورة مكية، أما سـورة النساء التي ورد فيها قولـه تعالى: ﴿إنـا أوحينا إليـك﴾ فهي سورة مـدنية. وعلى أيـة حال فالذي يطمئن إليه القلب أن نبوة آدم ثابتة بالنصوص الشرعية من الكتـاب والسُّنّة.

إلا أننا لا نميل إلى الحكم بالكفروالردّة عن الإسلام وفسخ نكاح من يرى ويعتقد أولية نبوّة نوح ورسالته لأنه أمر اختلف فيه العلماء والمفسرون والأئمة وهو محل اجتهاد العلماء ـ **وإننا نناشد المسلمين بعدم الخـوض في مثل هـذه الأمور وتفويض العلم فيها إلى الله.**

والله ولـــي التوفيـــق.

مفتـــي
جمهورية مصر العربية
محمد سيد طنطاوي
٨٨/٥/٢٢

** .. ** .. ** .. **

تعقيب المؤلف على فتوى
فضيلة مفتي جمهورية مصر العربية

حضرة صاحب الفضيلة الشيخ الدكتور محمد سيد طنطاوي

مفتي جمهورية مصر العربية، حفظه الله،

السلام عليكم ورحمة الله . . . وبعد،

فقد تلقيت أمس بالبريد المسجل الفتوى الصادرة عن دار الافتاء والمؤرخة في ٢٢/٥/١٩٨٨، والتي انتهيتم فيها إلى ما يلي:

(وعلى أية حال، فالذي يطمئن إليه القلب أن نبوّة آدم ثابتة بالنصوص الشرعية من الكتاب والسُنّة.

إلا أننا لا نميل إلى الحكم بالكفر والردة عن الإسلام وفسخ نكاح من يرى ويعتقد أولية نبوّة نوح ورسالته لأنه أمر اختلف فيه العلماء والمفسرون والأئمة، وهو محل اجتهاد العلماء ـ وإننا نناشد المسلمين بعدم الخوض في مثل هذه الأمور **وتفويض العلم فيها إلى الله).**

ولنا بعض الملاحظات على ما جاء في الفتوى:

أولاً : جاء في أول الفتوى: (اطلعنا على الاستفسار الوارد من السيد عز الدين بليق ـ مدير دار الفتح للطباعة ببيروت، والذي يطلب فيه بيان الرأي الشرعي **في رجل متزوج يشك في نبوة آدم**، وأن أول نبي إلى أهل الأرض

هو نوح ـ وفهم ذلك من ظاهر الآيات القرآنية التي لم تنص صراحة على نبوة آدم ـ كما فهم ذلك من حديث الشفاعة الوارد في كتاب صحيح البخاري، «عندما يتوجه أهل الموقف إلى آدم ليتشفع لهم ويقولوا له: (أنت الذي خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وَأَمَرَ الملائكة فسجدوا لك، فاشفع لنا عند ربِّنا ـ فيقول آدم: لست هناكم ـ ويذكر خطيئته ويقول **ائتوا نوحاً أول رسول بعثه الله**... الحديث)».

مع أن السؤال الموجه إلى فضيلتكم لا يخرج عن هذا الإطار:

(ما حكم الإسلام في رجل قرأ قوله تعالى: **﴿إنَّا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنَّبيِّين من بعده﴾**، وفهم من هذه الآية إشارة القرآن إلى أولية نبوة ورسالة نوح عليه السلام، ثم عزّز هذا الفهم بحديث الشفاعة الذي رواه أنس ابن مالك في صحيح البخاري في كتاب التوحيد، والذي يقول فيه آدم أبي البشر لأهل الموقف: (ولكن ائتوا **نوحاً أول نبي** بعثه الله إلى أهل الأرض)، هل يعتبر الذي فهم أولية نبوة نوح ورسالته من آية النساء وحديث الشفاعة كافراً مرتداً يستوجب الحال فسخ نكاحه؟).

والملاحظات:

١ ـ لم يكن في السؤال **رجل متزوج يشكّ في نبوّة آدم**.

٢ ـ والسائل استشهد بحديث أنس بن مالك الذي يقول فيه آدم: (**ائتوا نوحاً أول نبيّ** بعثه الله إلى أهل الأرض)، وليس حديث: (ائتوا نوحاً **أول رسول بعثه الله** إلى أهل الأرض).

٣ ـ والفتوى التي كتبها فضيلة المفتي رداً على سؤالنا ربطها بفتوى سابقة ردَّ بها على سؤال الشيخ نزار الحلبي يسأل فيه (بيان الرأي الشرعي في رجل متزوج يشكّ في نبوة آدم عليه السلام ويؤلف في ذلك رسائل ـ ولم يبرز

لسماحتكم نسخاً عن هذه الرسائل ـ ويوزعها على الناس، **وما قول العلماء في رِدّته وعقد نكاحـــه؟**

والسائل الذي استفتى فضيلة المفتي (كاتب هذه السطور) يعتمد على الحديث الصحيح الذي يثبت فيه رسول الله ﷺ أولية نبوة ورسالة نوح، وبالتالي عدم أولية نبوة آدم ورسالته، لأنَّ رسول الله ﷺ لا يمكن أن يقول كلاماً يناقض فيه نفسه، **فتارة يقول بأولية نبوة آدم ورسالته، وتارة أُخرى يقول بأولية نبوة نوح ورسالته**، لأنه ﷺ لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحيٌ يوحى، والكلام الذي أتى به لم يتقوّله على ربِّ العالمين لأنَّ الله سبحانه يقول: ﴿ولو تقوَّل علينا بعض الأقاويل، لأخذنا منه باليمين، ثم لقطعنا منه الوتين، فما منكم من أحدٍ عنه حاجزين﴾.[1] وبما أن الرسول يبلِّغ رسالة ربِّه، ولا يخرج في بيانه عن القرآن، ولا يمكن أن يقول قولاً يناقض به نفسه أو يناقض به القرآن، والقرآن الكريم يقول: ﴿أفلا يتدبرون القرآن، ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً﴾،[2] والإمام الشافعي يقول: (**إذا ثبت الحديث فاضربوا بقولي عرض الحائط**)، وفضيلة المفتي لا يمكن أن يخالف قولاً ثابتاً لرسول الله ﷺ.

والشيخ نزار الحلبي أوحى لكاتب الفتوى بالجواب من خلال السؤال: (**رجل متزوج يشك في نبوة آدم. . . وما قول العلماء في ردّته وعقد نكاحه**).

وفضيلة المفتي لم يكتب الفتوى، بل كتبها أحد الإخوة الأفاضل في دار الافتاء، وقرئت على فضيلته.

٤ ـ استندت الفتوى السابقة واللاحقة بإثبات نبوة آدم إلى آية الاصطفاء، وإلى كلام القرطبي، مع أن القرطبي ذكر ثلاثة أوجه لتفسير الاصطفاء ، وما دامت الآية تحتمل أكثر من معنى فلا يمكن أن تكون الآية من قطعيِّ الدلالة، وتصبح بالتالي ظنِّية والله سبحانه يقول: ﴿ إن الظَّنَّ لا يغني من

---

(١) الحاقة : ٤٤ ـ ٤٧ . (٢) النساء : ٨٢ .

الحق شيئاً﴾[3]، ومحتملة، **ولا يقين مع الاحتمال**، كما قال الإمام الفقيه الأصولي فخر الإسلام البزدوي.

٥ ــ والغريب أن الفتوى تقول: (والحديث الشريف الذي احتج به **من أنكر نبوة آدم**، وهو حديث الشفاعة المشار إليه سابقاً يثبت النُّبوة لآدم ولم ينفها عنه)، ونحن نستغرب هذا القول، فإن أهل الموقف خاطبوا آدم: أنت أبو البشر.. أنت أبو الناس، ولم يقولوا له أنتَ نبي أو أنت أبو الأنبياء؟ وآدم أثبت أولية نبوّة نوح ورسالته، وبالتالي نفى عن نفسه النبوة والرسالة، ولذلك فإن ما جاء في الفتوى: « **وأولية رسالة نوح لا تنفي أولية نبوة آدم** » ، قول يحتاج إلى إثبات نظراً لأن كاتب الفتوى لم يهتد إلى حديث الشفاعة في كتاب التوحيد والذي يقول فيه آدم: (**ائتوا نوحاً أول نبيٍّ بعثه الله إلى أهل الأرض**)، وأعتقد بعد هذا التوضيح سوف تسارعون إلى تصحيح الفتوى لأن الحق أحقّ أن يتّبع.

٦ ــ ثم قالت الفتوى: (وعلى أية حال، **فالذي يطمئن إليه القلب أن نبوة آدم ثابتة بالنصوص الشرعية من الكتاب والسُنّة**)، مع أن الفتوى لم تذكر من القرآن إلا آية الاصطفاء، في حين أنها لم تذكر حديثاً واحداً يثبت نبوة آدم عليه السلام.

** .. ** .. **

أما بعد، فلنا في إيمان فضيلة المفتي وعلمه وحكمته والتزامه بالكتاب والسُّنَّة وعلمه بالظَّنِّيات والقطعيات ما يجعله يعيد النظر في الفتوى لأن الخليفة الراشد عمر بن الخطاب قال في كتاب القضاء إلى أبي موسى الأشعري:

---

(٣) يونس: ٣٦

(**ولا يمنعنك قضاء قضيت فيه اليوم، فراجعت فيه نفسك، فهديتَ فيه لرشدك أن تراجع فيه الحقّ، فإن الحقّ قديم لا يبطله شيء، ومراجعة الحق خير من التمادي في الباطل**)

أسأل الله سبحانه أن يجزيك عنّا يا فضيلة المفتي كلّ خير، ولا بدّ لنا من التنويه بما جاء في آخر الفتوى: (**إلَّا أننا لا نميل إلى الحكم بالكفر والرِّدَّة عن الإسلام وفسخ نكاح من يرى ويعتقد أولية نبوة نوح ورسالته، لأنه أمرٌ اختلف فيه العلماء والمفسرون والأئمة**، وهو محل اجتهاد العلماء ـ وإننا نناشد المسلمين بعدم الخوض في مثل هذه الأمور، **وتفويض العلم فيها إلى الله**.

ونحن وإياكم إن شاء الله على طريق واحد فيما انتهيتم إليه.

وشكراً لكم على كل حال، وأرجو أن تتقبلوا أطيب التحيات،

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

عز الدين بليق

مدير دار الفتح للطباعة والنشر

** .. ** .. **

فتوى سماحة الشيخ حسن خالد / رحمه الله
[مفتي الجمهورية اللبنانية السابق]
حول نبوة آدم ورسالته

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين وعلى آله وأصحابه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعـــد:

فإذا كان الحال كما ذكر السائل: «السيد عـز الدين بلَيْق» في سؤالـه: «ما هو حكم الإسلام فيمن اعتقد بأن نوحاً عليه السلام هو أول رسل الله إلى أهل الأرض استناداً إلى قوله تعالى في سورة النساء آية: ١٦٣ : ﴿إنا أوحينـا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده﴾ واستناداً إلى حديث الشفاعة الذي ورد في صحيح البخاري ومسلم، وفيـه «فيأتـون نوحـاً فيقولـون: يا نـوح أنت أول الـرسل إلى أهـل الأرض وقد سمـاك الله عبداً شكـوراً، ألا ترى إلى مـا نحن فيه، ألا ترى إلى ما بلغنا؟، ألا تشفع لنا إلى ربك ؟ هل يعتبر من اعتقد ذلك أنه كافر يجب تطليق زوجته منه»؟.

فالجواب وبالله التوفيـــق: إن استدلال السائل في سؤالهعن أن نوحاً عليـه السلام هو أول رسل الله بقوله تعالى: ﴿إنـا أوحينا إليـك كما أوحينـا إلى نوح والنَّبيِّين من بعده﴾، لا يصح، لأن الآية المذكـورة وإن اكتفَت بالابتـداء بذكـر نوح عليه السلام فإنهـا لا تفيد بـأن نوحـاً هو أول الـرسل، ولا تصلح وحـدها

لدعم محل السؤال الذي هو اعتقاد السائل بأن نوحاً عليه السلام هو أول الرسل، لأن تتمة الآية ﴿وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان وآتينا داود زبوراً﴾ [النساء : ١٦٣]، وهي ما يظهر منها أن الآية لم تستوف ذكر جميع الأنبياء والرسل، حيث لم يذكر فيها يوسف، وموسى، وشعيب، وزكريا، ويحيى، وصالح، واليسع، وذو الكفل، وإدريس، والياس، وهود، ولوط، ومحمد وغيرهم مِمَّن لامِراءَ بأنهم رُسُل الله قطعاً، ولذا فلا يصح أن يقال بأنه لمَّا لم يذكر فيها آدم لذا لا يكون بالتالي نبياً ولا رسولاً ويكون نوح أول الأنبياء، بل إن الانصاف ليقتضينا ألَّا ننسى أن آدَمَ قد ذكره الله مع نوح عليهما السلام في الآية ٣٣ من سورة آل عمران بقوله: ﴿إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين﴾، كما سيأتي.

وقد ذهب العلماء إلى القول بأن الاصطفاء في هذه الآية هو اصطفاء نبوة ورسالة حيث ذَكَرَتْ آدَمَ ونوحاً فيمن اصطفاهم الله بالنبوة والرسالة، وقد ذهب جمهور المفسرين في تفسير هذه الآية إلى ذلك:

ـ **فقال القرطبي** : «اصطفى اختار، والتقدير أن الله اصطفى دينهم وهو الإسلام فحذف المضاف؛ وقال الزَّجَّاج: اختارهم للنبوة على عالمي زمانهم» [تفسير القرطبي ٤/٦٢].

ـ **وقال الطبري** : «عن الحسن: فضَّلهم الله على العالمين بالنُّبوة على الناس كُلِّهم، كانوا هم الأنبياءَ الأتقياءَ المطيعين لربهم» [تفسير الطبري ٣/١٥٧]؛ وهو كذلك في تفسير [الدر المنثور للسيوطي أيضاً ٢/ ١٨٠].

ـ **وقال البيضاوي** : «اصطفاهم بالرسالة والخصائص الروحانية والجسمانية، ولذلك قَوَوْا على ما لم يَقْوَ عليه غيرُهم» [تفسير البيضاوي مع حاشية الشهاب عليه ٣/١٩].

ـ **وقال عبد الحق بن عَطِيَّة الغَـرْنَاطِي**: [إن الله اصـطفَى آدَمَ]، هو أبـونا آدَمُ عليه السلام، إصطفاه الله بالإيجاد والرسالة إلى بنيـه، وبـالنُبُوَّة والتكليم»، [الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٢ /٣٨٨].

ـ **وقال الخطيب الشربيني** : «إصطفاهم أي اختارهم بالرسـالة» [تفسيـر السراج المنير ١ /٢٠٩].

ـ **وقال إسماعيل حقي** : «الاصطفاء أَخْذُ ما صَفا من الشيء، أي اختـارَ آدَمَ بـالنفس القُدسيـة ومـا يتعلق بهـا من المَلَكَـات الـروحـانيـة، والكمـالات الجسمانية المستتبعة للرسالـة في نفس المُصطَفَى كمـا في كافـة الرسـل عليهم السلام» [تفسير روح البيان ٢ /٢٤].

ـ **وقال الآلوسي** : «بدأ بآدَمَ عليه الصلاة والسـلام لأنه أَوَّلُ النَّـوع، وَثَنَّى بنـوحٍ عليه الصـلاة والسلام لأنـه آدَمُ الأصغر والأبُ الثـاني، وليس على وجه البسيطَةِ إلا من نَسلِهِ لقوله سبحانه: ﴿وجعلنا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الباقين﴾. . وقد أخرج ابنُ عساكر وغيره عن ابن عباس رضي الله تعـالى عنهما: أنـه فسَّر الاصـطفاء هنـا بالاختيـار للرسالـة، ومثله فيما أخـرجـه ابن جـريـر عن الحسن» [تفسيـر الآلوسي ٣/١٣٢].

ـ **وقـال الـرازي** : «إصـطفى» في اللغـة اختـار، فمعنى اصـطفـاهم أي جعلهم صَفـوة خلقه. . وإذا عـرفت هذا فنقـول: «في الآيـة قـولان **(الأول)**: المعنى أن الله اصطفى دينَ آدَمَ ودينَ نوح، فيكون الاصطفاء راجعاً إلى دينهم وشرعهم وملتهم، ويكون هذا المعنى على تقديـر حذف المضـاف وهو كلمـة دين، **(الثـاني)**: أن يكون المعنى أن الله اصـطفاهم أي صفَّـاهم من الصفات الذميمة، وزيَّنهم بالخصال الحميدة، وهذا القول أولى لوجهين: **(أحـدهما)**: أنا لا نحتاج فيه إلى الاضمار، **(الثـاني)**: أنه مـوافق لقولـه تعالى: ﴿الله أعلَمُ حيث يجعل رسالته﴾، وذكر الحليمي في كتـاب المنهاج: أن الأنبيـاء عليهم

الصلاة والسلام لا بد وأن يكونوا مخالفين لغيرهم في القوى الجسمانية والقوى الروحانية» [تفسير الرازي ٨].

ـ وقال السيد محمد رشيد رضا : «اصطفاهم أي اختارهم وجعلهم صفوة العالمين وخيارهم بجعل النبوة والرسالة فيهم، وآدَمُ أول البشر ارتقاءً إلى هذه المرتبة، فإنه بعدما تَنَقَّلَ في الأطوار إلى مرتبة التوبة والإنابَة اصطفاهُ الله واجتَبَاه، كما قال عنه في سورة طه /١٢٢ : ﴿ثم اجتبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عليه وَهَدَى،فكان هادِياً مَهْدِيّاً﴾ [تفسير المنار ٣/٢٨٨].

ـ وقال العالِم المحدث عبد الله بن محمد بن الصديق الغماري : «قوله تعالى : ﴿إن الله اصْطَفَى آدَمَ ونوحاً﴾ الاصطفاء في هذه الآية هو اصطفاء رسالة كما في قوله تعالى : ﴿الله يصطفى من الملائكة رسلاً ومن الناس﴾ [الحج : ٧٥]؛ وقوله تعالى في إبراهيم عليه السلام : ﴿ولَقَدِ آصطَفَيْنَاهُ في الدُّنيا﴾ [البقرة : ٣٠]، وفيه قال القرطبي : أي اخترناه للرسالة فجعلناه صافياً من الأدناس» [تفسير القرطبي ٣/١٣٣ ، وقوله تعالى أيضاً في إبراهيم وإسحاق ويعقوب عليهم السلام : ﴿وإنَّهم عندنا لَمِنَ المُصْطَفَيْنَ الأخيار﴾ [سورة ص : ٤٧]، وقوله تعالى في موسى عليه السلام : ﴿إني اصطَفَيْتُكَ على الناس برسالاتي وبكلامي فَخُذْ ما آتَيْتُكَ وكُنْ من الشاكرين﴾ [الأعراف : ١٤٤].

ولا يَرِدُ على هذا القول في معنى الاصطفاء في كل ما مَرّ إصطَفَاءُ مريمَ في قوله تعالى : ﴿وإذ قَالَتِ الملائكةُ يا مريَمُ إن الله اصطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ واصْطَفَاكِ على نساءِ العالَمين﴾ «فَإنَّ اصطَفَاءَ مريَمَ ليس اصطِفَاءَ رسالة، بقرينَة أن الرُّسُلَ لا يكونُونَ إلا رجالاً في قوله تعالى : ﴿وما أرسلنا قبلك إلا رجالاً نوحي إليهم فاسألُوا أهلَ الذِّكرِ إن كُنْتُم لا تعلمون﴾ [الأنبياء آية : ٧]. [كتاب آدم عليه السلام للغماري/ ٦٥ ، ٦٦].

وقد دلَّ أيضاً على أوَّلية نبوَّة آدَمَ عليه السلام قولُه تعالى: ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِهِ كلماتٍ فَتَابَ عليه﴾ [البقرة/ ٣٧]، قال القرطبي في معنى الآية: «كان آدم عليه السلام يتلقى الـوَحيَ أي يستقبِلُهُ وَيَتَلَقَّفُهُ»

[تفسير القرطبي ١/٣٢٣].

كما دَلَّ أيضاً على أوَّلية نبوَّة آدَمَ ورسالته ما ورد في نصوص القرآن من معرفةِ أولادِ آدَمَ عليه السلام، لأحكام الحلال والحرام وما يترتب على الأعمال من ثواب وجزاء كما في قصة ابنَيْ آدَمَ في قوله تعالى: ﴿واتْلُ عليهم نَبَأَ ابنَيْ آدَمَ بِالْحَقّ، إذْ قَرَّبا قُربَاناً فَتُقُبِّلَ من أحدِهِما ولم يُتَقبل من الآخَر، قال لَأَقْتُلَنَّك،قالَ إنما يتقبَّلُ اللهُ من المُتَّقين[٢٧] لئن بَسَطْتَّ إليَّ يَدَكَ لتقتُلَني ما أنا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إليكَ لأقتُلَك إني أخافُ اللهَ رَبَّ العالَمين [٢٨] إني أريدُ أن تَبُوء بِإثْمِي وإثْمِكَ فتكونَ من أصحاب النار وذلك جزاءُ الظالمين [٢٩] [المائدة: ٢٧ ـ ٢٩]. قال القرطبي: «وفي ذلك دليل على أنهم كانوا في ذلك الوقت مكلَّفين قد لَحِقَهُم الوَعْدُ والوَعيد» [تفسير القرطبي ٦/١٣٨]، وليس ذلك إلا بِنُبُوَّةَ أبيهم آدَمَ عليه السلام وإرسالِهِ لهم، ولأنه لم يكن إذ ذاكَ في وقتهم غيرَه نبياً.

ولقد قرر علماءُ الكلام أيضاً أوَّليَّة نُبُوَّة ورسالة آدَمَ عليه السلام، فقال الإمام أبو منصور عبد القاهر البغدادي: «اجمع المسلمون.. على أن أول الرسل آدَمَ عليه السلام، وآخِرهم محمدٌ ﷺ» [كتاب أصول الدين: ١٥٩]، وقال أيضاً: «وقد كان آدَمُ عليه السلام مُرْسَلاً إلى جميع وَلِدِهِ الذينَ أدْرَكُوه» [أصول الدين: ١٦٣].

ـ وأما استدلال السائل على أوَّليةُ نُبُوَّة نوح ورسالَتِهِ مطلقاً بما وَرَدَ في حديث الشفاعة عند البخاري ومسلم: «فيأتون نوحاً فيقولون: يا نوحُ أنت أولُ الرُسل إلى أهل الأرض» فلا يفيده في إثبات أوَّلية نبوَّة نوح ورسالَتِهِ مطلقاً لأنه

مقابل بالأحاديث الأخرى التي ذكرت رسالة آدم عليه السلام ولا يكون ذلك إلا وهو أول الرسل، علما بأن الحافظ ابن حجر رحمه الله قد أجاب عن هذا الايراد فقال: «فأما كَوْنُ نوح أول الرُّسل فقد اسْتُشْكِلَ بأنَّ آدَمَ كان نبياً، وبالضرورة تَعَلَمُ أنه كان على شريعةٍ من العبادة، وأنَّ أولادَهُ أخذوا ذلك عنه، فَعَلَى هذا فهو رسولٌ إليهم، فيكون هوَ أي آدَمُ أوَّلُ رسول، ويُحتمَل أن تكون الأوَّلِيَّة في قول أهل المَوْقِف لنوح: «أنت أول الرسل إلى أهل الأرض» لأنه في زمن آدم لم يكن للأرض أهل، أو لأن رسالة آدم إلى بنيه كانت كالتربية للأولاد، ويُحتَمَل أن يكون المراد أن نوحاً أول رسول أُرسِل إلى بنيه وغيرهِم من الأُمَم الذين أُرسِلَ إليهم مع تفرُّقِهم في عدة بلاد، وآدَمُ إنما أُرسِل إلى بنيهِ فقط، وكانوا مجتمعين في بلدةٍ واحدة» [فتح الباري لابن حجر شرح صحيح البخاري ٢٨٧/٦]، أو أن نوحاً عليه السلام كان أولَ الرُسل للبشرية بعد الطُّوفان الذي أَفْنَى الناس كلَّهم إلا من كانوا معه في الفُلك.

هذا وقد أجاب الإمام النَّوَوِيُّ أيضاً عن أوليَّةِ رسالةِ نوحٍ إلى أهل الأرض كما وردت في قول أهل الموقف في حديث الشفاعة فقال: «فإن آدَمَ وإن كان رسولاً فإنما أُرسل لبنيه ولم يكونوا كفاراً، بل أُمِرَ بتعليمِهِمُ الإيمانَ وطاعةَ الله تعالى، بخلاف رسالة نوح فإنها إلى كُفَّار أهل الأرض»
[شرح النووي على صحيح مسلم ٥٥/٣].

وأجاب الإمام بَدْرُ الدين محمود العَيْنِي أيضاً عن أوَّلية رسالة نوح المذكورة في حديث الشفاعة فقال: «قَولُهُم لِنُوح» أنت أولُ الرُسل إلى أهل الأرض»، إنما قالوا له ذلك لأنه آدَمُ الثاني، أو لأنه أولُ رسولٍ هلكَ قَوْمُه، أو لأنَّ آدَمَ خرج بقولهم «إلى أهل الأرض» لأن الأرض لم يكن لها أهلٌ حينئذ في عهْدِ آدم، أو لأن رسالته كانت بمنزلة التربية للأولاد، وفي التوضيح: قولهم «أنت أولُ الرُّسل إلى أهل الأرض» هو الصحيح قاله الدَّاوُدِي؛ ورُوِيَ أن

آدَمَ عليه السلام نَبِيٌّ ومُرْسَل، وقيل هو نَبِيٌّ وليس بِرَسُول، وقيل رسولٌ وليس نبياً، انتهى. وقال ابن بطال: آدَمُ ليس بِرَسول نقله عنه الكَرماني، (قلت) والكلام لِلعَيْني: الصحيح أنَّه نبيٌّ ورسول، وقد نزل عليه جبريل عليه السلام وأنزَلَ عليه صُحُفاً وعلَّم أولاده الشَّرائع، وقولُ ابن بطال غيرُ صحيح»
[عمدة القاري شرح صحيح البخاري للعيني ١٥/٢٢١].

** .. ** .. **

وبذلك يتبين أن استدلال السائل على أوَّلية نبوة نوح ورسالته بما ورد في قول أهل الموقف في حديث الشفاعة قد استدركه العلماء وعرفوه قبلاً، وأجابوا عنه بتلك الأجوبة، فَبَقِيَ الحكم بأوَّلية نُبوَّةِ آدَمَ ورسالَتِهِ ثابتاً مطلقاً، وبقيَتْ أَوَّلِيَّةُ رسالةُ نوح في حديث الشفاعة محمولة على المعاني والوجوه التي ذكرها العلماء وأوْرَدناها آنفاً، ولا تعارُضَ بين تلك النصوص مطلقاً.

هذا، وقد ذكر البخاري آدم عليه السلام في صحيحه مع الأنبياء الذين أورد بعض أخبارهم، وذلك تحت عنوان «كتاب أحاديث الأنبياء»، وقد بدأ بالحديث عن آدم وخلقه وذريته، ولم يذكر في هذا الكتاب أحداً ممن هو غير نبي أو رسول.

كما أورد البخاري حديث المعراج الذي ذكر فيه النبي ﷺ الأنبياء الذين رآهم في السماوات بدءاً بآدَمَ الذي رآه في السماءِ الأولى، ولم يذكر أحداً ممن هو غير نبي أو رسول أنه رآه في هذه السماوات.

ولما كانت نصوص القرآن الكريم وإن لم تذكر صراحةً رسالة أو نبوةَ آدَمَ عليه السلام إلا أنها في الحقيقة والمضمون تدل عليها دلالة واضحة، دون أن يكون فيها ماينفيها،وهذا لا يخفى على كل مدقق وعالم.

ولمّا كانت تلك النصوص أيضاً لا تدل على أوَّلِيَّة رسالة نوح وذلك

لتعارضها مع مفهوم حديث المعراج الوارد في صحيح البخاري والمفيد افادة واضحة برسالة آدم عليه السلام.

لذلك كله فإننا ننتهي إلى القول:

أولاً : ــ إننا نؤمن **بأن آدَمَ عليه السلام هو نبي ورسول وأنه أولُ الأنبياءِ** والرسل عليهم السلام وهو ما ذهب إليه جمهور علماء المسلمين من الصحابة والتابعين واتباعهم والسلف الصالح، **ولا يُعْتَدُّ بما ذهب إليه المخالفون.**

ثانياً : ــ إنا نوصي جميع أبنائنا المسلمين بذلك، كما نوصيهم بعدم الخوض في نزاعات تثير الاختلاف والنزاع وتورث الفتنة بينهم، وهي أمور نهى الله تعالى عنها بقوله: ﴿ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم﴾ وقوله: ﴿ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم﴾ وبخاصة في هذه الظروف الخطيرة التي تتطاير فيها الفتن كقطع الليل المظلم وتنذر الناس بما لا طاقة لهم به.

هذا ما رجح لدينا، والله أعلم، وهو وراء القصد وهو يهدي السبيل، وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وسلم تسليماً كثيراً، والحمد لله رب العالمين.

بيروت في ٨ ذي القعدة ١٤٠٨ هـ
و٢٢/٦/ ١٩٨٨م

مفتي الجمهورية اللبنانية
الشيخ حسن خالد

** .. ** .. ** .. **

ملاحظـات المؤلـــف
على فتوى الشيخ حسن خالد/ رحمه الله

وأخيـــراً وبعـد انتظار دام أكثر من سنة وثـلاثة أشهـر، وبعـد سلسلة من المراجعات المتعددة والمتكررة، وبعد تزويد سماحته بثلاثة فتاوى:

ــ فتوى لجنة الفتـوى بالأزهــر الشريــف.

ــ وفتوى فضيلة الشيخ محمد الغزالي.

ــ وفتـوى فضيلة العلامـة الشيـخ الـدكتـور عبـد المنعم النمـر والقـاعـدة الأصولية الشرعية.

ــ بالإضافة إلى بحث العلامة الإمام السيـد محمد رشيـد رضا : [تحقيق مسألة الإيمان بالرسل إجمـالاً وتفصيلاً ـ وعـدد الرسـل المذكـورين في القرآن الكريم].

ــ بحث فضيلة العلامة الشيخ عبد الله بن زيد آل محمود رئيس المحـاكم الشرعية بدولة قطر الشقيقة بعنوان: [الإيمان بالأنبياء بجملتهم وضعف حديث أبي ذر في عددهم].

أقـــــول : بعـد سلسلة من المراجعـات المتكررة، وبعـد سنـة وثـلاثـة شهور، وبعد تقديم هذا الحشد من الأبحاث والفتـاوى والدراسـات والكتب، **صدرت الفتوى المنتظرة تجيب على الشِّقِّ الأول من السؤال ، وتترك النصف**

الآخر بدون جواب، وتحكم على كل هذه الفتاوى والأبحاث والدراسات وعلى تسعة عشر عالماً من العلماء والمفسرين القدامى والمعاصرين بهذه العبارة البسيطة: **(ولا يعتدّ بما ذهب إليه المخالفون)**، بدون أن تشير إليهم أو تذكر لهم رأياً أو بحثاً أو فتوى أو ذكراً، وإنا لله وإنا إليه راجعون، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم!!!

** .. ** .. ** .. **

وجاء في فتوى سماحة الشيخ حسن خالد:

(فإذا كان الحال كما ذكر السائل: السيد عز الدين بليق في سؤاله:

ما حكم الإسلام فيمن اعتقد بأن نوحاً عليه السلام هو أول رسل الله إلى أهل الأرض، استناداً إلى قوله تعالى: **﴿إنّا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيِّين من بعده﴾**.

واستناداً إلى حديث الشفاعة الذي ورد في صحيح مسلم والبخاري....

هل يعتبر من اعتقد ذلك بأنه كافر يجب تطليق زوجته منه)؟

١ ــ خطأ فهم كاتب الفتوى:

قالت الفتوى: فالجواب وبالله التوفيق: إن استدلال السائل في سؤاله على أن نوحاً عليه السلام هو أول رسل الله بقوله تعالى: **﴿إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنّبيين من بعده﴾ لا يصحّ**، لأنَّ الآية المذكورة وإن اكتفت بالابتداء بذكر نوح عليه السلام، **فإنها لا تفيد بأنّ نوحاً هو أول الرسل**، ولا تصلح وحدها لدعم محل السؤال.. لأنّ تتمة الآية﴿ وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان، وآتينا داود زبوراً﴾، وهي‌ما يظهر منها أنّ الآية لم تستوف ذكر جميع الأنبياء والرسل!...

وجوابنا على ذلك : السائل فَهِمَ من إشارة القرآن **﴿والنّبيين من بعده﴾** أولية نبوة ورسالة نوح عليه السلام، لا لأن الآية لم تذكر آدم من بين الأنبياء. . ولا لأن الآية لم تستوف ذكر جميع الأنبياء والرسل؟

ثم قالت الفتوى : (ولذا فلا يصح أن يقال بأنّه لما لم يذكر فيها آدم، لذا لا يكون بالتالي نبياً ورسولاً)!

وسؤالنا إلى سماحة كاتب الفتوى :

ومن قال لسماحة المفتي أن عدم ذكر آدم في هذه الآية ليس دليلاً على نبوته ورسالته؟

٢ ـ استدلال كاتب الفتوى على نبوة آدم بآية الاصطفاء:

قالت الفتوى : (**وقد ذهب العلماء إلى القول بأن الاصطفاء في هذه الآية هو اصطفاء نبوة ورسالة**).

ونحن نسأل كاتب الفتوى: (والذين لم يذهبوا هذا المذهب: هل يقال عنهم:

(وقد ذهب **الجهلاء** إلى القول بأنَّ الاصطفاء في هذه الآية ليس اصطفاء نبوة ورسالة)؟؟؟

٣ ـ ذكرت الفتوى رأي القرطبي بمعنى الاصطفاء (اصطفاء الدين) أي ليس اصطفاء نبوة ورسالة.

والأمانة العلمية تقتضي على كاتب الفتوى أن يذكر الوجه الثالث للاصطفاء الذي ذكره القرطبي نفسه وذكره أيضاً ابن الجوزي في [زاد المسير].

ويا سماحة المفتي : وما دامت هناك ثلاثة أقوال للاصطفاء. . فإن معنى الاصطفاء الذي ذهبتَ إليه ليس قطعياً في الدلالة على النبوة والرسالة، ولكنه ظنّي الدلالة، والله سبحانه يقول: ﴿إنَّ الظن لا يغني من الحق شيئاً﴾.

ومع احترامنا للإمام الطبري والعلامة البيضاوي والمفسر عبد الحق بن عطية الغرناطي، فإنهم علماء ليسوا معصومين عن الخطأ في الاجتهاد، والقاعدة الأصولية الفقهية تقول: (لا مساغ للاجتهاد في مورد النص).

٤ ــ أما ما ذكره الخطيب الشربيني، وإسماعيل حقي، والآلوسي:

فإن الأمانة العلمية تقتضي ذكر آرائهم ليس فقط في (آية الاصطفاء)، بل آراءهم أيضاً في آية النساء: ١٦٣ ، التي تقول: ﴿إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح **والنَّبيين من بعده**﴾.

فالخطيب الشربيني في شرحه لهذه الآية يقول:

(وبدأ بذكر نوح عليه السلام، لأنه كان أبا البشر مثل آدم... **ولأنه أول نبي من أنبياء الشريعة**).

والشيخ إسماعيل حقي يقول:

(بدأ بذكر نوح لأنه أبو البشر، **وأول نبيّ عذِّبت أُمَّته لردِّهم دعوته...** وأشار إلى حديث أبي ذر الطويل عن عدد الأنبياء وعددهم (١٢٤) ألفاً، ثم قال:

وخبر الواحد لا يفيد اليقين، ولا عبرة بالظن في الاعتقاديات).

أما الآلوسي فقد قال:

والاصطفاء: **الاختيار**، والمراد بالعالمين: أهل زمان كل واحد منهم على عالمي زمانه،

وقيل: **اصطفى آدم بأن خلقه بيديه وعلّمه الأسماء، وأسجد له الملائكة، وأسكنه الجنة.**

إلى أن قال: (وليس المراد الاصطفاء بالنبوة، حتى يخفى وجه التخصيص).

ثم قـال : وفيه أن المتبـادر من الاصطفـاء الاجتباء والاختيـار، لا النصر على الأعداء.

٥ ــ أما ما يتعلق بالإمامين: الرازي، ومحمد رشيد رضا:

فالأمانة العلمية تقتضي أن يشار إلى رأي هذين العالمين الجليلين، ليس فقط عند آية الاصطفاء، بل عند الآية ١٦٣ من سورة النساء.

ومع ذلك فقد ذكرت الفتوى من أقوال الرازي (قولين) في الآية:

الأول : المعنى أن الله اصطفى **دين آدم ودين نوح**، فيكون الاصطفاء **راجعاً إلى دينهم وشرعهم وملتهم**، ويكـون هذا المعنى على تقـديـر حـذف المضاف وهو كلمة (دين).

الثانـي : أن يكون المعنى أن الله اصـطفاهم **أي صفّـاهم من الصفات الذميمـة، وزيّنهم بـالخصال الحميـدة**، وهذا القـول أولى لوجهين.... إلى آخر ما جاء في كلام الإمام الرازي.

وقد قال الإمام الرازي في شرحه لآية النساء ١٦٣ :

(قالوا : إنما بدأ تعالى بذكر نوح **لأنَّه أول نبي شرع الله تعالى على لسانه الأحكام والحلال والحرام)**.

أما الإمام محمد رشيد رضا، فقد قال تتمة لما أثبتته الفتوى في شرح آيـة الاصطفاء، ووقفت عند وصفه لآدم: **فكان هادياً مهدياً**... وكان على كـاتب الفتوى أن يكمل كلام محمد رشيد رضا عن نوح عليه السلام: (وأما نوح عليه السـلام فقد حـدث في عهده ذلـك الطوفـان العظيم، فـانقرض من السـلائـل البشرية من انقـرض، ونجا هـو وأهله في الفُلك، فكان بـذلك أبـاً ثانيـاً للجمّ الغفير من البشر، **وكان هو نبيّاً مرسلاً**).

أرأيت إلى وصف الإمام محمد رشيد رضا لآدم عليه السلام: (**فكان هادياً مهدياً**).

وإلى وصفه لنوح عليه السلام: (**وكان هو نبياً مرسلاً**).

كما أن الأمانة العلمية تقتضي من كاتب الفتوى الاشارة إلى شرح السيد محمد رشيد رضا لآية النساء: (**بدأ الله تعالى بذكر نوح لأنه أول نبي مرسل**).

وإلى ما قاله محمد رشيد رضا في تفسيره لسورة الأنعام [تحقيق مسألة الإيمان بالرسل إجمالاً وتفصيلاً وعدد الرسل المذكورين في القرآن]

٦ ـ **أما الغماري محمد بن الصديق**: فقد ادّعى بأنّ الاصطفاء في هذه الآية **اصطفاء رسالة**، والقرآن لم يتحدث عن اصطفاء رسالة واصطفاء غير رسالة، وإنما هي دعوى تحتاج إلى برهان ودليل، والقرآن الكريم يقول: ﴿قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين﴾ [البقـرة: ١١١].

أما ما جاء في الفتوى في الصفحة الرابعة والخامسة: (وقد دلّ على أولية نبوة آدم عليه السلام قوله تعالى: ﴿فتلقّى آدم من ربِّه كلمات فتاب عليه﴾ فلا أعلم لمن هذا القول: هل هو للغماري أم للقرطبي أم لكاتب الفتوى.

والمقطع الثاني الذي يقول: (كما دلَّ أيضاً على أولية نبوة آدم ورسالته ما ورد في نصوص القرآن من معرفة أولاد آدم عليه السلام لأحكام الحلال والحرام وقصة ابني آدم) وهل الاستنتاج الأول والأخير لهذه القصة من كاتب الفتوى أم للقرطبي ؟

** .. ** .. **

إذن، فإن كاتب الفتوى اعتمد على القول بنبوة آدم ورسالته من تفسير بعض العلماء لآية الاصطفاء وقصة ابني آدم.

** .. ** .. **

أما القسم الثاني الذي يتعلق باستدلال السائل على أولية نبوة نوح ورسالته مطلقاً بما ورد في حديث الشفاعة، فكان جواب كاتب الفتوى: (**فلا يفيده في إثبات أولية نبوة نوح ورسالته مطلقاً**، وهنا ذكر كاتب الفتوى عدة آراء للحافظ ابن حجر لا يقل عن أربعة آراء، فإذن هذه آراء محتملة وظنية وليست يقينية، ولا يقين مع الاحتمال كما قال الإمام البزدوي.

ثم استشهد كاتب الفتوى برأي الإمام النووي **بأنَّ الأولية بالرسالة لآدم لبنيه ولم يكونوا كفاراً**، والأولية لنوح فإنها إلى كفار أهل الأرض.

وكذلك استشهد كاتب الفتوى بالإمام العيني الذي ذكر عدة آراء أيضاً (راجع الصفحة ٦ من الفتوى)، وانتهى كاتب الفتوى إلى القول:

(**ولما كانت نصوص القرآن الكريم، وإن لم تذكر صراحة رسالة أو نبوة آدم عليه السلام**، إلا أنها في الحقيقة والمضمون تدلُّ عليها دلالة واضحة. دون أن يكون ما ينفيها، وهذا لا يخفى على كل مدقق وعالم!!

ولما كانت تلك النصوص أيضاً لا تدل على أولية رسالة نوح، وذلك لتعارضها مع مفهوم حديث المعراج الوارد في صحيح البخاري والمفيد افادة واضحة برسالة آدم عليه السلام، **لذلك كله، فإننا ننتهي إلى القول**:

(**أولاً: إننا نؤمن بأن آدم عليه السلام هو نبي ورسول، وأنه أول الأنبياء والرسل** عليهم السلام، وهو ما ذهب إليه جمهور علماء المسلمين من الصحابة والتابعين وأتباعهم والسلف الصالح،

ولا يعتدّ بما ذهب إليه المخالفون).

وأسئلتنا الموجهة إلى سماحة مفتي الجمهورية اللبنانية:

١ ــ كيف ساغ لسماحة المفتي أن يقطع بأن آدم عليه السلام هو نبي

ورسول وأنه أول الأنبياء والرسل، ويضرب بحديث الشفاعة الذي رواه أنس ابن مالك في صحيح البخاري على لسان آدم أبي البشر:

(ائتوا نوحاً أول نبي بعثه الله إلى أهل الأرض)؟

ـ كيف ساغ لسماحة المفتي أن يقول بأولية نبوة ورسالة آدم ويضرب بحديث الشفاعة الذي رواه البخاري ومسلم والترمذي، والذي يقول فيه الرسول ﷺ على لسان أهل الموقف لنوح عليه السلام: **(يا نوح أنت أول رسل الله إلى أهل الأرض)؟**

هل نترك قول رسول الله وآدم أبي البشر وأهل الموقف ونأخذ بقول سماحة المفتي ؟

إننا ندعو سماحة المفتي إلى إعادة النظر في فتواه، وأن يعيد اطلاعه على فتوى لجنة الفتوى بالأزهر الشريف وعلى فتوى الدكتور عبد المنعم النمر وعلى فتوى الشيخ الغزالي وعلى ما قاله الشيخ عبد الله بن زيد آل محمود رئيس المحاكم الشرعية في قطر وإلى ما قاله الإمام محمد رشيد رضا وإلى ما قاله بقية الذين قالت عنهم الفتوى**(ولا يعتد بما ذهب إليه المخالفون)**، وهذه نصيحة من أخ صغير لفضيلة المفتي، والدين النصيحة، وإذا أصرّ على فتواه فليسمح لنا بنشرها على العالم الإسلامي مع ملاحظاتنا عليها، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

بيروت:	عز الدين بليق
٢٣ / ٦ / ١٩٨٨	مدير دار الفتح للطباعة والنشر

** .. ** .. ** .. **

ظنّيّة نبوّة آدم ورسالته . .
والإجماع الوهمي

استند فضيلة الشيخ حسن خالد إلى القول بنبوّة آدم عليه السلام ورسالته إلى إجماع جمهور المسلمين من الصحابة والتابعين كما استند غيره إلى إجماع المسلمين وأهل الكتاب النصارى واليهود، كما يقول بذلك عبد القاهر البغدادي في كتابه (أُصول الدِّين) أو إلى إجماع الجمهور الأكبر من علماء المسلمين من الصحابة والتابعين والأئمة المجتهدين ومن بعدهم وعلماء التفسير والحديث والأصول والعقائد وعلم الكلام القدامى والمعاصرين قد انعقد على ذلك ! (كما تقول بعض المراجع القضائية في إحدى المحاكم الشرعية) .

وبما أن هذه الأقوال صادرة عن شخصيات لها مكانتها في العالم الإسلامي كان لابد من مناقشتها ومناقشة حكاية الإجماع أو حكاية إجماع جمهور الصحابة والتابعين . .

وبما أن القاعدة الشرعية تقول : « **البيِّنة على من ادّعى** »، أو كما تقول القاعدة القرآنية : **﴿قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين﴾**، فسنكتفي بأدلة هذا الإجماع أو على الأقل **إجماع جمهور الصحابة**، أي الأكثرية التي تدلّ على ٥١ ٪، حتى يصدق تعبير جمهور الصحابة . . وقد قام الإمام ابن حزم بعمل إحصاء للعلماء من الصحابة الذين رويت لهم فتاوى واجتهادات فبلغ عددهم ١٤٩ من المكثرين والمتوسطين والمقلِّين. ولكي يصدق تعبير جمهور الصحابة على نبوة آدم، يجب أن يكون مجموع الصحابة ٧٥ صحابياً . .

جاء في كتاب الإمام ابن حزم: [الإحكام في أصول الأحكـام] في الباب الثامن والعشرين من الجزء الخامس تحت عنوان:

«تسمية الصحابة الذين رويت عنهم الفتيا » قول المؤلف:

وقد غزا رسول الله (ﷺ) هوازن بحنين في اثني عشر ألف مقاتل، كلهم يقع عليه اسم الصحابة، ثم غزا تبوك في أكثر من ذلك، ووفد عليه جميع البطون من جميع قبائـل العرب وكلهم صـاحب، وعددهم بـلا شك أزيـد من ثلاثين ألف إنسان. . .

ثم قـــال:

هذا أمر يعلم ضرورة، **ثم لم ترو الفتيا في العبادات والأحكام إلّا عن مائة ونيف** وثلاثين(*) منهم فقط ،من رجل وامرأة بعد التقصّي الشديد، فكيف يسع من له رَمَقٌ من عقل، أو مُسكة من دين، وشعبة من حياء، أن يدّعي عليهم الإجماع فيما لا يوقن أن جميعهم قـال به وعلمـه، لا سيمـا وإنما تنـازعهم في دعوى **الإجماع عليهم في الخطأ المخالف لكلام الله عزّ وجل في القرآن، والثابت عن رسول الله** (ﷺ)، فهذا هو العجب، وفيما ذكرنا يقين العلم بكذب من ادّعى عن الإجماع على ما يمكن أن يخفى من أحكام القرآن والسنن، فكيف على خلاف القرآن والسنن ؟! .

قـــال أبو محمـــد:

وهذا حين نذكر إن شاء الله تعالى اسم كل من روي عنهم مسألة فما فوقها من الفتيا من الصحابة رضي الله عنهم، وما فات منهم ـ إن كان فات ـ إلّا يسير جدّاً مِمّن لم يُرْوَ عنه أيضاً **إلّا مسألة واحدة أو مسألتان**، وبالله تعالى التوفيـق.

وقد قسّم الإمام ابن حزم الصحابة الذين رويت عنهم الفتوى ثلاثة أقسام:

١ ـــ **المكثـــرون** من الصحابة رضي الله عنهم فيما رُوِيَ عنهم من الفتيـا. .

٢ ـــ **المتوسطـون** منهم فيما روي عنهم من الفتيـا. .

(*) والصحيح مائـة ونيـف وأربعيـــن. .

٣ ـ المقلُّون في الفتيـا . .

أما القائمة الأولى من المكثرين فهم :

١ ـ عائشة أم المؤمنين
٢ ـ عمر بن الخطاب
٣ ـ ابنه عبد الله بن عمر
٤ ـ علي بن أبي طالب
٥ ـ عبد الله بن عباس
٦ ـ عبد الله بن مسعود
٧ ـ زيد بن ثابت .

فهم سبعة يمكن أن يجمع من فتيا كل واحد منهم سِفْر ضخم ، وقد جمع أبو بكر محمد بن موسى بن يعقوب بن أمير المؤمنين المأمـون فتيا عبد الله بن عباس في عشرين كتاباً ، وأبو بكر المذكور أحد أئمة الإسلام في العلم والحديث .

وأما القائمة الثانية من المتوسطين في الفتيا ، فهم :

١ ـ أم سلمة أم المؤمنين .
٢ ـ أنس بن مالك .
٣ ـ أبو سعيد الخدري .
٤ ـ أبو هريـرة .
٥ ـ عثمان بن عفّان .
٦ ـ عبد الله بن عمرو بن العاص .
٧ ـ عبد الله بن الزبيـر .
٨ ـ أبو موسى الأشعري .
٩ ـ سعد بن أبي وقاص .
١٠ ـ سلمان الفارسي .
١١ ـ جابر بن عبد الله .
١٢ ـ معاذ بن جبـل .
١٣ ـ وأبو بكر الصدِّيق . .

فهم ثـلاثة عشـر فقط ـ يمكن أن يجمع من فتيا كـل امرىء منهم جــزء صغير جدّاً ، ويضاف إليهم أيضاً :

١٤ ـ طلحـة .
١٥ ـ الزبيـر .
١٦ ـ عبد الرحمن بن عوف .
١٧ ـ عمران بن الحصين .
١٨ ـ أبو بكـرة .
١٩ ـ عبادة بن الصامت .
٢٠ ـ معاوية بن أبي سفيان .

**. . **

أما القائمة الثالثة فهم المقلُّــون في الفتيــا :

[لا يروي الواحد منهم إلّا المسألة والمسألتين والزيادة اليسيرة على ذلك فقط، يمكن أن يجمع من فتيا جميعهم جزء صغير بعد التقصِّي والبحث، وهم رضي الله عنهـــم :]

١ ــ أبو الدرداء.
٢ ــ أبو اليسر.
٣ ــ أبو سلمة المخزومي.
٤ ــ أبو عبيدة بن الجرّاح.
٥ ــ سعيد بن زيد.
٦ ــ الحسن بن علي.
٧ ــ الحسين بن علي.
٨ ــ النعمان بن بشير.
٩ ــ أبو مسعود.
١٠ ــ أبي بن كعب.
١١ ــ أبـو أيـوب.
١٢ ــ أبو طلحـة.
١٣ ــ أبو ذر الغفاري.
١٤ ــ أم عطيـة.
١٥ ــ صفيّة أم المؤمنين.
١٦ ــ حفصة أم المؤمنين.
١٧ ــ أم حبيبة أم المؤمنين.
١٨ ــ أسامة بن زيد.
١٩ ــ جعفر بن أبي طالب.
٢٠ ــ البراء بن عازب.
٢١ ــ قرظة بن كعب.
٢٢ ــ أبو عبد الله البصري.
٢٣ ــ نافع أخو أبي بكرة لأمـه.
٢٤ ــ المقداد بن الأسود.
٢٥ ــ أبو السنابل بن بعكك.
٢٦ ــ الجارود العبـدي.
٢٧ ــ ليلى بنت قائــف.
٢٨ ــ أبو مخـدورة.
٢٩ ــ أبو شريح الكعبي.
٣٠ ــ أبو برزة الأسلمي.
٣١ ــ أسماء بنت أبي بكر.
٣٢ ــ أم شريك الحولاء بنت تويت.
٣٣ ــ أُسيد بن الحضيـر.
٣٤ ــ الضحّاك بن قيس.
٣٥ ــ حبيب بن مسلمة.
٣٦ ــ عبد الله بن أنيس.
٣٧ ــ حذيفة بن اليمان.
٣٨ ــ ثمامة بن أثال.
٣٩ ــ عمّار بن ياسر.
٤٠ ــ عمرو بن العاص.
٤١ ــ أبو الغادية الجهني السلمي.
٤٢ ــ أم الدرداء الكبرى.

٤٣ ـ الضحاك بن خليفة المازني .
٤٤ ـ الحكم بن عمرو الغفاري .
٤٥ ـ وابصة بن معبد الأسدي .
٤٦ ـ عبد الله بن جعفر .
٤٧ ـ عوف بن مالك .
٤٨ ـ عدي بن حاتم .
٤٩ ـ عبد الله بن أبي أوفا .
٥٠ ـ عبد الله بن سلام .
٥١ ـ عمرو بن عبسة .
٥٢ ـ عتاب بن أسيد .
٥٣ ـ عثمان بن أبي العاص .
٥٤ ـ عبد الله بن سرجس .
٥٥ ـ عبد الله بن رواحة .
٥٦ ـ عقيل بن أبي طالب .
٥٧ ـ عائذ بن عمـرو .
٥٨ ـ أبو قتادة .
٥٩ ـ عبد الله بن معمر العدوي .
٦٠ ـ عمير بن سعد .
٦١ ـ عبد الله بن أبي بكر الصدِّيق .
٦٢ ـ عبد الرحمن بن أبي بكر الصدِّيق .
٦٣ ـ عاتكة بنت زيد بن عمر .
٦٤ ـ عبد الله بن عوف الزهري .
٦٥ ـ سعد بن معاذ .
٦٦ ـ أبو منيـب .
٦٧ ـ سعد بن عبادة .
٦٨ ـ قيس بن سعـد .
٦٩ ـ عبد الرحمن بن سهـل .
٧٠ ـ سمرة بن جندب .
٧١ ـ سهل بن سعد الساعدي .
٧٢ ـ معاوية بن مقرن .
٧٣ ـ سويد بن مقرن .
٧٤ ـ معاوية بن الحكم .
٧٥ ـ سهلة بنت سهيل .
٧٦ ـ أبو حذيفة بن عتبة .
٧٧ ـ سلمة بن الأكـوع .
٧٨ ـ زيد بن أرقم .
٧٩ ـ جرير بن عبد الله البجلي .
٨٠ ـ جابر بن سمرة .
٨١ ـ جويرية أمّ المؤمنين .
٨٢ ـ حسّان بن ثابت .
٨٣ ـ حبيب بن عدي .
٨٤ ـ قدامة بن مظعون .
٨٥ ـ عثمان بن مظعـون .
٨٦ ـ ميمونة أم المؤمنين .
٨٧ ـ مالك بن الحويرث .
٨٨ ـ أبو أمامة الباهلي .
٨٩ ـ محمد بن مسلمة .
٩٠ ـ خبّاب بن الأرت .
٩١ ـ خالد بن الوليد .
٩٢ ـ ضمرة بن العيـص .
٩٣ ـ طارق بن شهاب .
٩٤ ـ ظهير بن رافع .
٩٥ ـ رافع بن خديج .
٩٦ ـ فاطمة بنت رسول الله (ﷺ) .

٩٧ ــ فاطمة بنت قيس.

٩٨ ــ هشام بن حكيم بن حزام.

٩٩ ــ حكيم بن حزام.

١٠٠ ــ شرحبيل بن السمط.

١٠١ ــ أم سليم دحية بن خليفة الكلبي.

١٠٢ ــ ثابت بن قيس بن الشماس.

١٠٣ ــ ثوبان (مولى رسول الله ﷺ).

١٠٤ ــ المغيرة بن شعبة.

١٠٥ ــ بريدة بن الحصيب الأسلمي.

١٠٦ ــ رويفع بن ثابت.

١٠٧ ــ فضالة بن عبيد.

١٠٨ ـ رجل يعرف بأبي محمدٍ [روينا عنه وجوب الوتر ـ هو من الأنصار اسمه مسعود ابن أوس، نجاري بدري].

١٠٩ ــ زينب بنت أم المؤمنين أم سلمة.

١١٠ ــ عتبة بن مسعود.

١١١ ــ بلال المؤذن.

١١٢ ــ مكرز.

١١٣ ــ عرفة بن الحارث.

١١٤ ــ سيار بن روح أو روح بن سيار.

١١٥ ــ أبو سعيد بن المعلّى.

١١٦ ــ العباس بن عبد المطلب.

١١٧ ــ بُسر بن أبي أرطأة.

١١٨ ــ صهيب بن سنان.

١١٩ ــ أم أيمن.

١٢٠ ــ أم يوسف.

١٢١ ــ ماعز.

١٢٢ ــ الغامدية.

** .. ** .. **

تراجم الأئمة والمفسرين والعلماء

[الإمام أبو حنيفة]
[٨٠ ـ ١٥٠ هـ]

نسبه وعمره :

هو أبو حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطي ، أقدم الأئمة الأربعة مولداً ، وأكثرهم بين المسلمين أتباعاً ، ولد بالكوفة ، واختلف في سنة مولده على ثلاثة أقوال ، قيل : سنة ٦٣ هـ ، وقيل : سنة ٧٠ ، وقيل : ٨٠ ، والمشهور هو الثالث ، وإن كان بعض الباحثين رجح الرواية الثانية لنقول وروايات ، ترجح لديه العمل بها[1] . وتوفي ببغداد سنة ١٥٠ هـ ، وقبره لا يزال هناك معروفاً ويزار في حي مسمى باسمه وهو « الأعظمية » نسبة إلى الإمام الأعظم .

نشأته ومدرسته :

نشأ بالكوفة ، وقد كانت من أكبر الأمصار الإسلامية في ذلك العصر ، وأحفلها بالعلماء من كل فئة ، وأشهرها بأئمة اللغة من نحو وصرف وأدب وغيرها ، درس علم الكلام أولاً حتى برع فيه ، وبلغ فيه مبلغاً يشار إليه بالأصابع ، ثم التحق بحلقة حماد شيخ فقهاء الكوفة ، وتتصل حلقة حماد بعبدالله بن مسعود ، إذ هو تلقى العلم عن إبراهيم النخعي الذي تلقاه عن علقمة بن قيس الذي تلقاه عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه ، ثم ما زال يداوم على حضور حلقة شيخه حماد حتى توفي (١٢٠) ، فاتفق رأي تلامذته على استخلاف أبي حنيفة مكانه ، فانتهت إليه رئاسة مدرسة الكوفة التي عرفت

(١) منهم ابن حبان ، واقتصر على ذلك في كتابه « الضعفاء » ، وانظر تأنيب الخطيب ص ١٩ فما بعدها .

بمدرسة الرأي ، وأصبح إمام فقهاء العراق غير منازع ، وسارت بذكره الركبان ، واجتمع مع أشهر علماء عصره ، بالبصرة ومكة والمدينة ، ثم ببغداد بعد أن بناها المنصور ، وناقشهم واستفاد منهم واستفادوا منه ، وما زالت شهرته تتسع حتى غدت حلقته مجمعاً علمياً يجتمع فيها كبار المحدثين كعبدالله بن المبارك ، وحفص بن غياث ، مع كبار الفقهاء كأبي يوسف ومحمد وزفر والحسن بن زياد ، مع كبار الزهاد والعباد كالفضيل بن عياض وداود الطائي ، وما زال قائماً بأمانة العلم مع الاجتهاد في العبادة والاستقامة في المعاملة والزهد في الدنيا ، والنصيحة لله ولرسوله وللمسلمين حتى لحق بربه راضياً مرضياً

أصول مذهبه :

أخرج البيهقي عن يحيى بن خريس ، قال : شهدت سفيان وأتاه رجل ، فقال ما تنقم على أبي حنيفة ؟ قال : وماله ؟ قال قد سمعته يقول : « آخذ بكتاب الله ، فإن لم أجد فبسنة رسول الله ﷺ ، فإن لم أجد في كتاب الله ولا سنة رسوله ، أخذت بقول أصحابه من شئت منهم ، وأدع قول من شئت منهم ولا أخرج من قولهم إلى قول غيرهم . فأما إذا انتهى الأمر إلى إبراهيم والشعبي وابن سيرين والحسن ، وعطاء ، وابن المسيب ـ وعد رجالاً ـ فقوم اجتهدوا فأجتهد كما اجتهدوا »[٢] ، وفي رواية : « فما لم أجده فيه أخذت بسنة رسول الله ﷺ والآثار الصحاح عنه التي فشت في أيدي الثقات » .. إلخ .

أما اجتهاده فيما لم يكن فيه نص من كتاب ولا سنة ولا قول صحابة ، فقد كان مرجعه إلى القياس ، ومن أنواع القياس عنده الاستحسان الذي فسر بأنه قياس خفي في مقابلة قياس جلي

(٢) مفتاح الجنة ص ٣٤

[الإمام مالك]
[٩٣ ــ ١٧٩ هـ]

حياته ومكانته العلمية :

هو أبو عبدالله مالك بن أنس الأصبحي إمام دار الهجرة ومحدثها الأشهر ، ولد بالمدينة سنة ٩٣ هـ . وذكر ابن الديبع الشيباني في مقدمة تيسير الوصول أن ولادته كانت سنة ٩٥ ، ونشأ بها وتوفي فيها عام ١٧٩ هـ عن ستة وثمانين سنة ، تلقى العلم عن ربيعة الرأي وأخذ عن كبار الفقهاء من التابعين ، وسمع كثيراً من الزهري ، حتى ليعتبر من أشهر تلاميذه ، كما سمع من نافع مولى ابن عمر واشتهر بالرواية عنه حتى أصبحت روايته تسمى في عرف المحدثين بالسلسلة الذهبية ، وهي (مالك عن نافع عن ابن عمر) ، وما زال دائباً في طلب العلم وتحصيله حتى أصبحت له الإمامة في الحجاز ، وأطلق عليه **عالم المدينة وإمام دار الهجرة** ، وانتشر صيته في الآفاق ، فهرع إليه أهل العلم من مختلف بقاع الأرض ، وكان يعقد للحديث مجلساً في مسجد النبي ﷺ في وقار وأدب وحكمة متطيباً لابساً أحسن ثيابه ، لا يرفع صوته فيه إجلالاً للرسول .

أصول مذهبه :

عرف مالك رحمه الله **بالفقه والحديث معاً** ، وقد عرف باحتجاجه بالمرسل كأبي حنيفة ، وقد أخرج من المراسيل عدداً في موطئه ، وكانت أصول مذهبه هي الأصول المعتبرة لدى الأئمة : **الكتاب والسنة والإجماع والقياس ، وزاد عليها شيئين : عمل أهل المدينة والمصالح المرسلة** ، أما هذه الأخيرة

فقال قال بها أكثر الأئمة ، وأما عمل أهل المدينة فقد اعتبره حجة دالة على ما كان عليه النبي ﷺ من فعل أو حال ، ولا يعتبر عملهم حجة إلا إذا كانوا مجمعين عليه متوارثين العمل به جيلاً بعد جيل حتى عهد الرسول الكريم ، وهو يرى أنهم لا يلتزمون أمراً ويعملون به جميعاً إلا إذا كان أمراً مشروعاً عمل به الصحابة في عهد الرسول وأقرهم عليه ثم توارثه من بعدهم ودرجوا عليه .

وعمل أهل المدينة عنده أقوى من حديث الآحاد ، فإذا تعارض خبر الواحد مع عمل أهل المدينة رجح الثاني ، ومن هنا استدرك عليه الليث بن سعد سبعين سنداً ترك الأخذ بها وهي في موطئه ، ولم يوافقه بقية الأئمة والعلماء من بعده على هذا . وممن ناقشه في ذلك الإمام الشافعي رحمه الله ، وتتالى العلماء من بعده يناقشونه في ذلك ، ومن أشهر من رد حجية عمل أهل المدينة ابن حزم ، فقد ناقشه في كتابه « الإحكام في أصول الأحكام » نقاشاً قوياً ، وكذلك رد عليه في بحوث متفرقة من كتابه « المحلى » وهو شديد الوطأة في نقاشه العلمي مع كل من يخالفهم[3] .

وقد انتشر مذهب مالك في كثير من أقطار العالم الإسلامي وخاصة في المغرب ومصر .

الموطأ

ولعل أشهر ما عرف به الإمام مالك رحمه الله ، كتابه « الموطأ » الذي **ألَّفه بإشارة من المنصور حين حج وطلب إليه أن يدون كتاباً جامعاً في العلم يتجنب فيه شدائد ابن عمر ورخص ابن عباس ، وأن يوطئه للناس ، فألف** كتابه هذا ، وسماه « الموطأ »

(٣) أنظر الإحكام : ٢/٩٧ ـ ١٢٠

[الإمـام الشافعـي]
[١٥٠ ـ ٢٠٤ هـ]

حياته ومكانته العلمية :

هو أبو عبدالله محمد بن إدريس بن العباس بن شافع ينتهي نسبه إلى قصي ويلتقي نسبه مع النبي ﷺ في عبد مناف ، ولد رحمه الله بغزة من أعمال الشام سنة ١٥٠ ه ، وحملته أمه إلى مكة وهو ابن سنتين وبها نشأ وقرأ القرآن الكريم ، وأقام في هذيل نحواً من عشر سنين تعلـم منهم اللغة والشعـــر حتى كان من أوثق الناس بأشعار الهذليين ، وقد روى أن الأصمعي صحح عليه أشعارهم ، وأخذ الفقه عن مسلم بن خالد الزنجي مفتي مكة ثم رحل إلى المدينة وتتلمذ على مالك فقرأ عليه الموطأ كله ، ورأى فيه مالك من الذكاء وقوة الذاكرة والنباهة المبكرة ما جعله يكرمه ويصله ، ثم تولى الشافعي العمل في إحدى ولايات اليمن ، وهناك وُشِي به إلى الرشيد فَأُحْضِرَ إلى بغداد متَّهماً بالتشيُّع والدعوة لآل البيت ، وكان ذلك سنة ١٨٤ ه فتدخل محمد بن الحسن عند الرشيد حتى اقتنع ببراءته ، وهناك تم له الاتصال بالإمام محمد وأخذ عنه كتب أصحابه ، حتى قال « خرجت من بغداد **وقد حملت من علم محمد بن الحسن وقر بعير** » ثم عاد إلى مكة ، وما زال ينتقل بين العراق والحجاز حتى أقام في مصر سنة ١٩٩ ه ، وبها دوَّن مذهبه الجديد إلى أن توفي عام ٢٠٤ ه ، بعد أن ملأ الدنيا علماً واجتهاداً ، وبعد أن جمع حوله أفذاذ طلاب العلم في مصر والعراق ، وبعد أن ملأ القلوب بحبه وإجلاله والاعتراف بإمامته لما كان يتمتع به رحمه الله من علم غزير ومنطق فحل وذكاء عجيب وذهن

نافذ إلى لب الحقائق ، وإحاطة واسعة بكتاب الله وسنة رسوله ، وعلوم اللغة وآدابها .

دوره في الدفاع عن السنة :

وللشافعي ـ عدا مكانته الفقهية ـ مكانة ممتازة عند أهل الحديث ، **فهو** الذي وضع قواعد الرواية ، ودافع عن السنة دفاعاً مجيداً ، وأعلن رأيه الذي يخالف فيه مالكاً وأبا حنيفة ، وهو أن الحديث متى صح بالسند المتصل إلى النبي ﷺ يجب العمل به من غير تقييده بموافقة عمل أهل المدينة كما اشترط مالك ، أو بالشروط المتعددة التي اشترطها أبو حنيفة ، وبذلك كان في جانب أهل الحديث مما جعلهم يطلقون عليه لقب « ناصر السنة » **وفي الحق أن « رسالته » وبحوثه في « الأم » من أثمن ما ألفه العلماء دفاعاً عن حجية السنة ومكانتها في التشريع بأسلوب قوي جزل ، وأدلة دامغة قاهرة ، ولا ينكر كل من كتب في مصطلح الحديث وفي مباحث السنة والكتاب من علماء الأصول ، أنه مدين للشافعي فيما كتب ، ومن هنا كان صحيحاً ما يقوله محمد بن الحسن** : « **إن تكلم أصحاب الحديث يوماً فبلسان الشافعي** » وما قاله الزعفراني : « كان أصحاب الحديث رقوداً فأيقظهم الشافعي » . ومن هنا أجله علماء الحديث وذكروه بكل خير ، فقال فيه أحمد بن حنبل : « **ما أحد مس بيده محبرة وقلماً إلا للشافعي في رقبته مِنَّة** » . ويقول : « ما علمنا المجمل من المفسر ولا ناسخ حديث رسول الله ﷺ من منسوخه حتى جالسنا الشافعي » . وقال عبد الرحمن بن مهدي : « لما نظرت الرسالة للشافعي أذهلتني لأنني رأيت كلام رجل عاقل فصيح ناصح ، فإني لأكثر الدعاء له » . وقال الكرابيسي : « ما كنا ندري ما الكتاب والسنة حتى سمعناه من الشافعي ، وما رأيت مثل الشافعي ولا رأى الشافعي مثل نفسه ، وما رأيت أفصح منه وأعرف » .

أصول مذهبه :

كانت أصول مذهبه كأصول الأئمة الآخرين : **العمل بالكتاب والسنة**

والقياس والإجماع ، إلا أن عمله بالسنة كان أوسع دائرة من مالك وأبي حنيفة من ناحية الأخذ بخبر الآحاد ، وكان أضيق دائرة من ناحية رفض العمل بالمرسل إلا إذا كان مرسل كبار التابعين كسعيد بن المسيب . ومن أصوله « الاستصحاب » وقد أخذ به الحنفية في الدفع لا في الإثبات

ولم ينقل عن الشافعي من الحديث كتاب مستقل إلا « **مسند الشافعي** » **رواية أبي العباس الأصم** ، و « **سنن الشافعي** » **رواية الطحاوي** ، ويظهر أنه من استخراج تلاميذه لا من تأليفه كما هو الحال في مسانيد أبي حنيفة ، وذلك لأنه لم يجلس للتحديث كما هي عادة المحدثين ، ولا عُنِيَ بجمع الروايات والطرق كما عُنُوا بذلك ، **وإنما هو إمام مجتهد يبحث في السنة عن كل ما يمكن أن يكون أصلاً من أصول التشريع** ، **فهو يطلب الحديث ليكون نواة لاجتهاده وفقهه** ، لا ليملأ به الكراريس والصحف ، وهذا هو الفرق بين المحدثين المنقطعين للتحديث ، وبين الأئمة المعنيين بالفقه والتشريع .

[الإمــام أحمـد]
[١٦٤ ـ ٢٤١ هـ]

حياته ومكانته العلمية :

هو أبو عبدالله أحمد بن حنبل الشيباني ، ولد في بغداد سنة ١٦٤ وبها نشأ وترعرع ، حضر في أول طلبه مجلس أبي يوسف صاحب الإمام أبي حنيفة ثم انتقل إلى طلب الحديث ، وما زال يجد في طلبه ويلقى الشيوخ ويكتب عنهم ، حتى بلغ الذروة في حفظ السنة والإحاطة بها ، وحتى أصبح إمام السنة في عصره غير منازع ، أخذ عن الشافعي الفقه أولاً ، ثم أخذ الشافعي عنه الحديث ، ومن تلاميذه البخاري ومسلم ، وكان من الورع والزهد والأمانة والتشدد في الحق على جانب عظيم ، تعرض لمحنة خلق القرآن وصبر عليها منذ عهد المأمون حتى المتوكل ، وكان لموقفه العظيم أثر خالد في تثبيت قلوب الجمهور على الحق ، وقد زاد ثباته على المحنة في نظر المسلمين ، مكانته في قلوبهم واعترافهم بإمامته ، وشهادات العلماء في حقه كثيرة متوافرة ، وحسبك قول الشافعي رحمه الله : « **خرجت من بغداد وما خلفت فيها رجلاً أفضل ولا أعلم ولا أورع ولا أتقى من أحمد بن حنبل** » وتوفي رحمه الله ببغداد سنة ٢٤١ ومشى في جنازته خلق لا يحصون .

أصول مذهبه :

أما أصول مذهبه فهي أصول الأئمة : **الكتاب والسنة والإجماع والقياس** ، وكان كثير الأخذ بالسنة حتى قدمنا عنه قوله : « ضعيف الحديث عندي أولى من رأي الرجال » وكان كثير الاتِّباع لآراء الصحابة ، حتى إذا كان للصحابة

رأيان في المسألة أو ثلاثة كان له فيها رأيان أو ثلاثة ، ومن هنا لم يعده بعض العلماء من الأئمة الفقهاء كما فعل ابن عبد البر في الانتقاء وابن جرير الطبري في اختلاف الفقهاء ، ولقي بسبب ذلك عنتاً شديداً من الحنابلة في زمنه . ولكن الحق انه إمام مجتهد فقيه لا شك في ذلك ، وإن كانت صبغة الحديث عليه أغلب .

المسند : مرتبته ـ أحاديثه :

وقد كان من أخلد آثار الإمام وأجزلها فائدة وأعظمها بركة على السنة كتابه المسند الذي أورد فيه نحو أربعين ألف حديث ، منها عشرة آلاف مكررة ، من مجموع سبعمائة ألف حديث وخمسين ألفاً كان يحفظها ، وطريقته في تأليفه أنه يجمع أحاديث كل صحابي في باب واحد ، فما روي عن أبي بكر رضي الله عنه مثلاً يجمعه في باب واحد ، رغم اختلاف موضوعات الأحاديث .

[الإمـام البخـاري]
[١٩٤ ـ ٢٥٦ هـ]

هو أبو عبدالله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبه الجعفي مولاهم ، إمام المحدثين وشيخ حفاظ زمانه على الإطلاق ، ولد ببخارى يوم الجمعة ١٣ شوال ١٩٤ وبدأ بحفظ الحديث وهو لما يبلغ العشر سنين ، ثم دأب عليـه ورحـل في طلبه حتى طاف أشهر الأمصار الإسلامية التي عرفت بالحديث وكما قال هو نفسه : « دخلت الشام ومصر والجزيرة مرتين ، وإلى البصرة أربع مرات ، وأقمت بالحجاز ستة أعوام ، ولا أحصي كم دخلت إلى الكوفة وبغداد مع المحدثين » وكان لا يسمع بشيخ في الحديث إلا رحل إليه واختبره وسأل عنه وأخذ منه ، وكان آية في الحفظ وقوة الذاكرة والبصر بعلل الأسانيد ومتونها ، وقصته في بغداد حين امتحنه علماؤها مشهورة تدل على مبلغ حفظه وإمامته في هذا الفن ، وقد كافأه الله على صبره وجلده وتحمله المشاق في سبيل السنة بإقبال الناس عليه وإشادتهم بذكره وفضله ، قال محمود بن الناظر بن سهل الشافعي : « دخلت البصرة والشام والحجاز والكوفة ورأيت علماءها ، كلما جرى ذكر محمد بن إسماعيل البخاري فضلوه على أنفسهم » ، **وكان قد سمع مرة شيخه إسحاق بن راهويه يقول لتلاميذه : « لو جمعتم كتاباً مختصراً لصحيح سنة رسول الله ﷺ ؟ » قال البخاري : « فوقع ذلك في قلبي فأخذت في جمع الجامع الصحيح »** وقد أمضى في جمعه وتمحيصه وتأليفه ستة عشر عاماً ، **وما وضع فيه حديثاً إلا بعد أن يغتسل ويصلي ركعتين ، ثم يستخير الله تعالى في وضعه** ، ولم يخرج فيه إلا ما

صح عن رسول الله ﷺ بالسند المتصل الذي توفر في رجاله العدالة والضبط واللقيا ، ولم يكن يكتفي بإمكان معاصرة التلميذ للشيخ ، بل لا بد من ثبوت سماعه منه ولقياه له ، وبهذا كان أول كتاب في السنة على هذه الشروط الدقيقة ، تجرد من الأحاديث الضعيفة والحسنة ، واقتصر على الأحاديث الصحيحة فقط ، وقد بوبه البخاري على أبواب العلم والفقه ، إلا أنه دقيق النظر جداً بعيد الغور في الاستنباط ، فجاءت تراجم أبوابه وموافقة الأحاديث للترجمة غامضة في بعض الأحيان ، فقد تطلب حديثاً في باب فلا تجده ، بل تجده في باب آخر لا يخطر في بالك ، وقد ذكر فيه عرضاً الموقوف والمعلق وفتاوى الصحابة والتابعين وآراء العلماء ، كما جرى على تقطيع الحديث إلى أقسام يذكر في كل باب القسم الذي يناسبه ، تبلغ أحاديثه على ما ذكر ابن حجر في مقدمة فتح الباري (٧٣٩٧) بالمكرر ، سوى المعلقات والمتابعات والموقوفات ، وبغير المكرر من المتون الموصولة (٢٦٠٢) ، ولما أتم تأليفه وتمحيصه عرضه على أحمد وابن معين وابن المديني وغيرهم من أئمة الحديث فاستحسنوه وشهدوا له بالصحة إلا في أربعة أحاديث ، وقال العقيلي : « القول فيها قول البخاري » . ولما أخرجه للناس وأخذ يحدث به ، طار في الآفاق أمره ، فهرع إليه الناس من كل فج يتلقونه عنه حتى بلغ من أخذه نحواً من مائة ألف ، وانتشرت نسخه في الأمصار ، وعكف عليه الناس حفظاً ودراسة وشرحاً وتلخيصاً ، وكان فرح أهل العلم به عظيماً . قال الذهبي : « وأما جامع البخاري الصحيح ، فأجل كتب الإسلام وأفضلها بعد كتاب الله تعالى . فلو رحل الشخص لسماعه من ألف فرسخ لما ضاعت رحلته » .

هذا ولم يعن علماء الإسلام بكتاب ـ بعد القرآن ـ كما عنوا بصحيح البخاري حتى بلغ الذين كتبوا حوله ما بين شرح واختصار وترجمة رجال ، عدداً كبيراً جداً ، وحسبك أن تعلم أن عدد شروحه فحسب بلغت اثنين

وثمانين شرحاً كما ذكر ذلك صاحب كشف الظنون ، ومن أشهر هذه الشروح أربعة : شرح الإمام بدر الدين الزركشي واسمه التنقيح (ـ ٧٩٤ هـ) ، وشيخ الإسلام ابن حجر (ـ ٨٥٢ هـ) في فتح الباري ، وهو أجل هذه الشروح وأوفاها وأكثرها شهرة وفائدة . والعلامة العيني الحنفي (ـ ٨٥٥ هـ) في عمدة القارىء ، والجلال السيوطي (ـ ٩١١ هـ) في التوشيح .

[الإمــام مسلم]
[٢٠٤ ــ ٢٦١ هـ]

هو مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري أحد أئمة الحديث ومشاهيره ، ولد سنة ٢٠٤ بنيسابور ، وطلب العلم منذ الصغر ثم رحل إلى أقطار الإسلام فزار العراق والحجاز والشام ومصر ، وأخذ عن شيوخها من مشايخ البخاري وغيره ، وكان شديد الحب للبخاري ، شديد التقدير له ، وقد اقتدى به في وضع صحيحه ، إلا أنه حصل بينهما جفاء في آخر أيامهما ، وتوفي بنيسابور سنة ٢٦١ هـ .

وضع كتاب الصحيح المشهور بصحيح مسلم ، وهو من أجل الكتب وأصحها مع صحيح البخاري ، وقد ذهب أكثر العلماء إلى ترجيح البخاري عليه لأمور :

١ ــ اشترط البخاري اللقاء في الراوي دون الاكتفاء بالمعاصرة ، بينما مسلم يكتفي بذلك .

٢ ــ دقة فقه البخاري واحتواء صحيحه على استنباطات فقهية لا توجد في صحيح مسلم .

٣ ــ تحرِّي البخاري في أمر الرجال ، حتى إن الذين تكلم فيهم الحفاظ ــ على ما في كلامهم من مجال للنقاش ــ بلغوا ثمانين ، وقد بلغ الذين تكلموا فيهم من رجال مسلم مائة وستين ، ومع أن البخاري لم يكثر من إخراج حديثهم ، وأغلبهم من شيوخه الذين يعرف دخائلهم أكثر من غيره .

٤ ــ قلة الأحاديث التي انتقدت على البخاري من جهة الشذوذ والإعلال

بالنسبة لما انتقد على مسلم ، فقد بلغت عند البخاري ـ وحده ـ ثمانية وسبعين ، وقد بلغت عند مسلم ـ وحده ـ مائة وثلاثين .

من أجل هذا ، ذهب أكثر العلماء إلى ترجيح صحيح البخاري مع اتفاقهم جميعاً على أن البخاري أجلّ من مسلم في علم الحديث وأعلى كعباً ، وقد اعترف له مسلم بذلك ، وقد روى مسلم عن البخاري ، ولم يرو البخاري عن مسلم شيئاً .

نعم يمتاز صحيح مسلم على البخاري بأمور فنية ترجع إلى التأليف ، فمسلم لم يقطع الحديث ولم يكرر الإسناد ، وإنما جمع ما ورد في الحديث كله في باب واحد ، جمع فيه طرقه التي ارتضاها ، وأورد أسانيده المتعددة وألفاظه المختلفة ، مما جعله أسهل تناولا على الطالب من صحيح البخاري كما أنه جعل لكتابه مقدمة نفيسة بيّن فيها ما دعاه لجمع الصحيح ، ومنهجه فيه ، وما أجمل ما قيل فيهما :

قالوا : لمسلم فضل قلت : البخاري أعلى
قالوا : المكرر فيه قلت : المكرر أحلى

بلغت أحاديثه دون المكرر أربعة آلاف ، وبالمكرر ٧٢٧٥ . وقد شرحه كثير من الأئمة الحفاظ وذكر منها صاحب كشف الظنون خمسة عشر شرحاً من أشهرها شرح الإمام الحافظ أبي زكريا يحيى بن شرف النووي الشافعي (ـ ٦٧٦ هـ) ، وقد اختصره أيضاً عدد من العلماء ومن أشهر مختصراته تلخيص كتاب مسلم وشرحه لأحمد بن عمر القرطبي (ـ ٦٥٦ هـ) ومختصر الحافظ زكي الدين عبد العظيم المنذري (ـ ٦٥٦ هـ)[٤] .

(٤) تهذيب الأسماء للنووي ٨٩/٢ ومفتاح السنة ص ٤٦ .

[الإمام ابن حزم]

[٣٨٤ - ٤٥٦ هـ = ٩٩٩ - ١٠٦٤م]

علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري، أبو محمد: عالم الأندلس في عصره، وأحد أئمة الإسلام. ولد بقرطبة، وكانت له ولأبيه من قبله رئاسة الوزارة وتدبير المملكة، فزهد بها وانصرف إلى العلم والتأليف، فكان من صدور الباحثين، فقيهاً حافظاً، يستنبط الأحكام من الكتاب والسُّنَّة، بعيداً عن المصانعة. وانتقد كثيراً من العلماء والفقهاء، فتمالأوا على بغضه، **وأجمعوا على تضليله**، وحذَّروا سلاطينهم من فتنته، ونهوا عوامهم عن الدنّو منه، فأقْصَتْه الملوك وطاردته، فرحل إلى بادية لبلة (من بلاد الأندلس)، فتوفي فيها، رووا عن ابنه الفضل أنَّه اجتمع عنده بخطِّ أبيه من تآليفه نحو ٤٠٠ مجلد، تشتمل على قريب من ثمانين ألف ورقة، **وكان يقال: لسان ابن حزم، وسيف الحجاج شقيقان.**

أشهر مصنفاته:

«**الفصل** في الملل والأهواء والنحل»، ط و«**المحلّى**»، في الفقه، ط في ١١ جزءاً، و«**جوامع السيرة**»، ط ،و«**الإحكام في أصول الأحكام**»، ط،و «**مداواة النفوس**»، رسالة في الأخلاق، و«**طوق الحمامة**» ط، وغير ذلك، وللدكتور عبد الكريم خليفة «**ابن حزم الأندلسي**»، ط، وللدكتور عبد الحليم عويس «**ابن حزم الأندلسي. . وجهوده في البحث التاريخي والحضاري**» ط، رسالة .

[الأعلام: جـ ٤ ص ٢٥٤ وما فيه من مصادر]

*** . . . *** . . . **

[الإمام ابن تيمية]

[٦٦١ - ٧٢٨ هـ = ١٢٦٣ - ١٣٢٨م]

أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله . . **الحرَّاني** الدمشقي الحنبلي، أبو العباس، **تقيّ الدين بن تيمية**: الإمام، شيخ الإسلام. وُلِدَ في حرّان، وتحوّل به أبوه إلى دمشق، فنبغ واشتهر. وطُلِبَ إلى مصر من أجل فتوى أفتى بها، فقصدها، فتعصَّب عليه جماعة من أهلها، فَسُجِنَ مدّة، ونُقِلَ إلى الإسكندرية، ثم

أُطلق، فسافر إلى دمشق سنة ٧١٢ هـ ، واعْتُقِلَ بها سنة ٧٢٠، وأُطلق، ثم أُعيد، ومات معتقلاً بقلعة دمشق، **فخرجت دمشق كلها في جنازته**. كان كثير البحث في فنون الحكمة، داعية إصلاح في الدين، آية في التفسير والأصول، وفي «الدرر الكامنة»: أنه ناظر العلماء، واستدلّ، وَبَرَعَ في العلم والتفسير، وأفتى ودرّس وهو دون العشرين.

من تصانيفه: «السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية» ط، و«الإيمان» ط، و«منهاج السُّنَّة» ط و«الفتاوى ـ ط»، وللعلامة الشيخ أبو الحسن علي الحسني الندوي (الجزء الثاني من رجال الفكر والدعوة في الإسلام، وهو خاص بحياة شيخ الإسلام الحافظ أحمد بن تيمية).

[الاعلام : جـ ١ ص ١٤٤ وما فيه من مصادر]

**** .. ** .. ****

[الإمام ابن قيم الجوزية]

[٦٩١ ـ ٧٥١هـ = ١٢٩٢ ـ ١٣٥٠م]

محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي، أبو عبد الله **شمس الدين**: المعروف (**بابن قيِّم الجوزية**)، من أركان الاصلاح الإسلامي، وأحد كبار العلماء، مولده ووفاته بدمشق، تتلمذ لشيخ الإسلام **ابن تيمية**، حتى كان لا يخرج عن شيء من أقواله، بل ينتصر له في جميع ما يصدر عنه، وهو الذي هذّب كُتُبَهُ ونشر علمه، وسُجِنَ معه في قلعة دمشق، وأُهين وعُذِّب بسببه، وطيف به على جمل مضروباً بالعصي، وأُطلق بعد موت ابن تيمية.

له تصانيف كثيرة، منها:

«إعلام الموقِّعين» ط، و**«الطرق الحكمية في السياسة الشرعية ـ ط»**و«أحكام أهل الذِّمَّة»، ط، جزآن. و**«زاد المعاد»**، ط، و«مدارج السالكين» ط، ٣ مجلدات. و«**التبيان في إقسام القرآن**»، ط، ولمحمد أويس الندوي كتاب «**التفسير القيِّم**»، للإمام ابن القيِّم، ط، استخرجه من مؤلفاته.

[الاعلام : جـ ٦ ص ٥٦ وما فيه من مصادر]

**** .. ** .. ** .. ****

[الإمام الطبــري]

[٢٢٤ - ٣١٠ هـ = ٨٣٩ - ٩٢٣ م]

محمد بن جرير بن يزيد الطبري، أبو جعفر: من مشاهير المؤرخين والمفسرين وأئمة العلماء. وُلِدَ في آمل طبرستان، وبهـا نشأ وتعلّم، ثم رحـل في طلب العلم، فسمع بالريّ وبغداد والبصرة والكوفة والشام ومصر. وعاد فـاستوطن بغـداد، واعتنق المذهب الشافعي، وعارض الحنابلة، وأسَّس مذهب «الجريـرية»، في الفقـه، وهو فرع من الشافعية، فلم يعمر طويلاً. وعُرِضَ عليه القضاء فامتنع، والمظالم فأبى. قال الخطيب البغدادي: «جمع من العلوم ما لم يشاركه فيه أحد من أهل عصره» من كتبه: «**جـامع البيـان في تفسير القـرآن**»، **ويُعرف بتفسيـر الـطبري**، طبـع في ٣٠ جزءاً، قال أبو حامد الاسفراييني: لو سافـر رجلٍ إلى الصين حتّى يحصـل له تفسيـر ابن جرير لم يكن ذلك كثيراً، وله أيضاً «تاريخ الأمم والملوك» عشرة أجزاء - ط ، .

[المصـادر: معجم المفسرين: ٢/٥٠٨، والاعـلام: ٦:٦٩]

** .. ** .. **

[فخر الدين الرازي]

[٥٤٤ - ٦٠٦ هـ = ١١٥٠ - ١٢١٠م]

هو إمام المتكلمين، وقـامع المبتـدعين، فخر الإسـلام والمسلمين، وحجَّة الله على العـالمين، والعالم المتبحِّـر، قدوة الأنـام وبـدرهم المشـرق، وتـاج المحقِّقين وشمسهم الساطعة الضياء الإمام المتصدر العلامة فخر الدين الرازي، أبـو عبد الله، محمد بن عمر بن حسين القرشي الطبـرستاني الأصـل، الشافعي المـذهب، المفسر المتكلم الأصولـي المتطبب، صاحب التصانيف المشهورة، وحسبه فضلاً وعلو منزلته أن علماء الأصول إذا نقلوا عنه قالوا: وقال الإمام، أو، وعند الإمام.

ولد في الخامس والعشـرين من شهر رمضـان، سنة ثـلاث أو أربع، أو خمس، واربعين وخمسمـائـة، ثم تلقّى العلم عن أبيـه الإمـام ضيـاءالـدين خـطيب الـري، صـاحب الإمام البغـوي، وكان الفخـر ينعت «بابن خـطيب الري» نسبـة إلى أبيه..

واشتغل فخر الدين الرازي في مبدأ أمره بالفقه، ثم أشتغل بالعلوم الحكمية وتميَّز، حتى لم يوجد في زمانه أحد يضاهيه، وكان لمجلسه جلالة.

علومه ومعارفه ومصنفاته:

كان الفخر من أفضل علماء عصره في الفقه وعلوم اللغة والمنطق والمذاهب الكلامية، ومن أبرع أهل زمانه في الطب والحكمة، شاع فضله في كل ذلك وذاع، وبعد صيته بين الناس، وملأ البقاع والأسماع، فأمّه الطلاب من كل بلد وصقع، يتلقّون العلم عنه ويغترفون من علومه ومعارفه.

وفيما يلي ثبت بعض مصنفاته:

١ ــ كتاب التفسير واسمه مفاتيح الغيب في ٣٢ جزءاً.
٢ ــ كتاب التفسير الصغير [أسرار التنزيل وأنوار التأويل].
٣ ــ كتاب المحصول في علم أصول إلفقه.
٤ ــ المعالم في أصول الفقه.
٥ ــ المعالم في أصول الدين.
٦ ــ تفسير أسماء الله الحسنى.
٧ ــ عصمة الأنبياء.
٨ ــ المحصل في علم الكلام.
٩ ــ المحصول في الفقه.
١٠ ــ رسالة في النبوات.

وقد بلغت عدد كتبه ٦٧ كتاباً.

نماذج من شعره:

نهاية إقدام العقول عقال
وأكثر سعي العالمين ضلال
وأرواحنا في وحشة من جسومنا
وحاصل دنيانا أذى ووبال

ولـم نستفـد مـن بـحـثـنـا طـول عـمـرنـا
سـوى أن جـمـعـنـا فـيـه قـيـل وقـالـوا
وكـم رأيـنـا مـن رجـال ودولـة
فـبـادوا جـمـيـعـاً مـسـرعـيـن وزالـوا
وكـم مـن جـبـال قـد علـت شـرفـاتـهـا
رجـالٌ فـزالـوا، والـجـبـال جـبـال

** .. ** .. **

وفاتـــــه:

انتقل الإمام فخر الدين الرازي إلى جوار ربِّـه بهراة في يـوم الاثنين أول شوال من سنة ست وستمائـة، وقيل إنـه مات مسمـوماً، وإن الفِـرق التي كان ينـاظرهـا قد دَسَّت له من سقاه السم، قـال القفطي: وكـان يطعن على الكـرامية ويبين خـطأهم، فقيل: إنهم توصلوا إلى إطعامه السُّم فهلك».

[التفسير الكبيـر ـ الجـزء الأول]

** .. ** .. **

[القرطبـــي]

[... ـ ٦٧١ هـ = ... ١٢٧٣م]

محمـد بن أحمد بن أبي بكـر بن فرح الأنصـاري الخـزرجي الأنـدلسي، أبـو عبـد الله **القرطبي**. من كبـار المفسِّـرين. من أهـل قـرطبـة بـالأنـدلس. رحـل إلى المشـرق واستقـر بمنيـة ابن خصيب في شمـال أسيـوط، بمصـر وتـوفي فيهـا. قـال الذهبي: «إمام متفنن، متبحر في العلم، له تصانيف مفيدة، تدل على كثرة اطـلاعه ووفـور عقله وفضله، وقد سـارت بتفسيره العـظيم الشأن الـركبان» من آثـاره **[جامـع أحكام القرآن والمبيِّن لما تضمّنه من السُّنّة وآي القرآن]**.

[معجم المفسرين: جـ ٢ ـ ص ٤٧٩]

** .. ** .. **

[الإمـام ابن كثيـر]

[٧٠١ ـ ٧٧٤ هـ = ١٣٠٢ ـ ١٣٧٣ م]

إسماعيل بن عمر بن كثير البصروي، ثم الدمشقي، أبو الفداء، عماد الدين: حافظ، مؤرِّخ، فقيه، مفسِّر. ولد في قرية من أعمال بصرى الشام، وانتقل مع أخ له إلى دمشق سنة ٧٠٦ هـ، ورحل في طلب العلم، وتوفي بدمشق.

من كتبه: «البداية والنهاية» ـ ط ١٤ مجلداً، في التاريخ على نَسَقِ الكامل لابن الأثير، و«تفسير القرآن الكريم» ط، و«جامع المسانيد» خ، في ثماني مجلدات، و«اختصار علوم الحديث»، رسالة في المصطلح، شرحها أحمد محمد شاكر بكتاب «**الباعث الحثيث إلى معرفة علوم الحديث**» ط، و«اختصار السيرة النبوية» طبع باسم «الفصول في اختصار سيرة الرسول» و«التكميل في معرفة الثقات والضعفاء والمجاهيل» خمس مجلدات في رجال الحديث، وكتاب «**قصص الأنبياء**».

[الاعلام : جـ ١ ص ٣٢٠ ـ وما فيه من مصادر]

**.. ** .. **

[الإمام السيوطـي]

[٨٤٩ ـ ٩١١ هـ = ١٤٤٥ ـ ١٥٠٥ م]

عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي، جلال الدين: إمام حافظ، محدِّث، مفسِّر، أديب. نشأ في القاهرة يتيماً، وحفظ القرآن وله دون ثماني سنين. وشرع في الاشتغال بالعلم سنة ٨٦٤ هـ، وأُجيز بتدريس العربية بعد سنتين، وبالتدريس والإفتاء سنة ٨٧٦ هـ، وشرع في التصنيف سنة ٨٨٦ هـ

سافر إلى الحجاز والشام واليمن والهند والمغرب والتكرور. وحينما تقدّم به العمر، اعتزل الناس، وخلا بنفسه في منزله في روضة المقياس على النيل، منزوياً عن أصحابه جميعاً، متباعداً عن ذوي الجاه والسلطان، وتجرّد للعبادة والتصنيف. وكان الأغنياء والأمراء والوزراء يزورونه ويعرضون عليه الأموال والهدايا فيردّها. مات بمنزله.

من آثاره التي بلغت نحو ٦٠٠ مصنَّف «**الإتقان في علوم القرآن**» و«**تنوير الحوالك شرح موطأ مالك**»، و«الدُّر المنثور في الأحاديث الشهيرة» و« الحاوي للفتاوى» و«**الدُّرَ المنثور في التفسير بالمأثور**» و«زهر الرّبى على المجتبى» شرح سنن النسائي، و«**اللالىء المصنوعة في الأحاديث الموضوعة**».

[معجم المفسرين: جـ١ ص٢٦٤، والاعلام٣: ٣٠١]

** .. ** .. **

[الشوكاني]

[١١٧٣ ـ ١٢٥٠ هـ = ١٧٦٠ ـ ١٨٣٤ م]

محمد بن علي بن محمد الشوكاني، أبو عبد الله: فقيه، أُصولي، محدِّث، مفسِّر، من كبار علماء اليمن في عصره. من أهل صنعاء. ولد بهجرة شوكان من بلاد خولان باليمن، ونشأ وتعلَّم بصنعاء، وولي قضاءها سنة ١٢٢٩هـ، **ومات بها. له** أكثر من مئة كتاب منها: «**فتح القدير الجامع بين فنّي الرواية والدراية من علم التفسير**»، **طبع خمسة مجلدات**، و«**إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول**» و«**الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة**»، **وهي مطبوعة أيضاً**.

[المصادر: معجم المفسرين: جـ٢ ص٥٩٣، والأعلام: ٧ : ١٩١]

** .. ** .. **

[الإمام البغوي]

[... ـ ٥١٦ هـ = ... ـ ١٢٢٢ م]

حسين بن مسعود بن محمد، المعروف بابن الفراء، ويلقب بمحيي السُّنَّة، وركن الدين، **البغوي**، محدِّث، مفسِّر، من فقهاء الشافعية. نسبته إلى «بَغَا» من قرى خراسان، بين هراة ومرو. ودرس في مرو، وأخذ عنه جماعة من الأعيان، ترجع شهرته إلى كتابه «**مصابيح السنّة**»، من كتبه «معالم التنزيل» في تفسير القرآن الكريم، طبع مرات.

[معجم المفسرين : جـ١ ص١٦١]

** .. ** .. **

[الزمخشـــــري]

[٤٦٧ ـ ٥٣٨ هـ = ١٠٧٥ ـ ١١٤٤م]

محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الخوارزمي الزمخشري، جار الله، أبو القاسم: من أئمة العلم بالدين والتفسير واللغة والآداب. ولد في زمخشر (من قرى خوارزم)، وسافر إلى مكة فجاور بها زمناً فلقّب بجار الله. وتنقّل في البلدان، ثم عاد إلى الجرجانية (من قرى خوارزم)، فتوفي فيها.

أشهر كتبه : «**الكشاف ـ ط**»، في تفسير القرآن، و«**أساس البلاغة ـ ط**» و«مقدمة الأدب ـ خ» في اللغة، و«الفائق ـ ط» في غريب الحديث و«المستقصى ـ ط» في الأمثال، مجلدان. وكان معتزلي المذهب، مجاهراً، شديد الإنكار على المتصوفة، أكثر من التشنيع عليهم في «الكشاف» وغيره.

[**الاعلام** : جـ ٧ ص ١٧٨]

** .. ** .. **

[أبو حيّان النحوي]

[٦٥٤ ـ ٧٤٥ هـ = ١٢٥٦ ـ ١٣٤٤ م]

محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيّان الغرناطي الجيّاني: النَّفْزيّ، أثير الدين، أبو حيّان: نحوي عصره، ولغويّه، ومفسّره، ومحدّثه، ومقرئه، ومؤرّخه وأديبه، ولد بمطخشارش من أعمال غرناطة. ودرس القرآن والحديث والنحو واللغة بلش ومالقة والمرية بالأندلس، وتنقّل بالمغرب ومصر والشام والحجاز. وسمع من نحو أربعمائة وخمسين شيخاً، وتولى التدريس بمدارس مصر والشام ومساجدها. واشتهرت تصانيفه في حياته، وقرئت عليه. كان ظاهري المذهب، وتحوّل بمصر شافعياً، وقد ظهرت آثار مذهبه في تفسيره ونحوه. توفي بالقاهرة بعد أن كفّ بصره.

من كتبه : «**البحر المحيط**»، في تفسير القرآن، طبع بمصر، ثماني مجلدات، والناحية النحوية هي أبرز ما فيه من البحوث التي تدور حول آيات الكتاب العزيز و«**النهر المادّ**» طبع، اختصر به البحر المحيط و«تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب» طبع.

[**معجم المفسرين** : جـ ٢ ص ٦٥٥]

[الخـــازن]

[٦٧٨ ـ ٧٤١ هـ = ١٢٨٠ ـ ١٣٤١ م]

علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر بن خليل الشيحي، علاء الدين، المعروف **بالخازن**: عالم بالتفسير والحديث، مشارك في بعض العلوم، من فقهاء الشافعية. نسبته إلى «شيحه» من أعمال حلب. ولد ببغداد، وسمع بها من ابن الثعالبي، وانتقل إلى دمشق، فسمع من القاسم بن مظفر وغيره، وكان خازن الكتب بالمدرسة السميساطية فيها، فاشتهر بالخازن بسبب ذلك، وتوفي بحلب. له تصانيف، منها **«لباب التأويل في معاني التنزيل»** في التفسير، يعرف بتفسير الخازن، طبع مراراً بمصر.

[معجم المفسرين: جـ ١ ص ٣٧٩]

** .. ** .. **

[البيضـــاوي]

[... ـ ٦٨٥ هـ = ... ـ ١٢٨٦م]

عبد الله بن عمر بن محمد بن علي الشيرازي، أبو سعيد أو أبو الخير، **ناصر الدين البيضاوي**: قاض، مفسِّر، عالم بالفقه والأصلين والعربية والمنطق والحديث. من أعيان الشافعية، وُلِدَ في المدينة البيضاء (بفارس ـ قرب شيراز)، وولي قضاء شيراز مدّة، وصرف عن القضاء، فرحل إلى تبريز فتوفي فيها.

من تصانيفه : : **«أنوار التنزيل وأسرار التأويل ـ ط »**، يعرف بتفسير البيضاوي، قال صاحب كشف الظنون: «وتفسيره هذا كتاب عظيم الشأن، غني عن البيان، لخّص فيه من الكشاف ما يتعلّق بالإعراب والمعاني والبيان، ومن التفسير الكبير ما يتعلّق بالحكمة والكلام، ومن تفسير الراغب ما يتعلّق بالاشتقاق وغوامض الحقائق ولطائف الإشارات . . .». و«طوالع الأنوار ـ ط » في التوحيد و**«منهاج الوصول إلى علم الأصول ـ ط »**، و«الغاية القصوى في دراية الفتوى ـ خ» في فقه الشافعية.

[الاعلام : جـ ٤ ص ١١٠، ومعجم المفسرين: جـ ١ ص ٣١٨]

** .. ** .. **

[النسفـــــي]

[... - ٧١٠ هـ = ... ١٣١٠ م]

عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، **أبو البركات**، حافظ الدين: مفسِّر، متكلم، أُصولي، من فقهاء الحنفية. من أهل إيذج ـ كورة وبلدة بين خوزستان وأصبهان ـ ونسبته إلى «نسف» من بلاد السند، بين جيحون وسمرقند، تتلمذ لشيوخ كثيرين، ورحل إلى بغداد. من كتبه: **«مدارك التنزيل وحقائق التأويل»، في** التفسير، طبع، وهو كتاب وسط يعرض لوجوه الإعراب والقراءات ولشيء من البيان والبديع.

[معجم المفسرين : جـ ١ ص ٣٠٥]

** .. ** .. **

[الخطيب الشربيني]

[... - ٩٧٧هـ= ... ١٥٧٠م]

محمد بن أحمد الشربيني، شمس الدين، المعروف بالخطيب الشربيني: مفسّر، من فقهاء الشافعية، من أهل القاهرة. درَّس وأفتى في حياة شيوخه، وحجّ مراراً. لهتصانيف،منها (السراج المنير) في أربع مجلدات. طبع في القاهرة.

[معجم المفسرين : جـ ٢ ص٤٨٥]

** .. ** .. **

[أبو السعود]

[٨٩٨ - ٩٨٢ هـ = ١٤٩٣ - ١٥٧٤م]

محمد بن محمد بن مصطفى العمادي المولى، **أبو السعود**، مفسِّر، أُصولي، شاعر، عارف باللغات العربية والتركية والفارسية، من فقهاء الحنفية وعلماء الترك المستعربين، ولد بقرية بالقرب من القسطنطينية، وقرأ على والده كثيراً، ودرّس في بلاد متعددة، ثم تقلَّد القضاء في بروسة، فالقسطنطينية، فقضاء العسكر في ولاية الروم إيلي، ودام عليه مدة ثمان سنين، وأُضيف إليه الإفتاء سنة ٩٥٢ هـ ، قال

صاحب العقد المنظوم: وقد حضر جنازته العلماء والوزراء وسائر أرباب الديوان.. ودفن في جوار أبي أيوب الأنصاري». من آثاره: «حاشية على الكشاف للزمخشري»، وهو صاحب التفسير المعروف باسمه، وقد سمّاه: «إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم».

[معجم المفسرين : جـ ٢ ص ٦٢٥]

** .. ** .. ** .. **

[إسماعيل حقّي]

[... - ١١٢٧ - ... - ١٧١٥ م]

إسماعيل حقّي بن مصطفى الإسلامبولي، المولى أبو الفداء: مفسِّر، متصوّف، حنفي المذهب. تركي، مستعرب ولد في آيدوس، وسكن القسطنطينية، ثم انتقل إلى بروسة. وفيما كان يبحث عن مسائل تتعلق بالتصوّف وشى به بعض العلماء فنفي إلى تكفور طاغ، وأُوذي هناك من عامة الشعب، ثم عاد إلى بروسة، فمات بها. له تصانيف عربية وتركية، فمن العربية **«روح البيان في تفسير القرآن»** طبع أربعة أجزاء، ويعرف بتفسير حقّي.

[معجم المفسرين: جـ ١ ص ٨٨]

** .. ** .. **

[الألوسي]

[١٢١٧ - ١٢٧٠ هـ = ١٨٠٢ - ١٨٥٤م]

محمود بن عبد الله بن محمود بن درويش الحسيني الآلوسي، شهاب الدين، أبو الثناء، شيخ علماء العراق في عصره، محدِّث، فقيه: أديب، لغوي، مشارك في بعض العلوم. نسبته إلى جزيرة آلوس في وسط نهر الفرات، على خمس مراحل من بغداد. ولد ببغداد وتقلَّد الإفتاء فيها سنة ١٢٤٨ هـ ، وعُزل، فانقطع للعلم، ثم سافر إلى الموصل، فالآستانة، ومرّ بماردين وسيواس، وأكرمه السلطان عبد المجيد، وعاد إلى بغداد، وعكف على التأليف إلى أن توفي، له تصانيف، من أشهرها [روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني]. وله أيضاً «دقائق التفسير» مخطوط.

[معجم المفسرين : جـ ٢ ص ٦٦٥]

** .. ** .. **

[البـــزدوي]

[٤٠٠ - ٤٨٢ هـ = ١٠١٠ - ١٠٨٩م]

علي بن محمـد بن الحسين بن عبـد الكـريم بن مـوسى، أبـو الحسن، فخـر الإسـلام البزدوي، فقيـه أُصولي، محـدّث، مفسِّر، من أكـابر الحنفيـة، من سكان سمـرقنـد، نسبتـه إلى بَـزْدَة، قلعـة بقـرب نسف، مـات بكشّ، ونقـل جثمـانـه إلى سمرقند، ودفن بها. قال السمعـاني: «البزدوي فقيه ما وراء النهـر، وأستاذ الأئمـة، وصاحب الطريقة على مذهب أبي حنيفة»، وقال الذهبي: «هو شيـخ الحنفية وعـالم ما وراء النهر». من كتبه: «كشف الأستار» في التفسير، كبير جـداً: «يقال إنـه مائـة وعشـرون جـزءاً، كـل جـزء في ضخم المصحف». ولـد عـام ٤٠٠، وتوفـي عـام ٤٨٢ هـ .

[معجم المفسرين: جـ ١ / ص ٣٧٦]

** .. ** .. **

[الإسنـــوي]

[٧٠٤ - ٧٧٢ هـ = ١٣٠٥ - ١٣٧٠ م]

عبد الرحيم بن الحسن بن علي الإسنوي الشافعي، أبو محمد، جمال الـدين: فقيه أصولي، من علماء العربية، ولد بإسنا، وقـدم القاهـرة سنة ٧٢١ هـ ، فـانتهت إليه رياسة الشافعية. وولي الحسبة ووكالة بيت المـال، ثم اعتزل الحسبـة. من كتبه «المبهمـات على الروضـة - خ » فقه، و«الهـداية إلى أوهـام الكفايـة - خ » و«الأشباه والنظائر» و«جواهر البحرين - خ » و«طراز المحافل - خ » فقه، و«مطالع الرقائق - خ » فقه، و«الكوكب الدري - خ »، في استخراج المسائل الشرعية من القواعد النحـوية، و«نهـاية السـول، شرح منهـاج الأصول - ط » و«التمهيـد - ط »، في تخريـج الفروع على الأصول» فقه، و«الجـواهر المضيـة في شرح المقـدمة الـرحبية - خ » فـرائض، و«الكلمات المهمة في مباشرة أهل الذمة - ط » و«نهاية الراغب - خ » في العـروض، وله «طبقات الفقهاء الشافعيـة - خ » رأيته في خـزانة الأوقـاف بحلب، مقروءاً عليـه، كرر على بعض حواشيه قوله: بلغ سماعاً عليّ ومقابلة، كتبه مؤلفـــه.

[الأعلام - جـ ٣ ص ٢٤٤]

** .. ** .. **

[السعد التفتازانـي]

[٧١٢ - ٧٩٣ = ١٣١٢ - ١٣٩٠ م]

مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني، سعد الدين: من أئمة العربية والبيان والمنطق. ولد بتفتازان (من بلاد خراسان) وأقام بسرخس، وأبعده تيمورلنك إلى سمرقند، فتوفي فيها، ودفن بسرخس، كانت في لسانة لكنة، من كتبه «تهذيب المنطق - ط» و«المطول - ط» في البلاغة، و«المختصر - ط» اختصر به شرح تلخيص المفتاح و« مقاصد الطالبين - ط » في الكلام و« شرح مقاصد الطالبين» ط، و«النعم السوابغ -» في شرح الكلم النوابغ للزمخشري، و« ارشاد الهادي - خ » نحو، و « شرح العقائد النسفية - ط » و«حاشية على شرح العضد على مختصر ابن الحاجب - ط » في الأصول، . . وهو أول من صنَّف من الكتب، وكان عمره ست عشرة سنة. و « شرح الأربعين النووية - ط » .

[الأعلام - جـ ٧ ص ٢١٩]

** .. ** .. ** .. **

[الغـــزالي]

[٤٥٠ - ٥٠٥ هـ = ١٠٥٨ - ١١١١م]

محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الغزالي الطوسي، أبو حامد، **حجَّة الإسلام**: فيلسوف، متصوِّف، من أعيان فقهاء الشافعية، وُلِدَ بالطابران (قصبة طوس، بخراسان)، ورحل إلى جرجان، فأخذ عن أبي نصر الإسماعيلي، ثم إلى نيسابور فأخذ عن إمام الحرمين ولازمه، ثم جلس للإقراء، وحضر مجلس نظام الملك، فأقبل عليه نظام الملك، فعظمت منزلة الغزالي. وندب للتدريس بنظامية بغداد، ثم أقبل على العبادة والسياحة، فحجَّ، ورجع إلى دمشق فاستوطنها عشر سنين، ثم سار إلى القدس والإسكندرية. وعاد إلى طوس، فطلبه الوزير فخر الدين ابن نظام الملك إلى نظامية نيسابور فأجاب إلى ذلك. ثم عاد إلى الطابران وتوفي بها. نسبته إلى صناعة الغزل (عند من يقوله بتشديد الزاي)، أو إلى غزالة من قرى طوس (لمن قال بالتخفيف).

من كتبه : «إحياء علوم الدين ـ ط »، أربع مجلدات، و«تهافت الفلاسفة ـ ط » و«الاقتصاد في الاعتقاد ـ ط » و«معارج القدس في أحوال النفس ـ خ »، و«مقاصد الفلاسفة ـ ط » و«المنقذ من الضلال ـ ط » و«بداية الهداية ـ ط » و«جواهر القرآن ـ ط » و«رسالة «أيها الولد ـ ط » و«منهاج العابدين ـط » قيل: هو آخر تآليفه و«إلجام العوام عن علم الكلام ـ ط » و«شفاء العليل ـ خ » في أصول الفقه» و«المستصفى من علم الأصول ـ خ » مجلدان. و«فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة ـ ط » و«عقيدة أهل السُّنة ـ ط » و«ياقوت التأويل في تفسير القرآن» كبير، قيل: في نحو أربعين مجلداً.

[الأعلام: جـ ٧ ص ٢٢ ، ومعجم المفسرين: جـ ٢ ص ٦١٢]

** .. ** .. **

[القاضي عياض]

[٤٧٦ ـ ٥٤٤ هـ = ١٠٨٣ ـ ١١٤٩ م]

عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن اليحصبي السبتي، أبو الفضل: عالم المغرب وإمام أهل الحديث في وقته. كان من أعلم الناس بكلام العرب وأنسابهم وأيامهم. ولي قضاء سبتة. ومولده فيها، ثم قضاء غرناطة. وتوفي بمراكش مسموماً. قيل سمّه يهودي.

من تصانيفه :

«الشفا بتعريف حقوق المصطفى» ط، و«الغنية» ـ خ ـ في ذكر مشيخته، و«ترتيب المدارك وتقريب المسالك في معرفة أعلام مذهب الإمام مالك» ـ ط أربعة أجزاء وخامس للفهارس. و«شرح صحيح مسلم» خ ـ و«مشارق الأنوار» ـ ط مجلدان في الحديث، وجمع المقّري سيرته وأخباره في كتاب «أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض»ط، ثلاثة مجلدات من أربعة، و«الاعلام بحدود قواعد الإسلام» ط، و«شرح حديث أم زرع» خ ، جزء لطيف في خزانة الرباط، والظاهرية بدمشق.

[الاعلام : جـ ٥ ص ٩٩، وما فيه من مصادر]

** .. ** .. **

[أبو بكر ابن العربي]

[٤٦٨ ـ ٥٤٣ هـ = ١٠٧٦ ـ ١١٤٨ م]

محمد بن عبد الله بن محمد المعافري الأندلسي الإشبيلي المالكي، **أبو بكر ابن العربي**: قاض، من حفاظ الحديث. ولد في اشبيلية، ورحل إلى المشرق، وبرع في الأدب، وبلغ رتبة الاجتهاد وفي علوم الدين. وصنّف كتباً في الحديث والفقه والأصول والتفسير والأدب والتاريخ. وولي قضاء إشبيلية، ومات بقرب فاس، ودفن بها. قال ابن بشكوال: ختام علماء الأندلس وآخر أئمتها وحفّاظها.

من كتبه : «**العواصم من القواصم ـ ط** » جزآن، و«**عارضة الأحوذي في شرح الترمذي ـ ط** » و«**أحكام القرآن ـ ط** » مجلدان، و«القبس في شرح موطأ ابن أنس ـ خ » في الرباط (٢٥ جلاوي)و«**المسالك على موطأ مالك ـ خ** » جزء منه في القرويين، و«**الإنصاف في مسائل الخلاف**» عشرون مجلداً و«أعيان الأعيان» و«المحصول» في أصول الفقه ، و«كتاب المتكلمين» و«قانون التأويل ـ خ » جزآن منه في التفسير. وهو غير محي الدين بن عربي.

[الاعلام : جـ ٦ ص ٢٣٠]

** .. ** .. **

[الإمام ابن الجوزي]

[٥٠٨ ـ ٥٩٧ هـ = ١١١٤ ـ ١٢٠١ م]

عبد الرحمن بن علي بن محمد، القرشي، التيمي، البكري، جمال الدين، **أبو الفرج ابن الجوزي**: مؤرخ، حافظ، محدِّث، مفسِّر، واعظ، فقيه، من علماء الحنابلة. مولده ووفاته ببغداد، ونسبته إلى «مشرعة الجوز» من محالها. وفي هذا خلاف بين المؤرخين. سمع من «الدينوري» و«البارع» وطبقتهما. وصفه ابن الجرزي: «شيخ العراق وإمام الآفاق» وقال عبد اللطيف البغدادي: «له في كل علم مشاركة، ولكنه كان في التفسير من الأعيان، وفي الحديث من الحفّاظ، وفي التاريخ من المتوسِّعين، ولديه فقه كاف، وأمّا السجع الوعظي فله فيه ملكة قوية» نالته محنة

في أواخر عمره، ونقل إلى واسط وسجن بها خمس سنين، ثم أُطلق وأعيد إلى بغداد. له نحو ٣٠٠ مصنّف، منها:

«**المنتظم في تاريخ الأمم** ـ ط» و«**الموضوعات**» ـ ط و«**جامع المسانيد**» و«**زاد المسير في علم التفسير**» ط ـ.

[معجم المفسرين : جـ ١ ص ٢٦٨ـ ٢٦٩]

** .. ** .. **

[النـــووي]

[٦٣١ - ٦٧٦ هـ.]

يحيى بن شرف بن مري بن حسن الحزامي الحوراني، **النووي** الشافعي، أبو زكريا، **محيي الدين، علّامة بالفقه والحديث**. مولده ووفاته في نوا (من قرى حوران ، بسورية)، وإليها نسبته. تعلّم في دمشق. وأقام بها زمناً طويلاً، من كتبه «تهذيب الأسماء واللغات» و**المنهاج في شرح صحيح مسلم ـ ط** » خمس مجلدات. و«**رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين ـ ط** » و«**التبيان في آداب حملة القرآن ـ ط** » و«**شرح المهذب للشيرازي ـ ط** ».

[الاعلام : جـ ٨ ص ١٤٩]

** .. ** .. **

[ابن حجر العسقلاني]

[٧٧٣ ـ ٨٥٢ هـ = ١٣٧٢ ـ ١٤٤٩ م]

أحمد بن علي بن محمد، الكناني العسقلاني، أبو الفضل، شهاب الدين، ابن حجر: حافظ الإسلام في عصره، مؤرخ، أديب، شاعر، من فقهاء الشافعية. أصله من عسقلان بفلسطين. ولد بالقاهرة، وفقد أبويه في سِنّ مبكرة، فتعهده أوصياؤه. درس الأدب والفقه واللغة والنحو، ثم أقبل على الحديث، وسافر في طلبه إلى الشام والحجاز واليمن. وعلت له شهرة، فتوافد عليه الطلاب والعلماء للأخذ عنه. وولي القضاء نحو إحدى وعشرين سنة. ثم أصبح قاضي القضاة بمصر. ودرّس التفسير بالحسينية والمنصورية، وخطب بالأزهر وجامع عمرو . زادت تصانيفه في الحديث والتاريخ والأدب والفقه والتراجم على مئة وخمسين مصنفاً، قال

السخاوي: «واعتنى بتحصيل تصانيفه كثير من شيوخه وأقرانه فمن دونهم، وكتبها الأكابر، وانتشرت في حياته واقرأ الكثير منها». ومن أشهرها: «**فتح الباري بشرح صحيح البخاري**»، و«الإصابة في تمييز الصحابة» و«**الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة**» و«**تهذيب التهذيب**»، وكلها مطبوعة في مجلدات.

[المصادر: معجم المفسرين: ١/٥١، والاعلام: ١/١٦٩]

.. ** .. **

[بدر الدين العيني]

[٧٦٢ ـ ٨٥٥ هـ = ١٣٦١ ـ ١٤٥١ م]

محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد، أبو محمد، **بدر الدين العيني** الحنفي: مؤرخ، علاّمة، من كبار المحدِّثين. أصله من حلب ومولده في عينتاب (وإليها نسبته) أقام مدّة في حلب ومصر ودمشق والقدس. وولي في القاهرة الحسبة وقضاء الحنفية ونظر السجون، وتقرّب من الملك المؤيد حتى عُدَّ من أخصائه. ولما ولي الأشرف سامره ولزمه، وكان يكرمه ويقدّمه. ثم صُرِف عن وظائفه، وعكف على التدريس والتصنيف إلى أن توفي بالقاهرة.

من كتبه: «**عمدة القاري في شرح البخاري ـ ط**» أحد عشر مجلداً، و«مغاني الأخيار في رجال معاني الآثار ـ خ» مجلدان في مصطلح الحديث ورجاله، و«**شرح سنن أبي داود ـ خ**»، **مجلدان منه**.

[الاعلام: جـ ٧ ص ١٦٣، ومعجم المفسرين: جـ ٢ ص ٦٦٠]

.. ** .. **

[ابـن الصـلاح]

[٥٧٧ ـ ٦٤٣ هـ = ١١٨١ ـ ١٢٤٥ م]

عثمان بن عبد الرحمن (صلاح الدين) بن عثمان بن موسى الكردي الشهرزوري الشرخاني، أبو عمرو، تقي الدين، **المعروف بابن الصلاح: عارف بالحديث** والفقه والتفسير وأسماء الرجال، ولد في شرخان (قرب شهر زور) وسمع بها

وبالموصل وبغداد وهمذان ونيسابور ودمشق وحلب وحرّان. ودرّس بالمدرسة الصلاحية ببيت المقدس، ثم دخل دمشق ودرّس بالرواحية، ثم ولي مشيخة دار الحديث الأشرفية، فالتدريس بالشامية الصغرى. قال ابن خلكان: «كان أحد فضلاء عصره في التفسير والحديث والفقه، وله مشاركة في عدّة فنون، وكانت فتاواة مسدّدة».

من كتبه: «**معرفة أنواع علم الحديث - ط» يعرف بمقدمة ابن الصلاح**، و«الأمالي - خ» و«الفتاوى - ط» جمعه بعض أصحابه و«**أدب المفتي والمستفتي**» و«طبقات الفقهاء الشافعية - خ».

[الاعلام: جـ ٤ ص ٢٠٧ - ومعجم المفسرين: جـ ١ ص ٣٤٢]

** .. ** .. **

[الإمام بدر الدين الزركشي]

[٧٤٥ - ٧٩٤ هـ = ١٣٤٤ - ١٣٩٢م]

محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي، أبو عبد الله، بدر الدين: عالم بفقه الشافعية والأصول. تركي الأصل، مصري المولد والوفاة. له تصانيف كثيرة في عدّة فنون، منها:

«**الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة**» - ط و«لقطة العجلان» - ط في أصول الفقه، و«الديباج في توضيح المنهاج» - خ، فقه، و«**التنقيح لألفاظ الجامع الصحيح**»، خ. و«البرهان في علوم القرآن - ط» و«تفسير القرآن العظيم» وصل فيه إلى سورة مريم

[الاعلام: جـ ٦ ص ٦٠ ومعجم المفسرين: جـ ٢ ص٥٠٥]

[ابن بطّال]

[... - ٩٤٩ = ... - ١٠٥٧م]

علي بن خلف بن عبد الملك بن بطّال، أبو الحسن: عالم بالحديث، من أهل قرطبة. له «**شرح البخاري**» خ الجزء الأول منه والثالث والرابع في الأزهرية، والثاني [كتب سنة ٧٧٦] في خزانة القرويين بفاس، والخامس [الأخير منه] شستربتي (٤٧٨٥)، ومنه قطعة مخطوطة في استنبول، أولها: باب زيادة الإيمان ونقصانه.

[الاعلام : جـ ٤ ص ٢٨٥]

[ابـن فورك]

[. . . - ٤٠٦ هـ = . . . - ١٠١٥م]

محمـد بن الحسن بن فورك الأنصـاري الأصبهاني، أبـو بكـر: فقيـه شـافعي، متكلِّم، أُصولي، مفسِّر، محـدِّث، واعظ، أديب، نحوي. سمـع بالبصـرة وبغداد، وورد الريّ، وحدّث بنيسابور، وبُني له بها مدرسة وداراً. ثم دُعي إلى غُزنة بالهند، وجرت له بها مناظرات، فلما عاد إلى نيسابور سُمَّ في الطريق، فمات، فنقل إليها.

له كتب كثيرة، قال ابن عساكر: بلغت تصانيفه في أُصول الـدين وأُصول الفقـه ومعاني القرآن قـريباً من المـائة، منهـا: «**مشكل الحـديث وغريبـه ـ ط** » و«النظامي ـ خ » في أصول الدين، الّفه لنظام الملك، و«الحدود ـ خ » في الأصول، و«أسمـاء الرجال ـ خ » و«حـلّ الآيات المتشـابهات ـ خ » و«غـريب القرآن ـ خ » و«رسـالة في علم التوحيد ـ خ ».

[معجم المفسرين : جـ ٢ ص ٥١٤ ، والاعلام : جـ ٦ ص ٨٣]

** . . ** . . **

[المــازري]

[٤٥٣ ـ ٥٣٦ هـ = ١٠٦١ ـ ١١٤١م]

محمـد بن علي بن عمر التيمي المـازري، أبـو عبـد الله: محـدِّث، من فقهـاء المالكية، نسبته إلى «مازر» (MAZZARA) بجزيرة صقلية، ووفاتـه بالمهـدية. لـه «**المعلم بفوائد مسلم ـ خ** » في الحديث، وهو ما علّق به على صحيـح مسلم، حين قراءته عليه سنة ٤٩٩ ، وقيّده تلاميذه. فمنه ما هو بحكـاية لفـظة وأكثره بمعنـاه. . . ومن كتبـه: «التلقين ـ خ » في الفـروع و«الكشف والإنبــاء» في الـردّ على الإحيــاء للغزالي، و«إيضاح المحصـول في الأصول» وكتب في الأدب. وصنّف حسن حسني عبد الوهاب: «**الإمام المازري ـ ط** » في سيرتـه، وتسلسل السنـد العلمي بإفـريقية، من لدن العهد العربي إلى القرن الثامن للهجرة.

[الاعلام: جـ٦ ص ٢٧٧]

** . . ** . . **

[الكرمـــاني]

[٧١٧ - ٧٨٦ هـ = ١٣١٧ - ١٣٨٤ م]

محمد بن يوسف بن علي بن سعيد، شمس الدين **الكرماني**: عالم بالحديث، والفقه والتفسير. أصله من كرمان. اشتهر في بغداد، قال ابن حجي: «تصدّى لنشر العلم ببغداد ثلاثين سنة. وأقام مدة بمكة. وفيها فرغ من تأليف كتابه «**الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري - ط**» خمسة وعشرون جزءاً صغيراً، قال ابن قاضي شهبة: فيه أوهام وتكرار كثير ولا سيما في ضبط أسماء الرواة. وله «ضمائر القرآن - خ» و«حاشية» على أنوار التنزيل، في التفسير، للبيضاوي، وَصَلَ فيها إلى سورة يوسف. و«النقود والردود في الأصول - خ» مختصره، و«شرح لمختصر ابن الحاجب» سماه «السبعة السيارة» لأنه جمع فيه سبعة شروح و«أنموذج الكشاف - خ» تعليق عليه. ومات راجعاً من الحج في طريقه إلى بغداد، ودفن فيها.

[الاعلام : جـ ٧ ص ١٥٣، ومعجم المفسرين: جـ ٢ ص ٦٥٦]

.. ** .. **

[الحافظ العراقــي]

[٧٢٥ - ٨٠٦ هـ = ١٣٢٥ - ١٤٠٤ م]

عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن، أبو الفضل، زين الدين، المعروف **بالحافظ العراقي**: بحاثة، من كبار حفّاظ الحديث. أصله من الكرد، ومولده في رازان ومن أعمال اربيل، العراق، تحوّل صغيراً مع أبيه إلى مصر، فتعلّم ونبغ بها. وقام برحلة إلى الحجاز والشام وفلسطين، وعاد إلى مصر، فتوفي في القاهرة من كتبه: **«المغني عن حمل الأسفار في الأسفار - ط» في تخريج أحاديث «الإحياء»**، و«نكت منهاج البيضاوي» في الأصول، و«ذيل على الميزان» و**«الألفية - ط» في مصطلح الحديث**، وشرحها «فتح المغيث - ط» و**«التحرير - خ» في أصول الفقه**، و«التقييد والإيضاح - ط» في مصطلح الحديث.

[الاعلام : جـ ٣ ص ٣٤٤]

** .. ** .. **

[الراغب الأصفهاني]

[. . . - ٥٠٢-٨ هـ = . . . - ١١٠٨ م]

الحسين بن محمد بن المفضل، أبو القاسم، المعروف بالراغب الأصفهاني: أديب، إمام من حكماء العلماء، اشتهر بالتفسير واللغة. أصله من أصفهان، وعاش ببغداد. قال السيوطي: كان في ظنّي أنَّ الراغب معتزلي، حتى رأيت بخط الشيخ بدر الدين الزركشي على ظهر نسخة من «القواعد الصغرى» لابن عبد السلام ما نصّه: «ذِكْر الإمام فخر الدين الراغب من أئمة السُّنَّة» وقرنه بالغزالي، قال: وهي فائدة حسنة، بأن كثيراً من الناس يظنُّون أنه معتزلي».

من كتبه : **«تحقيق البيان في تأويل القرآن» و«تفسير الراغب»**، لعله جامع التفاسير - وقد طبعت مقدمته. قال صاحب كشف الظنون: وهو تفسير معتبر في مجلد، أورد في أوله مقدمات نافعة في التفسير وطرزه إنه أورد جملاً من الآيات ثم فسّرها تفسيراً مشبعاً، وهو أحد مآخذ أنوار التنزيل للبيضاوي» و**«المفردات في غريب القرآن»** تتبَّع فيه دوران كل لفظ في الآيات القرآنية، وأتى بالشواهد عليه من الحديث والشعر، وأورد ما أخذ منه من مجاز وتشبيه، ورتّبه على الألفباء، **فأصبح من أهم الكتب المفسِّرة لألفاظ القرآن»**.

[معجم المفسرين : جـ ١ ص ١٥٨ - ١٥٩]

** .. ** .. **

[الإمام الماوردي]

[٣٦٤ - ٤٥٠ هـ = ٩٧٤ - ١٠٥٨م]

علي بن محمد بن حبيب، أبو الحسن **الماوردي**: أقضى قضاة عصره. من العلماء الباحثين، أصحاب التصانيف الكثيرة النافعة. ولد في البصرة، وانتقل إلى بغداد. وولي القضاء في بلدان كثيرة، ثم جعل «أقضى القضاة» في أيام القائم بأمر الله العباسي. وكان يميل إلى مذهب الاعتزال، وله المكانة الرفيعة عند الخلفاء، وربما توسَّط بينهم وبين الملوك وكبار الأمراء في ما يصلح به خللاً أو يزيل خلافاً.

من كتبه : **«أدب الدنيا والدين» - ط و«الأحكام السلطانية» - ط و«أعلام النبوّة» - ط** .

[الاعلام : جـ ٤ ص ٣٢٧ وما فيه من مصادر]

** .. ** .. **

[علي الرِّضى]

[١٥٣ - ٢٠٣ هـ = ٧٧٠ - ٨١٨ م]

علي بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق، أبو الحسن، **الملقّب بالرضى**: ثامن الأئمة الأثني عشر عند الإمامية، ومن أجلّاء السادة أهل البيت وفضلائهم. ولد في المدينة. وكان أسود اللون أُمّه حبشية. وأحبّه المأمون العباسي، فعهد إليه بالخلافة من بعده، وزوّجه ابنته، وضرب اسمه على الدينار والدرهم، وغيَّر من أَجْلِهِ الزيّ العباسي الذي هو السواد فجعله أخضر، وكان هذا شعار أهل البيت، فاضطرب العراق، وثار أهل بغداد، فخلعوا المأمون، وهو في «طوس» وبايعوا لعمه إبراهيم ابن المهدي، فقصدهم المأمون بجيشه، فاختبأ إبراهيم ثم استسلم وعفا عنه المأمون. ومات علي الرضى في حياة المأمون بطوس، فدفنه إلى جانب أبيه الرشيد، ولم تتمّ له الخلافة، وعاد المأمون إلى السواد، فاستألف القلوب ورضي عنه الناس.

[الاعلام : جـ ٥ ص ٢٦]

** .. ** .. **

[أبو إسحاق النيسابوري الثعلبي]

[... - ٤٢٧ هـ = ... - ١٠٣٥م]

أحمد بن محمد بن إبراهيم، أبو إسحاق: مفسِّر، من أهالي نيسابور، له اشتغال بالتاريخ. من كتبه: «**عرائس المجالس**» ط، في قصص الأنبياء، و«**الكشف والبيان في تفسير القرآن**»، خ -، يعرف بتفسير الثعلبي.

[الاعلام : جـ ١ ص ٢١٢ وما فيه من مصادر]

** .. ** .. **

[عبد القاهر البغدادي]

[... - ٤٢٩ هـ = ... - ١٠٣٧ م]

عبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله البغدادي، التميمي الاسفراييني، **أبو منصور**: فقيه، شافعي، عالم متفنن، من أئمة الأصول. كان صدر الإسلام في عصره. ولد ونشأ في بغداد، ورحل إلى خراسان فاستقرّ في نيسابور. وفارقها على

أثـر فتنة التـركمان. ومـات في إسفرائين. كـان يدرِّس في سبعـة عشر فنّـاً، وكان ذا ثروة. من تصانيفه «أُصول الدين» ـ ط و«التحصيل» في أصـول الفقه، و«الفـرق بين الفرق»ـ ط .

[الاعلام : جـ ٤ ص٤٨ ، ومعجم المفسرين: جـ١ ص ٢٩٤ ـ ٢٩٥]

** .. ** .. **

[نعمة الله الجزائـري]

[١٠٥٠ ـ ١١١٢ هـ = ١٦٤٠ ـ ١٧٠١ م]

نعمـة الله بن عبد الله بن محمـد بن حسين الحسيني **الجـزائـري**: نسبتـه إلى جزائر البصرة، من فقهاء الإمامية. ولد في قرية «الصباغية» من قراها، وقرأ بهـا، ثم بشيراز فأصفهان.

له كتب، منهـا:

«**النور المبين في قصص الأنبياء والمـرسلين**» ـ ط و«فروق اللغـة» ـ ط و«مقصود الأنام في شرح تهذيب الأحكام» اثنا عشر مجلداً.

[الاعلام : جـ ٨ ص ٣٩، وما فيه من مصادر]

** .. ** .. **

[الـــداودي]

[. . . . . ـ ٩٤٥ هـ = . . .ـ ١٥٣٩ م]

محمـد بن علي بن أحمد، شمس الـدين الـداودي: شيـخ أهـل الحـديث في عصره، من علماء الشافعية، قيل: وكان مالكياً، عاش في القاهرة، وتلمذ للحـافظ المؤرخ العالم جلال الدين السيوطي. ذكره الغزالي وقال: أثنى عليه المسند العلاّمة جمـال الدين بن فهـد، وشيخ الإسـلام الوالـد». توفي بـالقاهـرة ودُفِنَ بتربـة فيـروز بالصحراء خارج باب النصر.

من آثاره : «**طبقات المفسرين**» في مجلدين حقّقه الأستـاذ علي محمد عمـر، وطبـع بمصر سنـة ١٣٩٢ هـ ـ ١٩٧٢ م و«الاتحـاف بتمييـز مـا تبـع فيـه البيضـاوي صاحب الكشاف».

[معجم المفسرين : جـ ٢ ص ٥٨٩]

** .. ** .. **

[السّفاريني]

[١١١٤ ـ ١١٨٨ هـ = ١٧٠٢ ـ ١٧٤٤ م]

محمد بن أحمد بن سالم السفاريني، شمس الدين، أبو العون: عالم بالحديث والأصول والأدب، محقّق. ولد في سفارين (من قرى نابلس) ورحل إلى دمشق فأخذ عن علمائها. وعاد إلى نابلس فدرّس وأفتى، وتوفي فيها.

من كتبه: «**الدراري المصنوعات في اختصار الموضوعات** ـ خ»، عند يوسف زخور بدمشق، و«كشف اللثام، شرح عمدة الأحكام ـ خ»، في الظاهرية بدمشق، و«تحبير الوفا في سيرة المصطفى» و«التحقيق في بطلان التلفيق» و«فتاوى» متفرقة.

[الاعلام : جـ ٦ ص ١٤]

** .. ** .. **

[الطباطبائي]

[١٣٢١ ـ ١٤٠٤ هـ = ١٩٠٣ ـ ١٩٨٣م]

محمد حسين الطباطبائي، مفسر، فيلسوف، زاهد، من أكابر علماء الشيعة الإمامية، ولد في تبريز، وبها أكمل تعليمه الابتدائي، وفي الثانية والعشرين من عمره انتقل إلى النجف في العراق، حيث واصل دراسته، وكان أكثر اهتمامه منصباً على الحكمة والأصول والتفسير والفقه، ولم يغادر النجف حتى نال درجة الاجتهاد، عاد بعدها إلى ايران وتصدّر للتدريس في مدينة «قمّ» فاجتمع حوله المئات من طلبة العلوم الدينية من كل أنحاء إيران ليتعلموا على يديه العلم والتربية والفكر. من آثاره: «**الميزان في تفسير القرآن**» في عشرين مجلداً، طبع.

[معجم المفسرين : جـ ٢ ص ٧٧٧]

** .. ** .. **

[الإمام محمد عبـده]

[١٢٦٦ - ١٣٢٣ هـ = ١٨٤٩ - ١٩٠٥ م]

محمد عبده بن حسن خير الله، من آل التركماني: مفتي الديار **المصرية**، ومن كبار رجال الاصلاح والتجديد في الإسلام. قال عنه من كتبوا عنه: تتلخص رسالة حياته في أمرين: **الدعوة إلى تحرير الفكر من قيد التقليد، ثم التمييز بين ما للحكومة من حقٍّ الطاعة على الشعب وما للشعب من حقٍّ العدالة على الحكومة**».

ولد بحصة شبشير (من قرى الغربية بمصر)، ونشأ في محلة نصر (بالبحيرة) وأحبَّ في صباه الفروسية والرماية والسباحة. وتعلَّم بالجامع الأحمدي بطنطا، ثم بالأزهر. واتّجه إلى دراسة العلوم الطبيعية والتاريخية إلى جانب العلوم الإسلامية، وجاء جمال الدين الأفغاني إلى مصر، فلازمه وأخذ عنه الفلسفة والمنطق وتأثَّر به كثيراً. ونال شهادة العالمية سنة ١٨٧٧ م ، فاشتغل بالتدريس في دار العلوم ومدرسة الألسن. وأخذ ينشر آراءه الحرّة في الصحف ولا سيما جريدة «الوقائع المصرية» وقد تولى تحريرها. مما أثار عليه حقد المحافظين، فعزل من وظيفته وأُبعد إلى قريته، وأجاد اللغة الفرنسية بعد الأربعين. ولما احتلّ الانكليز مصر ناوأهم. وشارك في مناصرة الثورة العرابية، فسجن ٣ أشهر للتحقيق، ونفي إلى بلاد الشام سنة ١٢٩٩ هـ (١٨٨١ م)، وسافر إلى باريس فأصدر مع صديقه وأُستاذه جمال الدين الأفغاني جريدة «العروة الوثقى» وعاد إلى بيروت، فاشتغل بالتدريس والتأليف، ولقيه الأمير شكيب أرسلان، وأخذ عنه واستفاد منه. وسمح له بدخول مصر، فعاد سنة ١٣٠٦ هـ (١٨٨٨ م) وتولى منصب القضاء، ثم جُعل مستشاراً في محكمة الاستئناف، **فمفتياً للديار المصرية** (سنة ١٣١٧ هـ) واستمر إلى أن توفي بالإسكندرية، ودفن بالقاهرة.

من آثاره : «تفسير جزء عمّ - ط » قال أحد مؤرخيه: «ويتلخص منهجه في تفسير القرآن، في فهم الدلالة اللغوية، واستخدام العقل، والاستفادة من التقدّم العلمي، وطرح البدع والخرافات. وقد صوّر العقيدة الإسلامية تصويراً سليماً، وأنشأ جيلاً من العلماء حذا حذوه في التفسير، **على رأسه محمد رشيد رضا**

ومحمد مصطفى المراغي»، وله أيضاً: «رسالة التوحيد ـ ط» و«شرح نهجة البلاغة ـ ط» و«الإسلام والردّ على منتقديه ـ ط» من مقالاته: «والإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية ـ ط» وترجم رسالة «الردّ على الدهريين ـ ط» وللسيد محمد رشيد رضا كتاب جمع فيه آثاره وأخباره وما قيل في رثائه، سمّاه «تاريخ الأستاذ الإمام ـ ط» في ثلاثة أجزاء كبيرة.

[**الأعلام**: جـ ٦ ص ٢٥٢، ومعجم المفسرين: جـ ٢ ص ٥٦٦ ـ ٥٦٧]

** .. ** .. **

[محمد رشيد رضا]

[١٢٨٢ ـ ١٣٥٤ هـ = ١٨٦٥ ـ ١٩٣٥م]

محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن منلا علي خليفة، القلموني، البغدادي الأصل، الحسيني النسب: السيد الإمام حجّة الإسلام في هذا العصر، عالم بالحديث والتفسير والأدب والتاريخ، ومن كبار الدعاة إلى التجديد، والإصلاح في العالم الإسلامي، وصاحب مجلة «المنار»، ولد ونشأ بالقلمون، من أعمال طرابلس الشام، وتعلّم فيها وفي طرابلس وبيروت. ورحل إلى مصر سنة ١٣١٥ هـ (١٨٩٧ م)، فلازم الإمام الشيخ محمد عبده وتتلمذ له. ثم أصدر مجلة «المنار» (١٥ مارس ١٨٩٨) لبث آرائه في الإصلاح الديني والاجتماعي، فكانت في طليعة المجلات العربية والإسلامية. رحل إلى الهند والحجاز وأوروبا، وعاد ليستقر في القاهرة، أشهر آثاره مجلة «المنار» (٣٤ مجلداً) و« تفسير القرآن » ١٢ مجلداً، ولم يكمله. وهو له وليس للإمام محمد عبده كما يشاع.

[**معجم المفسرين** : جـ ٢ صفحة ٥٢٩]

** .. ** .. **

[الإمام محمد مصطفى المراغي]

[١٢٩٨ ـ ١٣٦٤ هـ = ١٨٨١ ـ ١٩٤٥ م]

محمد بن مصطفى بن محمد بن عبد المنعم المراغي. باحث مصري، عارف بالتفسير والفقه، من دعاة التجديد والاصلاح، ممن تولوا مشيخة الجامع الأزهر،

عرف بمحمد مصطفى. ولد بالمراغة (من جرجا في الصعيد)، وتعلّم بالقاهرة، وتتلمذ للشيخ محمد عبده. وولي أعمالاً، منها القضاء الشرعي فقاضي القضاة في السودان (سنة ١٩٠٨ - ١٩١٩ م)، وتعلّم الانجليزية في خلالها. وعين شيخاً للأزهر سنة ١٩٢٨ م ، فمكث عاماً. وأُعيد سنة ١٩٣٥، فاستمر إلى أن توفي بالإسكندرية ودفن في القاهرة. له تآليف، منها:

«**بحث في ترجمة القرآن الكريم إلى اللغات الأجنبية، ط**» رسالة. و«تفسير سورة الحجرات » ط - و«**تفسير سورة الحديد وآيات من سورة الفرقان - ط**، و«تفسير سورتي لقمان والعصر» ط، و«**بحوث في التشريع الإسلامي**» ط، رسالة .

[الاعلام : جـ ٧ ص ١٠٣ ، وما فيه من مصادر]

**** .. ** .. ** .. ****

[محمود شلتوت]

[١٣١٠ - ١٣٨٣ = ١٨٩٣ - ١٩٦٣ م]

فقيه ، مفسر ، مصري . ولد في منية بني منصور (بالبحيرة) وتخرج بالأزهر (١٩١٨)، وتنقل في التدريس إلى أن نقل للقسم العالي بالقاهرة (١٩٢٧)، وكان داعية إصلاح، نيِّر الفكرة، يقول بفتح باب الاجتهاد، وسعى إلى إصلاح الأزهر، فعارضه بعض كبار الشيوخ، وطرد هو ومناصروه، فعمل في المحاماة (١٩٣١ - ١٩٣٥)، وأُعيد إلى الأزهر، فعين وكيلاً لكلية الشريعة، ثم كان من أعضاء هيئة كبار العلماء (١٩٤١)، ومن أعضاء مجمع اللغة العربية (١٩٤٦)، ثم شيخاً للأزهر (١٩٥٨) إلى وفاته ١٩٦٣. وكان خطيباً موهوباً، جهير الصوت. له ٢٦ مؤلفاً مطبوعاً، منها التفسير أجزاء منه في مجلد، ولم يتم، و«حكم الشريعة في استبدال النقد بالهدي» و«القرآن والمرأة» رسالة، و« القرآن والقتال » و « هذا هو الإسلام» و « عنصر الخلود في الإسلام» و « الإسلام والتكافل الاجتماعي » و « أحاديث الصباح في المذياع» و « فقه القرآن والسنّة» الجزء الأول و«الفتاوى» و « الإسلام عقيدة وشريعة» و « الإسلام والوجود الدولي».

[معجم المفسرين: جـ ٢ ص ٦٦٣]

**** .. ** .. ****

[محمد ابو زهرة]

[١٣١٦ - ١٣٩٤ هـ = ١٨٩٨ - ١٩٧٤م]

محمد بن أحمد أبو زهرة: أكبر علماء الشريعة الاسلامية في عصره. مولده بمدينة المحلّة الكبرى، وتربّى بالجامع الأحمدي، وتعلّم بمدرسة القضاء الشرعي (١٩١٦ - ١٩٢٥) وتولّى تدريس العلوم الشرعية والعربية ثلاث سنوات، وعلّم في المدارس الثانوية سنتين ونصفاً. وبدأ اتجاهه الى البحث العلمي في كلية أصول الدين (١٩٣٣) وعيِّن أستاذاً محاضراً للدراسات العليا في الجامعة (١٩٣٥) وعضواً للمجلس الأعلى للبحوث العلمية. وكان وكيلاً لمعهد الدراسات الإسلامية، وأصدر من تأليفه أكثر من ٤٠ كتاباً، منها المطبوعات الآتية:

«الخطابة» و«تاريخ الجدل في الإسلام» و«أصول الفقه» و«الملكية ونظرية العقد في الشريعة الإسلامية» و«تواريخ مفصَّلة ودراسات فقهية أصولية للأئمة الأربعة» فأخرج لكل إمام كتاباً ضخماً: أبو حنيفة، مالك، الشافعي، ابن حنبل، ومن كتبه المطبوعة أيضاً: «الأحوال الشخصية» و«أحكام التركات والمواريث» و«خلاصة أحكام الأحوال الشخصية والوصايا والمواريث» كتبها إجابة لطلب معهد القانون الدولي بواشنطن، وترجمت الى الإنجليزية، وله «الوحدة الإسلامية» و«تنظيم الإسلام للمجتمع» و«الجريمة والعقوبة في الشريعة الإسلامية» و«محاضرات في مقارنات الأديان» و«محاضرات في المجتمع الاسلامي» و«**العقيدة الإسلامية كما جاء بها القرآن الكريم**» وله تفسير مخطوط من أول الفاتحة والبقرة الى نهاية سورة النمل. وكانت وفاته بالقاهرة عليه رحمة الله.

[الاعلام: جـ٦ ص ٢٥ - ٢٦]

....**

[عبد الوهاب النجار]

[١٢٧٨ - ١٣٦٠ هـ - ١٨٦٢ - ١٩٤١ م]

عبد الوهاب ابن الشيخ سيد أحمد النجار: باحث، يُسلك في عداد المؤرخين، من فقهاء مصر، ولد في القرشية (من قرى الغربية بمصر) وتعلم بها ثم في طنطا،

وانتقل إلى القاهرة، فتخرّج بمدرسة دار العلوم سنة ١٣١٥ هـ واشتغل بالمحاماة الشرعية، ثم عيِّن مدرساً للأدب والشريعة في كلية الخرطوم، فأستاذاً للأدب في مدرسة البوليس بالقاهرة. فأستاذاً للتاريخ الإسلامي في الجامعة المصرية القديمة، فأستاذاً للشريعة في دار العلوم، فناظراً لمدرسة عثمان ماهر باشا، إلى آخر حياته. واشترك في أكثر الجمعيات الإسلامية، وفي مقدمتها جمعية الشبان المسلمين. وألَّف كتباً، منها «زهرة التاريخ ـ ط» الجزء الأول منه، مدرسي و«تاريخ الإسلام» في ستة أجزاء: طبع منها جزءان، **وقصص الأنبياء ـ ط** و«تاريخ الخلفاء الراشدين ـ ط» و«الأيام الحمراء» وهو مفصل أخبار الثورة المصرية سنة ١٩١٩ م على طريقة يوميات الجبرتي، نشره تباعاً في جريدة البلاغ، و(مذكرات عن الهند) ـ خ كتبها بعد رحلة إليها، وكان خطيباً، حاضراً البديهة، له إلمام ببعض اللغات السامية، توفي ودفن بالقاهرة.

[الأعلام: ٤. ص ١٨٢، الطبعة الرابعة ١٩٨٠ ـ دار العلم للملايين]

**. . ** . . **

[عبد الوهاب خلاَّف]

[١٣٠٥ ـ ١٣٧٥ هـ = ١٨٨٨ ـ ١٩٥٦ م]

عبد الوهاب بن عبد الواحد خلاَّف: فقيه، من الكتّاب العلماء، مفسِّر، ولد بكفر الزَّيات، والتحق بالأزهر سنة ١٩٠٠، وتخرّج بمدرسة القضاء الشرعي عام ١٩١٥، وعيِّن مدرِّساً بها في نفس السنة. اشترك في ثورة سنة ١٩١٩، فعُرف بمواقفه الخطابية والكتابية، فأُجبر على ترك المدرسة، وانتقل الى القضاء الشرعي، فعيِّن قاضياً بالمحاكم الشرعيّة سنة ١٩٢٠، ثم مديراً للمساجد بوزارة الأوقاف سنة ١٩٢٤، إلى أن عيِّن مفتشاً بالمحاكم الشرعية في منتصف سنة ١٩٣١. وفي اوائل سنة ١٩٣٤ انتدبته كلية الحقوق بجامعة القاهرة مدرِّساً بها، واستمرّ أُستاذاً لكرسي الشريعة الإسلامية حتى أُحيل الى المعاش سنة ١٩٤٨ حين أقعده المرض عن إلقاء المحاضرات. انتخب عضواً بمجمع اللغة العربية فأشرف على وضع معجم القرآن، وألقى سلسلة محاضرات في تفسير القرآن الكريم لعدّة سنوات بدار الحكمة.

من آثاره: **«نور من القرآن الكريم»** في التفسير، «أحكام الوقف في الشريعة

الإسلامية» و«**علم أصول الفقه**» و«السياسة الشرعية او نظام الدولة الإسلامية في الشؤون الدستورية والخارجية والمالية» و«تاريخ التشريع الإسلامي» و«الاجتهاد والتقليد» و«الأحوال الشخصية» و«أحكام المواريث».

[**معجم المفسرين**: جـ ١ ص ٣٣٨، والأعلام: جـ ٤ ص ١٨٤]

**.. ** .. **

[سيد قطب]

[١٣٢٤ - ١٣٨٧ هـ = ١٩٠٦ - ١٩٦٦ م]

سيد بن قطب بن إبراهيم: كاتب، عالم بالتفسير، من كبار المفكرين الإسلاميين والأدباء في مصر في الثلث الثاني من القرن العشرين، ومن شهداء النهضة الإسلامية الحديثة، ولد في قرية «موشا» في أسيوط، تعلّم بالقاهرة، وتخرّج بكلية العلوم سنة ١٣٥٣ هـ (١٩٣٤ م) وعمل في جريدة «الأهرام» وكتب في مجلتي «الرسالة» و«الثقافة» واشتغل بالتدريس، ثم عيِّن موظفاً في ديوان وزارة المعارف، فمراقباً فنياً للوزارة. وفي سنة ١٩٤٨ أوفد في بعثة رسمية لدراسة برامج التعليم في الولايات المتحدة، له كتب كثيرة للدفاع عن الإسلام والتعريف به، منها «**التصوير الفني في القرآن**» و«**مشاهد القيامة في القرآن**» و«**في ظلال القرآن**» طبع مرات عديدة. رحمه الله.

[معجم المفسرين: جـ ١ ص ٢١٩]

**.. ** .. **

[محمد محمد المدني]

[١٩٠٧ - ١٩٦٨ م]

محمد بن محمد المدني: كاتب، عالم بالتفسير والشريعة، ومن كبار المفكرين ورجال الإصلاح الإسلامي والأدباء المعاصرين، كالشيخ محمود شلتوت والمراغي.

ولد الشيخ محمد محمد المدني بمركز المحمودية بحيرة في ٢٨ من سبتمبر ١٩٠٧ م، وأتم حفظ القرآن الكريم قبل أن تبلغ سِنُّه الثانية عشرة، وعرف بالنبوغ والتقدّم المتواصل، وحصل على الشهادة الثانوية في ابريل عام ١٩٢٧ م.. ثم حصل على الشهادة العالمية بتفوّق في اكتوبر ١٩٢٧.. ماكثاً بالجامعة أقلّ من سنة دراسية، وهو ما لم يتحقق لغيره من العلماء، وحصل على العالمية من درجة استاذ

(الدكتوراه) من قسم التخصص بالأزهر في علوم البلاغة والأدب عام ١٩٣٠

تقدّم بانتاجه العلمي والفكري للإنضمام الى هيئة جماعةكبار العلماء، ـ وقُبِلَ هذا الانتاج ـ ووفق على انضمامه للجماعة.. وقد كان قانون الجماعة يشترط ٤٠ سنة حدّاً أدنى لسنّ العضو، وقد تأجل انضمامه لحين بلوغه السِّنّ القانونية، وقد أغلقت الجماعة قبل بلوغه السِّن القانونية.

في عام ١٩٥٦ عيِّن أستاذاً للشريعة الإسلامية في كلية دار العلوم بجامعة القاهرة، ورئيساً لقسم العلوم الإسلامية بها، وفي مارس ١٩٥٩، عيِّن عميداً لكلية الشريعة بجامعة الأزهر.

من مصنّفاته: «المجتمع الإسلامي كما تنظمه سورة النساء ـ ط» و«القطعيات والظَّنِّيَّات ومواطن الاجتهاد في الشريعة الاسلامية ـ ط» و«القصص الهادف كما نراه في سورة الكهف ـ ط» وله تحت الطبع «اجتهادات الفاروق عمر بن الخطاب» يصدر قريباً عن دار الفتح للطباعة والنشر في بيروت

عمل أستاذاً ورئيساً لقسم الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة الكويت اعتباراً من اول اكتوبر ١٩٦٧، الى ان لقي ربّه في أول مايو ١٩٦٨ م، رحمه الله، وأسكنه فسيح جنّاته.

....**

[حسن العشماوي]

[١٣٤٠ ـ ١٣٩١ هـ = ١٩٢١ ـ ١٩٧٢ م]

حسن بن محمد العشماوي: كاتب، محام، من رجالات النهضة الإسلامية الحديثة، ولد في المنيا بصعيد مصر، وأتم دراسة الحقوق في القاهرة سنة ١٩٤٢، ثم تخصّص في القانون الخاص والشريعة الإسلامية، مارس أعمال النيابة العامة والمحاماة والقضاء، وشارك في الحياة السياسية المصرية، واختير عضواً في لجنة وضع الدستور المصري سنة ١٩٥٣. مات في الكويت. من آثاره: «مع القرآن.. زاد الرحلة الأولى في كتاب الله..» وهو في جزء واحد: تفسير الفاتحة والبقرة وآل عمران.. وله تفسير سورة النساء، وتفسير سورة الإسراء، وكتاب «حصاد الأيام أو

مذكرات هارب» و«الأيام الحاسمة» و«قلب آخر لأجل الزعيم» و«تركة الشيخ عليش» و«هكذا نربي أولادنا».

[معجم المفسرين: جـ ٢ ص ٧٦٩]

** .. ** .. **

[أحمد مصطفى المراغي]
[١٣٧١ هـ ــ ١٩٥٢ م]

أحمد بن مصطفى المراغي: مفسِّر من العلماء. تخرّج بدار العلوم بالقاهرة، ثم درَّس بها، وعيِّن أستاذاً للعربية والشريعة الإسلامية بكلية غوردون بالخرطوم. توفي بالقاهرة، من آثاره: «تفسير القرآن»، ويعرف بتفسير المراغي، طبع في ثماني مجلدات.

[معجم المفسرين : جـ ١ ص ٨٠]

** .. ** .. **

فهـرس الأعـلام

[ب]

[ص]

[ط]

** .. **

[ع]

** .. ** .. **

[ن]

** .. ** .. **

[هـ]

** .. ** .. **

[و]

** .. ** .. **

[ي]

** .. ** .. **

المصـادر والمـراجع

١ ـ القرآن الكريم.

٢ ـ صحيح البخـاري.

٣ ـ صحيح مسلم.

٤ ـ سنن الترمـذي.

٥ ـ جامع البيان في تفسير القرآن: [محمد بن جرير بن يزيد الطبري].

٦ ـ معالم التنزيل: [العلامة أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي].

٧ ـ التفسير الكبير «مفاتيح الغيب»: [للإمام فخر الدين الرازي].

٨ ـ الجـامع لأحكـام القـرآن: [لـلإمـام عبـد الله بن محمـد بن أحمـد الأنصـاري القرطبي].

٩ ـ تفسير القرآن الكريم: [للإمام إسماعيل بن عمر بن كثير].

١٠ ـ الكشـاف في تفسير القـرآن: [لـلإمـام محمـد بن عمـر بن محمـد بن أحمـد الخوارزمي الزمخشري].

١١ ـ الدُّرّ المنثور في التفسير بالمأثور: [للإمام عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي].

١٢ ـ مدارك التنزيل وحقائق التأويل: [للعلامة أبي البـركات عبـد الله بن أحمد بن مسعود النسفي].

١٣ ـ لبـاب التأويـل في معاني التنـزيل: [للعـلامة عـلاء الدين علي بن محمـد بن إبراهيم البغدادي، المعروف بالخازن].

١٤ ـ أنوار التنزيل وأسرار التأويل: [للعلامة عبد الله بن عمر بن محمد ناصر الدين البيضاوي].

١٥ ـ السـراج المنيـر: [للعلاَّمة الشيخ الخطيب الشربيني].

١٦ ـ تفسير أبي السعود: [للعلاَّمة محمد بن محمد بن مصطفى المولى، أبو السعود].
١٧ ـ روح البيان في تفسير القرآن: [للعلامة الشيخ إسماعيل حقِّي البرسوي].
١٨ ـ فتح القدير الجامع بين فنَّي الرواية والدراية من علم التفسير: [للإمام محمد بن علي بن محمد الشوكاني].
١٩ ـ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: [للإمام العلاَّمة محمود الآلوسي].
٢٠ ـ تفسير المنار : [للإمام السيد محمد رشيد رضا]، الناشر: دار المعرفة ـ بيروت [نسخة مصورة].
٢١ ـ تفسير المراغي : [للعلاَّمة الشيخ أحمد مصطفى المراغي].
٢٢ ـ التفسير الواضح : [للدكتور محمد محمود حجازي]، الناشر: دار الجيل، بيروت.
٢٣ ـ الميزان في تفسير القرآن: [للعلاَّمة محمد حسين الطباطبائي].
٢٤ ـ في ظلال القرآن: [للشهيد سيد قطب]، الناشر: دار الشروق ـ القاهرة ـ بيروت.
٢٥ ـ مع القرآن.. زاد الرحلة الأولى في كتاب الله: [للمرحوم الأستاذ حسن العشماوي] ـ دار الفتح ـ بيروت.
٢٦ ـ أوضح التفاسير: [للعلاَّمة الأستاذ محمد محمد عبد اللطيف، المعروف بابن الخطيب].
٢٧ ـ الإسلام عقيدة وشريعة: [للإمام الشيخ محمود شلتوت، الناشر: دار الشروق ـ بيروت ـ القاهرة ـ الطبعة التاسعة، ١٣٩٧ هـ ـ ١٩٧٧ م .
٢٨ ـ آدم عليه السلام (فلسفة تقويم الإنسان وخلافته): [البهيّ الخولي،]، الناشر: مكتبة دار التراث ـ القاهرة ـ الطبعة الثالثة ـ ١٩٨٥].
٢٩ ـ القطعيات والظنِّيات، ومواطن الاجتهاد في الشريعة الإسلامية : [للعلامة الشيخ محمد محمد المدني ـ الطبعة الأولى: ١٤١٠ هـ ـ ١٩٩٠ م، الناشر: دار الفتح للطباعة والنشر ـ بيروت].
٣٠ ـ علم أصول الفقه : [عبد الوهاب خلاف]، الناشر: دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع ـ الكويت ـ الطبعة التاسعة ـ ١٣٩٠ هـ ـ ١٩٧٠ م .

٣١ ـ **شرح القواعد الفقهية**: [لفضيلة الشيخ **أحمد الـزرقا**]، النـاشر: دار الغـرب الإسلامي ـ بيروت ـ الطبعة الأولى ـ ١٩٨٣ .

٣٢ ـ **إعـلام المـوقعين عن ربِّ العـالمين**: [لـلإمــام شمس الـدين أبي عبـد الله محمد بن أبي بكر المعروف **بابن القيِّم**]، أربعـة أجزاء، النـاشر: دار الجيـل ـ بيروت .

٣٣ ـ **المعجـزة الكبرى (القـرآن)** [للإمـام **محمد أبـو زهـرة**]، النـاشـر دار الفكـر العربي ـ القاهرة ـ ١٩٧٧ م ـ الطبعة الأولى .

٣٤ ـ **القصص الهادف كما نراه في سورة الكهف**، [للعـلامة الشيـخ **محمد محمـد المدني**]، الناشر: المجلس الأعلى للشؤون الإسلاميـة، القاهـرة ـ ١٣٨٤ هـ ـ ١٩٦٤ م .

٣٥ ـ **منهـاج الصالحين من أحـاديث وسنَّة خـاتم الأنبياء والمـرسلين**: [**عـز الـدين بليق**]، النـاشـر: دار الفتـح للطبـاعـة والنشـر ـ بيـروت ـ الـطبعـة الخـامسـة ـ ١٩٨٩ م .

٣٦ ـ **أحكـام المـرتـدّ في الشـريعـة الإسـلاميـة**: [لـلاستـاذ **نعمـان عبـد الـرزاق السامرائي**]، الناشر: المكتب الإسلامي ـ بيروت .

٣٧ ـ **زاد المسير في علم التفسير**: [للإمام أبي الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن **محمـد الجوزي**]، النـاشـر: المكتب الإسـلامي بيـروت ـ ٩ أجـزاء ـ الطبعة الأولى: ١٣٨٥ هـ ـ ١٩٦٥ م .

٣٨ ـ **التشريع الجنائي الإسلامي مقارناً بـالقانـون الوضعي**: [للشهيـد **عبد القـادر عودة**] ـ القاهرة ـ مكتبة دار التراث .

٣٩ ـ **لسان العرب** [**لابن منظـور**].

٤٠ ـ **فقـه السُّنَّة** [**للشيخ سيد سابق**]، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت .

٤١ ـ **الحيدة أو المناظرة الكبرى في محنة خلق القرآن**: [**عبـد العزيـز بن يحيى بن مسلم الكناني المكي**]، الناشر: **دار الفتح للطباعة والنشر، بيروت**.

٤٢ ـ **تهذيب التهذيب**: [للإمام **ابن حجـر العسقلاني**]، ١ ـ ١٢، الـطبعة الأولى: ١٣٢٥ هـ ـ مطبعة مجلس دائرة المعارف النـظامية بـالهند ـ حيـدر آباد الـدكن ـ أعادت طبعها بالتصوير ـ دار صادر ـ بيروت .

٤٣ ــ **لسان الميـزان** : [للإمـام **ابن حجـر العسقـلاني**] ٧ مجلدات، الـطبعـة الأولى: ١٣٢٩ هـ ـ مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية في الهند ـ حيدر آباد الـدكن ـ أعادت طبعهـا بالتصـوير: مؤسسـة الأعلمي للمطبـوعـات ـ **١٩٧١** م ـ ١٣٩٠ هـ .

٤٤ ــ **مـوقف الإسلام من الوثنية واليهوديـة والنصرانيـة** : [الشيخ **حسن خـالـد**]، الناشر: معهد الإنماء العربي ـ بيروت ـ الطبعة الأولى : ١٩٨٦ م .

٤٥ ــ **قـذائف الحق** : [لفضيلة الشيـخ **محمـد الغـزالي**]ـ منشـورات دار ذات السلاسل ـ الكويت ـ الطبعة الثانية ـ ١٩٧٦ .

٤٦ ــ **العهد القديم (التوراة)**، الناشـر: دار المشرق ـ التـوزيع : المكتبـة الشرقيـة ـ بيروت.

٤٧ ــ **دراسـة الكتب المقدَّسـة في ضوء المعـارف الحديثـة** : [**موريس بوكـاي**] ، الناشر: دار المعارف القاهرة ـ الطبعة الرابعة ـ ١٩٧٧ م .

٤٨ ــ دائرة المعارف، بإدارة **فؤاد أفرام البستاني** ـ المجلد الأول ـ **١٩٥٦** .

٤٩ ــ **دائرة المعارف الإسـلامية** [تـأليف فريق من علمـاء الغـرب المستشـرقين]، أعادت نشرها ـ دار المعرفة ـ بيروت ـ ١٥ جزءاً .

٥٠ ــ **كشف الأسـرار عن أصول فخـر الإسـلام البـزدوي**، النـاشـر: دار الكتـاب العربي ـ بيروت .

٥١ ــ **أحكام الأحوال الشخصيـة في الشريعـة الإسلاميـة** [**عبد الـوهاب خـلّاف**]، الطبعة الثانية ـ مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة ـ ١٣٥٧ هـ ـ ١٩٣٨ م .

٥٢ ــ **الفقه على المذاهب الأربعة** : [عبد الرحمن **الجزيري**]، القاهــرة.

٥٣ ــ **الإجـابة لإيـراد ما استـدركته عـائشة على الصحـابـة** : [لـلإمـام **بـدر الـدين الـزركشي**]، تحقيق الأستـاذ **سعيـد الأفغـاني** ـ النـاشـر: **المكتب الإسـلامي** ـ بيروت .

٥٤ ــ **المبادىء القضائيـة التي استقرّ عليهـا اجتهاد محكمـة الاستئناف الشـرعية في المملكة الأردنية الهاشمية** [لمؤلفه : **محمد حمزة العربي**] ـ (المجمـوعة الثـانية نشر: دار الفرقان ـ عمّان ـ الأردن.

٥٥ ــ **معجم المفسِّـرين**: [**الأستاذ عـادل نـويهض**]، مجلدان، الـطبعـة الثـالثـة: ١٤٠٩ هــ ـ ١٩٨٨ م، الناشر: (**مؤسسة نويهض الثقافية**) ـ بيروت.

٥٦ ــ **الأعلام**: (قاموس تراجم) [خيـر الدين الـزركلي]١ ـ ٨ ، الطبعـة الخامسـة ـ ١٩٨٠ ـ الناشر: دار العلم للملايين ـ بيروت .

٥٧ ــ **أعـلام النبوَّة**: [أبـو الحسن علي بن محمد **المـاوردي**]، الناشـر: دار إحيـاء العلوم ـ بيروت ـ الطبعة الأولى : ١٤٠٨ هــ ـ ١٩٨٨ م .

٥٨ ــ **كتاب الشفا** بتعريف حقوق المصطفى: [**للقاضي عيـاض** بن موسى اليحصبي] (جـزءان)، الناشـر: مكتبة الفـارابي دمشق ـ بالاشتـراك مع مكتبـة مؤسسة علوم القرآن ـ دمشق.

٥٩ ــ **الإحكام في أصول الأحكـام**: [**للإمـام ابن حزم الأنـدلسي**]، ثمانيـة أجزاء ـ مجلدان ـ الناشر: دار الجيل ـ بيروت، الطبعة الثانية ـ ١٤٠٧ هــ ـ ١٩٨٧ م .

٦٠ ــ **كتاب النُّبُوَّات**: [**للإمام ابن تيمية**]، الناشر: دار الكتب العلمية ـ بيـروت ـ الطبعة الأولى ـ ١٤٠٢ هــ ـ ١٩٨٢ م .

٦١ ــ **كلمات قرآنية**: [**عبد الرحيم فودة**]، الناشر: مؤسسـة دار الشعب ـ القاهـرة ـ ١٣٩٥ ـ ١٩٧٥ م .

٦٢ ــ **الوحي المحمدي**: [**للإمام محمـد رشيد رضـا**]، الطبعـة الثانيـة ١٣٥٢ هــ ـ القاهرة.

٦٣ ــ **العقيدة الإسلامية وأسسها**: [**عبد الرحمن حسن حبنَّكة الميداني**]، الناشر: دار القلم ـ دمشق ـ بيروت، الطبعة الثانية: ١٣٩٩ هــ ـ ١٩٧٩ م .

٦٤ ــ **النُّور المبين في قصص الأنبياء والمرسلين**: [**للسيد نعمـة الله الجزائـري**]، منشورات: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ـ بيروت، الـطبعة الثـامنة ـ ١٣٩٨ هــ ـ ١٩٧٨ م .

٦٥ ــ **فلسفـة النبوّة والأنبيـاء في ضـوء القـرآن والسُّنَّـة**: [**آدم عبـد الله الألـوري**]، الطبعة الأولى ١٤٠٣ هــ ـ ١٩٨٣ ـ توزيع مكتبة وهبة ـ القاهرة.

٦٦ ــ **قصص الأنبياء**: [**عبد الوهاب النَّجار**]، الطبعـة الثالثـة ـ الناشـر: دار إحياء التراث العربي ـ بيروت .

٦٧ ــ **النُبـوَّة والأنبيـاء: [محمد علي الصابوني]**، الطبعة الثانية: ١٤٠٠ هـ ـ ١٩٨٠ م .

٦٨ ــ **قصص الأنبياء: [للإمام ابن كثير]**، تحقيق وتعليق عبد القادر أحمد عطا، الناشر: المكتبة الإسلامية ـ بيروت، الطبعة الثانية ـ ١٤٠٢ هـ ـ ١٩٨٢ م .

٦٩ ــ **حياة وأخلاق الأنبياء: [أحمد الصباحي عوض الله]**، الناشر: دار إقرأ ـ بيروت ـ الطبعة الثالثة ـ ١٤٠٥ هـ ـ ١٩٨٥ م .

٧٠ ــ **الإيمان بالأنبياء بجملتهم وضعف حديث أبي ذرّ في عددهم: [عبد الله بن زيد آل محمود]**، الناشر: المكتب الإسلامي ـ بيروت ـ الطبعة الثالثة: ١٤٠٧ هـ ـ ١٩٨٦ م .

٧١ ــ **العقائد الإسلامية: [سيِّد سابق]**، الناشر: دار الكتب الحديثة ـ القاهرة ـ ١٣٩٦ هـ ـ ١٩٧٦ م .

٧٢ ــ **عقيدة المؤمن: [أبو بكر جابر الجزائري]**، الناشر: دار الكتب السلفية ـ القاهرة ـ ١٤٠٥ هـ ـ ١٩٨٥ م .

٧٣ ــ **مع الأنبياء في القرآن الكريم: [عفيف عبد الفتاح طبارة]**، توزيع: دار العلم للملايين ـ بيروت ـ الطبعة السابعة: ١٩٧٩ م .

٧٤ ــ **إبراهيم عليه السلام ودعوته في القرآن الكريم: [أحمد البراء الأميري]**، الناشر: دار المنارة ـ جدة ـ الطبعة الأولى: ١٤٠٦ هـ ، ١٩٨٦ م .

٧٥ ــ **عقيدة المسلم من الكتاب والسُّنَّة: [محمد خليل رفاعي]**، الناشر: دار الاعتصام بالقاهرة ـ ١٩٧٦ م .

٧٦ ــ **شرح العقيدة الطحاوية: [للإمام ابن أبي العزّ الحنفي]**، المكتب الإسلامي ـ بيروت ـ الطبعة الرابعة .

٧٧ ــ **العقيدة الطحاوية (شرح وتعليق): [محمد ناصر الدين الألباني]**، المكتب الإسلامي ـ الطبعة الأولى ـ ١٣٩٨ هـ ـ ١٩٧٨ م .

٧٨ ــ **شرح الفقه الأكبر: [الشارح: الأستاذ عبد الكريم التتان]**، نشر: مكتبة الغزالي ومكتبة ابن الفارض ـ حماه ـ سوريا .

٧٩ ــ **الصراط المستقيم: [عبد الله الحبشي]**، الطبعة السادسة ـ ١٤٠٣ هـ ـ بيروت .

٨٠ ــ **مختصر عبد الله الهرري الكافل بعلم الدين الضروري**: [**عبد الله الحبشي**]، الطبعة الثانية: ١٤٠٤ هـ ـ بيروت.

٨١ ــ **يسألونك** : (فتاوى نشرت في مجلة المسلمون التي كانت تصدر في لندن] [**أحمد محمد جمال**]، الناشر: دار الكتاب العربي بيروت ـ الطبعة الأولى: ١٤٠٣ هـ ـ ١٩٨٣ م .

٨٢ ــ **عقيدة الإسلام والمسلمين**: [**عبد الله بن زيد آل محمود**]، رسالة منشورة في الجزء الثاني من مجموعة رسائل للمؤلف، نشرها المكتب الإسلامي في بيـروت .

٨٣ ــ **تعريف عام بدين الإسلام** [**علي الطنطاوي**]، الناشر: مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ الطبعة السادسة، الجزء الأول: **في العقيدة** ١٣٩٤ هـ ـ ١٩٧٤ م .

٨٤ ــ **مناهج الشريعة الإسلامية**: [**الشيخ أحمد العجوز**]، الجزء الأول، الطبعة الأولى ـ ١٣٨٥ هـ ـ ١٩٦٩ م ـ منشورات مؤسسة المعارف ـ بيروت .

٨٥ ــ **الهداية الإسلامية**: [**الدكتور محمد حمد خضر**]، الجزء الأول، الطبعة الخامسة ـ ١٩٧٥ م ـ بيروت .

٨٦ ــ **المبادىء الإسلامية (الأصدقاء الأربعة)**: منشورات :دار المقاصد الإسلامية ـ بيروت ـ الطبعة الأولى ١٤٠٩ هـ ـ ١٩٨٩ .

٨٧ ــ **الإسلام** رسالتنا: (**هيئة التأليف في جمعية التعليم الديني الإسلامي**)، الجزء الأول ـ الطبعة السابعة ١٤٠٧ هـ ـ ١٩٨٧ م ـ نشر الشركة العالمية للكتاب ـ دار الكتاب اللبناني ـ مكتبة المدرسة .

٨٨ ــ **الكفاية لذوي العناية** : [**عبد الباسط الفاخوري**]، بيروت ـ

الـدوريـــات

١ ـ **جـريدة الاتحـاد الظبيـانية**: دولـة الإمارات العـربية المتحـدة ـ مقـال بعنـوان: [**القرآن والتاريخ**]، للدكتورة بنت الشاطىء ـ ١٩ / ٤ / ١٩٨٨ .

٢ ـ **مجلة الرسالة الإسلامية**: بيروت ـ مقال بعنـوان: [**نعم .. آدم نبيّ**]، للدكتور صبحي الصالح ـ العدد ٧٧ ـ السنة التاسعة، ١٩٨٦ م .

٣ ـ **مجلة الفكر الإسلامي**: تصدر عن دار الفتوى في بيروت ـ العدد السـابع السنـة السادسة عشرة: ١٤٠٧ هـ ـ ١٩٨٧ م :

ـ مقال بعنوان: **معذرة أبا البشرية ـ للشيخ محمد كنعان**.

ـ مقال بعنوان: **آدم عليه السلام نبيٌّ بالقطع واليقين ـ للشيخ نزار الحلبي**.

٤ ـ **مجلة المسلمون القاهـرية**: (وكـان يصدرهـا الدكتـور سعيد رمضـان). ، مقال بعنوان: (**قصة نوح عليه السلام**)، للعلامة الأستاذ البهي الخولي .

الحلقة الأولى : العدد السادس ١٣٧٢ هـ .

الحلقة الثانية: العدد السابع ١٣٧٢ هـ .

٥ ـ **مجلة الشـراع اللبنـانيـة**: مقـال بعنـوان: [**علمـاء المسلمين ينقسمـون حـول آدم**]، العدد رقم ٣٥٤ ـ يناير ١٩٨٩ .

محتويات الكتاب

الموضـــوع | الصفحـة

الفصـــل الثانـــي
نبوّة آدم ورسالته بين الظّنِّ.. واليقين 99

الموضـــــوع	الصفحـة

** .. ** .. **

الفصـــل الثالـــث

** .. ** .. **

الموضـــوع	الصفحـــة

الفصــل الرابــع

** .. ** .. **

الفصــل الخامـــس

الموضـــوع	الصفحـــة

الموضـــوع | الصفحـــة

** .. ** .. **

الفصـل السابـع

** .. ** .. **

الموضـــــوع	الصفحـــة

** .. ** .. **

الفصـل العاشـــر

الموضـــوع	الصفحـــة

** . . ** . . **

بسم الله الرحمن الرحيم

الجمهورية العربية السورية
وزارة الأوقاف
إدارة الإفتاء العام
والتدريس الديني

الرقم ٦ ٨٧

السيد الأستاذ مدير دار الفتح للطباعة والنشر
بيـــروت ـ لبنــان

سـلام اللـه عليـكم ورحمتـه وبركاتـه :

جوابا على سؤالكم الذي تقدمتم به الينا حول نبوة آدم ورسـالته وغيرهـا ، فنقـول :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد العالميـن وعلى آلـه وصحبه أجمعيـن . أما بعـد ، فنفيدكم بالجواب التالي :

بعـد اطلاعنـا على الأحكـام المتعلقـة بهـذا الموضـوع ، وعلـى اقـوال مختلـف الفقهـاء فيه ، تبين أن القضية في رسالة آدم أو عدم رسـالته ، وأنـه هو أول رسول أم أن نوحا هو أول المرسلين ؟ هذه القضية ذهب فيها العلماء قديما وحديثا الى قولين ، والذي نراه أنه لامرجح لأحد الرأيين ، ولايجوز الخوض فيها أكثر من ذلك مخافة الحط من قدر احد الفريقين من علمائنا ، ولكل وجهة نظر فيما ذهب اليه . وانه يرجح لدينا بأن مـن اخذ بأحد الرأيين فانما يكون قد استند الى نتيجة قال بها صفوة من العلماء .

ان موضوع التكفير أو الارتداد عن الاسلام لمن قال بالرأي هذا أو ذاك فهذا غير وارد ، اذ أن قولنا بذلك يكون كمن حكم على فريق منهما بالكفـر أو بالارتداد . بالاضافة الى أن الخوض في هذه الأمور غير مجد ولامفيد وخصوصا في وقت يجدر بنا أن نصرف اهتمامنا فيه الى جمع الكلمة والوقوف صفـا واحدا أمام مايواجه هذه الأمة من أحداث جسام ، ومن موجات الكفر والتضليل ومحاولات الصهيونية تقويض بناء عقيدتنا وتراثنا واستعبادنا واذلالنـا ونهب خيراتنا ، واشاعة الفتنة والخلافات بين صفوفنا ، وهذا مايربأ به كل مسلم أن يكون على حذر من الأمر ، لأن الأمر جسيم والخطب جليل ، ولو أن كتب العقيدة التي بين أيدينا ترجح قول من ذهب الى أن آدم عليه السلام نبـي مرسـل وأن عدد الأنبياء الذين وردت أسماؤهم في القرآن الكريم خمسـة وعشرون نبيا ، أولهم آدم ، وآخرهم نبينا محمد عليهم الصلاة والسـلام أجمعيـن .

والحمـد للـه رب العالميـن .

دمشق ـ ١١ / ٥ /١٤٠٩هـ الموافق ١٩/ ١٢/ ١٩٨٨م .

الشيخ أحمد كفتارو
[توقيع]
المفتي العـام للجمهورية العربية السورية

[ختم: وزارة الأوقاف - إدارة الإفتاء العام والتدريس الديني]

رأي الإمام العلامة شيخ الإسلام
محمد بن عبد الوهاب
في أولية النبوّة والرسالة
لنوح عليه السلام

قال الإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب في رسالته [**الأصول الثلاثة وأدلّتها**] (*) :

(فإذا قيل لك: ما الأصول الثلاثة التي يجب على الإنسان معرفتها ؟

فقل : **معرفة العبد ربَّه ودينه ونبيَّه محمداً ﷺ**).

وتحدَّث عن **الأصل الثالث**، فقال:

(. . . وأرسل الله جميع الرُّسُل مبشِّرين ومنذرين. والدليل قوله تعالى: ﴿رُسُلاً مبشِّرين ومنذرين لئلا يكونَ للنَّاسِ على الله حجَّةٌ بعد الرسل﴾ **وأوّلهم نوح عليه السلام، وآخِرُهُمْ محمدٌ ﷺ**، وهو خاتم النَّبيِّين. والدليل على أنَّ **أوَّلهم نوح عليه السلام** قوله تعالى: ﴿إنَّا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيِّين من بعده﴾ (١)، وكُلُّ أُمَّةٍ بعث الله إليهم رسولاً **من نوح إلى محمد**، يأمرهم بعبادة الله وحده، وينهاهم عن عبادة الطاغوت. والدليل قوله تعالى: ﴿ولقد بعثنا في كل أُمَّةٍ رسولاً أنِ اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت﴾ (٢) . .

(*)نشر وتوزيع رئاسة إدارة البحوث العلمية والافتاءوالدعوةوالارشاد،بالمملكةالعربية السعودية.

(١) النساء: ١٦٣.　　(٢) النحل : ٣٦.

[شكر وتقدير.. ورجاء]

يتقدم المؤلف بالشكر والتقدير إلى كافة علماء الإسلام الذين أسهموا في هذا الكتاب، والذين قاموا بواجب أمانة العلم، **بالبيان..** **وعدم الكتمان**، وخاصّة أصحاب السماحة والفضيلة:

١ ـ **الدكتور عبد الله المشدّ** [رئيس لجنة الفتوى بالأزهر الشريف].

٢ ـ **الشيخ محمد الغزالي** [الداعية الإسلامي الكبير].

٣ ـ **الدكتور عبد المنعم النمر** [وكيل الأزهر ووزير الأوقاف السابق].

٤ ـ **الشيخ محمد سيد الطنطاوي** [مفتي جمهورية مصر العربية].

٥ ـ **الشيخ أحمد كفتارو** [مفتي الجمهورية العربية السورية].

٦ ـ **الدكتور عبد المجيد مطلوب** [أستاذ ورئيس قسم الشريعة الإسلامية بكلية حقوق جامعة عين شمس].

كما يرجو من قرّاء العالم الإسلامي وعلمائه ومفتييه أن يبعثوا لنا بملاحظاتهم وتصويباتهم لاستدراكها في الطبعة الثانية إن شاء الله، والله لا يضيع أجر من أحسن عملاً...

[عنوان المؤلف]

دار الفتح للطباعة والنشر ـ ص. ب.: ٤٢٩٥ ـ بيروت ـ لبنان

[هـذا الكتـاب]

□ هل هناك فرق بين النّبي والرسول . . **أم أن كُلّ نبيٍّ رسول، وكلّ رسولٍ نبيّ ؟**

□ هل صحيح أنَّ آدم **عليه السلام هو أوَّل نبي، وأنَّ نوحاً** عليه السـلام **هو أول رسول؟**

□ وإذا كان القرآن الكريم قد حدّد **خاتم النبيين** لقطع الطريق على مدّعي النبوّة بعد محمد ﷺ، **فهل** أغفل القرآن الكريم الاشارة إلى **النبيّ الأول** حتّى لا يقع المسلمون في الحيرة والبلبلة وتفرّق الكلمة ؟

□ لقـد ادّعى بعض المنتسبين إلى أهل العلم **الاجمـاع على نبـوّة** آدم **عنـد أهـل الكتاب والمسلمين!**

وادّعى بعضهم أنَّ من لم يؤمن بنبوّة آدم **فهو كافر مرتدّ!**

وادَّعى البعض الآخر بأنّ من لم يعترف بنبوّة آدم **فهو فاسق، وليس بكافـر !** .

وزعم آخرون بأنّ من لم يعترف بنبوّة آدم **فهو يعيش مع زوجـه في سفاح وليس في نكاح!**

□ هل جاء في القرآن الكريم **نصّ قاطع** بنبوّة آدم ورسالتـه . . وهل قضيّـة نبوّة آدم ورسالته من أصـول العقيدة . . أم أنهـا ليست من أصول العقيـدة ولا علاقـة لها بكفـر أو إيمان . . أو ردّة . . وسفاح ؟

□ ما رأي كبار العلماء والمفسرين في أولية النبوّة والرسالة هل هي لنوح عليه السلام أم لآدم من قبلـه ؟

□ ما هي **(العقائد الأساسية في الإسلام)** ؟ وما هي **(قصة آدم عليه السلام في العهد القديم، ودائرة المعارف الإسلامية والقرآن الكريم)** ؟ .

□ ما هي **(أدلّة الذين يقولون بنبوّة آدم ورسالته)**، و**(أدلّة الذين لم يقتنعوا بهذه النبوّة والرسالة نظراً لإيمانهم بهذه الأولية لنوح عليه السلام لا لآدم أبي البشر ؟)** .

□ هل الإسلام مع **(حرية التفكير والاجتهاد . . أم مع حرية التكفير والتفسيق)** ؟

□ ما هي حصيلة (فتاوى كبار العلماء والمفتين حول نبوّة آدم ورسالته ؟) .

هذا ما سيطالعه القارىء الكريم في كتاب :

[نبوّة آدم ورسالته بين الظن واليقين]

[الناشر]

